﴿ الجزء الرابع ﴾

من تاريخ الكامل للعلامة ابي الحسن علي بن
أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن
عبد الواحد الشيباني المعروف بابن
الاثير الجزري المتوفى
الدين رحمه الله
آمين

﴿ وبهامشه تاريخ مروج الذهب ومعادن الجوهر ﴾
﴿ للامام ابي الحسن علي بن الحسين المسعودي رحمه الله ﴾

فهرسة الجزء الرابع من تاريخ الكامل للعلامة ابن الاثير الجزري

صحيفة	
٣	(سنة سبع)
٣	ذكر وفاة معاوية بن أبي سفيان
٤	ذكر نسبه وكنيته وأزواجه وأولاده
٤	ذكر بعض سيرته وأخباره وقضاته وكتابه
٥	ذكر بيعة يزيد
٧	ذكر عزل الوليد عن المدينة وولاية عمرو ابن سعيد
٨	ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين ابن علي ليسير اليهم وقتل مسلم بن عقيل
١٥	ذكر مسير الحسين الى الكوفة
١٨	ذكر عدة حوادث
١٩	(سنة احدى وستين)
١٩	ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه
٣٧	ذكر أسماء من قتل معه
٣٨	ذكر مقتل أبي بلال مرداس بن جدير الحنظلي
٣٩	ذكر ولاية سلم بن زياد على خراسان وسجستان
٤٠	ذكر ولاية يزيد بن زياد وطلحة الطلحات سجستان
٤٠	ذكر ولاية الوليد بن عتبة المدينة والحجاز وعزل عمرو بن سعيد
٤١	ذكر عدة حوادث
٤١	(سنة اثنتين وستين)
٤١	ذكر وفد أهل المدينة الى الشام
٤٢	ذكر ولاية عقبة بن نافع أفريقية ثانية وما افتتحه فيها وقتله
٤٣	ذكر خروج كسيلة بن لمزم البربري على عقبة
٤٣	ذكر ولاية زهير بن قيس افريقية وقتله وقتل كسيلة
٤٤	ذكر عدة حوادث

صحيفة	
٤٤	(سنة ثلاث وستين)
٤٤	ذكر وقعة الحرة
٤٨	ذكر عدة حوادث
٤٨	(سنة أربع وستين)
٤٩	ذكر مسير مسلم لحصار بن الزبير وموته
٤٩	ذكر وفاة يزيد بن معاوية
٤٩	ذكر بعض سيرته وأخباره
٥١	ذكر بيعة معاوية بن يزيد بن معاوية وعبد الله بن الزبير
٥١	ذكر حال ابن زياد بعد موت يزيد
٥٣	ذكر ولاية عبد الله بن الحرث البصرة
٥٣	ذكر هرب ابن زياد الى الشام
٥٦	ذكر خلاف أهل الري
٥٧	ذكر بيعة مروان بن الحكم
٥٨	ذكر وقعة مرج راهط وقتل الضحاك والنعمان بن بشير
٦٠	ذكر فتح مروان مصر
٦٠	ذكر بيعة أهل خراسان سلم بن زياد وأمر عبد الله بن سازم
٦٢	ذكر أمر التوابين
٦٤	ذكر فراق الخوارج عبد الله بن الزبير وما كان منهم
٦٦	ذكر قدوم المختار الكوفة
٦٨	ذكر عدة حوادث
٦٨	(سنة خمس وستين)
٦٨	ذكر مسير التوابين وقتلهم
٧٤	ذكر بيعة عبد الملك وعبد العزيز ابني مروان بولاية العهد
٧٤	ذكر بعث ابن زياد وحبيش
٧٤	ذكر موت مروان بن الحكم وولاية ابنه عبد الملك
٧٥	ذكر صفته ونسبه واخباره

صحيفة	
٧٦	ذكر مقتل نافع بن الازرق
٧٦	ذكر محاربة المهلب الخوارج
٧٨	ذكر نجدة بن عامر الحنفي
٨٠	ذكر الاختلاف على نجدة وقتله وولاية أبي فديك
٨٠	ذكر استعمال مصعب على المدينة
٨١	ذكر بناء ابن الزبير الكعبة
٨١	ذكر الحرب بين ابن خازم وبني تميم
٨٢	ذكر عدة حوادث
٨٢	(سنة ست وستين)
٨٢	ذكر وثوب المختار بالكوفة
٨٩	ذكر قتل المختار قتلة الحسين عليه السلام
٩٤	ذكر مقتل عمر بن سعد وغيره ممن شهد قتل الحسين
٩٥	ذكر بيعة المثنى العبدي للمختار بالبصرة
٩٦	ذكر مكر المختار بابن الزبير
٩٧	ذكر حال ابن الحنفية مع ابن الزبير ومسير الجيش من الكوفة
٩٩	ذكر الفتنة بخراسان
١٠٠	ذكر مسير ابن الاشتر الى قتال ابن زياد
١٠٠	ذكر حال الكرسي الذي كان المختار يستنصر به
١٠١	ذكر عدة حوادث
١٠١	(سنة سبع وستين)
١٠١	ذكر مقتل ابن زياد
١٠٤	ذكر ولاية مصعب بن الزبير البصرة
١٠٤	ذكر مسير مصعب الى المختار وقتل المختار
١٠٩	ذكر عزل مصعب بن الزبير وولاية حمزة ابن عبد الله بن الزبير
١٠٩	ذكر عدة حوادث
١٠٩	(سنة ثمان وستين)

صحيفة	
١٠٩	ذكر عزل حمزة وولاية مصعب البصرة
١٠٩	ذكر حروب الخوارج بفارس والعراق
١١١	ذكر قتل ابن الماحوز وامارة قطري بن الفجاءة
١١٢	ذكر حصار الري
١١٢	ذكر خبر عبيد الله بن الحر ومقتله
١١٥	ذكر عدة حوادث
١١٦	(سنة تسع وستين)
١١٦	ذكر قتل عمرو بن سعيد الاشدق
١١٨	ذكر عصيان الحراجمة بالشام
١١٩	ذكر عدة حوادث
١١٩	(سنة سبعين)
١١٩	ذكر يوم الحفرة
١٢٠	ذكر مقتل عمير بن الحباب بن جعدة السلمي
١٢١	يوم ماكسين
١٢١	يوم الثرثار الاول
١٢١	يوم الثرثار الثاني
١٢١	يوم العدين
١٢٢	يوم السكير
١٢٢	يوم المعارك
١٢٢	يوم الشرعبية
١٢٢	يوم البليخ
١٢٢	يوم الحشاك ومقتل عمير بن الحباب السلمي وابن هوبر التغلبي
١٢٣	يوم الكحيل
١٢٤	يوم البشر
١٢٥	(سنة احدى وسبعين)
١٢٥	ذكر مقتل مصعب وملك عبد الملك العراق
١٣٠	ذكر ولاية خالد بن عبد الله البصرة
١٣٠	ذكر أمر عبد الملك وزفر بن الحرث
١٣٢	ذكر عدة حوادث

صحيفة	
١٣٢	(سنة ثنتين وسبعين)
١٣٢	ذكر أمر الخوارج
١٣٤	ذكر قتل عبد الله بن خازم
١٣٤	ذكر عدة حوادث
١٣٤	(سنة ثلاث وسبعين)
١٣٤	ذكر قتل عبد الله بن الزبير
١٣٩	ذكر عمر ابن الزبير وسيرته
١٤٠	ذكر ولاية محمد بن مروان الجزيرة وارمينية
١٤٠	ذكر قتل أبي فديك الخارجي
١٤٠	ذكر عدة حوادث
١٤١	(سنة أربع وسبعين)
١٤١	ذكر ولاية المهلب حرب الازارقة
١٤٢	ذكر عزل بكير عن خراسان وولاية أمية ابن عبد الله بن خالد
١٤٢	ذكر ولاية عبد الله بن أمية سجستان
١٤٣	ذكر ولاية حسان بن النعمان افريقية
١٤٣	ذكر تعريب افريقية
١٤٤	ذكر عدة حوادث
١٤٤	(سنة خمس وسبعين)
١٤٤	ذكر ولاية الحجاج بن يوسف العراق
١٤٧	ذكر ولاية سعيد بن أسلم السند وقتله
١٤٧	ذكر وثوب أهل البصرة بالحجاج
١٥٠	ذكر شبيب نجدة وأول خبره
١٥٠	ذكر اجلاء الخوارج عن رامهرمز وقتل ابن مخنف
١٥١	ذكر عدة حوادث
١٥١	(سنة ست وسبعين)
١٥١	ذكر خروج صالح بن مسرح
١٥٢	ذكر بيعة شبيب الخارجي ومحاربة الحرث بن عميره
١٥٣	ذكر الحرب بين أصحاب شبيب وغيره
١٥٣	ذكر مسير شبيب الى بني شيبان

صحيفة	
	واتباعهم
١٥٤	ذكر الوقعة بين شبيب وسفيان الخثعمي
١٥٤	ذكر الوقعة بين شبيب وسورة بن الحر
١٥٥	ذكر الحرب بين شبيب والجزل بن سعيد وقتل سعيد بن مجالد
١٥٦	ذكر مسير شبيب الى الكوفة
١٥٦	ذكر محاربة شبيب أهل البادية
١٥٧	ذكر دخول شبيب الكوفة
١٥٧	ذكر محاربة شبيب زحر بن قيس
١٥٨	ذكر محاربة الامراء المتقدم ذكرهم وقتل محمد بن موسى بن طلحة
١٥٩	ذكر محاربة شبيب عبد الرحمن بن محمد ابن الاشعث وقتل عثمان بن قطن
١٦١	ذكر ضرب الدراهم والدنانير الاسلامية
١٦١	ذكر عدة حوادث
١٦٢	(سنة سبع وسبعين)
١٦٢	ذكر محاربة شبيب عتاب بن ورقاء وزهرة بن حوية وقتلهما
١٦٤	ذكر قدوم شبيب الكوفة أيضا وانهزامه عنها
١٦٦	ذكر مهلك شبيب
١٦٨	ذكر خروج مطرف بن المغيرة بن سعبة
١٦٩	ذكر الاختلاف بين الازارقة
١٧٠	ذكر مقتل عبد ربه الكبير
١٧١	ذكر قتل قطري بن الفجاءة وعبيدة بن هلال
١٧٢	ذكر قتل بكير بن وشاح
١٧٣	ذكر عدة حوادث
١٧٣	(سنة ثمان وسبعين)
١٧٣	ذكر عزل أمية بن عبد الله وولاية المهلب خراسان
١٧٣	ذكر عدة حوادث

صحيفة	
١٧٤	(سنة تسع وسبعين)
١٧٤	ذكر غزو عبيد الله بن أبي بكر درتبيل
١٧٤	ذكر عدة حوادث
١٧٤	(سنة ثمانين)
١٧٥	ذكر نزوه المهلب ماوراء النهر
١٧٥	ذكر تسيير الحمود الى رتبيل مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث
١٧٦	ذكر عدة حوادث
١٧٦	(سنة احدى وثمانين)
١٧٦	ذكر مقتل تميم بن ورقاء
١٧٧	ذكر دخول الديلم طبرستان وما كان منهم
١٧٨	ذكر خلاف عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث على الحجاج
١٧٩	ذكر عدة حوادث
١٨٠	(سنة اثنتين وثمانين)
١٨٠	ذكر الحرب بين الحجاج وابن الاشعث
١٨٠	ذكر وقعة دير الجماجم
١٨٢	ذكر وفاة المغيرة بن المهلب
١٨٢	ذكر صلح المهلب أهل كس
١٨٣	ذكر وفاة المهلب بن أبي صفرة وولاية ابنه يزيد خراسان
١٨٣	ذكر عدة حوادث
١٨٣	(سنة ثلاث وثمانين)
١٨٣	ذكر قتلة لوقعة دير الجماجم
١٨٥	ذكر الوقعة عسكر
١٨٦	ذكر مسير عبد الرحمن الى رتبيل وما جرى له ولاصحابه
١٩	ذكر ما جرى للشعبي مع الحجاج
١٩٠	ذكر خلع عمر بن أبي الصلت بالري وما كان منه
١٩٠	ذكر بناء مدينة واسط
١٩١	ذكر عدة حوادث
١٩١	(سنة أربع وثمانين)

صحيفة	
١٩١	ذكر قتل ابن الاقمرية
١٩١	ذكر فتح قلعة بيرك ماذغيس
١٩٢	ذكر عدة حوادث
١٩٢	(سنة خمس وثمانين)
١٩٢	ذكر هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث
١٩٢	ذكر عزل يزيد بن المهلب عن خراسان وولاية أخيه المفضل
١٩٤	ذكر نزو المفضل باذغيس وآخرون
١٩٤	ذكر مقتل موسى بن عبد الله بن خازم
١٩٧	ذكر وصول عبد العزيز بن مروان السعد لولايته وما كان منهم
١٩٨	ذكر عدة حوادث
١٩٨	(سنة ست وثمانين)
١٩٨	ذكر وفاة عبد الملك
١٩٩	ذكر سببه وأولاده وأزواجه
١٩٩	ذكر بعض أخباره
٢٠٠	ذكر خلافة الوليد بن عبد الملك
٢٠٠	ذكر ولاية قتيبة خراسان وما كان منه هذه السنة
٢٠١	ذكر عدة حوادث
٢٠١	(سنة سبع وثمانين)
٢٠١	ذكر امارة عمر بن عبد العزيز بالمدينة
٢٠٢	ذكر صائفة يزيد ومرلة
٢٠٢	ذكر غزو الروم
٢٠٢	ذكر غزوة قتيبة كاشغر
٢٠٣	ذكر عدة حوادث
٢٠٣	(سنة ثمان وثمانين)
٢٠٣	ذكر فتح طوانة من بلد الروم
٢٠٣	ذكر عمارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
٢٠٤	ذكر غزو بومشكث ورامثنة
٢٠٤	ذكر ما عمل الوليد من المعروف

صحيفة	
٢٠٠	ذكر عدة حوادث
٢٠٠	(سنة سبع وثمانين)
٢٠٠	ذكر غزو الروم
٢٠٣	ذكر غزو قتيبة بخارا
٢٠٥	ذكر ولاية خالد بن عبد الله القسري مكة
٢٠٥	ذكر قتل داهر ملك السند
٢٠٦	ذكر استعمال موسى بن نصير على افريقية
٢٠٦	ذكر عدة حوادث
٢٠٦	(سنة تسعين)
٢٠٦	ذكر فتح بخارا
٢٠٧	ذكر صلح قتيبة مع الصغد
٢٠٧	ذكر غدر بزك وفتح الطالقان
٢٠٨	ذكر هرب يزيد بن المهلب واخوته من سجن الحجاج
٢٠٩	ذكر عدة حوادث
٢٠٩	(سنة احدى وتسعين)
٢٠٩	ذكر ثمة خبر قتيبة مع بزك
٢١٠	ذكر غزو شومان وكش ونسف
٢١١	ذكر عدة حوادث
٢١٢	(سنة اثنتين وتسعين)
٢١٢	ذكر فتح الاندلس
٢١٦	ذكر غزوة حربة سردانية
٢١٧	ذكر عدة حوادث
٢١٧	(سنة ثلاث وتسعين)
٢١٧	ذكر صلح خوارزمشاه وفتح خام جرد
٢١٧	ذكر فتح سمرقند
٢١٩	ذكر فتح طليطلة من الاندلس
٢١٩	ذكر عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز
٢٢٠	ذكر عدة حوادث
٢٢٠	(سنة اربع وتسعين)
٢٢٠	ذكر قتل سعيد بن جبير
٢٢١	ذكر غزوة الشاش وفرغانة
٢٢١	ذكر عدة حوادث
٢٢١	(سنة خمس وتسعين)
٢٢١	ذكر غزوة الشاش
٢٢٢	ذكر وفاة الحجاج بن يوسف
٢٢٢	ذكر نسبه وشئ من سيرته
٢٢٣	ذكر ما فعله محمد بن القاسم بعد موت الحجاج وقتله
٢٢٤	ذكر عدة حوادث

فهرست كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي

صحيفة

٣ ذكر الفلك والكواكب واوضاعها
٢٣ ذكر ملوك الفرس من بيشداد وغيرهم
٤٦ ذكر ملوك الروم من اليونان وغيرهم من الملوك
٥ ذكر من سكن من العرب وغيرهم من الامم وعلة سكناهم البدو وجمل من أخبار العرب وغيرهم ما يجري
٧٤ ذكر دخول العرب وآثارهم في الجاهلية وتفرقهم في البلاد وخبر أصحاب الفيل وعبد المطلب وغيره الى ما يتعلق بهذا الباب
١١١ ذكر مذهب اليونان العرب في الناموس والهام والصفر وغير ذلك من مذهب الجاهلية في الناموس والمرى
١١٣ ذكر قول العرب في الاعلان والسر وما يتعلق بهذا الباب
١١٩ ذكر قول العرب في الهوام والطير
١٢٥ ذكر مذهب اليونان العرب من القيافة والزاجر والسانح والبارح وغير ذلك
١٣٤ ذكر الكهنة والمتنبئين في الجاهلية وما يتصل بهذا الباب من ذكر الهاتف والرئي وغير ذلك من أسباب الجاهلية
١٤٦ ذكر جمل من أخبار اليمن وسيل العرم وتفرق الازد في البلدان
١٦٧ ذكر بني لخم وجذيمة وملوكهم وما يتعلق بهم من الاخبار
١٦٨ ذكر شيء من سير ملوك حمير والخلاف في انسابهم وما يتعلق بذلك
١٧ ذكر شيء من سير ملوك حمير ونسبهم الى الشهور العرب وعدة ما نسب من معرفة الانواء
١٧٧ ذكر شهور الفرس
١٧٨ ذكر أيام الفرس
١٧٩ ذكر بني العرب وشهورها وتسميتها آباءها وامهاتها
١٨٦ ذكر قول العرب في ليالي الشهور السريانية وغيرها
١٨٩ ذكر أقوال في أمر السريين في هذا العالم وحدثهم فيه وما يتعلق بهذا الباب
١٩٨ ذكر أرباع العالم والاقاليم وما خص به كل جزء منه من الشرق والعرب والتيمن والشمأل والاهوية وغير ذلك من سلطان الكواكب وما يتعلق بهذا الباب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ثم دخلت سنة ستين﴾

في هذه السنة كانت وقعة الحرة بين عبد الله بن مطيع ومسلم بن عقبة المري وهذا ذكرها
قول نصر بن مزاحم وعمر بن شبة وغيرهما

﴿ذكر وفاة معاوية بن أبي سفيان﴾

خطب معاوية قبل مرضه وقال أيها الناس قد كبرت سني ودق عظمي واقترب أجلي وقد طالبت أمري عليكم حتى ملكتكم وأحببت أن يكون ذلك عن مشورة مني لكم ورضا فتمنيتم فراقي وتمنيت فراقكم وتمنيتم وراقي ولا أتمنى لكم بعدي الا ما تمنيتم لأنفسكم ألا إن من قبلي كان حيرة لي وقد قبل من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه اللهم إني قد أحببت لقاءك فأحب لقائي وبارك لي فيه فلم يمض غير قليل حتى اشتد به مرضه فلما مرض المرض الذي مات فيه دعا ابنه يزيد فقال له يا بني إني قد كفيتك الشد والتعب ووطأت لك الأمور وذللت لك الأعداء وأخضعت لك رقاب العرب وجمعت لك من لم يجمعه أحد فانظر أهل الحجاز فإنهم أصلك وأكرم من قدم عليك منهم وتعاهد من غاب ونظر أهل العراق فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملا فافعل فإن عزل عامل يوما من أب شهر عليك مائة ألف سيف وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وحيبتك فإن رابك من عدوك شيء فانصرهم وإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم تغيرت أخلاقهم وإني لست أخاف عليك أن ينازعك في هذا الأمر إلا أربعة نفر من قريش الحسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر فأما ابن عمر فإنه رجل قد وقذته العبادة فإذا لم يبق أحد غيره بايعك وأما الحسين بن علي فهو رجل خفيف ولن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه فإن خرج وظفرت به فاصفح عنه فإن له رحما ماسة وحقا عظيما وقرابة من محمد صلى الله عليه وسلم وأما ابن أبي بكر فإن رأى أصحابه صنعوا شيئا صنع مثله ليس له همة إلا في النساء واللهو وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد ويراوغك مراوغة الثعلب فإن أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير فإن هو فعلها فقطعت به فقطعه إربا إربا واحقن دماء قومك

أول من حد حد الملوك لمن سأل يشحب بن يعرب بن قحطان واسمه مدشمس وإنما حمير فيما يسمى من هذا الملك وعمر من كهلان عليه السلام على ما قال وهب بن منبه وكان ملكه أربعة وثلاثين سنة وأربعة وثلاثين يوما (وقيل) وهو حمير بن سبأ بن يشحب بن يعرب وكان شجاعا لم يكن في وقته وفي قومه وكان يقال له ذو الأذعار وكان ملكه خمسا وثلاثين سنة وقيل أكثر من ذلك وقيل أقل وكان يعرف بالمتوج وكان أول من وضع على رأسه تاج مدة من ملوك حمير ثم ملك بعده أخوه كهلان بن سبأ فطال عمره وكبر سنه وسئم من الملك وكان ملكه ثمانية وثلاثين سنة وقيل غير ذلك ثم ملك بعده كهلان بن ولد حمير الأحمار يقول ذكره وتد رع في ملك ولد حمير وكهلان (ثم ملك) يومئذ حمير بن سبأ واسمه عبد شمس وكان الملك عنده وعند قومه حسنا وكان ملكه ثلاثين سنة (وقيل) إن أول من ملك بعد كهلان الحرث الريش وهو الحرث بن ذي مرثد (ثم ملك) جابر بن غالب بن الغوث بن صيفي

ما استطعت هكذا فى هذه الرواية ذكر عبد الرحمن بن أبى بكر وليس بصحيح فان عبد الرحمن بن أبى بكر كان قد مات قبل معاوية وقيل ان يزيد كان عائدا من مرض أصابه ومونه وان معاوية أحضر الضحاك بن قيس ومسلم بن عقبة المرى فامرهما ان يؤديا عنه هذه الرسالة الى يزيد ابنه وهو الصحيح ثم مات بدمشق لهلال رجب وقيل للنصف منه وقيل لثمان بقين منه وكان ملكه مع عشرة فسنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوما مدة احتمع له الامر وبايع له الحسن بن على وقيل كان ملكه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وقيل وثلاثة أشهر الا اياما وكان عمره حين مات بعين سنة وقيل ثلاثا وستين سنة وقيل توفى وهو ابن ثمان وستين سنة وقيل لما اشتدت به علته قال لاهله احشوا عينى هذا واد هو الذى رأيت فيه لوزه فواروه فيه ثم مهد له الفراش وأدن الناس فسلموا عليه فما ولم يجلس احد الا خرجوا منه والوا هو أصح الناس فقال معاوية عند خروجهم من عنده

وتجلدى للشامتين أريهم * انى لريب الدهر لا أتضعضع

وادا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وكان به المعاناة فمات من يومه فلما حضرته الوفاة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كساني قميصا فخطمته وقلم أظفاره وما فاخذت قلامته فجعلتها فى قارورة فاذا مت فالبسونى ذلك القميص واحقوا تلك القلامة وذروها فى عينى وعلى الله أن يرحمنى بركاتها ثم تمثل بشعر الاشهب بن رميلة النهشلى

اذا مت مات الجود واقطع المدى * من الناس الا من قليل مصرد

ورد ت أكف السائلين وأمسكوا * من الدين والدنيا بكف محدد

فقالت احدى بناته كلا يا أمير المؤمنين لم يدع لله سميا فقال متمثلا بشعر الهذلى واد المنية الى بيت وقال لاهله اتقوا الله فانه لا واقى لمن لا يتقى الله ثم قضى وأوصى ان يرد نصف ماله الى بيت المال كأنه أراد أن يطيب له الباقى لان عمر قاسم عماله وأشد لما حضرته الوفاة

ان تماشى يكن نقاشك يارب * عذابا لا طوق لى بالعذاب

أو تجاوز فانت رب صفوح * عن مسىء ذنوبه كالتراب

ولما اشتد مرضه أحدت ابنته رملة رأسه فى حجرها وجعلت تعليه فقال انت لتعلينه حولا قلما جمع المال من شب الى دب فليته لا يدخل النار ثم تمثل

لعمرى لقد سعيت لكم من سعى ذى نصب * وقد كفيتكم الطواف والرحلا

وبلغه ان قوما يمرحون بموته فانشد

فهل من خالد ان ماهلكا * وهل بالموت يا لله عار

وكان فى مرضه ربما احتلط فى بعض الاوقات فقال مرة كم بيننا وبين العوطة فصاحت بنته واحزناه فافاق فقال ان تعزى فقد رأيت منكرا فلما مات خرج الضحاك بن قيس حتى صعد المنبر واكفان معاوية على يديه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان معاوية كان عود العرب وحدا العرب وجد العرب قطع الله به الفتنة وملكه على العباد وفتح به البلاد ألا انه قد مات وهذا أكفانه ونحن مدرجوه فيها ومدخلوه قبره ومحاسبون بينه وبين عمله ثم هو الصائر الى يوم القيامة فمن كان يريد ان يشهده فعند الاولى وصلى عليه الضحاك وقيل لما اشتد مرضه أى مرض معاوية كان ولده يزيد بحوارين فكتبوا اليه يحثونه على المجىء ليدركه فقال يزيد شعرا

ابن يشجب بن سبا وكان ملكه مائة سنة ونحو أربعين سنة وقيل ان هذا الملك هو ابرهة بن الرائش معروف بذى المنار (ثم ملك) بعده الرائش بن شداد بن عاط وكان ملكه مائة وخمسا وعشرين سنة (ثم ملك) بعده ابرهة بن الرائش وهو ذو منار وكان ملكه مائة وثمانين سنة (ثم ملك) بعده أخوه المعد بن ابرهة وهو ذو الادعار وكان ملكه خمس وعشرين سنة (ثم ملك) بعده الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن الرائش وقد تنوزع فى مقدار ملكه فمنهم من رأى أنه عاش عشرين سنة ومنهم من ذكر سبعا ومنهم من قال ستا (ثم ملك) تبع الاول وكان ملكه أربعمائة سنة وذكر كثير من الناس أن بلقيس قتلته وقيل غير ذلك والاشهر ما تقدما (ثم ملكت) بعده بلقيس بنت الهدهاد وكان لولدها احمير طريف ذكرته الرواة فيما روى أنه صور لا يهما فى بعض قصة حيتان سوداء وبيضاء فامر بقتل السوداء منهما وما ظهر له بعد ذلك من شر وشاب من الحى وان الشيخ زوجه ابنته واشترط عليه شروطا وفاقت معه بالقدس ونقض

جاء البريد بقرطاس يخب به * فاوجس القلب من قرطاسه فزعا
قلنا لك الويل ماذا فى كتابكم * قال الخليفة أمسى مثبتا وجعا
ثم انبعثنا الى خوص مزممة * نرمى الفجاج بها الانأتى سرعا
فمادت الارض أوكادت تميد بنا * كان أعبر من أركانها انقطعا
من لم تزل نفسه توفى على شرف * توشك مقاليد تلك النفس ان تقعا
لما انتهينا وباب الدار منصفق * وصوت رملة ربع القلب فانصدعا
ثم ارعوى القلب شيأ بعد طيرته * والنفس تعلم ان قد اثبت جزعا
أودى ابن هند وأودى المجد بقيته * كانا حيه افاتا فاطمئنا معا
أغر أبلج يستسقى الغمام به * لو قارع الناس عن احسابهم قرعا

فاقبل يزيد وفد دفن فى قبره فصلى عليه

﴿ذكر نسبه وكنيته وأزواجه وأولاده﴾

أما نسبه فهو معاوية بن أبى سفيان واسم أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب وكنيته أبو عبد الرحمن وأما نساؤه وولده فهن ميسون بنت بحدل ابن انيف الكلبية أم يزيد بنته وقيل ولدت بنتا اسمها أمة رب المشارق فماتت صغيرة ومنهن فاخته بنة قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف وولدت له عبد الرحمن وعبد الله ابنى معاوية وكان عبد الله أحمق اجتاز يوما بطحان وبغلة يطحن وفى عنقه جلاجل فسأل عن الجلاجل فقال جعلنها فى عنقه لاعلم ان قد قام فلم ندر الرحا فقال أرأيت ان قام وحرك رأسه كيف تعلم فقال الطحان ان بغلى ليس له عقل مثل عقل الامير وأما عبد الرحمن فمات صغيرا ومنهن نائلة بنة عمارة الكلبية تزوجها وقال لميسون انظرى اليها فنظرت اليها وقالت رأيتها جميلة ولكنى رأيت تحت سريتها لا ليوصين رأس زوجها فى حجرها فطلقها معاوية وتزوجها حبيب بن مسلمة الفهرى ثم حلف عنها بعده النعمان بن بشير وقتل فوضع رأسه فى حجرها ومنهن كتوة بنت قرظة اخت فاخته غر امرس وهى معه فماتت هنالك

﴿ذكر بعض سيرته واخباره ووصاياه وكتابه﴾

لما بويع معاوية بالخلافة استعمل على شرطته قيس بن حمزة الهمدانى ثم عزله واستعمل رملة ابن عمرو العذرى وقيل لسكر وكان كاتبه وصاحب أمره سرجون الرومى وعلى حرسه رجل من الموالى يقال له المختار وقيل أبو المخارق مالك مولى حمير وكان أول من اتخذ الحرس وكان على حجابه سعد مولاه وعلى القضاء فضالة بن عبيد الانصارى فمات فاستقضى ابا ادريس الخولانى وكان على ديوان الخاتم عبد الله بن محصن الحميرى وكان أول من اتخذ ديوان الخاتم وكان سبب ذلك ان معاوية أمر لعمرو بن الزبير بمائة الف درهم وكتب له بذلك الى زياد ففتح عمرو الكتاب وصير المائة مئتين فلما رفع زياد حسابه أنكرها معاوية وطلبها من عمرو وحبسه فقضاها عنه أخوه عبد الله بن الزبير فاحدث عند ذلك معاوية ديوان الخاتم وحزم الكتب ولم تكن تحزم قال عمر بن الخطاب تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية قيل وقدم عمرو بن العاص من مصر على معاوية ومعه أهل مصر فقال لهم عمرو لا تسلموا على معاوية بالخلافة فانه أهيب لكم فى قلوبه وصغر إما استطعتم فلما قدموا قال معاوية لحجابه كأنى بابن النابغة وقد صغر أمرى عند القوم فانظروا اذا دخل القوم فتعتعوهم أشد ما يحضركم وكان أول من دخل عليه رجل منهم يقال له

ابن

ثلاث الشروط المأخوذة عليه لها فغابت عنه فى خبر طريف وهو موجود فى كتب التابعة وانما نحكى هذه الاخبار على حسب ما وجدناه فى كتب الاخبار بين وعلى حسب ما توجبه الشريعة والتسليم لها وليس قصدنا من ذلك وصف أقاويل أصحاب القدم لانهم ينكرون هذا ويمنعونه وانما نحكى فى هذا الكتاب أقاويل أصحاب الحديث المنقادين للشرع والمسلمين للحق واخبار الشياطين على حسب ما نطق به الكتاب المنزل على النبى المرسل وما قارن ذلك من الدلائل الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم واعجاز الحاقة ان يأتوا بمثل هذا القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكان ملك بلقيس عشرين ومائة سنة وكان من أمرها مع سليمان عليه السلام ما ذكر الله عز وجل فى كتابه وما اقتص من خبر الهدهد وما اقتص من أمرهما فملك سليمان اليمن ثلاثا وعشرين سنة ثم عاد بعد ذلك الملك الى حمير فملكهم ناشر النعم بن عمرو بن يعفر وكان ملكه خمسا وثلاثين سنة (ثم ملك)

ابن الخياط فقال السلام عليك يارسول الله وتتابع القوم على ذلك فلما خرجوا قال لهم عمرو لعنكم الله نهمتكم ان تسلموا عليه بالامارة فسلتم عليه بالنبوة قيل ودخل عبيد الله بن أبي بكرة على معاوية ومعه ولده فاكثر من الاكل فجعل معاوية وفطن عبيد الله وأراد ان يعلمه فلم يرفع رأسه حتى فرغ من الاكل ثم عاد عبيد الله وليس معه ابنه فقال معاوية ما فعل ابنك التلفا مه قال اشتكى قال قد علمت ان أكله سيورثه داء قيل لحويرية بن اسماء قدم أبو موسى الاشعري على معاوية في برنس أسود فقال السلام عليك يا أمير الله قال وعليك السلام فلما خرج قال معاوية قدم الشيخ لا وليه والله لا وليه وقال عمرو بن العاص لمعاوية ألست اصح الناس لك قال بذلك نلت ما نلت وقال حويرية بن اسماء كان بسر بن ارطاة عند معاوية فقال من علي ويزيد بن عمر بن الخطاب حاضر وامه أم كلثوم بنت علي فعلاه بالعصا وشجه فقال معاوية لم يد عمدت الى شيخ قريش وسيد أهل الشام فضربته وأقبل على بسر فقال شتم عليا وهو جده وهو ابن العاص وقف على رؤس الناس اترى ان يسعرني ذلك فارضاهما جميعا وقال معاوية اني لارفع نفسي من ان يكون ذنب أعظم من عفوي وجهل اكبر من حلمي وعوده لا اواريها ستري واساءة أكثر من احساني وقال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم يا ابن أخي انك قد لهجت بالشعر فايالك والتسيب النساء فتعير الشريفة وتهجاء فتعرك يوما وتستثير لئيما والمدح فيه طعمه الوقاح ولكن الحر يفاخر قومك وقل من الامثال ما تربي به نفسك وتؤدب به غيرك قال عبد الله بن صالح قيل لمعاوية أي الناس أحب اليك قال اشدهم لي تحببا الى الناس وقال معاوية العقل والحلم والعلم أفضل ما أعطى العباد فاذا ذكروا اعطى شكروا واذا بلي صبروا واذا غضب كظم واذا قدر عفروا واذا اساء استغفروا واذا وعد انجز قال عبد الله بن عمير اغلظ لمعاوية رجل فاكثر فقيل له أتحلم عن هذا فقال اني لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم مالم يحولوا بيننا وبين ملكنا وقال محمد بن عمر لام معاوية عبد الله بن جعفر على العراء فدخل عبد الله على معاوية ومعه مدح ومعاوية ووضع رجلا على رجل فقال عبد الله لبديح ايم ابا بديح فنحى رجله معاوية رجله فقال عبد الله يا أمير المؤمنين فقال معاوية ان الكريم طروب قال ابن عباس ما رأيت احلق للملك من معاوية ان كان ليرد الناس منه ارجاء وادرحب ولم يكن كالضيق الحصحص الحصر يعني ابن الزبير وكان معصبا وقال صفوان ابن عمرو مر عبد الملك بقبر معاوية فوقف عليه فترحم فقال رجل قبر من هذا فقال قبر رجل كان والله فيما علمته يطق عن علم ويسكت عن حلم اذا اعطى اغنى واذا حارب ابقى ثم عجل له الدهر ما اخره لغيره ممن بعده هذا قبر أبي عبد الرحمن معاوية ومعاوية أول خليفة بايع لولده في الاسلام وأول من وضع البريد وأول من سمى العالية التي تتحدر من الطيب غالية وأول من عمل المقصورة في المساجد وأول من خطب جالسا في قول بعضهم

﴿ذكر بيعة يزيد﴾

قيل وفي رجب من هذه السنة بويع يزيد بالخلافة بعد موت أبيه على ما سبق من الخلاف فيه فلما تولى كان على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وعلى مكة عمرو بن سعيد بن العاص وعلى البصرة عبيد الله بن زياد وعلى الكوفة النعمان بن بشير ولم يكن ليريد همة الا بيعة النفر الذين أتوا على معاوية بيعته فكتب الى الوليد يخبره بموت معاوية وكتابا آخر صغيرا وفيه أما بعد فخذ حسينا وعبد الله بن عمر وابن الزبير بالبيعة أخذا ليس فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام فلما أتاه نعي معاوية قطع به وكبر عليه وبعث الى مروان بن الحكم فدعاه وكان مروان عاملا على المدينة من

بعده كليكرب بن تبع وكان ملكه ثلثمائة سنة وعشرين سنة وسكن قومه نحو الشرق من بلاد خراسان والتبت والصين وسجستان (ثم ملك) بعده حسان بن تبع فاستقام له الامر ثم وقع بعد ذلك في ملكه نازع وخلاف وكان ملكه الى أن قتل حسان وعشرين سنة (ثم ملك) بعده عمرو بن تبع وهو القاتل لاخيه حسان الملك الماضي وكان ملكه أربعا وستين سنة ويقال انه عدم النوم لما كان من فعله في قتل أخيه (ثم ملك) بعده تبع بن حسان بن كليكرب وهو الملك الساير من اليمن الى الحجاز وكانت له مع الاوس والخزرج حروب وأراد هدم الكعبة فمنعه من كان معه من أحبار اليهود فكساها القصب اليماني وسار نحو اليمن وقد تهود وغلب على اليمن اليهودية ورجعوا عن عبادة الاصنام وكان ملكه نحو مائة سنة (ثم ملك) عمرو بن تبع بعد تعرف وتنازع كان بينهم في الملك ثم خلع عن الملك وملكوا عليهم مرثد بن كالل وكان في اليمن تنازع وحروب وكان ملكه أربعين سنة (ثم ملك) بعده وكيعه بن مرثد

قبل توليد فلما قدمها الوليد كان مروان يختلف اليه متذكارها فلما رأى الوليد ذلك منه شق عليه
ساءه فلما ذلك مروان فانقطع عنه ولم يزل مصارما له حتى حاد بني معاوية فلما عظم على الوليد
ملكه وما أمر به من سعيه هو ومن معه استدعى مروان فلما قرأ الكتاب بموت معاوية استرجع
ترحم عليه واستشاره الوليد كيف يصنع قال أرى ان تدعوهم الساعة وتأمرهم بالبيعة فان
دخلت منهم وكففت عنهم وان أبوا سريت أعناقهم قبل ان يعلموا بموت معاوية فانهم ان علموا
ذلك وثب كل رجل منهم بناحية وأظهر الخلاف ودعا الى نفسه اما ابن عمر فلا يرى القتال ولا يجب
أن يلي على الناس الا أن يدفع اليه هذا الامر عفوا فارسل الوليد عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو
يومئذ حدث الى الحسين وابن الزبير يدعوهما فوجدهما في المسجد وهما جالسان فقاما في ساعة
واحدة فلما رآهما عبد الله بن عمرو قام فجلس بينهما وقال ابن الزبير
والحسين ما رأيت لهذه الساعة لهما لم يكن يجتمع فيها فقال الحسين اظن ان طاغيتهم
قد هلك فبعث الينا ليبايعه قبل ان يفشو الخبر فقال ابن الزبير ما أظن غير هذا تريدان
تصنع قال الحسين اجمع فتياني الساعة ثم مشى اليهم وأدخل عليه فقال
له مروان قد كنت أدخلت ولا آتيه الا وأنا قادر على الامتناع فقام فجمع اليه أصحابه وأهله
ومواليه ثم أقبل على بني أمية وقال لا تعجلوا دعوا الوليد يدخل فاذا دعوتكم أو سمعتم صوتي قد علا فاقتحموا
علينا بيوتنا ولا تبرحوا حتى أخرج اليكم ثم دخل فسلم ومروان عنده فقال الحسين الصلة خير
من القطيعة والصبح خير من السدو قد آن لكم ان تجتمعوا الصلح الله ذات بينكم وجلس فاقرأه
الوليد الكتاب وفيه موت معاوية ودعاه الى البيعة فاسترجع الحسين وترحم على معاوية وقال اما
البيعة فوالله ما مثلي يبايع سرا ولا يجتزى بها مني سرا فاذا خرجت الى الناس ودعوتهم للبيعة
ودخلت معهم كان لأمرنا واحد فقال له الوليد وكان يحب العافية انصرف فقال له مروان ايها
الوليد اغتنم ساعته ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبدا حتى تكثر القتلى بينكم وبينه احبسه فان
بايع والا ضربت عنقه قبل ان يخرج من عندك فوثب عند ذلك الحسين وقال ابن الزرقاء أأنت تقتلني أم هو كذبت والله
ولؤمت ثم خرج حتى أتى منزله فقال مروان للوليد عصيتني لا والله لا يمكنك من نفسه مثلها أبدا
فقال الوليد ويحك يا مروان والله ما أحب ان لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال
الدنيا وملكها ولي قتلت حسينا فقال لا أبايع والله الى لأظن ان امرأ يحاسب بدم الحسين
لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة فقال مروان فانت أصبت يقول له هذا وهو غير معذله على رأيه
ومن ابن الزبير فقال الآن آتيكم بأني داره فلم يجد فيها ممن بعث اليه الوليد فوجده قد جمع
أصحابه وحشد فلما رآه عليه الوليد وهو يقول اعلي يبعث الي فبعث اليه الوليد موالي فشتموه وقالوا له يا ابن
الكاهلية لتأتين الامير أو ليقتلنك فقال لهم والله لقد اسريت لكثرة الارسال فلا تعجلوني حتى
أبعث الى الامير من يأتي برأيه فبعث اليه أخاه جعفر بن الزبير فقال رحمك الله كشف عن
عبد الله فانك قد أفزعته وهو يأتيك غدا ان شاء الله تعالى فرر سلك فلينصرفوا عنه
فبعث اليهم فانصرفوا وخرج ابن الزبير من ليلته فأخذ طريق العرع هو وأخوه جعفر ليس
معهما ثالث وسار ونحو مكة فسرح الرجال في طلبه فلم يدركوه فرجعوا وتشاغلوا به عن
الحسين لينهم ثم أرسل الرجال الى الحسين فقال لهم اصبحوا ثم تروني وري وكانوا يقولون عليه
فكمنوا عنه فسار من ليلته وكان محمد ابن الزبير قبله بليلة وأخذ معه بنيه واخوته وبني أخيه
ورجال أهل بيته الا محمد بن الحنفية فانه قال له ما حي أنت أحب الناس الي وأعزهم علي ولست

وكان ملكه تسعا وثلاثين
سنة (ثم ملك) عبد بن هشام بن
الصباح بن وكيعة بن مرة
وهو الذي يدعى شيبة الحمد
وكان ملكه ثلاثا وسبعين
سنة وقيل أقل من ذلك
وكان ظالما وله سيرة مذمومة
(ثم ملك) عبد عمرو بن
ذي ريعان وكان ملكه سبع
عشرة سنة (ثم ملك) عبده
دوسر ولم يكن من أهل
بيت الملك فعرى الاحداث
من أهل الملك وطمعوا بما
يطلبه من الفجور والفواحش
فقتلوه وملكوا عليهم ثلاثين
سنة وقيل تسعا وعشرين
سنة وقيل يوسف ذو نواس
وكان من أمره ان ملك حمير
على نفسه وبعده أبو يفسق
به (ثم ملك) بعده يوسف
ذو نواس بن زرعة بن تبع
الاصغر بن حسان بن
كليكرب وقد ذكرنا خبره في
غير هذا الموضع من كتابنا
وما كان من أمره مع
أصحاب الاخدود وتحريقه
اياهم بالنار وهم الذين أخبر
الله تعالى عنهم في كتابه وقال
قتل أصحاب الاخدود النار
ذات الوقود واليه غزت
الحبشة من بلاد ناصع
وارياط وهو ساحل الحبشة
على حسب ما ذكرنا الى
بلاد عدن من أرض اليمن

اذكر النصيحة لاحد من الخلق أحق بها منك تخ ببيعتك عن يريد وعن الامصار ما استطعت وابعث ذلك الى الناس وادعهم الى نفسك فان بايعوا لك حمدت الله على ذلك وان أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا تذهب به مروءتك ولا فضلك اني أخاف ان تأتي مصرا وجماعة من الناس فيختلفوا عليك فهم طائفة معك وأخرى عليك فيقتتلون فتكون لاول الاسنة فاذا خير هذه الامة كلها نفسا واباوا ما أضيعها دما واذلها أهلا قال الحسين فاين ادهب يا أخي قال ارل مكة فان اطمأنت بك الدار فبسبيل ذلك وان أنت لحقت بالرمال وشعف الجبال وخرجت من بلد الى بلد حتى تنظر الى ما يصير أمر الناس ويتفرق ذلك الرأي فانك أصوب ما يكون رأيا وأحزمه لا حسين تستقبل الامور استقبالا ولا تكون الامور أبدا أشكل منها حين تستدبرها قال يا أخي قد نصحت وأشفقت وأرجو أن يكون رأيك سديدا وموفقا ان شاء الله ثم دخل المسجد وهو يتمثل بقول يزيد بن مفرغ

لا ذعرت السوام في شعف الصبـ ـح غيورا ولا دعيت يزيدا
يوم أعطى من المهابة ضيما * والمنايا يرصدني أو أحيدا

ولما سار الحسين نحو مكة قرأ الحر عليه منها حاجاتها ترقب الآية فلما دخل مكة قرأ ولما توجه تلقاه مدين الآية ثم ان الوليد أرسل الى ابن عمر ليبايع فقال اذا بايع الناس بايعت فتركوه وكانوا لا يخافونه وقيل ان ابن عمر كان هو وابن عباس بمكة فعادا الى المدينة فلقيهما الحسين وابن الزبير مسألا عما وراءهما فقالا لا صوت معاوية وبيعة يزيد فقال ابن عمر لا تفرقا جماعة المسلمين وقدم هو وابن عباس المدينة فلما بايع الناس بايعا قال ودخل ابن الزبير مكة وعليها عمرو بن سعيد فلما دخلها قال انا عائذ بالبيت ولم يكن يصلي بصلاتهم ولا يفيض بافاضتهم وكان يقف هو وأصحابه ناحية

﴿ذكر عزل الوليد عن المدينة وولاية عمرو بن سعيد﴾

في هذه السنة عزل الوليد بن عتبة عن المدينة عزله يزيد واستعمل عليها عمرو بن سعيد الاشدق فقدمها في رمضان فدخل عليه أهل المدينة وكان عظيم الكبر واستعمل على شرطته عمرو بن الزبير لما كان بينه وبين أخيه عبد الله من البغضاء فارسل الى نفر من أهل المدينة فضربهم ضربا شديدا لهواهم في أخيه عبد الله منهم أخوه المنذر بن الزبير وابنه محمد بن المنذر وعبد الرحمن بن الاسود بن عبد يغوث وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ومحمد بن عمار بن ياسر وغيرهم فحبسهم الاربعين الى الحسين الى الستين فاستشار عمرو بن سعيد عمرو بن الزبير فيمن يرسله الى أخيه فقال لا توجه اليه رجلا أنكاله مني فجهز معه الناس وفيهم أنيس بن عمرو الاسلمي في سبعمائة فجاء مروان بن الحكم الى عمرو بن سعيد فقال له لا تغز مكة واتق الله ولا تحل حرمة البيت وخلوا ابن الزبير فقد كبر وله ستون سنة وهو لجوج فقال عمرو بن الزبير والله لعمرو به في جوف الكعبة على رغم أنف من رغم وأبى أبو شريح الخزاعي الى عمرو فقال له لا تغز مكة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما أذن لي بالقتال فيها ساعة من نهار ثم عادت كحرمتها بالامس فقال له عمرو نحن أعلم بحرمتها منك أيها الشيخ فسار أنيس في مقدمته وقيل ان يزيد كتب الى عمرو بن سعيد ليرسل عمرو بن الزبير الى أخيه عبد الله فعمل فارسل له ومعه جيش نحو ألفي رجل فنزل أنيس ذي طوى ونزل عمرو بالابطح فارسل عمرو الى أخيه يريد بن يريد وكان حلف ان لا يقبل بيعته الا أن يؤتى به في جامعة وتمال حتى اجعل في عنقك جامعة من فضة لا تراى ولا يضرب الناس بعضهم بعضا فانك في بلد حرام فارسل عبد الله بن الزبير عبد الله بن صفوان نحو أنيس فيمن معه من

وفرق يوسف نفسه بعد حروب طويلة خوفا من العار وكان ملكه مائتي سنة وستين سنة وقيل أقل من ذلك وذلك أن النجاشي ملك الحبشة لما بلغه عمل ذي نواس باتباع المسيح عليه السلام وما يعذبهم به من أنواع العذاب والتحريق بالنار بعث اليه الحبشة وعليهم ارياط بن ابحمة فملك اليمن عشرين سنة ثم وثب عليه ابرهة الاشرم بن يكسوم فقتله وملك اليمن فلما بلغ ذلك من فعله الى النجاشي غضب عليه وحلف بالمسيح أن يجز ناصيته ويريق دمه ويطأ تربته يعني أرض اليمن فبلغ ذلك ابرهة فحز ناصيته وجعلها في حق من العاج وجعل دمه في قارورة وجعل من تراب اليمن في جراب وانفذ ذلك الى النجاشي ملك الحبشة وبعث الى ذلك هدايا كثيرة وألطافا وكتب اليه يعترف بالعبودية ويحلف له بدين النصرانية أنه في طاعته وأنه بلغه أن الملك حلف بالمسيح أن يجز ناصيته ويريق دمه ويطأ أرضه وقد انفذت الى الملك ناصيتي فليجزها بيده ويدمي في قارورة فليهرقه وجراب من تربة بلادي فليطأه بقدميه وليطفئ الملك عني

أهل مكة ممن اجتمع اليه وهزمه ابن صفوان بذي طوى وأجاز على حريمهم وقتل أنيس بن عمرو
وسار مصعب بن عبد الرحمن الى عمرو بن الزبير وتفرق عن عمرو أصحابه فدخل ابن علقمة
وقتل أخوه عبيده فاجاره ثم أتى عبد الله فقال له انى قد أجرت عمرا فقال أتجير من حقوق الناس
هذا لا يصلح وما أمرتك ان تجير هذا السافك المستحل لحرمات الله ثم أقاد عمرا من كل من ضربه
فلم يدر وايهما أبى ان ستقيدا ومات تحت السياط

﴿ذكر الخبر عن مسير أهل الكوفة الى الحسين بن علي ليسير اليهم وقتل مسلم بن عقيل﴾

لما خرج الحسين من المدينة الى مكة لقيه عبد الله بن مطيع فقال له جعلت فداك أين تريد قال
أما الآن فمكة وأما بعد فاني أستخير الله قال خار الله لك وجعلنا فداك فاذا أتيت مكة فاياك ان
تقرب الكوفة فانها بلدة مشؤمة بها قتل أبوك وخذل أخوك واغتيل بطعنة كادت تأتي على
نفسه الزم الحرم فانك سيد العرب لا تعدل بك أهل الحجاز أحدا ويتداعى اليك الناس من كل
جانب لا تفارق الحرم فداك عمي وخالي فوالله لئن هلكت لنسترقن بعدك فاقبل حتى نزل مكة
فأتاه يختلفون اليه ويأتونه ومن بها من المعتمرين وأهل الآفاق وابن الزبير بها قد لزم جانب
الكعبة فهو قائم يصلي عندها عامة النهار ويطوف وبنو الحسين فيمن يأتيه ولا يزال يشير عليه
بالرأي وهو أثقل خلق الله على ابن الزبير لان أهل الحجاز لا يبايعونه مادام الحسين بها وبالبلد لما
سمع أهل الكوفة موت معاوية وامتناع الحسين وابن عمر وابن الزبير عن البيعة أرجفوا بيزيد
واجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد الخزاعي فذكروا مسير الحسين الى مكة وكتبوا اليه
عن معظمهم سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر
وبرءوس بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك فانا نحمد اليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد فالحمد لله
الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الامة فابتزها أمرها وغصبها فيئها وتأمر
عليها بغير رضا منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها وانه ليس علينا امام فاقبل لعل الله ان يجمعنا
بك على الحق والنعمان بن بشير في قصر الامارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا عيد ولو بلغنا اقبالك
اليها أخرجناه حتى نلحقه بالشام ان شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وسيروا
الكتاب مع عبد الله بن سبع الهمداني وعبد الله بن وال ثم كتبوا اليه كتابا آخر وسيروه بعد ليلتين
وكتب الناس معه نحوا من مائة وخمسين صحيفة ثم ارسلوا اليه رسولا تلو الرسول يحثونه على المسير
اليهم ثم كتب اليه شبث بن ربعي وحجار بن أبجر ويزيد بن الحارث ويزيد بن رويم وعروة بن قيس
وعمرو بن الحجاج الزبيدي ومحمد بن عمير التميمي بذلك وكتب اليهم الحسين عند اجتماع الكتب
عنده أما بعد فقد فهمت كل الذي اقتصصتم وقد بعثت اليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي
مسلم بن عقيل وأمرته ان يكتب الي بحالكم وأمركم ورأيكم فان كتب الي أنه قد اجتمع رأي ملئكم
وذوي الحجى منكم على مثل ما قدمت به رسلكم أقدم اليكم وشيكا ان شاء الله فلعمري ما الامام
الا العامل بالكتاب والقائم بالقسط والدائن بدين الحق والسلام واجتمع ناس من الشيعة
بالبصرة في منزل امرأة من عبد القيس يقال لها مارية بنت سعد وكانت تتشيع وكان منزلها لهم
مألفا يتحدثون فيه فعمرو بن يزيد بن بنيط على الخروج الى الحسين وهو من عبد القيس وكان له بنون
شره فقال أيكم يخرج معي فخرج معه ابنان له عبد الله وعبيد الله فساروا وافدموا عليه بمكة ثم
ساروا معه فقتلوا معه ثم دعا الحسين مسلم بن عقيل فسيره نحو الكوفة وأمره بتقوى الله وكتمان
أمره واللطف فان رأى الناس مجتمعين له عجل اليه بذلك فاقبل مسلم الى المدينة فصلى في مسجد

رسول

...صبه فقد أمرت بيمينه
وهو على سرير ملكه فلما
وصل ذلك الى النجاشي
استصوب رأيه واستحسن
عقله وصفح عنه وأرهنه
بن يكسوم هو الذي سار
باصحاب الفيل لاخرب
الكعبة وذلك لاربعين سنة
خلت من مبعث كسرى
انوشروان فعدل في لطائف
فبعث معه نفيل بابي
رغال الدليل على الطريق
وصى
يقال له المغمس بين الطائف
ومكة فرحم قبره بعد ذلك
وفي ذلك يقول حريز بن
الخطفى في الفرزدق
دامت الفرزدق وارحموه
كما ترمون قبر ابي رغال
(قال المسعودي) رحمه الله
وقيل ان أبا رغال وجوه
صالح لنبي صلى الله عليه
وسلم على صدقات الاموال
لخائف أمره وأشاء السيره
فوثب عليه ثقيف وهو تسعي
ابن منبه فقتله فقتلت شيبة
لسوء سيرته في أهل الحرم
فقتل غيلان بن سلمة وذكر
قسوة أبيهم ثقيف على أبي
رغال نحن قسي وقسا أبونا
وفي ذلك يقول أمية بن أبي
الصلت الثقفي
نصوا عن أرضهم عدنان طرا
وكانوا للقبائل قاهرينا
وهم قتلوا الرئيس ابا رغال
بمكة اذ يسوقهم ارصينا

رسول الله صلى الله عليه وسلم وودع أهله واستأجر دليلين من قيس فاقبلا به فضلا الطريق وعطشوا فمات الدليلان من العطش وقالا لمسلم هذا الطريق الى الماء فكتب مسلم الى الحسين انى أقبلت الى المدينة واستأجرت دليلين فضلا الطريق واشتد عليهما العطش فماتا وأقبلنا حتى انتهينا الى الماء فلم ننج الا بحشاشة أنفسنا وذلك الماء بمكان يدعى المضيق من بطن الخبيت وقد تطيرت فان رأيت أعفيتنى وبعثت غيرى فكتب اليه الحسين أما بعد فقد خشيت أن لا يكون حملك على الكتاب الى الا الجبن فامض لوجهك والسلام فسار مسلم حتى أتى الكوفة ونزل فى دار المختار وقيل غيرها وأقبلت الشيعة تختلف اليه فكلما اجتمعت اليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب الحسين فيكون ويعدونه من أنفسهم القتال والنصرة واختلفت اليه الشيعة حتى علم بمكانه وبلغ ذلك النعمان بن بشير وهو أمير الكوفة فصعد المنبر فقال أما بعد فلا تسارعوا الى الفتنة والفرقة فان فيها تهلك الرجال وتسفك الدماء وتغصب الاموال وكان حليما ناسكا يحب العافية ثم قال انى لا أقاتل من لم يقاتلنى ولا أثب على من لا يثب على ولا أنبه نائمكم ولا أتحرش بكم ولا آخذ بالقرف ولا التهمة ولا الظنة ولكنكم ان أبديتم صفحتكم ونكثتم بيعتكم وخالفتم امامكم فوالله الذى لا اله غيره لاضربنكم بسيفى ما ثبت قائمه بيدى ولم يكن لى منكم ناصر ولا معين أما انى ارجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يردیه الباطل فقام اليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمى حليف بنى أمية فقال انه لا يصلح ما ترى الا الغشم ان هذا الذى أنت عليه رأى المستضعفين فقال أكون من المستضعفين فى طاعة الله أحب الى من أن أكون من الاعزين فى معصية الله ونزل وكتب عبد الله بن مسلم الى يزيد يخبره بقدوم مسلم بن عقيل الكوفة ومبايعة الناس له ويقول له ان كان لك فى الكوفة حاجة فابعث اليها رجلا قويا ينفذ أمرك ويعمل مثل عملك فى عدوك فان النعمان رجل ضعيف أو هو يتضعف وكان هو أول من كتب اليه ثم كتب اليه عمارة بن الوليد بن عقبة وعمرو بن سعيد بن أبى وقاص بنحو ذلك فلما اجتمعت الكتب عند يزيد دعا سرجون مولى معاوية فقرأ الكتب واستشاره فيمن يوليه الكوفة وكان يزيد عاتبا على عبيد الله بن زياد فقال له سرجون أرأيت لو نشر لك معاوية كنت تأخذ برأيه قال نعم فاخرج عهد عبيد الله على الكوفة فقال هذا رأى معاوية ومات وقد أمر بهذا الكتاب فاخذ برأيه وجمع الكوفة والبصرة لعبيد الله وكتب اليه بعهده وسيره اليه مع مسلم بن عمرو الباهلى والد قتيبة فامره بطلب مسلم بن عقيل وبقتله أو نفيه فلما وصل كتابه الى عبيد الله أمر بالتجهز ليسير من الغد وكان الحسين قد كتب الى أهل البصرة نسخة واحدة الى الاشراف فكتب الى مالك بن مسمع البكرى والاحنف بن قيس والمنذر بن الجارود ومسعود بن عمرو وقيس بن الهيثم وعمر بن عبيد الله بن معمر يدعوهم الى كتاب الله وسنة رسوله وان السنة قد ماتت والبدعة قد أحييت فكاتموا كتابه الا المنذر بن الجارود فانه خاف أن يكون دسيسا من ابن زياد فاتاه بالرسول والكتاب فصرب عنق الرسول وخطب الناس وقال أما بعد فوالله ما بى تقرن الصعبة وما يقعقع لى بالشنان وانى لنكل لمن عادانى وسلم لمن حاربنى وأنصف القارة من رماها أيا أهل البصرة ان أمير المؤمنين قد ولانى الكوفة وأنا غاد اليها بالغداة وقد استخلف عليكم أخى عثمان بن زياد فاياكم الخلاف والارجاف فوالله لئن بلغنى عن رجل منكم خلاف لا قتلنه وعريفه ووليه ولا خذن الادنى بالاقصى حتى تستقيموا ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاق وانى انا ابن زياد أشبهته من بين من وطئ الحصى فلم ينتزعنى شبه خال ولا ابن عم ثم خرج من البصرة ومعه مسلم بن عمرو الباهلى وشريك بن الاعور

وفى ذلك يقول عمرو بن دراك العبدى

ترانى ان قطعت حبال قيس
وخالفت المرور على تميم
لاعظم من حمار أبى رغال
وأجور فى الحكومة من سدوم

وقال مسكين الدارمى

وأرجم قبره فى كل عام
كرجم الناس قبر أبى رغال

وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب قصة الحبشة وورودهم الحرم وما كان من أمرهم فى ذلك قال وفى طريق العراق الى مكة وذلك بين الثعلبية والهند نحو النظامية موضع يعرف بقبر العبادى نرجمه المارة الى هذه الغاية كما ترجم قبر أبى رغال وللعبادى خبر ظريف قد أتينا على ذكره فى كتاب أخبار الزمان وفى كتاب حدائق الاذهان وفى أخبار أهل البيت رضى الله عنهم فكان ملك ابرهة على اليمن الى أن هلك بعد أن رجع من الحرم وقد سقطت أنامله وتقطعت أوصاله حين بعث الله عليه الطير الابابيل ثلاثا وأربعين سنة وكان قدوم أصحاب الفيل مكة يوم الاحد لسبع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ثمانمائة واثنتين وثلاثين سنة للاسكندر وست

الحارثي وخشيه أهل بيته وكان شريك شيعيا وقيل كان معه خمسمائة فتساقطوا عنه وكان
ولما سقط شريك ورجوا أن يقف عليهم ويسبقه الحسين الى الكوفة ولم يقف على أحد منهم
حتى دخل الكوفة وحده فجعل يمر بالمجالس فلا يشكون انه الحسين فيقولون مرحبا بك يا ابن
رسول الله وهو لا يكلمهم وخرج اليه الناس من دورهم فساءه ما رأى منهم وسمع النعمان فأغلق
عليه الباب وهو لا يشك انه الحسين وانتهى اليه عبيد الله ومعه الخلق يصيحون فقال له النعمان
أنشدك الله الا تنحيت عني والله ما أنا بمسلم اليك أمانتي وما لي في قتالك من حاجة فدنا منه عبيد
الله وقال له افتح لا فتحت فسمعها انسان خلفه فرجع الى الناس وقال لهم انه ابن مرجانة ففتح له
النعمان فدخل وأغلقوا الباب وتفرق الناس وأصبح فجلس على المنبر وقيل خطبهم من يومه
فقال أما بعد فان أمير المؤمنين ولاني مصركم وثغركم وفيئكم وأمرني بانصاف مظلومكم واعطاء
محرومكم والاحسان الى سامعكم ومطيعكم والشدة على مريبكم وعاصيكم وانا متبع فيكم أمره
ومنفذ فيكم عهده فأنا لمحسنكم كالوالد البر ولمطيعكم كالأخ الشفيق وسيفي وسوطي على من ترك
أمري وخالف عهدي فليبق امرؤ على نفسه ثم نزل فأخذ العرفاء والناس أخذا شديدا وقال
اكتبوا الي الغرباء ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين
رأيهم الخلاف والشقاق فمن كتبهم لنا فبرئ ومن لم يكتب لنا أحدا فليضمن لنا ما في عرافته
ألا يخالفنا منهم مخالف ولا يبغي علينا منهم باغ فمن لم يفعل فبرئت منه الذمة وحلال لنا دمه وماله
وأيما عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه الينا صلب على باب داره
وألغيت تلك العرافة من العطاء وسير الى موضع بعمان الزارة ولما سمع مسلم بمقالة عبيد الله
خرج من دار المختار وقد علم به حتى انتهى الى دار هانئ بن عروة المرادي فدخل بابه واستدعى هانئا فخرج اليه فلما
رآه كره مكانه فقال له مسلم أتيتك لتجيرني وتضيفني فقال له هانئ لقد كلفتني شططا ولولا دخولك
داري لأحببت أن تنصرف عني غير أنه يأخذني من ذلك ذمام ادخل فآواه فاختلفت الشيعة
اليه في داره ودعا ابن زياد مولى له وأعطاه ثلاثة آلاف درهم وقال له اطلب مسلم بن عقيل
وأصحابه والقهم فأعطهم هذا المال وأعلمهم أنك منهم واعلم أخبارهم ففعل ذلك وأتى مسلم بن
عوسجة الأسدي بالمسجد فسمع الناس يقولون هذا يبايع للحسين وهو يصلي فلما فرغ من صلاته
قال له يا عبد الله اني امرؤ من أهل الشام أنعم الله علي بحب أهل هذا البيت وهذه ثلاثة آلاف
درهم أردت بها لقاء رجل منهم بلغني أنه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد سمعت نفرا يقولون انك تعلم أمر هذا البيت واني أتيتك لتقبض المال وتدخلني على
صاحبك أبايعه وان شئت أخذت بيعتي له قبل لقائي اياه فقال لقد سرني لقاؤك اياي لتنال الذي
تحب وينصر الله بك أهل بيت نبيه وقد ساءني معرفة الناس هذا الأمر مني قبل أن يتم مخافة
هذا الطاغية وسطوته فأخذ بيعته والمواثيق المعظمة ليناصحن وليكتمن واختلف اليه أياما
ليدخله على مسلم بن عقيل ومرض هانئ بن عروة فأتاه عبيد الله يعوده فقال له عمارة بن عبيد
السلولي انما جماعتنا وكيدنا قتل هذا الطاغية وقد أمكنك الله فاقتله فقال هانئ ما أحب
أن يقتل في داري فجاء ابن زياد فجلس عنده ثم خرج فما مكث الا جمعة حتى مرض شريك بن
الأعور وكان قد نزل على هانئ وكان كريما على ابن زياد وعلى غيره من الأمراء وكان شديد
التشيع قد شهد صفين مع عمار فأرسل اليه عبيد الله اني رائح اليك العشية فقال لمسلم ان هذا
الفاجر عائدي العشية فاذا جلس اخرج اليه فاقتله ثم اقعد في القصر ليس أحد يحول بينك وبينه

عشرة سنة ومائتين من
تاريخ العرب الذي به
حجة لمن دونه وقد تقدم
في هذا الموضع المتقدم له
من هذا الكتاب جمل من
تاريخ العالم وتاريخ
الانبياء والملوك في كتب
مفردة لذلك ان شاء الله
تعالى (ثم ملك ابنه [illegible]
ابرهة الاشرم وولده يكسوم
فهم ثلاثة مسترقين وكان
ملكه الى ان هلك عشرين
سنة (ثم ملك بعده مسروق
ابن ابرهة) وشمت وانه
على [illegible] وعمد [illegible]
[illegible] ورد على أبيه
وأحده [illegible] لادي [illegible]
أمهم [illegible]
سيف بن ذي يزن [illegible]
الحميري [illegible] الى قيصر
[illegible]
[illegible]
أنتم يهود والحبشة نصارى
وانا في المدينة ان ينصر
[illegible] على الموافق فمضى
الى كسرى أنوشروان
فاستنجده ووصف اليه
بالقرابة وسأله النصرة فقال
له كسرى وما هذه القرابة
التي ادليت بها الي فقال
أيها الملك الجبلة وهي
الجلدة البيضاء اذ كنت
أقرب اليك منهم فوعده
أنوشروان بالنصرة على
السودان وشغل بحرب
الروم وغيرها من الامم

فان برئت فمن وجعي سرت الى البصرة حتى أكفيك أمرها فلما كان من العشي أتا عبيد الله وعنده مسلم بن عقيل ليدخل فقال له شريك لا يعود بعد اذا جلس فقال هانئ من عرفوه لا أحب ان يقتل في داري فجاء عبيد الله فجلس وسأل شريكا عن مرضه فاظهر فلما رآى شريك ان مسلما لا يخرج حتى ان يموت فاحد يقول

ماتطربون بسلمى لا تحيوها * اسقوها وان كانت هي النفس

فقال ذلك مرتين أو ثلاثا فقال عبيد الله ما شأنه يهجر فقال له هانئ هم ما زال هذا دأبه قبيل الصبح حتى ساعته هذه وانصرف وعلل ان شريكا قال اسقوها وخلط كلامه فظن به مهران عنه عبيد الله فوثب فقال له شريك أيها الامير ابى أريد ان أوصي اليك فقال اعود اليك فقال له مهران انه أراد قتلك فقال وكان مع كراعي له وفي بيت هانئ ويد أبي عبيده فقال له مهران هو ما قلت لك فلما قام ابن زياد خرج مسلم بن عقيل فقال له شريك ما سمعت من قتله قال حصلت ان احمد امتي وكراهيته هانئ أن يقتل في منزله وأما الاخرى فحديث حدثنيه علي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الايمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن فقال له هانئ لو قسمه لعملت فاسعا فاجر كافرا فاذا رأيت شريك قد ذلك فلا تأتهم ما صلى عليه عبيد الله فلما علم عبيد الله ان شريكا كان حرض مسلما على قتله قال والله لا أصلي على جنازة عمراني أبدا ولولا ان مهران مولى ابن زياد حدثني ان مولى ابن زياد الذي دسه بالمال الى مسلم بن عوسجة بعد موت شريك فادخله على مسلم بن عقيل فاخذ بعنقه وقد نص ماله وحمل خصمه اليهم وعلم أسرارهم ويقتله الى ابن زياد وكان هانئ قد انقطع عن عبيد الله بعد المرض فدعا عبيد الله محمد بن الاشعث وأسماء بن خارجة ومحمد بن الحجاج الزبيدي فسألهم عن هانئ واعطاه فقالوا انه مريض فقال بلغني انه يجلس على باب داره وقد رأفتموه وعرفوه ان لا يدع معاونته في ذلك فاتوه فقالوا له ان الامير قد سأل عنك وقال لو أعلم انه شاك لعدته وقد بلغه انك تجلس على باب دارك وقد استبطاك واحتباءه لا يحتملك السلطان أفتسمعنا عليك لو ركبت معنا فلبس ثيابه وركب معهم فلما دنا من القصر أحست نفسه بالشر فقال لحسان بن أسماء بن خارجة يا بن أخي اني لهذا الرجل لخائف فما ترى فقال ما أخوف عليك شيئا ولا تجعل على نفسك سبيلا ولم يعلم أسماء مما كان شيئا وأما محمد بن الاشعث فانه قد علم فدخل القوم على ابن زياد وهانئ معهم فلما رآه ابن زياد قال لشريح القاضي اتعرف هذا فلم يجبه فعاد له ثانية فقال نعم وعلم هانئ انه كان عيبا عليهم فسقط في يده ساعة ثم راجعته نفسه فقال اسمع مني وصدقني فوالله لا أكذبك والله ما دعوته ولا علمت بشيء من أمره حتى رأيته جالسا على بابي يسألني النزول علي فاستحييت من رده ولم يكن من ذلك بد فدخل داري وصعته وقد كان من أمره الذي بلغك فان شئت أعطيتك الآن موثقا تطمئن به ورهينة تكون في يدك حتى أنطلق وأحرجه من داري وأعود اليك فقال لا والله لا تفارقني أبدا حتى تأتيني به قال لا آتينك بصيغ تقتله أبدا فلما كثر الكلام قام مسلم بن عمرو الباهلي وليس بالكوفة شامي ولا بصري

وبات سيف بن ذي يزن
فاتى ابنه معديكرب بن
سيف فصاح على باب الملك
فلما سأل عن حاله قال لي
قتل الملك ميراث فوقف
بين يدي أبو مرة وان فسأله
عن ميراثه فقال أنا ابن
الشيخ الذي وعده الملك
بالبصرة على الحبشة
فوجه معه وهرز اصهبد
الديلمي في أهل السجون
فقال ان فجوا فلما وان
هلكوا فلا وكلا الوجهين
فتح فحملوا في السفن
ومعهم حيولهم وعددهم
وأموالهم حتى أوا بلدة
البصرة وهي رأس البحر
ولم يكن حينئذ بصرة
ولا كوفة وهذه مدن
اسلامية فركبوا في سفن
البحر وساروا حتى أتوا
ساحل حضرموت فوضع
يقال له مثوب فخرجوا من
السفن وقد كان أصاب
بعضهم في البحر فاقرهم
وهرز أن يحرقوا السفن
ليعلموا أنه الموت ولا وجه
يؤملون المقر اليه فيجهدون
أنفسهم وفي ذلك يقول
رجل من حضرموت

أصبح من مثوب الف في
الحبس
من رهط ساسان ورهط
مهرس
ليحرجوا السودان من
أرض اليمن
دلهم قصد السبيل دوير

غيره وقال حلى وإياه حتى أكلمه لما رأى من لجاجه وأخذها نثا وخلا به ناحية من ابن زياد
بحيث يراهما وقال له يا هانئ أنشدك الله أن تقتل نفسك وتدخل البلاء على قومك ان هذا الرجل
ابن عم القوم وليسوا قاتليه ولا ضائريه فادفعه اليه فليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة انما
تدفعه الى السلطان قال لي والله ان علي في ذلك خزيا وعارا لا ادفع ضيفي وانا صحيح شديد الساعد
كثير الاعوان والله لو كنت واحدا ليس لي ناصر لم ادفعه حتى أموت دونه فسمع ان زيادا ذلك
وقال ادنوه مني فادنوه منه وقال والله لتأتيني به اولا نهدن عنقك قال اذن والله تكثر البارقة
حول دارك وهو يرى ان عشيرته ستمنعه وقال ايا البارقة تخوفني وقيل ان هانئا لما رأى ذلك
الرجل لدى كان عبيد الله علم انه قد أخبره الخبر وقال أيها الامير قد كان الذي بلغك ولن
أضيع يدك عندي وأنت آمن واهلك فسر حيث شئت فاطرق عبيد الله عند ذلك ومهران قائم
على رأسه وفي يده مقرعة فقال وادلاه هذا الخائن يؤمك في سلطانك وقال خذه فاحذ مهران
بلحيته هانئ وأخذ عبيد الله القضيب ولم يزل يضرب انفه وجبينه وخده حتى كسر انفه وسيل
الدماء على ثيابه وبثر لحم خديه وجبينه على لحيته حتى كسر القضيب وضرب هانئ يده الى قائم
سيف شرطي وجذبه فمنع منه فقال له عبيد الله احروري احللت بنفسك وحل لنا قتلك ثم أمر به
فألقي في بيت وغلق عليه فقام اليه اسماء بن خارجة فقال ارسله يا عاد أمرتنا ان نجيئك بالرجل
فلما نيلك به هشمت وجهه وسيلت دماءه وزعمت انك تقتله فامر به عبيد الله فلهر وتمتع ثم ترك
فجلس وأما ابن الاشعث فقال رضينا بما رأى الامير لما كان أو عليه او بلغ عمرو بن الحجاج ان هانئا
قد قتل وأقبل في صدح حتى احاطوا بالقصر ونادى انا عمرو بن الحجاج هذه فرسان مذحج
ووجوهها لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعة فقال عبيد الله لشريح القاضي وكان حاضرا ادخل على
صاحبهم فانظر اليه ثم اخرج اليهم فاعلمهم انه حي وفعل شريح فلما دخل عليه قال له هانئ
يا للمسلمين اهلكت عشيرتي أي اهل لدين أبي أهل المصر ايحذرونني عدوهم وابن عدوهم وسمع
الصيحة وقيل يا شريح في لاطنها اصوات مذحج وشيعتي من المسلمين انه ان دخل على عشرة نفر
منهم دوني فخرج شريح ومعه عين ارسله ابن زياد فقال شريح لولا مكان العين لابلغتهم قول هانئ
فلما خرج شريح اليهم قال قد نظرت الى صاحبكم وانه حي لم يقتل فقال عمرو وأصحابه اذا لم يقتل
فالحمد لله ثم انصرفوا وأتى الخبر مسلم بن عقيل فنادى في أصحابه يا منصور أمت وكان شعارهم وكان
قد بايعه ثمانية عشر ألفا وحوله في الدور اربعة آلاف فاجتمع اليه ناس كثير وعقد مسلم لعبد الله
ابن عزيز الكندي على ربع كندة وقال سر امامي وعقد لمسلم بن عوسجة الاسدي على ربع مذحج
واسد وعقد لابي ثمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان وعقد لعباس بن جعدة الجدلي على ربع
المدينة واقبل نحو القصر فلما بلغ ابن زياد اقباله تحرز في القصر واغلق الباب واحاط مسلم
بالقصر واملأ المسجد والسوق من الناس ومازالوا يجتمعون حتى المساء وضاق بعبيد الله أمره
وليس معه في القصر الا ثلاثون رجلا من الشرط وعشرون رجلا من الاشراف وأهل بيته
وموالية واقبل اشراف الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الذي يلي دار الروميين والناس
يسمعون ابن زياد وأباه فدعا ابن زياد كثير بن شهاب الحارثي وأمره ان يخرج فيمن أطاعه من مذحج
فيسير ويجعل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم وامر محمد بن الاشعث ان يخرج فيمن أطاعه من
كندة وحضرموت فيرفع راية امان لمن جاءه من الناس وقال مثل ذلك لقعقاع بن شور الذهلي
وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن ابجر البجلي وشمر بن ذي الجوشن الضبابي وترك وجوه الناس

في شمر له طويل وغا
خبرهم اني ملك لبني
مسروق بن الرهبة فتاهم
في مائة ألف من الحبشة
وغيرهم من حمير وكهلان
ومن سائر من سكن بين
من الناس ونصاف القوم
وكان مسروق على فيل
عظيم فقال وهرز لمن كان
معه من الفرس اصدقوهم
الحرب واستشعروا الصبر
وتأمل ملكهم وقد نزل
عن الفيل فركب جملا ثم
نزل عن الجمل فركب فرسا
ثم أمر أن يحمل على
فرس فركب حمارا سقط
لاصحاب نسعه فقال وهرز
ذهب ملكه وتفلل من
كسرى صعيرو كان بين
عيني مسروق ياقوتة
حمراء معلقة في تاجه
معلاق من ذهب تصيء
كالسراج رمى وهرز رمى
القوم وقال وهرز لاصحابه
قد رميت ان الخارزة فانظروا
ان كان القوم يجتمعون
عليه ويتفرقون عنه فقد
هلك فنظروا اليهم يجتمعون
ويتفرقون عنه فاخبروه
بذلك فقال احملوا على القوم
واصدقوهم ففعلوا فكشفت
الحبشة وأخذهم السيف
ورفع رأس مسروق ورؤس
خواص الحبشة ورؤسائهم
فقتل منهم نحو ثلاثين ألفا
وقد كان انو شروان اشترط

عنده استثناسا بهم لقلة من معه وخرج أولئك النفر يخذلون الناس وأمر عبيد الله من عنده من الاشراف أن شرفوا على الناس من القصر فيمنوا أهل الطاعة ويخوفوا أهل المعصية ففعلوا فلما سمع الناس مقالة اشرافهم أخذوا يتفرقون حتى ان المرأة تأتي ابنها واخاها وتقول انصرف الناس يكفونك ويفعل الرجل مثل ذلك فجاز الوا يتفرقون حتى بقي ابن عقيل في المسجد في ثلاثين رجلا فلما رأى ذلك خرج متوجها نحو أبواب كنده فلما خرج الى الباب لم يبق معه أحد فمضى في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب فانتهى الى باب امرأة من كندة يقال لها طوعة أم ولد كانت للاشعث واعتقها فتزوجها السيد الحضرمي فولدت له بلالا وكان بلال قد خرج مع الناس وهي تنتظره فسلم عليها ابن عقيل وطلب الماء فسقته فجلس فقالت له يا عبد الله ألم تشرب قال بلى قالت فاذهب الى أهلك فسكت فقالت له ثلاثا فلم يبرح فقالت سبحان الله اني لا أحل لك الجلوس على بابي فقال لها ليس لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة فهل لك الى أجر ومعروف ولعلي اكافئك به بعد اليوم قالت وما ذاك قال انا مسلم بن عقيل كذبني هؤلاء القوم وغروني قالت ادخل فادخلته بيتا في دارها وعرضت عليه العشاء فلم يتعش وجاء ابنها فرآها تكثر الدخول في ذلك البيت فقال لها ان لك لشانا في ذلك البيت وسألها فلم تخبره فالح عليها فاخبرته واستكتمته وأخذت عليه الايمان بذلك فسكت واما ابن زياد فلما لم يسمع الاصوات قال لاصحابه انظروا هل ترون منهم أحدا فنظروا فلم يروا أحدا فنزل الى المسجد قبيل العتمة واجلس أصحابه حول المنبر وأمر فنودي برئت الذمة من رجل من الشرط والعرفاء والمناكب والمقاتلة صلى العتمة الا في المسجد فامتلأ المسجد فصلى بالناس ثم قام فحمد الله ثم قال أما بعد فان ابن عقيل السفيه الجاهل قد أتى ما رأيتم من الخلاف والشقاق فبرئت الذمة من رجل وجدناه في داره ومن أتانا به فله ديته وأمرهم بالطاعة ولزومها وأمر الحصين بن تميم ان يمسك أبواب السكك ثم يفتش الدور وكان على الشرط وهو من بني تميم ودخل ابن زياد وعقد لعمرو بن حريث وجعله على الناس فلما أصبح جلس للناس ولما أصبح بلال ابن تلك المجوز التي آوت مسلم بن عقيل أتى عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فاخبره بمكان ابن عقيل فاتى عبد الرحمن اباه وهو عند ابن زياد فاسره بذلك فاخبر به محمد ابن زياد فقال له ابن زياد قم فأتني به الساعة وبعث معه عمرو بن عبيد الله بن عباس السلمي في سبعين من قيس حتى أتوا الدار التي فيها ابن عقيل فلما سمع الاصوات عرف انه قد أتي فخرج اليهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار ثم عادوا اليه فحمل عليهم فاخرجهم مرارا وضرب بكير بن حمران الاحمري فم مسلم فقطع شفته العليا وسقط ثنيتاه وضربه مسلم على رأسه وثنى بأخرى على حبل العاتق كادت تطلع على جوفه فلما رأوا ذلك اشرفوا على سطح البيت وجعلوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في القصب ويلقونها عليه فلما رأى ذلك خرج عليهم بسيفه فقاتلهم في السكة فقال له محمد بن الاشعث لك الامان فلا تقتل نفسك فاقبل يقاتلهم وهو يقول

أقسمت لا أقتل الا حرا * وان رأيت الموت شيئا نكرا
أو يخلط البارد سخنا مرا * رد شعاع الشمس فاستقرا
كل امرئ يوما يلاقي شرا * اخاف ان اكذب أو اغرا

فقال له محمد انك لا تكذب ولا تخدع القوم بنو عمك وليسوا بقاتليك ولا ضاربيك وكان قد أثخن بالحجارة وعجز عن القتال فاسند ظهره الى حائط تلك الدار فأمنه ابن الاشعث والناس غير عمرو ابن عبيد الله السلمي فانه قال لا ناقة لي في هذا ولا جمل وأتي ببغلة فحمل عليها وانتزعوا سيفه فكانه

على معد يكرب شروطا
منها أن الفرس تتزوج باليمن ولا تتزوج اليمن منها
وفي ذلك يقول الشاعر
على أن ينكحوا النسوان منهم
وأن لا ينكحوا في الفارسينا
فتزوج وهرز معد يكرب بتاج كان معه وقناديل من الفضة البسه اياها ورتبه في ملكه على اليمن وكتب الى أنوشروان بالفتح وخلف هنالك جماعة من أصحابه وكان جميع ما ملكت الاحابش اثنتين وسبعين سنة وكان ملك مسروق ابن ابرهة الى أن قتل ثلاث سنين وذلك لخمس وأربعين خلت من ملك أنوشروان وأتت معدي كرب الوفود من العرب تهنيه بالملك فاتاه عبد المطلب وجذامية بن أبي الصلت وقد ذكرنا خبر عبد المطلب ووفادته على ابن ذي يزن في هذا الكتاب فيما بعد وما قيل من الشعر وفي مسير الفرس الى اليمن ونصرتهم على الحبشة بقول بعض أولاد فارس

نحن خضنا البحار حتى فككنا
حيرا من بلية السودان
بليوث من آل ساسان شوس
يمنعون الحريم بالمرّان

فصرت

وضربت عنقه وكان الذى قتله بكير بن حمران الذى ضربه مسلم ثم أتبع رأسه حسده فلما رآه بكير قال له ابن زياد ما كان يقول وأنتم تعدون به قال كان يسبح الله ويستغفر فلما قتلته قلت له ادن منى الحمد لله الذى أمكن منك واقادنى منك فضربته بسيفه فلم يعن شيأ فقال اما ترى انى خدش خدشته وقام محمد بن الاشعث بكلام ابن زياد فى هانئ وقال له قد عرف منزلته فى المصر وبيته وقد علم قومه انى أنا وصاحبى سعداه اليك فاشدد الله املك عندى فانى أكره عداوة قومه فوعده ان يفعل فلما كان من مسلم ما كان بداله فاضمر له الشر حين قتل مسلم فاخرج الى السوق فضربت عنقه فقال مولى لزياد قال مصعب بن عبد الرحمن بن الحصين المرادى بعد ذلك فحار رمح ابن زياد فقمت فقال عمد الله بن زبير الاسدى فى قتل هانئ ومسلم وقيل قاله السرور دى (زبير بضم الراى وكسر الباء الموحدة)

فان كنت لا تدرين ما الموت فانظرى * الى هانئ فى السوق وابن عقيل

الى بطل قد هشم السيف وجهه * واخر يهوى من طمار قتيل

وهى أبيات ودعت ابن زياد براسهما الى يزيد فكتب اليه يريد شكره ويقول له وقد بلغنى ان الحسين قد توجه نحو العراق فضع المراصد والمسالح واحترس واحبس على التهمة وخذ على الظنة غير ان لا تقتل الا من قاتلك فيل وكان محرج ان يقبل الكوفة فكان لقى مصعب من دى الجحة سنة ستين وقيل تسع وخمسين فيمن خرج معه الخمار بن أبى عبيد وعبد الله بن الحرث ابن نوفل فطردهما ابن زياد وحبسهما وكان فيمن خرج معه الاشعث وشبث بن ربعى التميمى والقعقاع بن شور وحجار بن أبجر فقال شبث نقول انتظروا بهم الميل لئلا ينتشروا فقال له القعقاع انك قد سددت عليهم وجههم فاخرج لهم يتفرقوا

(ذكر مسير الحسين الى الكوفة)

قيل لما أراد الحسين المسير الى الكوفة كتب أهل العراق اليه تاه عمر بن عبد الرحمن بن الحرث ابن هشام وهو عكة فقال له الى أتيتك لحاجة أريد ذكرها - يحدث فان حدثت نرى انك مستنصحى فلتها وأديت ما على من الحق فيها وان طننت انك لا مستنصحى كنصح عما أريد فقال له قل فوالله ما أستغشك وما أظنك شيأ من الهوى قال له فبلغنى انك تريد العراق والى مشنوق عليك انك تأتى بلدا فيه عماله وعماله وخراجه وانما الناس عبيد لدينارهم والدرهم فلا آمن عليك ان يقاتلك من وعدك نصره وممن أنت أحب اليه ممن يقاتلك معه فقال له الحسين جزاك الله خيرا يا ابن عم وقد علمت انك مشير ناصح وتكلمت بعقل ومهما يقض من أمر يكن أخذت برأيك أو تركته فانت عندى أحمد مشير وأنصح ناصح قال وتاه عبد الله بن عباس وقال له قد أرجف الناس انك سائر الى العراق فبين لى ما أنت صانع وقال له فد اجمعت السير فى أحد يومى هذين ان شاء الله تعالى فقال له ابن عباس فانى أعيذك بالله من ذلك فخبرنى رحمك الله أتسير الى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم فان كانوا فعلوا ذلك فسر اليهم وان كانوا انما دعوك اليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم وعماله تجبى بلادهم فانما دعوك الى الحرب ولا آمن عليك ان يغروك ويكذبوك ويخالفوك ويجدلوك ويستنفروا اليك فيكونوا أشد الناس عليك فقال الحسين فانى استخير الله وانظر ما يكون فخرج ابن عباس وأتاه ابن الزبير فحدثه ساعة ثم قال ما أدرى ما تركنا هؤلاء القوم وقد كفضاء نهم نحن أبناء المهاجرين وولاة هذا الامر دونهم

(قال المسعودى) وأنت معد يكرب الوفود من العرب تم به بعود الملك اليه وأشراف العرب وزعماؤها وهم عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وحويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصى وجد امية بن أبى الصلت الثقفى وقيل أبو الصلت ابوه فدخلوا اليه وهو فى أعلى قصره بمدينة صنعاء المعروف بغمدان وهو مصمع بالعنبر وسواد المسك يلوح على مفرقه وسيفه بين يديه وعلى يمينه ويساره الملوك وأبناء المعاول فتكلمت الخطباء ونطقت الزعماء وقد تقدمهم عبد المطلب بن هاشم فقال عبد المطلب ان الله جل جلاله قد احلك أيها الملك محلا رفيعا صعبا منيعا شامخا باذخا وانبتك منبتا طابت أرومته وعزت جرثومته وثبت أصله وبسق فرعه فى أكرم معدن واطيب موضع وموطن فانت ابيت اللعن رأس العرب وتبعها الذى يخطب له وأنت أيها الملك ذروة العرب الذى له تنقاد وعمودها الذى عليه العماد ومعقلها الذى تلتجئ اليه العباد سلفك

خبرني ما تريد أن تصنع فقال الحسين لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة ولقد كتبت الى شيعتي بها وأشراف الناس واستخبر الله فقال له ابن الزبير أما لو كان لي بها مثل شيعتك لما عدلت عنها ثم خشي ان يتهمه فقال له اما انك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الامر ههنا لما نافسناك عليه وساعدناك وبايعناك ونصحنا لك فقال له الحسين ان أبي حدثني ان لها كبشا به تستحل حرمتها فما أحب ان أكون انا ذلك الكبش قال فاقم ان شئت وتولني أنا الامر فتطاع ولا تعصى قال ولا أريد هذا أيضا ثم انهما أخفيا كلاما فالتفت الحسين الى من هناك وقال أتدرون ما يقول قالوا لا ندري جعلنا الله وداءك قال انه يقول أقم في هذا المسجد اجمع لك الناس ثم قال له الحسين والله لأن أقتل خارجا منها شبرا أحب الي من ان أقتل فيها ولان أقتل خارجا منها بشبرين أحب الي من ان أقتل خارجا منها بشبر وايم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم وايم الله ليعتدن علي كما اعتدت اليهود في السبت فقام ابن الزبير فخرج من عنده فقال الحسين ان هذا ليس شئ من الدنيا أحب اليه من ان اخرج من الحجاز وقد علم ان الناس لا يعدلونه في فؤادي فخرجت حتى يخلوله قال فلما كان من العشي أو من الغد أتاه ابن عباس فقال يا ابن عم اني أتصبر ولا أصبر اني لأتخوف عليك في هذا لوجه الهلاك والاستئصال ان أهل العراق قوم غدر فلا تقربنهم أقم في هذا البلد فانك سيد أهل الحجاز فان كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب اليهم فليخرجوا عاملهم وعدوهم ثم اقدم عليهم فان أبيت الا ان تخرج فسر الى اليمن فان بها حصونا وشعابا وهي أرض عريضة طويلة ولابيك بها شيعة وأنت عن الناس في عزلة فتكتب الى الناس وترسل وتبث دعاتك فاني أرجو ان يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية فقال له الحسين يا ابن عم اني والله لاعلم انك ناصح مشفق وقد أزمعت واجمعت المسير فقال له ابن عباس فان كنت سائرا فلا تسر بنسائك وصبيتك فاني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون اليه ثم قال له ابن عباس لقد أقررت عيني ابن الزبير بخروجك من الحجاز وهو اليوم لا ينظر اليه أحد معك والله الذي لا اله الا هو لو أعلم اني ان أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع علينا الناس أطعتني فاقت لفعلت ذلك ثم خرج ابن عباس من عنده فمر بابن الزبير فقال قرت عينك يا ابن الزبير ثم أنشد قائلا

يا لك من قبرة بمعمر * خلا لك الجو فبيضي واصفري * ونقري ما شئت ان تنقري

هذا الحسين يخرج الى العراق ويخليك والحجاز قبل وكان الحسين يقول والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي فاذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قرام المرأة قال والقرام خرقة تجعلها المرأة في قبلها اذا حاضت ثم خرج الحسين يوم التروية فاعترضه رسل عمرو بن سعيد بن العاص وهو أمير على الحجاز يريد بن معاوية مع أخيه يحيى يمنعونه فابى عليهم ومضى وتضاربوا بالسياط وامتنع الحسين وأصحابه وساروا ومروا بالتنعيم فرأى بها عيرا قد أقبلت من اليمن بعث بها بحير بن ريسان من اليمن الى يزيد بن معاوية وكان عامله على اليمن وعلى العير الورس والحلل فاخذه الحسين وقال لاصحاب الابل من أحب منكم أن يمضي معنا الى العراق أوفينا كراءه وأحسنا صحبته ومن أحب ان يفارقنا من مكاننا أعطيناه نصيبه من الكراء فمن فارق منهم أعطاه حقه ومن سار معه أعطاه كراءه وكساه ثم سار فلما انتهى الى الصفاح لقيه الفرزدق الشاعر فقال له أعطاك الله سؤلك وأملك فيما تحب فقال له الحسين بين لي خبر الناس خلفك قال الخبير سألت قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية والقضاء ينزل من السماء والله

يفعل

خير سلف وأب كذا منهم
خير خلف فلن يحمد ذكر
من أنت سلفه وأن يهلك
من أنت خلفه أيها الملك
نحن أهل الله وسدنة بيته
اشتمل البيت الذي
أنت بفنائه فحللت
أم هبنا من كشف الكرب
فرحا ونحن وفد التهنئة
لا وفد التزرية فقال له الملك
وأيهم أنت أيها المتكلم
قال أنا عبد المطلب بن
هاشم بن عبد مناف فقال
الملك معدي كرب بن سيف
ابن اصبغ قل نعم قال أدنوه
مني وأدناه ثم أقبل عليه
وعلى الوفد وقال لهم
مرحبا وأهلا ونعمة ورحلا
ومستناخا سهلا وملكا
مرتجلا يعطي عطاء جزلا
قد سمع الملك مقالتكم
وعرف وسيلتكم وقبل
وسيلتكم فانتم أهل الليل
والنهار لكم الكرامة ما اقمتم
والحباء ما طعنتم ثم قام أبو
رمغه جذامية بن أبي
الصلت الثقفي فانشأ
يقول
ليطلب الوتر أمثال ابن ذي
يزن
في لجة البحر أجوالا
وأحوالا
حتى أتى بني الاحرار يحملهم
تحالهم في سواد الليل اجمالا
لله درهم من عصبة خرجوا
ما ان رأيت لهم في الناس
امثالا

يفعل ما يشاء فقال الحسين صدقت لله الامر يفعل ما يشاء وكل يوم ربنا في شأن ان نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر وان حال القضاء دون الرجاء فلم يعتد من كان الحق نيته والتقوى سريرته قال وأدرك الحسين كتاب عبد الله بن جعفر مع ابنيه عون ومحمد وفيه أما بعد فاني أسألك بالله لما انصرفت حين تقرأ كتابي هذا فاني مشفق عليك من هذا الوجه ان يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك ان هلكت اليوم طفئ نور الارض فانك علم المهتدين ورجاء المؤمنين فلا تعجل بالسير فاني في أثر كتابي والسلام قيل وقام عبد الله بن جعفر الى عمرو بن سعيد فقال له اكتب للحسين كتابا تجعل له الامان فيه وتميه فيه البر والصلة واسأله الرجوع وكان عمرو عامل يزيد على مكة ففعل عمرو ذلك وأرسل الكتاب مع أخيه يحيى بن سعيد ومع عبد الله بن جعفر فلحقاه وقرآ عليه الكتاب وجهدا ان يرجع فلم يفعل وكان مما أعتذر به انهما ان قال اني رأيت رؤيا رأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرت فيها بامر انا ماض له على كان أولى فقالا ما تلك الرؤيا قال ما حدثت بها أحدا وما انا محدث بها أحدا حتى ألقى ربي ولما بلغ ابن زياد مسير الحسين من مكة بعث الحصين بن نمير التميمي صاحب شرطته فنزل القادسية ونظم الخيل ما بين القادسية الى خفان وما بين القادسية الى القطقطانة والى جبل لعلع فلما بلغ الحسين الحاجر كتب الى أهل الكوفة مع قيس بن مسهر الصيداوي يعرفهم قدومه ويأمرهم بالجد في أمرهم فلما انتهى قيس الى القادسية أخذه الحصين فبعث به الى ابن زياد فقال له ابن زياد اصعد القصر فسب الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي فصعد قيس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان هذا الحسين بن علي خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا رسوله اليكم وقد فارقته بالحاجر فاجيبوه ثم لعن ابن زياد وأباه واستغفر لعلي فأمر به ابن زياد فرمي من أعلى القصر فتقطع فمات ثم أقبل الحسين يسير نحو الكوفة فانتهى الى ماء من مياه العرب فاذا عليه عبد الله بن مطيع فلما رآه قام اليه فقال بابي أنت وأمي يا ابن رسول الله ما أقدمك فاحتمله فانزله فاخبره الحسين فقال له عبد الله أذكرك الله يا ابن رسول الله وحرمة الاسلام ان تنتهك انشدك الله في حرمة قريش أنشدك الله في حرمة العرب فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحدا أبدا والله انها لحرمة الاسلام وحرمة قريش وحرمة العرب فلا تفعل ولا تأت الكوفة ولا تعرض نفسك لبني أمية فابى الا ان يمضي وكان زهير بن القين البجلي قدم وكان عثمانيا فلما عاد جمعهما الطريق وكان يساير الحسين من مكة الا أنه لا ينزل معه فاستدعاه يوما الحسين فشق عليه ذلك ثم أجابه على كره فلما عاد من عنده نقل نقله الى نقل الحسين ثم قال لاصحابه من أحب منكم أن يتبعني والا فانه آخر العهد وسأحدثكم حديثا غزونا بلنجر ففتح علينا وأصبنا غنائم ففرحنا وكان معنا سلمان الفارسي فقال لنا اذا أدركتم سيد شباب أهل محمد فكونوا أشد فرحا بقتالكم معه بما أصبتم اليوم من الغنائم فاما أنا فاستودعكم الله ثم طلق زوجته وقال لها الحقي باهلك فاني لا أحب ان يصيبك في سببي الا خير ولزم الحسين حتى قتل معه وأتاه خبر قتل مسلم بن عقيل بالثعلبية فقال له بعض أصحابه نشدك الله الا رجعت من مكانك فانه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة بل نتخوف عليك ان يكونوا عليك فوثب بنو عقيل وقالوا والله لا نبرح حتى ندرك ثارنا أو نذوق كما ذاق مسلم فقال الحسين لا خير في العيش بعد هؤلاء فقال له بعض أصحابه انك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل ولو قدمت الكوفة لكان الناس اليك أسرع ثم ارتحلوا فانتهوا الى زبالة وكان لا يمر بماء الا اتبعه من عليه حتى انتهى الى زبالة فاتاه خبر مقتل

أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد
أمسى شريدهم في الارض فلالا
فاشرب هنيأ عليك التاج مرتفقا
في رأس غمدان دارا منك محلالا
ثم اطل بالمسك اذ سالت نعالهم
وأسبل اليوم في برديك اسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

ولمعدي كرب بن سيف بن ذي يزن كلام كثير مع عبد المطلب وكوائن اخبره بها في أمر النبي صلى الله عليه وسلم وبدء ظهوره بشر به عبد المطلب وأخبره عن أحواله وما يكون من أمره وحيا جميع الوفد وانصرفوا وقد أتينا على ما كان من أخبارهم في كتابنا أخبار الزمان فاغنى عن اعادته ووصفه (قال المسعودي) وأقام معدي كرب بن سيف ابن ذي يزن ملكا على اليمن واصطنع عبيدا من الحبشة حرابة يمشون بين يديه بالحراب فركب في بعض الايام من باب قصره المعروف بغمدان بمدينة صنعاء فلما صار الى رحبتها عطفت عليه الحرابة من الحبشة فقتلوه بحرابهم وكان ملكه أربع سنين

أخيه من الرضاعة عبد الله بن بقطر وكان سرحه الى مسلم بن عقيل من الطريق وهو لا يعلم بقتله فأخذته خيل الحصين فسيره من القادسية الى ابن زياد فقال له اصعد فوق القصر والعن الكذاب ابن الكذاب ثم انزل حتى أرى فيك رأيي فصعد فاعلم الناس بقدوم الحسين ولعن ابن زياد وأباه فالقاه من القصر فتكسرت عضامه وبقي به رمق فأتاه رجل يقال له عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه فلما عيب ذلك عليه قال انما أردت أن أريحه قال بعضهم لم يكن الذي ذبحه عبد الملك بن عمير ولكنه رجل يشبهه عبد الملك فلما أتى الحسين خبر قتل أخيه من الرضاعة ومسلم بن عقيل أعلم الناس ذلك وقال قد خذلنا شيعتنا فمن أحب ان ينصرف فلينصرف ليس عليه منا ذمام فتفرقوا يمينا وشمالا حتى بقي في أصحابه الذين جاؤا معه من مكة وانما فعل ذلك لانه علم ان الاعراب ظنوا انه يأتي بلدا قد استقامت له طاعة أهله فأراد ان يعلموا على ما يقدمون عليه ثم سار حتى نزل بطن العقبة فلقيه رجل من العرب فقال له أنشدك الله لما انصرفت فوالله ما تقدم الا على الاسنة وحد السيوف ان هؤلاء الذين بعثوا اليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطؤا لك الاشياء وقدمت عليهم لكان ذلك رأيا فأما على هذه الحال التي تذكر فلا أرى ان تفعل فقال انه لا يخفى علي ما ذكرت ولكن الله عز وجل لا يغلب على أمره ثم ارتحل منها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفي هذه السنة حج بالناس عمرو بن سعيد بن العاص الاشدق وكان العامل على مكة والمدينة وفيها مات جرهد الاسلمي له صحبة وفي أيام معاوية مات حارثة بن النعمان الانصاري وهو بدري وفي أيامه أيضا مات دحية بن خليفة الكلبي الذي كان يشبهه جبريل اذا نزل بالوحي وفي أول خلافته مات رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان الانصاري وكان بدريا وشهد مع علي الجمل وصفين وفي أيامه مات عمرو بن أمية الضمري بالمدينة وفي أيامه مات عثمان بن حنيف الانصاري وعثمان بن أبي العاص الثقفي وفي أيامه مات عتبان بن مالك الانصاري شهد بدرا وفي أيام معاوية مات سهل بن الحنظلية وهو ابن الربيع الانصاري بدمشق وفي أيامه بعد سنة سبع وخمسين مات السائب بن أبي وداعة السهمي ومات في أيامه سراقة بن عمرو الانصاري وهو بدري وفي أيامه مات زياد بن لبيد الانصاري في أولها وهو بدري وفي أيامه مات معقل بن يسار المزني واليه ينسب نهر معقل بالبصرة وقيل مات في أيام يزيد (معقل بالعين المهملة والقاف ويسار بالياء المثناة والسين المهملة) وفي أيامه مات ناجية بن جندب بن عمير صاحب بدن النبي صلى الله عليه وسلم وفيها مات نعيمان بن عمرو بن رفاعة الانصاري وهو الذي كان فيه مراح ودعابة وشهد بدرا وقيل بل الذي مات ابنه وفي آخر أيامه مات عبد الله بن مالك بن حنينة له صحبة وفيها مات عبد الله بن مغفل بن عبد غنم المزني بالبصرة (ومغفل بضم الميم وفتح الغين المعجمة وفتح الفاء المشددة) وفي أيامه مات هند بن جارية بن هند الاسلمي وفي سنة ستين توفي حكيم بن حزام وله مائة وعشرون سنة ستون في الجاهلية وستون في الاسلام وفيها مات أبو أسيد الساعدي واسمه مالك بن ربيعة وهو بدري وقيل مات سنة خمس وستين وهو آخر من مات من البدريين وقيل مات سنة ثلاثين ولا يصح وفي أول أيام معاوية مات أبو بردة هانئ بن نيار البلوي حليف الانصار وهو عقبي بدري وشهد مع علي حروبه كلها وفي أيامه مات أبو ثعلبة الخشني له صحبة وقيل مات سنة خمس وسبعين وفي أيامه مات أبو جهم بن حذيفة العدوي القرشي في آخرها وقيل شهد بنيان الكعبة أيام ابن الزبير وكان قد شهد قريشا حين بنتها وفي أول أيامه مات أبو حثمة الانصاري والد سهل وفي آخر أيامه مات أبو قيس الجهني شهد الفتح وقد

وهو آخر ملوك اليمن من قحطان فعدد لوكهم سبعة وثلاثون ملكا ملكوا ثلاثة آلاف سنة ومائة وتسعين سنة (قال المسعودي) وأما عبيد بن شرية الجرهمي حبر وفد على معاوية وسأله عن أخبار اليمن وملوكها وتواريخ سنيها فانه ذكر أن أول ملوك اليمن على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب سبأ بن يعرب بن قحطان ملك مائة سنة وأربعا وثمانين سنة (ثم ملك) بعده الحرث بن شداد بن ملط بن عمرو مائة وخمسا وعشرين سنة (ثم ملك) بعده أبرهة بن الرائش وهو أبرهة ذو المنار مائة وثلاثا وثلاثين سنة (ثم ملك) بعده أفريقس بن أبرهة مائة وأربعا وستين سنة (ثم ملك) بعده أخوه الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو وهو ذو لصرح سنة (ثم ملكت) بعده بلقيس بنت الهدهاد سبع سنين (ثم ملك) سليمان بن داود عليهما السلام ثلاثا وعشرين سنة على حسب ما قدمنا من أمر بلقيس (ثم ملك) بعده رحبعم بن سليمان سنة ثم رجع الملك الى حمير فملك من بعد رحبعم ابن سليمان ناشر النعم بن يعفر بن عمرو ذي الادعار

سنة سبعين توفى صفوان بن المعطل السلمى بسميساط وقيل انه قتل شهيدا قبل هذا وفيها توفيت الكلابية التى استعاذت من النبى صلى الله عليه وسلم حين تزوجها فنارقها وكانت قد أصابها جنون وتوفى بلال بن الحرث المزنى أبو عبد الرحمن وفى آخر أيامه مات وائل بن حجر الحضرمى وأبو ادريس الخولانى (هند بن جارية بالجيم والياء المثناة من تحتها وحارثة بن النعمان بالحاء المهملة والثاء المثلثة أبو أسيد بضم الهمزة وفتح السين)

﴿(ثم دخلت سنة احدى وستين)﴾

﴿(ذكر مقتل الحسين رضى الله عنه)﴾

وسار الحسين من شراف فلما انتصف النهار كبر رجل من أصحابه فقال له مما كبرت قال رأيت النخل فقال رجلان من بنى أسد ما بهذه الارض نخلة قط فقال الحسين فما هو فقالا لا تراه الا هوادى الخيل فقال وانا أيضا أراه ذلك وقال لهما أما لنا ملجأ نلجأ اليه نجعله فى ظهورنا ونستقبل القوم من وجه واحد فقالا بلى هذا ذو حشم الى جنبك تميل اليه عن يسارك فان سبقت القوم اليه فهو كما تريد فمال اليه فما كان بأسرع من ان طلعت الخيل وعدلوا اليهم فسبقهم الحسين الى الجبل فنزل وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمى ثم اليربوعى فوقفوا مقابل الحسين وأصحابه فى نحر الظهيرة فقال الحسين لاصحابه وفتيانه اسقوا القوم ورشفوا الخيل ترشيفا ففعلوا وكان مجىء الحر من القادسية أرسله الحصين بن نمير التميمى فى هذه الالف يستقبل الحسين فلم يزل موافقا الحسين حتى حضرت صلاة الظهر فأمر الحسين مؤذنه بالاذان وأذن وخرج الحسين اليهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انها معذرة الى الله والبكم انى لم آتكم حتى أتتنى كتبكم ورسلكم أن اقدم الينا فليس لنا امام لعل الله ان يجمعنا بك على الهدى فقد جئتكم فان تعطونى ما أطمئن اليه من عهودكم أقدم مصركم وان لم تفعلوا أو كنتم بقدومى كارهين انصرفت عنكم الى المكان الذى أقبلت منه فسكتوا وقالوا للمؤذن اقم فاقام وقال الحسين للحر أتريد أن تصلى أنت باصحابك فقال بل صل أنت ونصلى بصلاتك فصلى بهم الحسين ثم دخل واجتمع اليه أصحابه وانصرف الحر الى مكانه ثم صلى بهم الحسين العصر ثم استقبلهم بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فانكم ان تتقوا الله وتعرفوا الحق لاهله يكن أرضى لله ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الامر من هؤلاء المدعين ما ليس لهم والسائرين فيكم بالجور والعدوان فان أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما أتتنى به كتبكم ورسلكم انصرفت عنكم فقال الحر انا والله ما ندرى ما هذه الكتب والرسل التى تذكر فاخرج خرجين مملوأين صحفا فنثرها بين أيديهم فقال الحر فانا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا اليك وقد أمرنا اذا نحن لقيناك أن لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد فقال الحسين الموت أدنى اليك من ذلك ثم أمر أصحابه فركبوا لينصرفوا فمنعهم الحر من ذلك فقال له الحسين ثكلتك أمك ما تريد قال له اما والله لو غيرك من العرب يقولها ما تركت ذكر أمه بالثكل كائنا من كان ولكنى والله ما لى الى ذكر أمك من سبيل الا باحسن ما يقدر عليه فقال له الحسين ما تريد قال الحر أريد أن أنطلق بك الى ابن زياد قال الحسين اذن والله لا أتبعك قال الحر اذن والله لا أدعك فترادا الكلام فقال له الحر انى لم أومر بقتالك وانما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة فخذ طريقا لا تدخلك الكوفة ولا تردك الى المدينة حتى أكتب الى ابن زياد وتكتب أنت الى يزيد أو الى ابن زياد فلعل الله أن يأتى بأمر يرزقنى فيه العافية من أن ابتلى بشئ من أمرك فتياسر عن طريق العذيب والقادسية والحر يسايره

خمسا وثلاثين سنة وقد قيل فى تسميته ذا الاذعار غير تأباه العقول وتنكر النفوس كون مثله فى العالم ويجوز كون ذلك فى المندور وانه انما سمى ذا الاذعار لانه وصل الى قوم فى اقاصى مفاور اليمن وحضرموت مشوهى الخلقة عجيبى الصورة وجوههم فى صدورهم فلما رأى أهل اليمن ذلك اذعروهم ما شاهدوا من ذلك وجزعت منه نفوسهم فسمى ذا الاذعار وقيل غير ذلك والله أعلم بكيفيته (ثم ملك) بعده عمرو بن شمر بن افريقس ثلاثا وخمسين سنة (ثم ملك) بعده من ولده كليكرب بن تبع وهو تبع أبو كريب اسعد كليكرب أربعا وثمانين سنة (ثم ملك) بعده كلال بن سويب اربعا وسبعين سنة (ثم ملك) بعده تبع بن حسان بن تبع (ثم ملك) بعده هرثد سبعا وثلاثين سنة (ثم ملك) بعده ابرهة ابن الصباح ثلاثا وسبعين سنة (ثم ملك) بعده ذو شناتر ابن زرعة ويقال يوسف ويقال بل اسمه عريب بن قطن تسعا وثمانين سنة (ثم ملك) بعده حنيفة ويعرف بذى لشناتر أربعا وثمانين سنة وذلك ألف وتسعمائة وسبع

ثم ان الحسين خطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله ان يدخله مدخله ألا وان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله وانا أحق من غيري وقد أتتني كتبكم ورسلكم ببيعتكم وانكم لا تسلموني ولا تخذلوني فان أتممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم وانا الحسين بن علي ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسي مع نفسكم وأهلي مع أهلكم فلكم في اسوة وان لم تفعلوا ونقضتم عهدي وخلعتم بيعتي فلعمري ما هي لكم بنكير لقد فعلتموها بابي وأخي وابن عمي مسلم بن عقيل والمغرور من اغتر بكم فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم ومن نكث فانما ينكث على نفسه وسيغني الله عنكم والسلام فقال له الحر اني أذكرك الله في نفسك فاني أشهد لئن قاتلت لتقتلن فقال له الحسين أبالموت تخوفني وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني وما أدري ما أقول لك ولكني أقول كما قال أخو الاوسي لابن عمه وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أين تذهب فانك مقتول فقال

سأمضي وما بالموت عار على الفتى * اذا ما نوى خيرا وجاهد مسلما
وواسى رجالا صالحين بنفسه * وخالف مثبورا وفارق مجرما
فان عشت لم أندم وان مت لم ألم * كفى بك ذلا أن تعيش وترغما

فلما سمع ذلك الحر تنحى عنه وكان يسايرنا حية عنه حتى انتهى الى عذيب الهجانات كان به هجائن النعمان ترعى هناك فنسب اليها فاذا هو بار بعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم يجنبون فرس الطرماح بن هلال يقال له الكامل ومعهم دليلهم طرماح بن عدي فانتهوا الى الحسين فاقبل اليهم الحر وقال ان هؤلاء النفر من أهل الكوفة وانا حابسهم أو رادهم فقال الحسين لامنعنهم مما امنع منه نفسي اعاهؤلاء أنصاري وهم بمنزلة من جاءني فان تممت على ما كان بيني وبينك والا ناجزتك فكف الحر عنهم فقال لهم الحسين أخبروني خبر الناس خلفكم فقال له مجمع بن عبيد الله العامري وهو أحدهم أما أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم وملئت غرائرهم فهم الب واحد عليك وأما سائر الناس بعدهم فان قلوبهم تهوى اليك وسيوفهم غدا مشهورة عليك وسألهم عن رسوله قيس بن مسهر فاخبروه بقتله وما كان منه فترقرقت عيناه بالدموع ولم يملك دمعته ثم قرأ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا اللهم اجعل لنا ولهم الجنة واجمع بيننا وبينهم في مستقر رحمتك وغائب مذخور ثوابك وقال له الطرماح بن عدي والله ما أرى معك كثيرا أحد ولو لم يقاتلك الا هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكان كفى بهم ولقد رأيت قبل خروجي من الكوفة بيوم ظهر الكوفة وفيه من الناس ما لم ترعيناي جمعا في صعيد واحد أكثر منه فلما يسيروا اليك فانشدك الله ان قدرت على ان لا تقدم اليهم شبرا فافعل فان أردت ان تنزل بلدا يمنعك الله به حتى ترى رأيك ويستبين لك ما أنت صانع فسر حتى انزلك جبلنا أجا فهو والله حبل امتنعنا به من ملوك غسان وحمير والنعمان بن المنذر ومن الاحمر والابيض والله ما ان دخل علينا ذل قط فاسر معك حتى أنزلك ثم تبعث الى الرجال ممن بأجا وسلمى من طيء فوالله لا يأتي عليك عشرة أيام حتى يأتيك طيء رجالا وركبانا ثم أقم فينا ما بدا لك فان هاجك هيج فانا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك باسيافهم فوالله لا يوصل اليك أبدا وفيهم عين

تطرف

وعشرون سنة واغادكرنا ماحكيناه عن عبيد بن شرية في ترتيب ملوكهم وتبابعة توارث سبيهم لما في على جميع ما قيل في ذلك من التنازع والله ولي التوفيق ولما قتلت الحبشة معديكرب بن سيف بن ذي يزن على حسب ما قدمناه في الرحبة بحرابهم كان بصنعاء خليفة لوهرز في جماعة من العجم ممن كان ضمهم وهرز الى معديكرب فركب وأتى على من كان هنالك من الحبشة وضبط البلد وكتب بذلك الى وهرز وهو بساباط أنوشروان الملك وذلك بالمدائن من ارض فارس فاعلم وهرز بذلك الملك فسيره في البر في اربعة آلاف من الاساورة وامره باصلاح اليمن وان لا يبقي على أحد من بقايا الحبشة ولا على جمد قط فدشرك السودان في نسبه فاتى وهرز اليمن ونزل صنعاء فلم يترك بها أحدا من السودان ولا من انسابهم وملك أنوشروان وهرز على اليمن الى ان هلك بصنعاء ثم ملك بعده رجل من فارس يقال له سيحان (ثم ملك) بعده حوراد الشهير (ثم ملك) بعده ابن سيحان (ثم ملك) بعده المرزبان حرحسوا وكان من اهل

تطرف فقال له جزاك الله وقومك خيرا انه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف ولا ندري على ما تنصرف بنا وبهم الامور فودعه وسار الى أهله ووعده ان يوصل الميرة الى أهله ويعود الى نصره ففعل ثم عاد الى الحسين فلما بلغ عذيب الهجانات لقيه خبر قتله فرجع الى أهله ثم سار الحسين حتى بلغ قصر بني مقاتل فرأى فسطاطا مضروبا فقال لمن هذا فقيل لعبيد الله بن الحر الجعفي فقال ادعوه لي فلما أتاه الرسول يدعوه قال انا لله وانا اليه راجعون والله ما خرجت من الكوفة الا كراهية ان يدخلها الحسين وأنا بها والله ما اريد أن أراه ولا يراني فعاد الرسول الى الحسين فأخبره فلبس الحسين نعليه ثم جاه فسلم عليه ودعاه الى نصره فاعاد عليه ابن الحر تلك المقالة قال فالا تنصرني فاتق الله أن تكون ممن يقاتلنا فوالله لا يسمع داعيتنا أحد ثم لا ينصرنا الا هلك فقال له أما هذا فلا يكون أبدا ان شاء الله تعالى ثم قام الحسين فخرج الى رحله ثم سار ليلا ساعة فخفق برأسه خفقة ثم انتبه وهو يقول انا لله وانا اليه راجعون والحمد لله رب العالمين فاقبل اليه ابنه علي بن الحسين وقال يا أبت جعلت فداك مم حمدت واسترجعت قال يا بني اني خفقت خفقة فعن لي فارس على فرس فقال القوم يسيرون والمنايا تسير اليهم فعلمت ان أنفسنا نعيت الينا فقال يا أبت لا أراك الله سوأ ألست على الحق قال بلى والذي يرجع اليه العباد قال اذن لا نبالي ان نموت محقين فقال له جزاك الله من ولد خيرا ما جزى ولدا عن والده فلما أصبح نزل فصلى ثم عجل الركوب فاخذ يتياسر باصحابه يريد أن يفرقهم فاتى الحر فردّه وأصحابه فجعل اذا ردّهم نحو الكوفة ردّ اشديدا امتنعوا عليه وارتفعوا فلم يزالوا يتياسرون حتى انتهوا الى نينوى المكان الذي نزل به الحسين فلما نزلوا اذا راكب مقبل من الكوفة فوقفوا ينتظرونه فسلم على الحر ولم يسلم على الحسين وأصحابه ودفع الى الحر كتابا من ابن زياد فاذا فيه أما بعد فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي فلا تنزله الا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء وقد أمرت رسولي ان يلزمك فلا يفارقك حتى يأتيني بانفاذك أمري والسلام فلما قرأ الكتاب قال لهم الحر هذا كتاب الامير يأمرني أن اجعجع بكم في المكان الذي يأتيني فيه كتابه وقد أمر رسوله ان لا يفارقني حتى أنفذ رأيه وامره واخذهم الحر بالنزول على غير ماء ولا في قرية فقالوا دعنا ننزل في نينوى أو الغاضرية أو شفية فقال لا أستطيع هذا الرجل قد بعث عينا علي فقال زهير بن القين للحسين انه لا يكون والله بعد ما ترون الا ما هو اشد منه يا ابن رسول الله وان قتال هؤلاء الساعة اهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم ولعمري ليأتينا من بعدهم ما لا قبل لنا به فقال الحسين ما كنت لابدأهم بالقتال فقال له زهير سر بنا الى هذه القرية حتى ننزلها فانها حصينة وهي على شاطئ الفرات فان منعونا قاتلناهم فقتالهم أهون علينا من قتال من يجيء بعدهم فقال الحسين ما هي قال العقر قال اللهم اني أعوذ بك من العقر ثم نزل وذلك يوم الخميس الثاني من محرم سنة احدى وستين فلما كان الغد قدم عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة في أربعة آلاف وكان سبب مسيره اليه ان عبيد الله بن زياد كان قد بعثه على أربعة آلاف الى دستبى وكانت الديلم قد خرجوا اليها وغلبوا عليها وكتب له عهده على الري فعسكر بالناس في حمام اعين فلما كان من أمر الحسين ما كان دعا ابن زياد عمر بن سعد وقال له سر الى الحسين فاذا فرغنا مما بيننا وبينه سرت الى عملك فاستعفاه فقال نعم على ان ترد عهدنا فلما قال له ذلك قال امهلني اليوم حتى انظر فاستشار نصحاءه فكلهم نهاه وأتاه حمزة بن المغيرة بن شعبة وهو ابن أخته فقال أنشدك الله يا خالي ان لا تسير الى الحسين فتأثم وتقطع رحمك فوالله لان تخرج من دنياك ومالك وسلطان

بيت مملكة فارس (ثم ملك) بعده حرحس وكان مولده باليمن (ثم ملك) بعده باذان ابن ساسان (قال المسعودي) فهؤلاء جميع من ملك اليمن من لخطان والحبشة والفرس وقد ملك اليمن رجل من ولد ابراهيم الخليل عليه السلام وهو بعد من ملوك اليمن واسمه هينية بن اميم ابن بدل بن مدين بن ابراهيم الخليل عليه السلام وكان له شأن عظيم في اليمن وطالت ايامه وذكره امرؤ القيس في شعره فقال

وهينية الذي زادت قواه
على زيدان اذ حان الزوال
تمكن قائما وبنى طريقا
الى زيدان اعيط لا ينال

ويقال انه منتبه بن اميم ابن بدل بن لسان بن ابراهيم الخليل وقد كانت ملوك اليمن تنزل بمدينة ظفار مثل آل ذي شحر وآل ذي الكلاع وآل ذي اصبح وآل ذي يزن الا اليسير منهم فانهم نزلوا غيرها وكان على باب ظفار مكتوب بالقلم الاول في حجر أسود يوم شيدت ظفار قيل لمن أنت فقالت لخير الاخيار ثم سيلت من بعد ذلك فقالت

ان ملكي للحبش الاشرار

لارض لو كان لك خير من ان تلقى الله بدم الحسين فقال افعل وبات ليلته مفكرا فى أمره فسمع وهو يقول

أاترك ملك الرى والرى رغبة * أم أرجع مذموما بقتل حسين

وفى قتله النار التى ليس دونها * حجاب وملك الرى قرة عين

ثم أتى ابن زياد فقال له اغث قد وليتك هذا العمل وسمع الناس به فان رأيت ان تعفينى من ذلك ففعل وابعث الى الحسين من اشراف الكوفة من لست أغنى فى الحرب منه وسمى أناسا فقال له ابن زياد لست اسئلك عن أمرك فيمن أريد ان أبعث فان مرت بحمدنا والا فابعث الينا بهدنا قال فانى سائر واقفل فى ذلك الحين حتى نزل بالحسين فلما نزل به بعث اليه رسولا يسأله ما الذى جاء به فقال الحسين كتب الى أهل مصركم هذا ان أقدم عليهم فاما اذ كرهونى فانى انصرف عنهم فكتب عمر ابن زياد يعرفه ذلك فلما قرأ ابن زياد الكتاب قال

الآن اذ علقت مخالبنا به * يرجو النجاة ولات حين مناص

ثم كتب الى عمر يأمره ان يعرض على الحسين بيعة يزيد فاذا فعل ذلك رأينا رأينا واوان يمنعه ومن معه الماء وارسل عمر بن سعد عمرو بن الحجاج على خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وبين الماء وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة أيام ونادى عبد الله بن أبى الحصين الازدى وعداده فى بجيلة يا حسين ألا ترى الماء لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشا فقال الحسين اللهم اقتله عطشا ولا تغفر له أبدا قال فرض فيما بعد فكان يشرب الماء لعلة ثم يقيء ثم يعود فيشرب حتى تقرعرم فيقيء ثم يشرب ثم يروى فيقول كذلك حتى مات فلما اشتد العطش على الحسين وأصحابه أمر أخاه العباس بن على فسار فى عشرين راجلا يحملون القرب وثلاثين فارسا فدنوا من الماء فقاتلوا عليه وصبوا القرب وعادوا ثم بعث الحسين الى عمر بن سعد عمرو بن قرظة بن كعب الانصارى ان ائتنى الليلة بين عسكرى وعسكرك فخرج اليه عمر فاجتمعا وتحادثا طويلا ثم انصرف كل واحد منهما الى عسكره وتحدث الناس ان الحسين قال لعمر بن سعد اخرج معى الى يزيد بن معاوية ودع العسكرين وقال عمر أخشى ان تهدم دارى قال أنا أبنيها قال نؤخذ ضيعتى قال أعطيك خيرا منها من مالى بالحجاز فكره ذلك عمر وتحدث الناس بذلك ولم يسمعوه وقيل بل قال له اختر واحدة من ثلاث اما ان ارجع الى المكان الذى أقبلت منه واما ان أضع يدى فى يد يزيد بن معاوية فيرى فيما بينى وبينه رأيه واما أن تسيرونى الى أى ثغر من ثغور المسلمين شئتم فاكون رجلا من أهله لى ما لهم وعلى ما عليهم وقد روى عن عقبة بن سمعان انه قال صحبت الحسين من المدينة الى مكة ومن مكة الى العراق ولم أفارقه حتى قتل وسمعت جميع مخاطباته الناس الى يوم مقتله فوالله ما أعطاهم ما يتذاكره الناس من انه يضع يده فى يد يزيد ولا ان يسيروه الى ثغر من ثغور المسلمين ولكنه قال دعونى أرجع الى المكان الذى أقبلت منه أو دعونى أذهب فى هذه الارض العريضة حتى ننظر الى ما يصير اليه أمر الناس فلم يفعلوا ثم التقى الحسين وعمر بن سعد مرارا ثلاثا أو اربعا فكتب عمر بن سعد الى عبيد الله بن زياد أما بعد فان الله اطفأ النائرة وجمع الكلمة وقد اعطانى الحسين ان يرجع الى المكان الذى أقبل منه أو ان يسيره الى أى ثغر من الثغور شئنا أو ان يأتى يزيد أمير المؤمنين فيضع يده فى يده وفى هذا لكم رضا وللامة صلاح فلما قرأ ابن زياد الكتاب قال هذا كتاب رجل ناصح لاميره مشفق على قومه نعم قد قبلت وقام اليه شمر بن ذى الجوشن فقال أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك والى جنبك والله لئن رحل من بلادك ولم يضع يده فى يدك ليكونن أولى بالقوة والعزة ولتكونن أولى بالضعف والعجز ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه

فان

ثم سيلت من بعد ذلك
فعلت
ان ما كان فارس انحاز
وما بلغ بلغت القوم فيها
مدشيدت مشيدة للمور
من سود فهم الحرقيها
شعل نار فى اعلى الديار
وهد خسر عن ملوك
تد ولوها احسروا عن
صكهم قبل كونه قد ولتها
الملوك على حسب ما وصفنا
وينتظر فى المستقبل من
زمان ما ذكر من وفود
السير فى اعلى الديار
وسد اهل اليمن بدورهم
سيعجب عليها الاناشى فى
آخر الزمان بعد هجت
وكونت وأحدث وبعث
النبى صلى الله عليه وسلم
وعلى اليمن عمال كسرى
ب لاسلام فطهر
محمد الله * وقد أتينا على
أحب ما من ذكره من
الملوك وسيرهم ومصافتهم
فى البلاد وحروبهم
وأنبائهم فى سائر طبقاتهم
فى الكتاب الاوسط فاغنى
ذلك عن اعادته فى هذا
الكتاب * وبلد اليمن
طويل عريض حده مما
يلى مكة لموضع المعروف
بلبنة ثلث سبع مراحل
الى صنعاء ومن صنعاء الى
عمان وهو آخر عمل اليمن
سبع مراحل والمرحلة

فان عاقبت كنت ولى العقوبة وان عفوت كان ذلك لك والله لقد بلغنى ان الحسين وعمر يتحدثان عامة الليل بين العسكرين فقال ابن زياد نعم ما رأيت أخرج بهذا الكتاب الى عمر فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمى فان فعلوا فابعث بهم الى سلما وان أبوا فليقاتلهم وان فعل فاسمع له واطع وان أبى فانت الامير عليه وعلى الناس واضرب عنقه وابعث الى برأسه وكتب معه الى عمر بن سعد أما بعد فانى لم أبعثك الى الحسين لتكف عنه ولا لتمنيه ولا لتطاوله ولا لتقعد له عندى شافعا انظر فان نزل الحسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم الى سلما وان أبوا فازحف اليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فانهم لذلك مستحقون فان قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره فانه عاق شاق قاطع ظلوم فان أنت مضيت لامرنا جزيناك جزاء السامع المطيع وان أنت أبيت فاعتزل جندنا وخل بين شمر وبين العسكر والسلام فلما أخذ شمر الكتاب كان معه عبد الله بن أبى المحل بن حزام عند ابن زياد وكانت عمته أم البنين بنت حزام عند على وولدت له العباس وعبد الله وجعفرا وعثمان فقال لابن زياد ان رأيت ان تكتب لبنى اختنا امانا فافعل فكتب لهم اما نا فابعث به مع مولى له اليهم فلما رأوا الكتاب قالوا لا حاجة لنا فى أمانكم امان الله خير من امان ابن سمية فلما أتى شمر بكتاب ابن زياد الى عمر قال له مالك ويلك قبح الله ما جئت به والله انى لاظنك أنت ثنيته ان يقبل ما كنت كتبت اليه به أفسدت علينا أمرا كنا رجونا ان يصلح والله لا يستسلم الحسين أبدا والله ان نفس أبيه لبين جنبيه فقال له شمر ما أنت صانع قال أنولى ذلك ونهض اليه عشية الخميس لتسع مضين من المحرم وجاء شمر فدعا العباس بن على واخوته فخرجوا اليه فقال أنتم يابنى أختى آمنون فقالوا له لعنك الله ولعن امانك لئن كنت خالنا أتؤمننا وابن رسول الله لا امان له ثم ركب عمر والناس معه بعد العصر والحسين جالس أمام بيته محتبيا بسيفه اذ خفق برأسه على ركبته وسمعت أخته زينب الضجة فدنت منه فايقظته فرفع رأسه فقال انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال انك تروح الينا قال فلطمت أخته وجهها وقالت يا ويلتاه قال ليس لك الويل يا أخيه اسكتى رحمك الله قال له العباس أخوه يا أخى أتاك القوم فنهض فقال يا أخى اركب بنفسى فقال له العباس بل أروح انا فقال اركب أنت حتى نلقاهم فتقول مالكم ومابدا لكم ونسألهم عما جاء بهم فاتاهم فى نحو عشرين فارسا فيهم زهير بن القين فسألهم فقالوا جاء الامير بكذا وكذا قال فلا تعجلوا حتى أرجع الى أبى عبد الله فاعرض عليه ماذكرتم فوقفوا ورجع العباس اليه بالخبر ووقف أصحابه يخاطبون القوم ويذكرونهم الله فلما أخبره العباس بقولهم قال له الحسين ارجع اليهم فان استطعت ان تؤخرهم الى غدوة لعلنا نصلى لربنا هذه الليلة وندعوه ونستغفره فهو يعلم أنى كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار وأراد الحسين أيضا ان يوصى أهله فرجع اليهم العباس وقال لهم انصرفوا عنا العشية حتى ننظر فى هذا الامر فاذا أصبحنا التقينا ان شاء الله فامارضينا وامارددناه فقال عمر بن سعد ماترى يا شمر قال أنت الامير فاقبل على الناس فقال ماترون فقال له عمرو بن الحجاج الزبيدى سبحان الله والله لو كان من الديلم ثم سألكم هذه المسئلة لكان ينبغى أن تجيبوهم وقال قيس بن الاشعث بن قيس أجبهم لعمرى ليصبحنك بالقتال غدوة فقال لو أعلم ان يفعلوا ما أخرتهم العشية ثم رجع عنهم فجمع الحسين أصحابه بعد رجوع عمر فقال أثنى على الله أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء اللهم انى أحمدك على ان أكرمتنا بالنبوة وجعلت لنا أسماعا وأبصارا وأفئدة وعلمتنا القرآن وفقهتنا فى الدين فاجعلنا لك من الشاكرين أما بعد فانى لا أعلم أصحابا أوفى ولا أخير

من خمسة فراسخ الى ستة والحد الثانى من حكم ورحاه الى مابين مفاوز حضرموت وعمان عشرون مرحلة ويلى الوجه الثالث بحر اليمن على ماذكرناه ابحر القلزم والصين والهند جميع ذلك عشرون مرحلة فى ست عشرة مرحلة وأسماء ملوك اليمن كذى يزن وذى نواس وذى منار وغير ذلك مضافة الى مواضع والى أفعال لهم وسير وحروب وغيرها من سمات لهم تميزهم عن غيرهم وتبين كل واحد منهم عن غيره من ملوكهم واذ قد ذكرنا جوامع من أخبار اليمن وملوكها فلنذكر الآن ملوك الحيرة من بنى نصر وغيرهم للحوقهم باليمن ثم نعقب ذلك بملوك الشام وغيرهم من الملوك ان شاء الله تعالى

﴿ذكر ملوك الحيرة من بنى نصر وغيرهم﴾

ولما ملك جذيمة الوضاح أتت عليه الزباء بنت عمرو ابن ظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر وقد كان ملك من مشارق الشام الى الفرات من قبل الروم وكانت داره بالموضع المعروف بالمضيرة

من أصحابي ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله جميعا عني خيرا الا وانى لاظن يومنا من هؤلاء الاعداء غدا وانى قد أذنت لكم جميعا فانطلقوا في حل ليس عليكم مني ذمام هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي * فجزاكم الله جميعا خيرا ثم تفرقوا في البلاد في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله فان القوم يطلبوني ولو أصابوني لهوا عن طلب غيري فقال له اخوته وابناؤه وابناء اخوته وابناء عبد الله بن جعفر لم نفعل هذا لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك أبدا فقال الحسين يابني عقيل حسبكم من القتل بمسلم اذهبوا فقد أذنت لكم قالوا وما نقول للناس نقول تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الاعمام ولم نرم معهم بسهم ولم نطعن معهم برمح ولم نضرب بسيف ولا ندري ما صنعوا والله لا نفعل ولكنا نفديك بانفسنا وأموالنا وأهلينا ونقاتل معك حتى نرد مورودك فقبح الله العيش بعدك وقام اليه مسلم بن عوسجة الاسدي فقال أنحن نخلي عنك ولم نعذر الى الله في اداء حقك أما والله لا أفارقك حتى أكسر في صدورهم رمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي والله لو لم يكن معي سلاح لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك وتكلم أصحابه بنحو هذا فجزاهم الله خيرا وسمعته أخته زينب تلك العشية وهو في خبائه يقول وعنده حوي مولى أبي ذر الغفاري يعالج سيفه

يادهر أف لك من خليل * كم لك بالاشراق والاصيل
من صاحب أو طالب قتيل * والدهر لا يقنع بالبديل
وانما الامر الى الجليل * وكل حي سالك السبيل

فاعادها مرتين أو ثلاثا فلما سمعته لم تملك نفسها ان وثبت تجر ثوبها حتى انتهت اليه ونادت واثكلاه ليت الموت اعدمني الحياة اليوم ماتت فاطمة أمي وعلي أبي والحسين أخي ياخليفة الماضي وثمال الباقي فذهب فنظر اليها وقال ياأخيه لا يذهبن حلمك الشيطان قالت بابي أنت وأمي استقتلت نفسي لنفسك الفداء فردد غصته وترقرقت عيناه ثم قال لو ترك القطا ليلا لنام فلطمت وجهها وقالت واويلتاه افتغصبك نفسك اغتصابا فذلك أفرح لقلبي وأشد على نفسي ثم لطمت وجهها وشقت جيبها وخرت مغشية عليها فقام اليها الحسين فصب الماء على وجهها وقال اتق الله وتعزي بعزاء الله واعلمي ان أهل الارض يموتون وأهل السماء لا يبقون وان كل شئ هالك الا وجه الله بي خير مني وأمي خير مني وأخي خير مني ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله اسوة فعزاها بهذا ونحوه وقال لها يا أخية اني أقسم عليك لا تشقي علي جيبا ولا تخمشي علي وجها ولا تدعي علي بالويل والثبور ان اناها كذلك ثم خرج الى أصحابه فامرهم ان يقربوا بعض بيوتهم من بعض وان يدخلوا الاطناب بعضها في بعض ويكونوا بين يدي البيوت فيستقبلون القوم من وجه واحد والبيوت على أيمانهم وعن شمائلهم ومن ورائهم فلما أمسوا قاموا الليل كله يصلون ويستغفرون ويتضرعون ويدعون فلما صلى عمر بن سعد الغداة يوم السبت وقيل الجمعة يوم عاشوراء خرج فيمن معه من الناس وعبى الحسين أصحابه وصلى بهم صلاة الغداة وكان معه اثنان وثلاثون فارسا وأربعون راجلا فجعل زهير بن القين في ميمنة أصحابه وحبيب بن مظهر في ميسرتهم وأعطى رايته العباس اخاه وجعلوا البيوت في ظهورهم وامر بحطب وقصب فالقي في مكان منخفض من ورائهم كأنه ساقية عملوه في ساعة من الليل لئلا يؤتوا من ورائهم واضرم نارا فنفعهم ذلك وجعل عمر بن سعد على ربع أهل المدينة عبد الله بن زهير الازدي وعلى ربع ربيعة وكندة قيس بن الاشعث بن قيس وعلى ربع مذحج وأسد عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي وعلى ربع تميم وهمدان الحر

بين بلاد الروقة وقرقيسيا. وقد كانت الزباء تملكت بعد أبيها وأطمعت جذيمة في نفسها الى أن قتلته وأقام جذيمة ملكا في زمن ملوك الطوائف خمسا وسبعين سنة وفي ملك أردشير بابك وسابور الجنود بن أردشير ثلاثا وعشرين سنة وكان ملكه مائة سنة وثمان عشرة سنة وكان يكنى بابي مالك وفيه يقول بعض شعراء الجاهلية وهو سويد بن كاهل اليشكري

ان أذق حتفي فقبلي دفه * طعم عاد وجديس ذو السبع
وأبو مالك القيل الذي * قتلته بنت عمرو بالخدع

وكان ملك قبل جذيمة اياه وهو أول من ملك الحيرة والله أعلم وكان يقال له مالك بن فهم بن دوس بن الازد بن العوف بن مالك ابن زيد بن كهلان بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان * وكان سار من اليمن مع ولد جفنة بن عمرو ابن عامر مزيقيا فسار بنو جفنة نحو الشام وانفصل مالك نحو العراق فملك على مضر بن نزار اثنتي عشرة سنة (ثم ملك) بعده ابنه جذيمة على

ابن يزيد الرياحي فشهد هؤلاء كلهم مقتل الحسين الا الحر بن يزيد فانه عدل الى الحسين وقتل معه
وجعل عمر على ميمنته عمرو بن الحجاج الزبيدي وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن وعلى الخيل
عروة بن قيس الاحمسي وعلى الرجال شبث بن ربعي اليربوعي التميمي واعطى الراية دريدا مولاه
فلما دنوا من الحسين امر فضرب له فسطاط ثم أمر بمسك فيث في جفنة ثم دخل الحسين فاستعمل
النورة ووقف عبد الرحمن بن عبد ربه ويزيد بن حصين الهمداني على باب الفسطاط وازدحما
أيهما يلي بعده فجعل يزيد يهارل عبد الرحمن فقال له والله ما هذه بساعة باطل فقال يزيد والله
ان قومي لقد علموا اني ما أحببت الباطل شابا ولا كهلا ولكني مستبشر بما نحن لاقون والله
ما بيننا وبين الحور العين الا ان يميل هؤلاء علينا بأسيافهم فلما فرغ الحسين دخلا ثم ركب
الحسين دابته ودعا بمصحف فوضعه أمامه واقتتل اصحابه بين يديه فرفع يديه ثم قال اللهم أنت ثقتي
في كل كرب ورجائي في كل شدة وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة كم من هم يضعف فيه
الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت به العدو انزلته بك وشكوته اليك رغبة
اليك عمن سواك ففرجته وكشفته وكفيتنيه فأنت ولي كل نعمة وصاحب كل حسنة ومنتهى
كل رغبة فلما رأى أصحاب عمر النار تلتهب في الفسطاط نادى شمر الحسين تعجلت النار في الدنيا قبل
القيامة فعرفه الحسين فقال أنت أولى بها صليا ثم ركب الحسين راحلته وتقدم الى الناس ونادى
بصوت عال يسمعه كل الناس فقال ايها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتى اعظكم بما يجب لكم
علي وحتى اعتذر اليكم من مقدمي عليكم فان قبلتم عذري وصدقتم قولي وأنصفتموني كنتم بذلك
أسعد ولم يكن لكم علي سبيل وان لم تقبلوا مني العذر فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم
عليكم عمة ثم افضوا الي ولا تنظرون ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين قال فلما
سمع اخواته قوله بكين وصحن وارتفعت اصواتهن فارسل اليهن اخاه العباس وابنه عليا ليسكتاهن
وقال لعمري ليكثرن بكاؤهن فلما ذهبا قال لا يبعد ابن عباس وانما قالها حين سمع بكاءهن لانه
كان نهاه ان يخرج بهن معه فلما سكتن حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وعلى الملائكة والانبياء
وقال ما لا يحصى كثرة فما سمع ابلغ منه ثم قال أما بعد فانسبوني فانظروا من انا ثم راجعوا أنفسكم
فعاتبوها وانظروا هل يصلح ويحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه
وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي أوليس جعفر
الشهيد الطيار في الجنة عمي أولم يبلغكم قول مستفيض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي
ولاخي أنتما سيدا شباب أهل الجنة وقرة عين أهل السنة فان صدقتموني بما أقول وهو
الحق والله ما تعمدت كذبا منذ علمت ان الله يمقت عليه وان كذبتموني فان فيكم من ان سألتموه عن
ذلك أخبركم سلوا جابر بن عبد الله أو أبا سعيد أو سهل بن سعد أو زيد بن أرقم او أنسا يخبروكم انهم
سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم اما في هذا حاجز يحجزكم عن سفك دمي فقال شمر وهو
يعبد الله على حرف ان كان يدري ما يقول فقال له حبيب بن مظهر والله اني اراك تعبد الله على
سبعين حرفا وان الله قد طبع على قلبك فلا تدري ما تقول ثم قال الحسين فان كنتم في شك مما أقول
أو تشكون في اني ابن بنت نبيكم فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ولا من
غيركم اخبروني اتطلبوني بقتيل منكم قتلته او مال لكم استهلكته او بقصاص من جراحة فلم
يكلموه فنادى يا شبث بن ربعي ويا حجار بن ابجر ويا قيس بن الاشعث ويا زيد بن الحرث ألم
تكتبوا الي في القدوم عليكم قالوا لم نفعل ثم قال بلى فعلتم ثم قال ايها الناس اذ كرهتموني فدعوني

ماذكرنا (ثم ملك) بعده
جذيمة ابن أخته عمرو بن
عدي بن نصر بن ربيعة بن
الحرث بن مالك بن غنم
ابن غمارة بن لخم وهو أول
من نزل من الملوك الحيرة
واتخذها منزلا ودار ملكه
واليه تنسب ملوك النصرية
وهم ملوك الحيرة فكان
ملك عمرو بن عدي ابن أخت
جذيمة مائة سنة (قال
المسعودي) وقد ذكر غير
واحد ممن عنى باخبار العرب
وأيامها أن جذيمة أول من
ملك من قضاعة وهو جذيمة
ابن مالك بن فهم التنوخي
وانه قال ذات يوم لندمائه
لقد ذكر لي عن غلام من اياد
له طرف وادب فلو بعثت
اليه فوليته كاسي والقيام
على رأسي لكان الرأي قالوا
الرأي ما رأى الملك فليبعث
اليه ففعل فلما قدم عليه
قال من أنت قال أنا عدي
ابن نصر بن ربيعة فولاه
مجلسه فعشقته رقاش ابنة
مالك أخت الملك فقالت
ياعدي اذا سقيت القوم
فامزج لهم وغرق للملك
فاذا أخذت الخمر منه
فاخطبني منه فانه يزوجك
فاشهد القوم ان فعل ففعل
الغلام ذلك فزوجه فاشهد
عليه وانصرف الغلام اليها
فأتاها فقالت عرس
باهلك ففعل فلما أصبح

أنصرف الى مأمنى من الارض قال فقال له قيس بن الاشعث اولا تنزل على حكم ابن عمك يعنى ابن زياد فانه لن ترى الا ما تحب فقال له الحسين انت اخو أخيك اتريد ان يطلبك بنو هاشم باكثر من دم مسلم بن عقيل لا والله ولا أعطيهم بيدى عطاء الذليل ولا اقر اقرار العبد عباد الله انى عذت بربى وربكم ان ترجمونى اعوذ بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ثم اناخ راحلته ونزل عنها وجرج زهير بن القين على فرس له فى السلاح فقال يا أهل الكوفة مذاركم من عذاب تبتدارانا حقا على المسلم نصيحة المسلم ونحن حتى الآن اخوة على دين واحد مالم يقع بيننا وبينكم السيف فاذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا نحن أمة وأنتم امة ان الله قد ابتلانا وايا كم بذرية نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لينظر مانحن وأنتم عاملون انا ندعوكم الى نصره وخذلان الطاغية ابن الطاغية عبيد الله بن زياد فانكم لا تدركون منهما الا سوأ يسملان أعينكم ويقطعان أيديكم وأرجلكم ويمثلان بكم ويرفعانكم على جذوع النخل ويقتلان أمثالكم وقراءكم أمثال حجر بن عدى وأصحابه وهانئ بن عروة واشباهه قال فسبوه وأثنوا على ابن زياد وقالوا والله لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه ونبعث به وباصحابه الى الامير عبيد الله بن زياد فقال لهم يا عباد الله ان ولد فاطمة أحق بالود والنصر من ابن سمية فان كنتم لم تنصروهم فاعيدكم بالله ان تقتلوهم خلوا بين الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية فلعمرى ان يزيد يرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين فرماه شمر بسهم وقال اسكت أسكت الله نأمتك أبرمتنا بكثرة كلامك فقال زهير يا ابن البوال على عقبيه ما اياك أخاطب انما انت بهيمة والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين وأبشر بالخزى يوم القيامة والعذاب الاليم فقال شمر ان الله قاتلك وصاحبك عن ساعة قال أفبالموت تخوفنى والله للموت معه أحب الى من الخلد معكم ثم رفع صوته وقال عباد الله لا يغرنكم من دينكم هذا الجلف الجافى فوالله لا تنال شفاعة محمد قوما أهرقوا دماء ذريته وأهل بيته وقتلوا من صبرهم وذب عن حريمهم فأمره الحسين فرجع وما زحف عمر نحو الحسين جاءه الحر بن يزيد فقال له أصلحك الله أمقاتل أنت هذا الرجل قال له اى والله قتالا أيسره ان تسقط الرؤس وتطيح الايدى قال أفما لكم فى واحدة من الخصال التى عرض عليكم رضا قال عمر بن سعد والله لو كان الامر الى لفعلت ولكن أميرك قد أبى ذلك فاقبل يدنو نحو الحسين قليلا قليلا وأحدثه رجل فقال له رجل من قومه يقال له مهاجر بن أوس والله ان أمرك لمريب والله ما رأيت منك فى موقف قط مثل ما أراه الآن ولو قيل من أشجع أهل الكوفة لما عدوتك فقال له انى والله أخير نفسى بين الجنة والنار ولا اختار على الجنة شيأ ولو قطعت وحرقت ثم ضرب فرسه فلحق بالحسين فقال له جعلنى الله فداك يا ابن رسول الله أنا صاحبك الذى حبستك عن الرجوع وسايرتك فى الطريق وجعجعت بك فى هذا المكان والله ما ظننت ان القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبدا ولا يبلغون منك هذه المنزلة أبدا فقلت فى نفسى لا أبالى ان أطيع القوم فى بعض أمرهم ولا يرون انى خرجت من طاعتهم واما هم فيقبلون بعض ما تدعوهم اليه ووالله لو ظننت انهم لا يقبلونها منك ما ركبتها منك وانى قد جئتك تائبا مما كان منى الى ربى مواسيا لك بنفسى حتى أموت بين يديك أفترى ذلك توبة قال نعم يتوب الله عليك ويغفر لك وتقدم الحر أمام أصحابه ثم قال ايها القوم الا تقبلون من الحسين خصلة من هذه الخصال التى عرض عليكم فيعافيكم الله من حربه وقتاله فقال عمر لقد حرصت لو وجدت الى ذلك سبيلا فقال يا أهل الكوفة لامكم الهبل والعبر ادعوتموه حتى اذا اتاكم سلمتموه وزعمتم انكم قاتلوا أنفسكم

غدا منتصرجا بالخلوق
فقال له جذيمة ما هذه
الآثار يا عدى قل آثار
العرس قال أى عرس
قال عرس رقاش فخر
وأكب على الارض ورفع
عدى حرامير وهرب
واسرع جديمة فى طلبه
فلم يجده وقال بعضهم بل
قتله وبعث الى ابنها يقول
حدثينى رقاش لا تكذبينى
الخبر ربيت أم بهجين
أم عبد فانت أهل لعبد
أم بدون فانت أهل لدون
فاجابته رقاش تقول
انت زوجتنى وما كنت
أدرى
وأتانى الفساء للمهرين
دالك من شربك المدامة
صرفا
وتمادى فى الصبا والجنون
فقتلها جديمة اليه وحضنها
فى قصره فشغفت على حمل
وولدت غلاما فسماه عمرا
ووشحه حتى اذا ترعرع
حلته وعطرته وألبسته
كسوة فاخرة ثم زارته خاله
وأعجب به وألفيت عليه
منه محبة ومودة حتى اذا
خرج الملك فى سنة مكاثة
قد اكملت فبسط له فى
أرضه وخرج عمرو فى خلة
يجنون الكمأة فكانوا اذا
أصابوا كمأة طيبة اكلوها
واذا أصابها عمرو خبأها
ثم اقبلوا يتعادون وعمرو

دونه ثم عدوتم عليه لتقتلوه امسكتم بنفسه واحطتم به ومنعتموه من التوجه فى بلاد الله العريضة
حتى يأمن و يأمن أهل بيته فاصبح كالاسير لايملك لنفسه نفعا ولا يدفع عنها ضرا ومنعتموه ومن
معه عن ماء الفرات الجارى يشربه اليهودى والنصرانى والمجوسى ويتمرغ فيه خنازير السواد
وكلابه وها هو وأهله قد صرعهم العطش بئسما خلفتم محمدا فى ذريته لاسقاكم الله يوم الظمأ ان لم
تتوبوا وتنزعوا عما أنتم عليه فرموه بالنبل فرجع حتى وقف أمام الحسين ثم قدم عمر بن سعد برايته
وأخذ سهما فرمى به وقال اشهدوا لى انى أول رام ثم رمى الناس و برز يسار مولى زياد وسالم مولى
عبيد الله وطلبا البراز فخرج اليهما عبد الله بن عمير الكلبى وكان ندأبى الحسين من الكوفة وسارت
معه امرأته فقالا له من أنت فانتسب لهما فقالا لا نعرفك ليخرج الينا هبير بن القين أو حبيب بن
مظهر أو برير بن خضير وكان يسار أمام سالم فقال له الكلبى يا ابن الزانية و بك رغبة عن مبارزة
أحد من الناس ولا يخرج اليك أحد الا رهو خير منك ثم حمل عليه فضربه بسيفه حتى برد
فاشتغل به يضربه فحمل عليه سالم فلم يأبه له حتى غشيه فضربه فاتقاه الكلبى بيده فاطار اصابع
كفه اليسرى ثم مال عليه الكلبى فضربه حتى قتله واخذت امرأته عمودا وكانت تسمى ام وهب
واقبلت نحوه وحماها هى تقول فداك ابى وأمى قاتل دون الطيبين ذرية محمد فردها نحو النساء
فامتنعت وقالت لن أدعك دون ان أموت معك فناداها الحسين فقال جزيتم من اهل بيت خيرا
ارجعى رحمك الله ليس الجهاد الى النساء فرجعت فرحف عمرو بن الحجاج فى ميمنة عمر فلما دنا من
الحسين جثوا له على الركب واشرعوا الرماح نحوهم فلم تقدم خيلهم على الرماح فذهبت الخيل
لترجع فرشقوهم بالنبل فصرعوا منهم رجالا وبرحوا آخرين وتقدم رجل منهم يقال له ابن
حوزة فقال أفيكم الحسين فلم يجبه أحد فقالها ثلاثا قالوا انهم فما حاجتك قال يا حسين أبشر بالنار
قال له كذبت بل أقدم على رب رحيم وشفيع مطاع فمن انت قال ابن حوزة فرفع الحسين يديه
فقال اللهم حزه الى النار فغضب ابن حوزة فأقحم فرسه فى نهر بينهما فتعلقت قدمه بالركاب
وجالت به الفرس فسقط عنها فانقطعت رجله وساقه وقدمه و بقى جنبه الآخر متعلقا بالركاب
يضرب به كل حجر وشجر حتى مات وكان مسروق بن وائل الحضرمى قد خرج معهم وقال لعلى
اصيب رأس الحسين فأصيب به منزلة عند ابن زياد فلما رأى ما صنع الله بابن حوزة بدعاء الحسين
رجع وقال لقد رأيت من اهل هذا البيت شيأ لا افاتلهم ابدا ونشب القتال وخرج يزيد بن معقل
حليف عبد القيس فقال يا برير بن خضير كيف ترى الله صنع بك قال والله لقد صنع بى خيرا وصنع
بك شرا فقال كذبت وقبل اليوم ما كنت كذابا وانا أشهد انك من الضالين فقال له ابن خضير هل
لك ان أباهلك أن يلعن الله الكاذب ويقتل المبطل ثم اخرج أبارزك فخرجا فتباهلا أن يلعن الله
الكاذب ويقتل المحق المبطل ثم تبارزا فاختلفا ضربتين فضرب يزيد بن معقل برير بن خضير فلم
يضره شيأ وضربه ابن خضير ضربة قدت المغفر و بلغت الدماغ فسقط والسيف فى رأسه فحمل
عليه رضى بن منقذ العبدى فاعتنق ابن خضير فاعتركا ساعة ثم ان ابن خضير قعد على صدره
فحمل كعب بن جابر الازدى عليه بالرمح فوضعه فى ظهره حتى غيب السنان فيه فلما وجد مس
الرمح نزل عن رضى فعض انفه وقطع طرفه وأقبل اليه كعب بن جابر فضربه بسيفه حتى قتله وقام
رضى ينفض التراب عن قبائه فلما رجع كعب قالت له امرأته أعنت على ابن فاطمة وقتلت
برير اسيد القراء لا أكلمك أبدا وخرج عمرو بن قرظة الانصارى وقاتل دون الحسين فقتل وكان
أخوه مع عمر بن سعد فنادى يا حسين يا كذاب ابن الكذاب اضللت أخى وغررته حتى قتلته فقال

يقدمهم و يقول هذا
جنای وخیاره فیه اذ کل
جان یده الی فیه فالتزمه
جذیمة وحیاه ثم ان الجن
استطارته فضرب له جذیمة
فی الآفاق زمانا فلم یسمع له
بخبر فکف عنه اذ أقبل
رجلان یقال لاحدهما
مالك وللآخر عقیل ابنا
فالح وهما یریدان الملك
بهدیة فنزلا علی ماء ومعهما
قینة یقال لها ام عمرو
فنصبت قدرا واصلحت
لهما طعاما فبینما هما
یأکلان اذ أقبل رجل
اشعث أغبر الرأس قد طالت
اظفاره وساءت حاله حتی
جلس مرجر الکلب ومد
یده فناولته القینة طعاما
فأکل فلم یغن عنه شیأ فمد
یده فقالت القینة ان یعط
العبد کراعا طلب ذراعا
فأرسلتها مثلا ثم ناولت
صاحبیها من شرابها واوکت
زقها فقال عمرو بن عدی
عدلت الکاس عنا أم عمرو
وکان الکاس مجراها الیمینا
وما شر الثلاثة أم عمرو
بصاحبك الذی لا تصبحینا
فقال له الرجلان من أنت
فقال ان تنکرانی فلن
تنکرا حسبی أنا عمرو بن
عدی فقاما الیه فلمساه
وغسلا رأسه ورقما أظفاره
وقصرا من لمته وألبساه
من ظرائف ثیابهما وقالا

ان الله لم يضل أحدا بل هداه وأضلك قال فقاتلني الله ان لم أقتلك أو أموت دونك فحمل واعترضه نافع بن هلال المرادي فطعنه فصرعه فحمل أصحابه فاستنقذوه فبرأ وقاتل الحر بن يزيد مع الحسين فتاما شديدا وبرز اليه يزيد بن سفيان فقتله الحر وقاتل نافع بن هلال مع الحسين أيضا فبرز اليه مرداس بن حريث فقتله نافع فصاح عمرو بن الحجاج بالناس أتدرون من تقاتلون فرسان المصر قوما مستميتين لا يبرز اليهم منكم أحد فانهم قليل وفايبقون والله لو لم ترموهم الا بالحجارة لقتلتموهم يا أهل الكوفة الزموا طاعتكم وجماعتكم لا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف الامام فقال عمر لرأي ما رأيت ومنع الناس من المبارزة قال وسمعه الحسين فقال يا عمرو بن الحجاج أعلي تحرض الناس أنحن مرقنا من الدين أم أنتم والله لتعلمن لو فضضت أرواحكم وسمتم على أعمالكم اينا المارق ثم حمل عمرو بن الحجاج على الحسين من نحو الفرات فاضطروا ساعة فصرع مسلم بن عوسجة الاسدي وانصرف عمرو ومسلم سريع فمشى اليه الحسين وهو رمق فقال رحمك الله يا مسلم بن عوسجة منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما منهم حبيب بن مظهر وقال عز علي مصرعك أبشر بالجنة ولولا أني أعلم أني في أثرك لاحق بك لاحببت ان توصيني حتى احفظك بما أنت له أهل فقال أوصيك بهذا رحمك الله وأومأ بيده نحو الحسين ان تموت دونه فقال أفعل ثم مات مسلم وصاحت جارية له فقالت يا سيدة عوسجة فنادى أصحاب عمرو قتلنا مسلما فقال شبث لبعض من حوله ثكلتكم أمهاتكم اياما تقتلون أنفسكم بأيديكم وتذلون أنفسكم لغيركم افرحون بقتل مثل مسلم أما ولدي اسلمت له لرب موقف له قد رأيته في المسلمين فلقد رأيته وم سلق ادربيجان قتل ستة من المشركين قبل ان تنام خيول المسلمين أفيقتل مثله وتفرحون وكان من الذين قتلهم مسلم بن عبد الله الضبابي وعبد الرحمن بن أبي خشكارة الجعفي وحمل شمر في الميسرة فثبتوا له وحملوا على الحسين وأصحابه من كل جانب فقتل الكلبي وقد قتل رجلين بعد الرجلين الاولين وقاتل قتالا شديدا فقتله هانئ بن ثبيت الحضرمي وبكير بن حي التيمي من تيم الله بن ثعلبة وقاتل أصحاب الحسين قتالا شديدا وهم ثمان وثلاثون فارسا فلم تحمل على جانب من خيل الكوفة الا كشفته فلما رأى ذلك عزرة بن قيس وهو على خيل الكوفة بعث الى عمر فقال ألا ترى ما تلقى خيلي هذا اليوم من هذه العدة اليسيرة ابعث اليهم الرجال والرماة فقال لشبث بن ربعي الا تقدم اليهم فقال سبحان الله شيخ مضر واهل المصر عامة تبعثه في الرماة لم تجد لهذا غيري ولم يزالوا يرون من شبث الكراهة للقتال حتى انه كان يقول في امارة مصعب لا يعطي الله أهل هذا المصر خيرا أبدا ولا يسددهم لرشد الا يحبون انا قاتلنا مع علي بن أبي طالب ومع ابنه الحسين آل أبي سفيان خمس سنين ثم عدونا على ابنه وهو خير أهل الارض يقاتله مع آل معاوية وابن سمية الزانية ضلال بالله من ضلال فلما قال شبث ذلك دعا عمر بن سعد الحصين بن نمير فبعث معه المجفقة وخمسمائة من المرامية فلما دنوا من الحسين وأصحابه رشقوهم بالنبل فلم يلبثوا ان عقروا خيولهم وصاروا رجالة كلهم وقاتل الحر بن يزيد رجلا قتالا شديدا فقاتلوهم الى ان انتصف النهار أشد قتال خلقه الله لا يقدرون ان يأتوهم الا من وجه واحد لاجتماع مضاربهم فلما رأى ذلك عمر أرسل رجالا يقوضون البيوت عن أيمانهم وشمائلهم ليحيطوا بهم فكان النفر من أصحاب الحسين الثلاثة والاربعة يتخللون البيوت فيقتلون الرجل وهو يقوض وينهب ويرمونه من قريب أو يعقرونه فأمر بها عمر بن سعد فاحرقت فقال لهم الحسين دعوهم فليحرقوها فانهم اذا أحرقوها لا يستطيعون ان يجوزوا اليكم منها فكان كذلك وخرجت امرأة الكلبي فجلست عند رأسه تمسح التراب عن وجهه وتقول

هنيا

ما كنا نهدي الى الملك هدية هي أنفس عنده ولا هو عليها أحرص من ابن أخته قد رده الله اليه فحرمانه حتى اداوفنا على باب الملك شراءه فصرفه الى أمه وقال لهما حكمكما فقالا حكمناه ما دمت ما قيت وبقينا قال ذلك لكما هما بدما حديقة المعروفان وياعماعي منهم بن نوبرة ليروعي في مرثيته لاخيه مالك حين قتله خالد بن الوليد بن المغيرة يوم البطاح

وكما كنت ذا حديقة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كاني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وقال أبو خراشة الهذلي

الم تعلمي أن قد تفرق قبلنا خليلا صفاه مالك وعقيل

وان أم عمرو عمدت اليه فعشت معه حقبة يقومون علمه في الحمام حتى اذا خرج أليسته من طرائف شباب الملوك وحملت في عمقه طوقا من ذهب لندر كان عليها ثم أمرته بزيارة خاله فلما رأى خاله لحيته والطوق في عنقه قال شب عمرو عن الطوق وأقام عمرو مع جديمة خاله قد حمل عنه عامة أمره وان

هنيأ لك الجنة فامر شمر غلاما اسمه رستم فضرب رأسها بالعمود فماتت مكانها وحمل شمر حتى بلغ فسطاط الحسين ونادى علي بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله فصاحت النساء وخرجن وصاح به الحسين أنت تحرق بيتي على أهلي أحرقك الله بالنار فقال حميد بن مسلم لشمر ان هذا لا يصلح تعذب بعذاب الله وتقتل الولدان والنساء والله ان في قتل الرجال لما يرضى به أميرك فلم يقبل منه فجاءه شبث بن ربعي فنهاه فانتهى وذهب لينصرف فحمل عليه زهير بن القين في عشرة فكشفهم عن البيوت وقتلوا أبا عزة الضبابي وكان من أصحاب شمر وعطف الناس عليهم فكثروهم وكانوا اذا قتل منهم الرجل والرجلان يبين فيهم لقاتلهم واذا قتل في أوائل لا يبين فيهم لكثرتهم ولما حضر وقت الصلاة قال أبو ثمامة الصائدي للحسين نفسي لنفسك الفداء أرى هؤلاء قد اقتربوا منك والله لا تقتل حتى أقتل دونك وأحب ان ألقى ربي وقد صليت هذه الصلاة فرفع الحسين رأسه وقال ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين نعم هذا أول وقتها ثم قال سلوهم ان يكفوا عنا حتى نصلي فصلوا فقال لهم الحصين انها لا تقبل فقال له حبيب بن مظهر زعمت لا تقبل الصلاة من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقبل منك يا حمار فحمل عليه الحصين وحرج اليه حبيب فضرب وجه فرسه بالسيف فشب فسقط عنه الحصين فاستنقذه أصحابه وقاتل حبيب قتالا شديدا فقتل رجلا من بني تميم اسمه بديل بن سريم وحمل عليه آخر من تميم فطعنه فذهب ليقوم فضربه الحصين على رأسه بالسيف فوقع ونزل اليه التميمي فاحتز رأسه فقال له الحصين انا شريكك في قتله فقال الآخر لا والله فقال له الحصين اعطنيه اعلقه في عنق فرسي كيما يرى الناس اني شركت في قتله ثم خذه وامض به الى ابن زياد فلا حاجة لي فيما تعطاه ففعل وحال به في الناس ثم دفعه اليه فلما رجعوا الى الكوفة أخذ الرأس وجعله في عنق فرسه ثم اقبل به الى ابن زياد في القصر وضرب به القاسم بن حبيب وقد راهق فاقبل مع الفارس لا يفارقه فارتاب به الرجل فسأله عن حاله فاخبره وطلب الرأس ليدفنه فقال ان الامير لا يرضى ان يدفن وأرجو ان يثيبني الامير فقال له لكن الله لا يثيبك الا سوأ الثواب ولم يزل يطلب غرة قاتل أبيه حتى كان زمان مصعب وغزا مصعب باخميرا دخل القاسم عسكره فاذا قاتل أبيه في فسطاطه وقد حمل عليه نصف النهار فقتله فلما قتل حبيب هند ذلك الحسين وقال عند ذلك احتسب حماة أصحابي وحمل الحر وزهير بن القين فقاتلا قتالا شديدا وكان اذا حمل أحدهما وغاص فيهم حمل الآخر حتى يخلصه فعلا ذلك ساعة ثم ان رجالة حملت على الحر بن يزيد فقتلته وقتل أبو ثمامة الصائدي ابن عم له كان عدوه ثم صلوا الظهر صلى بهم الحسين صلاة الخوف ثم اقتتلوا بعد الظهر فاشتد قتالهم ووصلوا الى الحسين فاستقدم الحنفي أمامه فاستهدف لهم يرمونه بالنبل وهو بين يديه حتى سقط وقاتل زهير بن القين قتالا شديدا فحمل عليه كثير بن عبد الله الشعبي ومهاجر بن أوس فقتلاه وكان نافع بن هلال البجلي قد كتب اسمه على فوق نبله وكانت مسمومة فقتل بها اثني عشر رجلا سوى من جرح فضرب حتى كسرت عضداه وأخذ أسيرا فاخذه شمر بن ذي الجوشن فاتى به عمر ابن سعد والدم على وجهه وهو يقول لقد قتلت منكم اثني عشر رجلا سوى من جرحت ولو بقيت لي عضد وساعد ما اسرتموني فانتضى شمر سيفه ليقتله فقال له نافع والله لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا فالحمد لله الذي جعل منايانا على يدي شرار خلقه فقتله شمر ثم حمل على أصحاب الحسين فلما رأوا أنهم قد كثروا وانهم لا يقدرون أن يمنعوا الحسين ولا انفسهم تنافسوا ان يقتلوا بين يديه فجاء عبد الله وعبد الرحمن ابنا عروة الغفاريان اليه فقالا قد حازنا الناس اليك

الزياد ابنة عمرو بن طريف
ابن حسان بن أذينة بن
السميدع ابن هو برملكة
الشام والجزيرة من أهل
بيت عاملة من العماليق
كانوا في سليح وقال بعضهم
بل كانت رومية وكانت
تتكلم بالعربية مدائنها
على شاطئ الفرات من
الجانب الشرقي والغربي
وهي اليوم خراب وكانت
فيما ذكر قد سقفت الفرات
وجعلت من فوقه أبنية
رومية وجعلته أنقابا بين
مدائنها وكانت تسدو
بالجنود خطبها جذيمة
الأبرش وكتبت اليه اني
فاعبد ومثلك من رغب
فيه فاذا شئت فاشخص
الي وكانت بكرا فجمع عند
ذلك جذيمة أصحابه
فاستشارهم فاشاروا عليه
بالمضي وخالفهم قصير بن
سعد تابع كان له من لخم
فامره أن لا يفعل ويكتب
اليها فان كانت صادقة
أصبت البك والا لم تقع في
حبالها فعصاه واطاعهم
حتى اذا كان بشبيكة من
دون هيت الى الانبار
جمعهم وشاورهم فامروه
بالشخوص اليها لما علموا
من رأيه في ذلك وقال قصير
تنصرف ودمك في
وجهك فقال جذيمة بئسما
قضى الامر فارسلها مثلا

فجعلا يقاتلان بين يديه واتاه الفتيان الجابريان وهما سيف بن الحرث بن سريع ومالك بن عبد بن سريع وهما بنا عم واخوان لام وهما يبكيان فقال لهما اما يبكيكما فاني لارجو أن تكونوا عن ساعة تسران بها عيني فقالا والله ما على أنفسنا نبكي ولكن نبكي عليك نراك قد أحيط بك ولا نقدر أن نمنعك فقال جزاكما الله جزاء المتقين وجاء حنظلة بن اسعد الشبامي فوقف بين يدي الحسين وجعل ينادي يا قوم اني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد يا قوم اني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد يا قوم لا تقتلوا الحسين فيسحتكم الله بعذاب وقد خاب من افترى فقال له الحسين رحمك الله انهم قد استوجبوا العذاب حين ردّوا ما دعوتهم اليه من الحق ونهضوا لي بسببه فكيف بهم الآن وقد قتلوا اخوانك الصالحين وسلم على الحسين وصلى عليه وعلى أهل بيته وتقدم وقاتل حتى قتل وتقدم النعمان الجابريان فودعا الحسين وقاتلا حتى قتلا وجاء عابس بن أبي شبيب الشاكري وشوذب مولى شاكر الى الحسين وسلما عليه وتقدما فقاتلا فقتل شوذب وتشاغل عابس وطلب البراز فحمل الناس لشجاعته وقال لهم عمر ارموه بالحجارة فرموه من كل جانب فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفره وحمل على الناس فهزمهم بين يديه ثم رجعوا عليه فقتلوه وتداعى قتله جماعة وبلغ الصلت بن عبد الله المحربي الى الحسين وقال يا ابن رسول الله قد علمت اني قاتلت أشد القتال وأفضله ولم أر مقاتلا قاتل كقتالي ولا رأيت حملا من الابطال كحملي وقد قتلت اثنى عشر فارسا سوى الرجالة فهل بقي شيء بعد هذا فقال له الحسين صدقت وكيف لك بالنجاة ان قدرت عليه فانت في حل قال فاني لا أفارقك حتى أقتل بين يديك فاذن له فحمل حملة منكرة فقتل عدة ثم رجع الى مكانه فقال له الحسين ما رأيت مثل حملتك ولا مثل كرتك ولا مثل ثباتك ولا مثل اقدامك فكيف نفسك عن القتل فقال هيهات هيهات ان نفسي لا تجود بالموت دون نفسك وقد عز علي أن لا أقدر على أن أفديك بنفسي وهذا سنان بن أنس النخعي قد أمكنني من عنانه فان شئت أن أكفك بقتله فعلت فقال له الحسين قد شئت فاحمل عليه فحمل عليه فطعنه فصرعه وقطع رأسه وأعطاه الحسين فرماه به وقال اقذفوا به اليهم فقذفوا به فوقع بين عساكرهم فركب العسكر بعضهم بعضا وقالوا ثكلتكم امهاتكم أتدرون من قتلتم قتلتم ابن ناشرة العظماء وفارس العرب الذي لا يقوم لفرسانه فارس فاحملوا عليهم حملة واحدة فحملوا عليهم من كل جانب فحمل عبد الله بن قطبة الطائي على عون بن عبد الله بن جعفر فقتله وحمل عثمان بن خالد

وقد قصر بن سعد حين رآه قد عرقب الجياد فصير اعرقوا رسله مثلا وطعن حجيته حتى ثناه عن مدينته وهي عكاظ دون الحوفة وسفر لي الكاتب دوم فوالله ما رآني وقال أي قصيرة لرأي وقال قصيرة في تركك الرأي بعقبه فقال عدد ذنبك أشر على مثال لقيت لبيك لبيك خيفتك نجيبة بابك ونصرة أمامك فالرأة صادقة وان هم أحدثوا بخيبتك ووقعوا دونك فانقوم منعطفون عليك فيما بيننا وبين جنودهم فركب العصا فقال لا تدرك ولا تسبق يعني فرسا كانت حبيبة معه فاستقبله القوم وأحاطوا به فلم يركب العصا فعقروها قصيرة فركبها وحمل واطلق فالتفت جديه فقد هو بالعصا عليها قصيرة أمام خيلهم حتى توارت به فقال حذيفة ما أصل من تجري به العصا فادخل على ازياله فاستقبلته وقد كشفت عركة عثمانها (أي عملها) وتشعثت باستها وقالت ياحذيفة أي متاع عروس ترى قال أرى متاع أمة لكماء منبرات خفر فقالت أما والله ما ذاك من عدم

ابن أسير الجهني و بشر بن سوط الهمداني على عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب فقتلاه ورمى عبد الله بن عروة الخثعمي جعفر بن عقيل فقتله ثم حمل القاسم بن الحسن بن علي و بيده السيف فحمل عليه عمرو بن سعد بن نفيل الازدي فضربه بالسيف فسقط القاسم الى الارض لوجهه وقال ياعماه فانقض الحسين اليه كالصقر ثم شد شدة ليث اغضب فضرب عمرا بالسيف فاتقاه بساعده فقطع يده من المرفق وصاح وحملت خيل الكوفة ليستنقذوا عمرا فاستقبلته بصدورها وجالت عليه فوطئته حتى مات وانجلت العبرة والحسين واقف على رأس القاسم وهو يفحص برجليه والحسين يقول بعدا لقوم قتلوك ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدك ثم قال عز والله على عمك ان تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك ثم لا ينفعك صوته والله هذا يوم كثر واتره وقل ناصره ثم احتمله على صدره حتى القاه مع ابنه علي ومن قتل معه من أهل بيته ومكث الحسين طويلا من النهار كلما انتهى اليه رجل من الناس رجع عنه وكره ان يتولى قتله وعظم اثمه ثم ان رجلا من كندة يقال له مالك بن النسير أتاه فضربه على رأسه بالسيف فقطع البرنس وادمى رأسه وامتلأ البرنس دما فقال له الحسين لا أكلت بها ولا شربت وحشرك الله مع الظالمين والقى البرنس ولبس القلنسوة واخذ الكندي البرنس فلما قدم على أهله أخذ البرنس يغسل الدم عنه فقالت له امرأته أسلب ابن رسول الله تدخل بيتي أخرجه عني قال فلم يزل ذلك الرجل فقيرا بشر حتى مات ودعا الحسين بابنه عبد الله وهو صغير فاجلسه في حجره فرماه رجل من بني أسد فذبحه فاخذ الحسين دمه فصبه في الارض ثم قال رب ان تكن حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير وانتقم من هؤلاء الظالمين ورمى عبد الله بن عقبة الغنوي أبا بكر بن الحسين بن علي بسهم فقتله وقال العباس بن علي لاخوته من أمه عبد الله وجعفر وعثمان تقدموا حتى أرثكم فانه لا ولد لكم ففعلوا فقتلوا وحمل هانئ بن ثبيت الحضرمي على عبد الله بن علي فقتله ثم حمل على جعفر ابن علي فقتله ورمى خولي بن يزيد الاصبحي عثمان بن علي ثم حمل عليه رجل من بني أبان بن دارم وقتله وجاء برأسه ورمى رجل من بني أبان أيضا محمد بن علي بن أبي طالب فقتله وجاء برأسه وخرج غلام من خباء من تلك الاخبية فاخذ بعود من عيدانه وهو ينظر كأنه مذعور فحمل عليه رجل قيل انه هانئ بن ثبيت الحضرمي وقتله واشتد عطش الحسين فدنا من الفرات ليشرب فرماه حصين بن غير بسهم فوقع في فيه فجعل يتلقى الدم بيده ورمى به الى السماء ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال اللهم اني اشكو اليك ما يصنع بابن بنت نبيك اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا وقيل الذي رماه رجل من بني أبان بن دارم فمكث ذلك الرجل يسيرا ثم صب الله عليه الظمأ فجعل لا يروى فكان يروح عنه و يبرد له الماء فيه السكر وعساس فيها اللبن و يقول اسقوني فيعطى القلة أو العس فيشربه فاذا شربه اصطخ هنيهة ثم يقول اسقوني قتلني الظمأ فما لبث الا يسيرا حتى انفتق بطنه انفتاق بطن البعير ثم ان شمر بن ذي الجوشن أقبل في نفر نحو عشرة من رجالهم نحو منزل الحسين فحالوا بينه و بين رحله فقال لهم الحسين ويلكم ان لم يكن لكم دين ولا تخافون يوم المعاد فكونوا احرارا ذوي احساب امنعوا رحلي وأهلي من طغاتكم وجهالكم فقالوا ذلك لك يا ابن فاطمة واقدم عليه شمر برجاله منهم أبو الجنوب واسمه عبد الرحمن الجعفي والقشعم بن بذير الجعفي وصالح بن وهب اليزني وسنان بن أنس النخعي وخولي بن يزيد الاصبحي وجعل شمر يحرضهم على الحسين وهو يحمل عليهم فينكشفون عنه ثم انهم أحاطوا به واقبل الى الحسين غلام من أهله فقام الى جنبه وقد أهوى بحر بن كعب بن تيم الله بن ثعلبة الى الحسين

مواس ولا قلة اواس ولكن شيمة ماس ثم أجلسته على نطع ودعت له بطست من عسجد فقطعت رواهشه واستنزفته حتى اذا اصفقت قواه ضرب بيده فقطرت قطره على دعامة من رخام وقد قيل لها انه ان وقع من دمه قطرة في غير طست طلب بدمه لقالت أي جذيم لا تضيعن من دمك شيأ فاني انما عثت اليك لانه بلغني أن دمك شفاء من الحبل فقال جذيمة وما يغنيك من دم اضاعه أهله وفي ذلك يقول المغيث من الدارميين الذين دماؤهم شفاء من الداء المحبة والحبل واستصفت دمه و جعلته في برنية وقال بعضهم دخل عليها جذيمة في مصر لها لبس فيه الا الجواري وهي على سريرها فقالت للدماء خذن بيد سيدكن ثم دعت بنطع فاجلسته عليه فعرف الشر وكشفت عن عورتها فاذا هي قد عقدت شعر استها من وراء فقالت أشوار عروس ترى فقال بل شوار أمة بنرا فقالت أما والله ماذاك من عدم مواس ولا من قلة أواس ولكنها شيمة ما أناس ثم أمرت برواهشه فقطعت فجعلت دمه

بالسيف فقال الغلام يا أبتاه الحقني أقتل عمي فضربه بالسيف فاتقاه الغلام بيده فاطنها الى الجلد وأدى الغلام يا أمتاه فاعتنقه الحسين وقال له يا ابن أخي اصبر على ما نزل بك فان الله يلحقك بآبائك الطاهرين الصالحين برسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وحمزة وجعفر والحسن وقال الحسين اللهم امسك عنهم قطر السماء وامنعهم بركات الارض اللهم فان متعتهم الى حين ففرقهم فرقا واجعلهم طرائق قددا ولا ترض عنهم الولاة أبدا فانهم دعونا لينصرونا فعدوا علينا فسلبونا ثم صارت الرجالة حتى اكتنفوا عسكر الحسين في ثلاثة أو اربعة دعا سراويل وعمر وكانت الخيل لا يسلمه فقال له عمر لو لبست تحته لثيابك قال ذلك ثوب مدلة ولا ينبغي ان اسلبه فما زال يسلبه تحريرا حتى كعب وكانت يداه في الشتاء تصطكان بالماء وفي الصيف يبيضان

ثم ان عمرو حمل الناس عليه من يمينه وشماله فحمل على الذين عن يمينه وعن شماله حتى فرقهم عن يساره فتفرقوا يمينا وشمالا وشد مكنوف قد قتل وجه وأهل بيته وأصحابه ارتط حتى شاء منه ولا أمضى حتى ولا جرأ مقدما منه ان كان ارجاله ليتكشف عن يمينه وشماله تكشاف المعزى اذا شد عليها الذئب فيما هو كذلك اذ حرجت زينب وهي تقول ليت السماء اطبقت على الارض وليت الجبال دكدكت على السهل فقال عمر بن سعد قاتلك أبو عبد الله وأنت مطرقة دمعت عيناه حتى سالت دموعه على خديه يلحسه ويصرف وجهه عنها وكان على الحسين حنة من خز وكان معتما محصورا بالوتد عمه وقد حملا فقال الفارس لشجاع تقي لمته وينهض العورة ويشد على الخيل وهو يقول لي لي تحمعون أما والله لا تملكون بعدي عباد الله الا خطا قليلا لقتلة مني والله لا يرضى الله بقتلكم بي ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون أما والله لو قتلوني لا في الله أسلمكم بيدي وسفك دمائكم ثم لا يرضى بذلك مني حتى يضاعف لكم العذاب الاليم فيما ركبتم مني ولما من أمر لو شاء الله لم يقتلوه لسلوبه ولكنهم كان يقتل بعضهم بعضا ويحب دنوا لما من يكبهم هوذه مساوي ثمرق الناس وتحكم ما دامت تفطرون بالرجل اقتلوه فان كم سواكم فاحملوا عليه من كل جانب فضرب زرعة بن شريك التميمي على كتفه اليسرى فضرب يضاعلى عاتقه فاصرفوا عنه وهو يومئذ ويكبو ويحمل عليه في تلك الحال سنان بن أنس النخعي فطعنه بالرمح فوقع وقال لخولي بن يزيد الاصبحي احتز رأسه فاراد أن يفعل فضعف وارعد فقال له سنان فت الله عضدك ونزل اليه وذبحه واحتز رأسه ودفعه الى خولي وسلب الحسين ما كان عليه فاخذ سراويله تحرير كعب وأخذ قيس بن الاشعث قطيفته وهي من خز وكان يسمى بعد قيس قطيفة واخذ نعليه الاسود الاودي وأخذ سيفه رجل من دارم ومال الناس على الثقل والخيل والابل فانتهبوها وهربوا فلم ومتاعه وما على النساء حتى ان كانت المرأة لتنزع ثوب المرأة من ظهرها فيوجد منها ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة غير رميه وأما سويد بن المطاع وكان قد صرع يوم بين القتلى مثخنا بالجراحات فسمعهم يقولون قتل الحسين فوجد خفة فوثب ومعه سكين وكان سيفه قد أخذ فقاتلهم بسكينه ساعة ثم قتل قتله رجل من بني التغلبي وريد بن رقاد الجرمي وكان آخر من قتل من أصحاب الحسين ثم انتهوا الى علي بن الحسين وهو العابد فاراد شمر قتله فقال له حميد بن مسلم سبحان الله أتقتل الصبيان وكان مريضا وعمر بن سعد قال لا يمس أحد هذا النساء أحد ولا يعرض لهذا الغلام المريض من حسبهم متاعهم شيئا فلم يعرض له أحد بشيء وقال الناس لسنان بن أنس النخعي قتلت الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلت أعظم العرب خطرا أرد بل

ملك هؤلاء فانت امرأة فاطلب ثوابك منهم فانهم لو أعطوك ثمن أموالهم فى قتله كان قليلا
فاقبل على فرسه وكان شجاعا شاعرا فقال لوثة حتى وقف على باب فسطاط عمر بن سعد ثم نادى بأعلى
صوته

أوقر ركابى فضة وذهبا * انى قتلت السيد المحجبا
قتلت خير الناس أما وأبا * وخيرهم اذ ينسبون نسبا

فقال عمر بن سعد اشهدوا أنه مجنون أدخلوه على فلما دخل وحده بالسيف وقال يا مجنون أتتكلم
بهذا الكلام والله لو سمعك ابن زياد لضرب عنقك وأخذ عمر بن سعد عقيبة بن عمران مولى الرباب
ابنة امرئ القيس الكلبية امرأة الحسين وقال ما أنت قال انا عبد مملوك فخلى سبيله فلم يجئ منهم
غيره وغير المرقع بن ثمامة الاسدى وكان ينشر له فقاتل فجاء مرض قومه فاصيب فخرج اليهم
فلما أحسوا برأسه رجعوه فعاد الى الرابع ثم نادى عمر بن سعد فى أصحابه من ينتدب الى الحسين
فيوطئه فرسه فانتدب عشرة منهم اسحق بن حيوة الحضرمى وهو الذى سلب قميص الحسين
ومرض بعد فاوقد اسوا الحسين بخيولهم حتى رضوا ظهره وصدره وكان عدة من قتل من أصحاب
الحسين اثنين وسبعين رجلا دون الحسين وأصحابه أهل العالية من بنى أسد بعد قتلهم يوم
وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلا سوى الجرحى فصلى عليهم عمر ودفنهم ولما
قتل الحسين أرسل رأسه ورؤس أصحابه الى ابن زياد مع حولى بن يزيد وحميد بن مسلم الازدى
فوجد حولى القصر مغلقا فاتى منزله ووضع الرأس تحت اجانة فى منزله ودخل فراشه وقال لامرأته
النوار حشيت منى لدهر هذا رأس الحسين معك فى الدار وقالت ويلك جاء الناس بالذهب
والفضة وجئت برأس ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يجمع رأسى ورأسك بيت أبدا
وقامت من الفراش فخرجت الى الدار فقالت فخارات أظن الى يوم يسطع مثل العمود من السماء
الى الاجانة ورأت طيرا أبيض يرفرف حولها فلما أصبح نادى بالرأس الى ابن زياد وقيل بل الذى
حمل الرؤس كان شمر وقيس بن الاشعث وعمرو بن الحجاج وعروة بن قيس فحمل ابن زياد واذن
للناس فاحضرت الرؤس بين يديه وهو يمكث قضيب بين ثنيتيه ساعة فلما رآه زيد بن الارقم
لا يرفع قضيبه قال أعل هذا القضيب عن هاتين الثنيتين فوالذى لا اله غيره لقد رأيت شفتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم على هاتين الشفتين يقبلهما ثم بكى فقال له ابن زياد أبكى الله عينيك
فوالله لولا انك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك فخرج وهو يقول أنتم يا معشر العرب
العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وتؤمرون ابن مرجانة فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم
فرضيتم بالذل فبعدا لمن رضى بالذل فاقام عمر بعد قتله يومين ثم ارتحل الى الكوفة وحمل معه بنات
الحسين واخواته ومن كان معه من الصبيان وعلى بن الحسين مريض فاختاروا لهم على الحسين
وأصحابه صريعى نصاح النساء ولطمن خدودهن وصاحت زينب أخته يا محمداه صلى عليك
ملائكة السماء هذا الحسين بالعراء مرمل بالدماء مقطع الاعضاء وبناتك سبايا وذريتك
مقتلة تسفى عليها الصبا فبكت كل عدو وصديق فلما أدخلوهم على ابن زياد لبست زينب أرذل
ثيابها وتنكرت وحفت بها اماؤها فقال عبيد الله من هذه الجالسة فلم تكلمه فقال ذلك ثلاثا
وهى لا تكلمه فقال بعض اماؤها هذه زينب بنت فاطمة فقال لها ابن زياد الحمد لله الذى فضحكم
وقتلكم واكذب احدوثتكم فقالت الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد وطهرنا بطهيره لا كما تقول وانما
يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر قال وكيف رأيت صنع الله باهل بيتك قالت كتب عليهم القتل
فبرزوا الى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتختصمون عنده فغضب ابن زياد وقال قد شفى

حتى جدع عمرو أنفى
وأذنى فعرفت أنى لا أكون
مع أحدهما أثقل عليه منى
معك فقالت أى قصير نقبل
مبرتك وتصرفت فى
رضائعنا فاعطته مالا
للتجارة فابى بيت مال
الحيرة فاستخف ما فيه
بأمر عمرو بن عدى
وانصرف به اليها فلما رأت
ما جاء هابه فرحت بذلك
وراداته مالا الى ما جاء به
وقال انه ليس من ملك
الا وهم يحدون فى
مدائنهم أنقابا تكون لهم
عددا فقالت له أما انى قد
علمت ذلك قد نقبت سربا
وبيته من تحت سريرى
هذا حتى خرج من تحت
السرات الى سرير حتى
دخله ففرح بذلك قصير ثم
طمن حتى أتى عمرا فركب
عمرو وألف رجل على
آلاف بعير فى الصناديق
حتى صار اليها فقدم قصير
وسبق الاثبرة فقال لها
اصعدى حائط مدينتك
وانظرى الى مالك وتقدمى
الى بوابك فلا يتعرض
لشئ من أموالنا فانى قد
جئت بمال صامت وكانت
قد أمنته فلم تكن تخافه
وصعدت وعلمت ما أمرها
فلما نظرت الى ثقل مشى
الجمال قالت

الله عبطي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك فبكت وقالت لعمري لقد قتلت كهلي وأبرت أهلي وقطعت فرعي واجتثثت أصلي فان يشفك هذا فقد اشتفيت فقال لها هذه شجاعة لعمري لقد كان أبوك شجاعا فقالت ما للمرأة والشجاعة ولما نظر ابن زياد الى علي بن الحسين قال ما اسمك قال علي بن الحسين قال أولم يقتل الله علي بن الحسين فسكت فقال مالك لا تتكلم قال كان لي أخ يقال له أيضا علي فقتله الناس فقال ان الله قتله فسكت علي فقال مالك لا تتكلم فقال الله يتوفى الأنفس حين موتها وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله قال أنت والله منهم ثم قال لرجل ويحك انظر هذا هل أدرك اني لأحسبه رجلا قال فكشف عنه مري بن معاذ الأحمري فقال نعم قد أدرك قال اقتله فقال علي من يوكل بهذه النسوة وتعلقت به زينب فقالت يا ابن زياد حسبك منا أما رويت من دمائنا وهل أبقيت منا أحدا واعتنقته وقالت أسألك بالله ان كنت مؤمنا ان قتلته لما قتلتني معه فقال له علي يا ابن زياد ان كانت بينك وبينهن قرابة فابعث معهن رجلا تقيا يصحبهن بصحبة الاسلام فنظر اليها ساعة ثم قال عجبا للرحم والله اني لأظنها ودت لو أني قتلته أني قتلتها معه دعوا الغلام ينطلق مع نسائه ثم نادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس وصعد المنبر فخطبهم وقال الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي وشيعته فوثب اليه عبد الله بن عفيف الأزدي ثم الوالبي وكان ضريرا قد ذهبت احدى عينيه يوم الجمل مع علي والأخرى بصفين معه أيضا وكان لا يفارق المسجد يصلي فيه الى الليل ثم ينصرف فلما سمع مقالة ابن زياد قال يا ابن مرجانة ان الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه يا ابن مرجانة أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين فقال علي به فجاؤوه فنادى بشعار الأزد يا مبرور فوثب اليه فتية من الأزد فانتزعوه فأرسل اليه من أتاه به فقتله وأمر بصلبه في السبخة فصلب رحمه الله وأمر ابن زياد برأس الحسين فطيف به في الكوفة وكان رأسه أول رأس حمل في الاسلام على خشبة في قول والصحيح ان أول رأس حمل في الاسلام رأس عمرو بن الحمق ثم أرسل ابن زياد رأس الحسين ورؤوس أصحابه مع زحر بن قيس الى الشام الى يزيد ومعه جماعة وقيل مع شمر وجماعة معه وأرسل معه النساء والصبيان وفيهم علي بن الحسين قد جعل ابن زياد الغل في يديه ورقبته وحملهم على الأقتاب فلم يكلمهم علي بن الحسين في الطريق حتى بلغوا الشام ودخل زحر بن قيس على يزيد فقال ما وراءك فقال أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره ورد علينا الحسين بن علي في ثمانية عشر من أهل بيته وستين من شيعته فسرنا اليهم فسألناهم ان ينزلوا على حكم الأمير عبيد الله أو القتال فاختاروا القتال فعدونا عليهم مع شروق الشمس فأحطنا بهم من كل ناحية حتى اذا أخذت السيوف مآخذها من هام القوم جعلوا يهربون الى غير وزر ويلوذون بالآكام والحفر لواذا كما لاذ الحمائم من صقر فوالله ما كان الا جزر جزور أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم فهاتيك أجسادهم مجردة وثيابهم مرملة وخدودهم معفرة تصهرهم الشمس وتسفي عليهم الريح زوارهم العقبان والرخم بقاع سبسب قال فدمعت عينا يزيد وقال كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن سمية أما والله لو أني صاحبه لعفوت عنه فرحم الله الحسين ولم يصله بشيء وقيل ان آل الحسين لما وصلوا الى الكوفة حبسهم ابن زياد وأرسل الى يزيد بالخبر فبينما هم في الحبس اذ سقط عليهم حجر فيه كتاب مربوط وفيه ان البريد سار بأمركم الى يزيد فيصل يوم كذا ويعود يوم كذا فان سمعتم التكبير فأيقنوا بالقتل وان لم تسمعوا تكبيرا فهو الأمان فلما كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة اذا حجر قد ألقي فيه

ما للجمال مشيها وئيدا
أجندلا يحملن أم حديدا
أم صرفانا باردا شديدا
أم الرجال جثما قعودا

ودخلت الابل المدينة حتى اذا كان آخرها جملا عيل صبر بوابها فطعن بمنخسة كانت في يده خاصرة رجل فضرط فقال البواب بشا بشا بالسطية أي في الجوالق شر وثار الرجال من الجوالق شاهرين بأسيافهم وخرجت الزباء هاربة الى سربها فأبصرت قصيرا عند نفقها فمصت خاتما سمه فأبصرت رامة وتناهبها عمرو بن عدي فضربها وقيل مصت سما فماتت وقالت بيدي لا بيد عمرو وخربت المدينة وسبيت الذراري فقالت الشعراء في أمرها وأمر قصير فأكثرت من ذلك قول المتلمس

ومن طلب الأوتار ما حز أنفه
قصير ورام الموت بالسيف بيهس
نعامة لما صرع القوم رهطه
تبين في أثوابه كيف يلبس

ومن ذلك قول عدي بن زيد التميمي يصف ذلك من أمرهم

كتاب

كتاب يقول فيه أوصوا اعهدوا فقد قارب وصول البريد ثم جاء البريد بالكتاب فدفعه الى يزيد فلما قرأه قال لرسوله ما وراءك فقال ما سرك يا أمير المؤمنين فتح الله عليك بالفتح المبين قتل حسين بن علي وأصحابه فقتله عبيد الله بن زياد ومحفر بن ثعلبة وشمر بن ذي الجوشن وسيرهما بالثقل والرأس فلما وصلوا الى دمشق نادى محفر بن ثعلبة على باب يزيد جئناك برأس أحمق الناس وألأمهم فقال يزيد ما ولدت أم محفر ألأم وأحمق منه ولكنه قاطع ظالم ثم دخلوا على يزيد فوضعوا الرأس بين يديه وحدثوه فسمعت الحديث هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز وكانت تحت يزيد فتقنعت ثوبها وخرجت فقالت يا أمير المؤمنين أرأس الحسين بن علي ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فما عولت عليه وحدي على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبعة قريش تحل عليه ابن زياد فقتله قتله الله ثم أذن للناس فدخلوا عليه والرأس بين يديه ومعه قضيب وهو ينكت به ثغره ثم قال ابن هذا وإيانا كما قال الحصين بن الحمام

أبى قومنا أن ينصفونا فانصفت * قواضب في أيماننا تقطر الدما

يفلقن هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فقال له أبو برزة الاسلمي اتنكت بقضيبك في ثغر الحسين اما لقد أخذ قضيبك من ثغره ما أخذ الرحمن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشفه اما انك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك وتجيء هذا ومحمد شفيعه ثم قام وولى وقال يزيد والله يا حسين لو كنت أنا صاحبك ما قتلتك ثم قال اتدرون من أين أبي هذا قال أبي علي خير من أبيه وفاطمة أمي خير من أمه وجدي رسول الله خير من جده وأنا خير منه وأحق بهذا الامر منه فأما قوله أبوه خير من أبي فقد تحاج أبي وأبوه الى الله وعلم الناس أيهما حكم له وأما قوله أمي خير من أمه فلعمري فاطمة بنت رسول الله خير من مي وأما قوله جدي رسول الله خير من جده فلعمري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله فيما عدلا ولا بد ولكنه انما أتي من قبل فقهه ولم تقرأ قل اللهم مالك الملك ثم ادخل نساء الحسين عليه والرأس بين يديه فجعلت فاطمة وسكينة ابنتا الحسين تطلعان لتنظرا الى الرأس وجعل يزيد يتطاول ليستر عنهما الرأس فلما رأين الرأس صحن فصاح نساء يزيد وولولت بنات معاوية فقالت فاطمة بنت الحسين وكانت أكبر من سكينة ابنات رسول الله سبايا يا يزيد فقال يا بنية أحي ابن هذا كنت أكره قالت والله ما ترك لنا حرص فقال ما أتى اليكن أعظم مما أخذ منكن وقام رجل من أهل الشام فقال هب لي هذه يعني فاطمة فاحدت بثياب أختها زينب وكانت أكبر منها فقالت زينب كذبت ولؤمت ما ذلك لك ولا له فغضب يزيد وقال كذبت والله ان ذلك لي ولو شئت ان أفعله لفعلته قالت كلا والله ما جعل الله لك ذلك الا ان تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا فغضب يزيد واستطار ثم قال اياي تستقبلين بهذا انما خرج من الدين أبوك وأخوك قالت بدين الله ودين أبي وأخي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدك قال كذبت يا عدوة الله قالت أنت أميرشتم ظالم وتقهر بسلطانك فاستحيى وسكت ثم ارتجز وأدخل دوير يزيد فلم تبق امرأة من آل يزيد الا انتهبن واقمن المأتم وسألهن عما أخذ منهن فاصعقه لهن فكانت سكينة تقول ما رأيت كافرا بالله خيرا من يزيد بن معاوية ثم أمر بعلي بن الحسين فادخل مغلولا فقال لو رآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم معلولين لعلك عنا قال صدقت وأمر بفك غله عنه فقال علي لو رآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعداه لاحب ان يقربنا فامر به فقرب منه فقال له يزيد اياه يا علي بن الحسين أبوك الذي قطع رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني فصنع الله به ما رأيت فقال علي ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم

الا يا ايها الملك المرجى
ألم تسمع بخطب الاوليا
دعا بالثقبة الامراء وسا
جديعة عصره ينجو معينا
وطاوع امرهم وعصى قصيرا
وكان يقول لو وقع اليقينا
لخطبته التي غدرت وخانت
وهن دوات غائلة لحينا
مع أشعار كثيرة قيلت في ذلك وكانت الزباء لا تأتي حصنا الا صعرت شعراتها من حالقه ثم تقاعست فتقتحمه حتى فعلت ذلك بعارد حصن دومة الجندل وبالابلق حصن تيماء العرد حصنين صيعين فقالت تمرد مارد وعز الابلق وعما الحصنان اللذان تذكرهما العرب في أشعارها قال الاعشى في ذلك
بالابلق العرد من تيماء منزله
حصن حصين وجار غير غدار
وجديعة الوصاح الذي يقول فيه
ماست مودعة الحديد
ث فجدعهم وغادر
أن تاه أحور دور عير
س لما أحوى دوأباعر
والملك كان لذي وا
س حوله من ذي بحاثر
بالسابقات وبالسنا
والبيض تبرق والمعاور
أزمان عملاق وفيه
هم منهم وباد وحاضر

والله لا تحب كل محتال فخور وقال يريد وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ثم سكت عنه وأمر برأسه وأقبل يسألني دارى لي حده وكان يريد لا يتعدى ولا يتعشى الا دعا عليا اليه فدعاه ذات يوم فصعد عمرو بن الحسين وهو غلام صغير فقال لعمرو قاتل هذا يعني عليا الذي يريد فقال عمرو لعلي سكينة واحمله سكينا حتى أقتله فحمله يريد اليه فوثب فشمه أعرض عنه أما ترحم هل تلد الحية الا حية وقيل لما وصل رأس الحسين الى يزيد حسنت له ام زياد عبيد الله وزاده ووصله وسره ما فعل ثم لم يلبث الا يسيرا حتى بلغه بعض الناس لعنهم الله وسبهم وندم على قتل الحسين وكان يقول وما علي لو حبست لدارى وآراب الحسين حتى يرى دارى وحكمته فيما يريد وان كان علي في ذلك وهن في سلطاني حفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ورعاية حقه وقرابته لعن الله ابن مرجانة فانه اضطره وقد سأله ان يضع يده في يدي ويلحق ثم حتى يتوفاه الله فلم يجبه الى ذلك فقتله وبغضي بقتله الى المسلمين وزرع في قلوبهم العداوة فالبصري البر والفاجر مما استعظموه من قتل الحسين مالي ولابن مرجانة لعنه الله وغضب عليه ولما أراد ان يسيرهم الى المدينة أمر يزيد لنعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم وسيرهم معه في جيش أهل الشام وسهل تسييرهم الى المدينة ودعا عليا فقال سل حاجتك لا قضى الله لك حاجة أما والله لولا صاحبه ما سألني حاجة الا أعطيته اياها ولدفعت الخاتم عند كل حاجة استطعت ولو هلك نفسي واهلي ولكن قضى الله ما رأيت يا بني كاتبني ما أحببت فكتب له أن يوصي بهم الى رسول خرج بهم وبمن تبعهم من نسائهم الا كوبون امامه حيث لا يرونه ولا يرونهم وأحدقوا بهم كانوا حولهم كهيئة الحرس وكان يسألهم عن حاجتهم ويعرضها عليهم حتى دخلوا المدينة فلما بلغت ذا الحلية بلغت على الاحتراب فلما أحس هذا الرجل بذلك قال ما بقي بيننا وبين المدينة الا ليلة واحدة ثم أصبح فقال والله ما هم الا نصلي به الاحساء فخرجت اسوارين يرتجزان فلما سمعهما قال ما هذا قالوا ابنا عمرتنا ردا الجيش وقال لو كان لي صنعت المدينة بالكاني هذا ما يرضيني ولكن والله ما قتلته الا الله ولعمري لتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع الحسين عمرو بن بنت عمرو بن القيس وهي أم ابنة سكينة وحملت الى الشام فيمن حمل من أهله ثم عادت الى المدينة فخطبها الاشراف من قريش فقالت ما كنت لأتخذ حما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تزل بعده سنة لم يسمها سيف بيت حتى بليت وماتت كذا وقيل انها أقامت على قبره سنة وعادت الى المدينة فمات أسد عليه أرسل عبيد الله بن زياد صندلا الى المدينة بقتل الحسين فلقيه عمرو بن سعيد فلقيه رجل من قريش فقال ما الخبر قال الخبر عند الامير وقال القرشي ابالله والله لا يفرحون بقتل الحسين ودخل البشير على عمرو بن سعيد فقال ما وراءك قال ما سر الامير قتل الحسين بن علي فقتل قتل قتله فنادى فصاح نساء بني هاشم وخرجت ام كلثوم بنت عقيل بن أبي طالب ومعها نساؤها حاسرة تلوي ثوبها وهي تقول

ما ذا تقولون ان قال النبي لكم * ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم
بعترتي وباهلي بعد مفتقدي * منهم اساري ومنهم ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم * ان تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

فلما سمع عمرو أصواتهن صاح وقال

صاح ساء بني زياد صيحة * كصيحة نسوته اغداة الاربب

والاربب وهو كانت لبني زيد على بني زياد من بني الحرث بن كعب وهذا البيت لعمرو بن معديكرب ثم قال عمرو ناعية كناية عثمان ثم صعد المنبر فاعلم الناس قتله ولما بلغ عبد الله بن

وعباسي حبة لا رض الوصاح لانه كان به مرض وكني به اعطاه له (من المسعودي) هذا ما ذكر من حي عدي وقد تقدم ان منه عمر كانت سنه (ومن بعده) ومنه مرة القيس بن عمرو بن عدي ستين سنة (ومن بعده) عمرو امرئ القيس وهو محرق العرب حكم اربعا وعشرين سنة وكانت أمه مارية نبرة ثم ملك بعده ابنه عمرو من مرثد خمس وعشرين سنة وكانت أمه ضحيكة بنت سعد من مرثد ويقال من يزيد (ومن بعده) سعد بن مرثد حكم ثلاثين سنة وكانت أمه ذات القرون وهو سعد ذي القرون وكان ذا بأس شديد وثلاثين سنة وكانت أمه هند بنت الحرث من آل بكر (ومن بعده) المنذر بن سعد ذي القرون الاسود ابن المنذر ماء السماء ملك عشرين سنة وكانت أمه ماء السماء بنت عوف بن الحرث بن قاسط بن قصي بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار وانما سمت ماء السماء لحسنها وجمالها (ثم ملك) بعده عمرو بن المنذر أربعا وعشرين سنة وكانت أمه أخت عمرو بن عدي من آل نصر (ثم ملك)

جعفر قتل ابنيه مع الحسين دخل عليه بعض مواليه يعزيه والناس يعزونه فقال مولاه هذا ما التقيناه من الحسين عشية اس جعفر نعله وقال يا بن اللخناء للحسين تقتوا هذا والله لو شهدته لاحببت أن لا فارقه حتى أقتل معه والله انه لما حتى بنفسي منهما ويهون علي المصاب بهما انهما أصيبا مع أخي وابن عمي مواسيين له صابرين معه ثم قال ان لم تكن آسيت الحسين يدي فقد آساه ولدي ولما وفد أهل الكوفة برأس الى الشام ودخلوا مسجد دمشق أتاهم مروان بن الحكم فسألهم كيف صنعوا واخبروه وقام عنهم ثم أتاهم أخو يحيى بن الحكم فسألهم فاعادوا عليه الكلام فقال لحمتم بن محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة لئن أحامعكم على أمر أبدا ثم انصرف عنهم فلما دخلوا على يزيد قال يحيى بن الحكم

لهام بجنب الطف ادنى قرابة * من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل
سمية أمسى نسلها عدد الحصى * وليس لآل المصطفى اليوم من نسل

فضرب يزيد في صدره وقال اسكت فبكى وسمع بعض أهل المدينة ليلة قتل الحسين منادي ينادي

أيها القاتلون جهلا حسينا * أبشروا بالعذاب والتنكيل
كل أهل السماء يدعو عليكم * من نبي وملاك وقيل
قد لعنتم على لسان ابن داود * وموسى وصاحب الانجيل

ومكث الناس شهرين أو ثلاثة كأنما تطلع الحمرة بالدماء ساعة بعد طلوع الشمس حتى ترتفع قال رأس جالوت ذلك الزمان ما مررت ببكر بلاء لا وأنا أركض دابتي حتى أخلف المكان لا أكاد أتحدث اربي يقتل بذلك المكان وبكت أخاف فما قتل الحسين أمنت وبكت أشهرا ولا أركض قيل وكان عمر الحسين يوم قتل خمسا وخمسين سنة وقيل قتل وهو ابن احدى وستين وليس بشئ وكان قتله يوم عاشوراء سنة احدى وستين (بزيزن حصير بضم الباء الموحدة وفتح الزاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وآخره راء وحصير بالحاء والصاد المهملتين وثبيت بضم الثاء المثلثة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وآخره تاء مثناة من فوقها ومحرز بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد الراء المكسورة وآخره راء) وقال التيمي تيم مرة يرثي الحسين وأهله وكان صقعا الى بني هاشم

مررت على أبيات آل محمد * فلم أرها أمثالها يوم حلت
فلا يبعد الله الديار وأهلها * وان أصبحت من أهلها قد تحلت
وان قتيل الطف من آل هاشم * أذل رقاب المسلمين فذلت
وكانوا رجاء ثم أصبحوا رزية * لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
وعند غنى قطرة من دمائنا * سنحريهم يوما بحيث حلت
اذا افتقرت قيس جبرنا فقيرها * تقتلنا قيس اذا النعل زلت

﴿ذكر أسماء من قتل معه﴾

قال سليمان لما قتل الحسين ومن معه حملت رؤسهم الى ابن زياد فجاءت كندة بثلاثة عشر رأسا وصاحبهم قيس بن الاشعث وجاءت هوازن بعشرين رأسا وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن الضبابي وجاءت بنو تميم بسبعة عشر رأسا وجاءت بنو أسد بستة أرؤس وجاءت مذحج بسبعة أرؤس وجاء سائر الجيش بسبعة أرؤس فذلك سبعون رأسا وقتل الحسين وقتله سنان بن أنس النخعي لعنه الله وقتل العباس بن علي وأمه أم البنين بنت حزام قتله زيد بن داود الجنبي وحكيم بن

قابوس بن المنذر ثلاثين سنة وكانت أمه بنت الحارث من آل معاوية بن معدي كرب (وملك النعمان) ابن المنذر وهو الذي يقال له أبيت اللعنين وعشرين سنة وكانت أمه سلمى بنت ربيعة بن عطية من كلب (وذكر عدة من الاحباريين) أن النابغة استأذن على النعمان وما معه فقال له الحاجب ان الملك على شرابه قال فهو وقت الملك تقتله الاقذية وهو حسن للرجيق فان تخلق الجسد عن غير مواهمه فاتت قسيم ما وعدت قال له الحاجب مالي لا أراك تغني كما يغني الناس قال ويحك انما يغني المرء لنفسه أو لصاحب يشتري غنائه بماله وليس عندي واحد منهما قال الحاجب حاجتك عند النعمان قال النابغة وما حاجتي عنده قال الحاجب حاجتك عند النعمان قال النابغة هل لك ان أدلك على ما أقول لك قال وما هو قال تقول ان من يدرك وفاء الدرك بك وتاديتي من الشكر ما قد علمت فلما صار خالد الى بعض ما تبعثه موارد الشراب عليه نهض فاعترضه الحاجب فقال ليهنك التمام حادث النعيم قال وماذاك فاخبره الخبر

الطفيل السنى وقتل جعفر بن على وأمه أم البنين أيضا وقتل عبد الله بن على وأمه أم البنين أيضا وقتل عثمان بن على وأمه أم البنين أيضا ماه حولى بن يزيد بسهم فقتله وقتل محمد بن على وأمه أم ولد تدعى خولة بنت منظور الدارمية وقتل أبو بكر بن على وأمه ليلى بنت مسعود الدارمية وقتل فى مسجد وقتل لى بن الحسين بن على وأمه ليلى ابنة أبى مرة بن عروة الثقفى وأمه ميمونة ابنة أبى سفيان بن حرب قتله منقذ بن النعمان العبدى وقتل عبد الله بن الحسين بن على وأمه الرباب ابنة امرئ القيس الكلبى قتله هانئ بن ثبيت الحضرمى وقتل أبو بكر بن أخيه الحسن أيضا وأمه أم ولد قتله حرملة بن الكاهن رماه بسهم وقتل القاسم بن الحسن أيضا قتله سعد بن عمرو بن نفيل الازدى وقتل عون بن أبى جعفر بن أبى طالب وأمه جمانة بنت المسيب بن نجبة الفزارى قتله عبد الله بن قطنة الطائى وقتل محمد بن عبد الله بن جعفر وأمه الخوصاء بنت خصفة بن ثقيف بن قيس بن عيلان قتله عامر بن نهشل التيمى وقتل جعفر بن عقيل بن أبى طالب وأمه أم بنين ابنة الشقر بن الحصين قتله شمر بن ذى الجوشن الضبابى وقتل عبد الرحمن بن عقيل وأمه أم ولد قتله عثمان بن خالد الجهنى وقتل عبد الله بن عقيل وأمه أم ولد رماه عمرو بن صبيح الصيداوى بسهم فقتله وقتل مسلم بن عقيل بالكوفة وأمه أم ولد وقتل عبد الله بن مسلم بن عقيل وأمه رقية ابنة على بن أبى طالب قتله عمرو بن صبيح الصيداوى وقتل قتله مالك بن أسيد الحضرمى وقتل محمد بن أبى سعيد بن عقيل وأمه أم ولد قتله الغيط بن يسار الجهنى واسمه عمر الحسن بن الحسين بن على وأمه خولة بنت منظور بن زبان الفزارى واسمه عمر وعون الحسين وأمه أم ولد قتلا وقتل من الموالى الحسين قتله سليمان بن عوف الحضرمى وقتل مجمع مولى الحسين قتلا وقتل عبد الله بن مطر صبيح الحسين قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ليلة التى قتل فيها الحسين وبيده قارورة وهو يجمع فيها دما فقلت يا رسول الله ما هذا قال هذا دم الحسين وأصحابه أرفعها الى الله تعالى وصح ان عمر بن سعد لم يأذن فى قتل الحسين وقص رؤياه فوجد فقتل ذلك اليوم وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم أعطى أم سلمة ترابا من تربة الحسين حمله اليه جبريل وقال النبى صلى الله عليه وسلم لأم سلمة اذا صار هذا التراب دما فقد قتل الحسين فحفظت أم سلمة ذلك التراب فى قارورة عندها فلما قتل الحسين صار التراب دما فاعلمت الناس بقولها أيضا وهذا يستقيم على قول من يقول ان سلمة وفيت بعد الحسين بمدة ان زيادا قال لعمر بن سعد بعد عوده من قتل الحسين يا عمر اتنى بالكتاب الذى كتبته اليك فى قتل الحسين قال مضيت لامرك وضاع الكتاب قال لتجيئنى به قال فلما قال ذلك تركته والله يتمرأ على بخاتر قريش بالمدينة اعتذارا اليهن أما والله لقد نصحتك فى الحسين نصحا لو نصحتها أبى سعد بن أبى وقاص لكنت قد أديت حقه فقال عثمان ابن زياد اخو عبيد الله صدق والله لوددت انه ليس من بنى زياد رجل الا وفى انفه خزامه الى يوم القيامة وان الحسين لم يقتل فلما ذكر ذلك عبيد الله بن زياد آخر (المقتل)

﴿ذكر مقتل أبى بلال مرداس بن جدير الحنظلى﴾

وقد تقدم ذكر سبب خروجه ونوجيه عبيد الله بن زياد العساكر اليه فى الوى رحل فالتقاهم بآسك وعبر به عسكر ابن زياد فلما رآهم هرب أبو بلال وبلغ ذلك ابن زياد أرسل اليه ثلاثة آلاف عليهم عباد بن الاحضر والاحضر روح أمه نسب اليه وهو عباد بن علقمة بن عباد التميمى فاتبعه حتى لحقه بتبوح (٢) فصف له عباد وحمل عليهم أبو بلال فيمن معه فثبتوا واشتد القتال حتى دخل وقت العصر فقال أبو بلال هذا يوم جمعة وهو يوم عظيم وهذا وقت العصر فدعونا حتى نصلى فاجابهم

ابن الاخضر وتحاجزوا فحمل ابن الاخضر الصلاة وقيل قطعها والخوارج تصارخ شد عليهم هو واصحابه وهم مابين قائم وراكع وساجد لم يتغير منهم احد من حاله فقتلوا من آخرهم واحد رأس أبي بلال ورجع عساد الى البصرة فوصده مع اسعد بن هلال ومعه ثلاثة نفر فاقبل عساد يريد قصر الامارة وهو مردف اسعد بن هلال فوقف حتى استتبعه فوقف فقالوا نحن اخوه ثم قتل اخونا فمازى قال استعدوا الامير فقالوا قد استعد بنا فلم يعد بنا قال فاقتلوه فحملوا عليه وثبوا عليه وحكموا فيه فاتى اسعد فحارقتل هو فاجتمع الناس على الخوارج فقاتلوهم فقتل عساد وقتل اسعد بن عبيدة ولما قتل ابن عساد كان ابن زياد بالكوفة وبالبصرة عبيد الله بن أبي بكرة وكتب اليه يأمره أن يتتبع الخوارج ويقتل ذلك وجعل يأخذهم فاذا شفع في احدهم ضمه الى ان هدم ابن زياد ومن لم يكفله احد حبسه وأتى بعمرة من اذنيه فاطلقه وقال انا اكفلك فلما قدم ابن زياد احد من في الحبس من الخوارج فقتلهم وطلب الكفلاء من كفلوا به من الخوارج فاطلقه وقتل الخارجي ومن لم يدن الخارجي قتله ثم طلب عبيد الله بن أبي بكرة عمرو بن أذينة قال لا اقدر عليه وقد ادرأ ذلك به فلم يزل يحبسه حتى طلبه واحضره عند ابن زياد فقال له ابن زياد لامثلن بك فقال احبر لنفسك من القصاص ماشئت به وهو به فقطعت يداه ورجلاه وصلبه وقيل انه قتل سنة ثمان وخمسين

﴿ ذكر ولاية سلم بن زياد على خراسان وسجستان ﴾

قيل في هذه السنة اي سنة عمل يزيد سلم بن زياد على خراسان وسبب ذلك ان سلما قدم على يزيد فقال له يزيد يا أخا العرب اولك عمل اخويك عبد الرحمن وعباد فقال ما احب امير المؤمنين وولاه خراسان وسجستان فوجه سلم الحرث بن معاوية الحنفي في جند يمشي بن سيب الى خراسان وقدم سلم البصرة فجهزهم بها فوجه اباه يزيد الى سجستان وكتب عبيد الله بن زياد الى اخيه عباد يخبره بولاية سلم وقدم عباد ما في بيت المال على عمده وفصل فصل فمازى من اراد سلما فيأخذ فاسلف كل من اتاه وخرج عباد من سجستان فلما كان بخيرت بلغه مكان سلم وكان بينهما احمل فعدل عباد فدهب لعباد تلك الليلة الف مملوك أول ما سمع احدهم عشرة آلاف وسار عباد على فارس فقدم على يزيد فسأله عن المال فقال كنت صاحب عمر فسمعت ما اصفت بن الناس ولما سار سلم الى خراسان كتب معه يزيد الى أخيه عبيد الله بن زياد يحمل له ستة آلاف فارس وقيل الى فارس وكان سلم يحب الوحوش فخرج معه عمران بن الفصيل البرجمي والمهلب بن أبي صفرة وعبد الله بن خازم السلمي وطلحة بن عبيد الله بن خلف الخزاعي وحنظلة بن عرادة ويحيى ابن يعمر العدواني وصلة بن اشيم العدوي وغيرهم وسار سلم الى خراسان وعمر الهرعارا وكان عمال خراسان قبله يغزون فاذا دخل الشتاء رجعوا الى مرو والشاهجان فاذا انصرف المسلمون اجتمع ملوك خراسان عند بيمايلي وارزم فيما عقدون ان لا يغزوهم يعصمهم يعصا ويشاورون في أمورهم وكان المسلمون يطالبون الى أمرائهم غزو تلك المدينة فيأبون عليهم فلما قدم سلم غزا وشتا في بعض معاريه فالح عليه المهلب بن أبي صفرة وسأله التوجه الى تلك المدينة فوجهه في ستة آلاف وقيل أربعة آلاف فحاصرهم وطلبوا اليه الصلح على ان يعبدوا أنعمهم فأجابهم الى ذلك وصالحوه على نيف وعشرين ألف ألف وكان في صلحهم ان يأخذ منهم عروضا وكان يأخذ الرأس والدابة والمتاع نصف ثمنه فبلغت قيمة ما أخذ منهم خمسين ألف ألف فحظي بها المهلب عند سلم وأخذ سلم من ذلك ما أعجبه وبعث به الى يزيد وغزا سلم سمرقند وعبرت معه النهر

دهره ثم قال
أحلاف مجدك جلت مالها
خطر
في الخود والناس بين العلم
والخبر
مشيح بالمعالي فوق معرفة
وفي أوعاصيم في صوره
القمر
فتهلل وجه النعمان بالسرور
ثم أمر حتى فوه جوهرا ثم
قال مثل هذا هو فلتدح
الملوك وقد كان للنعمان
قتل عدي بن زيد التميمي
وكان كتب لكسرى ابرويز
ويرجم اذا وفد عليه رعماء
العرب لموجدة وجدها
عليه النعمان في حر طويل
الشرح فلما قتل صار يزيد
ابن عدي مكان أبيه فذكر
لابرويز جمال نساء آل
المنذر ووصفهن له فكتب
الى النعمان يأمره ان
يبعث اليه باختيه فلما قرأ
النعمان كتابه قال للرسول
وهو يزيد بن عدي يا زيد
أما لكسرى في مها السواد
كفاية حتى تخطا الى
العرسات فقال زيد اراد
الملك اكراهك أبيت اللعن
بصهرك ولو علم أن ذلك
يشق عليك لما فعله
وسأحسن ذلك عنده
وآخذ لك عليه فقال
النعمان فافعل فقد تعرف
ما على العرب في تزويج
العجم من المعاصة

امرأته أم محمد ابنة عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفية وهي أول امرأة من العرب قطع بها الدهر فولدت له اياسا وصعدى واستعارت امرأته من امرأة صاحب الصغد حليا فلم تعده اليها ودهمت به ووجه جيشا الى خجندة فيهم اعشى همدان فهزموا فقال اعشى

ليت خيلي يوم الخجندة لم تهـ ـرم ونودرت في المكر سليبا
تحضر الطير مصرعي وترو حـ ـت الى الله بالدماء خضيبا

﴿ذكر ولاية يزيد بن زياد وطلحة الطلحات سجستان﴾

ولما استعمل يزيد بن معاوية سلم بن زياد على خراسان استعمل اياه يريد على سجستان فقدر أهل كابل فتكنوا واسروا أبا عبيدة بن زياد فسار اليهم يزيد بن زياد في جيش فاقتتلوا وانهزم المسلمون وقتل منهم كثير فمن قتل يزيد بن عبد الله بن أبي مليكة وصلة بن اشيم أبو الصهباء العدوي زوج معاذة العدوية فلما بلغ ذلك سلم بن زياد سير طلحة بن عبد الله بن حنف الخزاعي وهو طلحة الطلحات فعدى أبا عبيدة بن زياد بخمسمائة ألف درهم وسار طلحة من كابل الى سجستان واليا عليها فجبى المال وأعطى زواره ومات بسجستان واستخلف رجلا من بني يشكر فاخرجته المضرية ووقعت العصبية فطمع فيهم رتبيل

﴿ذكر ولاية الوليد بن عتبة المدينة والحجاز وعزل عمرو بن سعيد﴾

قيل وفي هذه السنة عزل يزيد عمرو بن سعيد عن المدينة وولاها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وكان سبب ذلك ان عبد الله بن الزبير أظهر الخلاف على يزيد وبويع بمكة بعد قتل الحسين فانه لما بلغه قتل الحسين قام في الناس فعظم قتله وعاب أهل الكوفة خاصة وأهل العراق عامة فقال بعد حمد الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل العراق غدرة فجرة الا قليلا وان أهل الكوفة شرار أهل العراق وانهم دعوا الحسين ليصدروه ويولوه عليهم فلما قدم عليهم ثاروا عليه فقتلوه اما ان تصعيدك في أبينا فيثبت بن لي ابن زياد بن سميه فيمضي فيك حكمه واما ان تحارب فرأي ولله انه هو وأصحابه قليل في كثير وان كان الله لم يطلعني على الغيب احد الا انه مقتول ولكنه اختار الميتة الكريمة على الحياة الدميمة ورحم الله الحسين وأخزى قاتله لعمري لقد كان من خلافهم اياه وعصيانهم ما كان في مثله واعظ وناه عنهم ولكنه ما قدر زال واذا أراد الله أمرا لم يدفع فبعد الحسين نطمئن الى هؤلاء القوم ونصدق قولهم ونقبل لهم عهدا والله لا أراهم لذلك أهلا أما والله لقد قتلوه طويلا بالليل قيامه كثيرا في النهار صيامه أحق بما هم فيه منهم وأولى به في الدين والفضل أما والله ما كان يبدل بالقرآن غيرا ولا بالبكاء من خشية الله حدا ولا بالصيام شرب الخمر ولا بالحلال الحرام حتى حق الذكر بكلاب الصيد تعرض ببريد فسوف يلقون غيا فثار اليه أصحابه وقالوا أظهر عتبك فانك لم تبق أحدا هلك الحسين بمثل عذك هذا الامر وقد كان بايع معه او يظهر انه عائذ بالبيت وقال لهم لا تجلوا وعمرو بن سعيد يومئذ عامل مكة وهو شد شيء على ابن الزبير وهو مع ذلك يداري ويرفق فلما استقر عند يزيد ما قد جمع ابن الزبير بمكة من الجموع أعطى الله عهدا ليوقعنه في سلسلة فبعث اليه سلسلة من فضة مع ابن عطاء الاشعري وسعدو صحابهما ليأتوا به فيها وبعث معهم برسن حزليا يسوه عليها ثلاثا تظهر للناس فاجتاز ابن عطاء بالمدينة وبها مروان بن الحكم فاحضره ما قدم له فارسن مروان معه ولدين له احدهما عبد العزيز وقال اذا بلغته رسل يزيد فتعرضاله وليتمثل أحدكما بهذا القول فقال

لحدها فليست للعزيز نحطة * وفيها مقال للامرئ متذلل

والشناعة وأدى اليه قوله في ميا السواد على أقبح الوجوه وأوحشه عليه وقال ما انها فعال البقر فاخذ عليه وقال رب عجل قد صار في الطغيان الى أكثر من هذا فلما بلغت كلمته الى المعلى نحوه فخرج هاربا حتى صار الى طي لصهر كان له فيهم ثم خرج من عندهم حتى اتى بني رواحة بن ربيعة بن مازن ابن الحرث بن قطيعة بن عبس فقالا له أقم معنا فانا مانعوك فاجتمع معه أنفسا فجرهم الى بيرو رحل عنهم يريد كسرى ليرى فيه رأيه وذلك قول رهير بن أبي سلمى

ألم تر معمان كان بحوبة
من الدهر لو أن امرأ كان راجيا

فعيره ذلك عشر بن حجة
من الدهر يوما واحدا كان ثويا

فلم أر مسلوبا له مثل ملكه
أقل صديقا معديا ومواسيا

حلا أن حيا من رواحة حافظوا
وكانوا اناسا يقتلون المحاربا

يسيرون حتى حيثوا عمد أره
هجان المطايا والعتاق المداكيا

فحازاهم خيرا وأثنى عليهم
ووقعهم توديع أن لا تلاقيا

• أعامر ان القوم سلوك خطة * وذلك فى الجيران عزلا بمعزل
اراك اذا ما كنت للقوم ناصحا * يقال له بالدلو أدبر واقبل

فلما بلغه الرسول الرسالة قال عبد العزيز الابيات فقال ابن الزبير يا ابنى مروان قد سمعت ما قلتما فاخبرا أباكما انى ان يسعة صم مكاسرها * اذا تناوحت البكاء والعشر
فلا ألين لغير الحق أسأله * حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

وامتنع ابن الزبير من رسل يزيد فقال الوليد بن عتبة وناس من بنى أمية ايريد لو شاء عمر ولا خذ ابن الزبير وسرحه اليك فعزل عمرا وولى الوليد الحجاز وأحد الوليد عمال عمرو وصى اليه فحبسهم فكلمه عمرو فابى ان يحلهم فسار عن المدينة ليلتين وأرسل الى عمالة بعدتهم من الابل فكسروا الحبس وساروا اليه فلحقوه عند وصوله الى الشام فدخل على يزيد وأعلمه ما كان فيه من مكايدة ابن الزبير فعذره وعلم صدقه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

حج بالناس الوليد هذه السنة وكان الامير بالعراق عبيد الله بن زياد وعلى خراسان سلم بن زياد وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وفى هذه السنة مات علقمة بن قيس النخعى صاحب ابن مسعود وقيل سنة اثنتين وقيل خمس وله تسعون سنة وفيها توفى المنذر بن الجارود العبدى وجابر بن عتيك الانصارى وقيل حر وكان عمره احدى وتسعين سنة وشهد بدرا وفيها مات حزة بن عمرو الاسلمى وعمره احدى وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة له صحبة وفيها توفى خالد بن عرفطة الليثى وقيل العدرى حليف بنى زهرة وقيل مات سنة ستين وله صحبة

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وستين﴾

﴿ذكر وفد أهل المدينة الى الشام﴾

لما ولى الوليد الحجاز أقام يزيد غزو ابن الزبير لا يحده الا محترزا ممتنعا وثار نجدة بن عامر النخعى باليمامة حين قتل الحسين وثار ابن الزبير بالحجاز وكان الوليد يفيض من المعرف ويفيض سعد سائر الناس وابن الزبير واقف فى أصحابه ونجدة واقف فى أصحابه ثم يفيض ابن الزبير باصحابه ونجدة باصحابه وكان نجدة يلقى ابن الزبير فيكثر حتى ظن أكثر الناس انه سيبايعه ثم ان ابن الزبير عمل بالمكر فى أمر الوليد فكتب الى يزيد انك بعثت الينا رجلا لا خرق لا يجدل شدو لا مروءة لعطة الحكيم ولو بعثت رجلا سهل الخلق رجوت ان يسهل من الامور ما استوعر منها وان يجتمع ما تفرق فعزل يزيد الوليد وولى عثمان بن محمد بن أبى سفيان وهو فتى غر حدث لم يجرب الامور ولم تحنكه السن لا يكاد ينظر فى شئ من سلطانه ولا عمله فبعث الى يزيد وفدا من أهل المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة وعبد الله بن أبى عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومى والمنذر بن الزبير ورجالا كثيرة من اشراف اهل المدينة فقدموا على يزيد فاكرمهم وأحسن اليهم وأعظم جوائزهم فاعطى عبد الله بن حنظلة وكان شريفا فاضلا عابدا سيدا مائة ألف درهم وكان معه ثمانية بنين فاعطى كل ولد عشرة آلاف فلما رجعوا قدموا المدينة كلهم الا المنذر بن الزبير فانه قدم العراق على ابن زياد وكان يزيد قد اجازه بمائة ألف فلما قدم أولئك النفر الوفد المدينة قالوا فيهم فاظهروا شتم يزيد وعيبه وقالوا قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويضرب بالطنابير ويعزف عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسمر عنده الحراب وهم اللصوص وانا نشهدكم أنا قد خلعناه وقام عبد الله بن حنظلة الغسيل فقال جئتكم من عند رجل لو لم أجد الا بنى

وأقبل النعمان حتى أتى المدائن فصف له كسرى ثمانية آلاف جارية عليهن المصبغات صفين فلما صار النعمان بينهن تلمن له أما فيما لك عنى عن بقر السواد فلم يعلم النعمان أنه غير ناج منه والقيه يزيد ابن عدى فقال له النعمان أنت فعلت هذا بى لئن تخلصت لاسقينك بكاس أسك فقال له زيد امض تغنم فقد أحنت له احنة لا يطفيها المهر الا رن وأمر كسرى النعمان فحبس فى مجلسه بساباط المدائن ثم أمر به فرمى تحت أرجل الفيلة وقال بعضهم بل مات فى محبسه بساباط وقد ذكرت ذلك الشعراء واكثرت فمن ذلك قول الاعشى وأجاد

ولا الملك النعمان يوما لقيته * بغبطته يعطى الصحائف والرفق
ويحبى اليه المسلمون وعنده * صريمون فى أنهارها والحورنق
ويقسم أمر الناس يوما وليلة * وهم ساكنون والمنية تنطق
فذاك وما أنجى من الموت ربه * بساباط حتى مات وهو محرزق

وقال هانئ بن مسعود الشيبانى

ان ذا التاج لا أبالك أضحى

هؤلاء لما هديتهم وقد أعطاني واكرمني وما قبلت منه عطاءه الا لأتقوى به فجمعه الناس وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد وولوه عليهم وأما المنذر بن الزبير فانه قدم على ابن زياد واكرمه وأحسن اليه وكان صديق زياد فاتاه كتاب يزيد حين بلغه أمر المدينة يأمره بحبس المنذر وكره ذلك لانه صنيعته وصديق أبيه فدعاه وأخبره بالكتاب فقال له اذا اجتمع الناس عندي فقم وقل ايها الناس لا تصرف الى لادى وان قلت بل تقيم عندي فيث الاكرام والمواساة وقل ان لي جميعة وسعة ولا أحد أثر عندي من الامير يزيد وفي آدن ذلك في الانصراف فتلحق باهلك فلما اجتمع الناس على ابن زياد فعل المنذر ذلك فاذن له في الانصراف فقدم المدينة فكان ممن يحرض الناس على يزيد وقال انه قد أجاري عطاءه ألف ولا يمنعني ما صنع بي ان أخبركم خبره والله انه ليشرب الخمر والله انه ليسكر حتى يدع الصلاة وغايته مثل ما غايته أصحابه وأشد فبعث يزيد النعمان بن بشير الانصاري وقال له ان عدد الناس بالمدينة قومك فانهم ما يمنعهم ثم عما يريدون فانهم ان لم يجيبوا في هذا الامر لم يختر الناس الى جانب فاعمل النعمان في قومه فامرهم بلزوم الطاعة ووعدهم انه وقال لهم انكم لا طاقة لكم باهل الشام فقال عبد الله بن مطيع العدوي يا نعمان ما عملك على فساد ما اصلح الله من أمر ابن عمر فوالله ما قال النعمان والله لكاني انظر الى الجموع اذ وضعت على اركبتي تضرب مفارق القوم وسواعدهم السيف ودارت رحى الموت بين العريقين فمركبت علمت انه مكر وخدعة هؤلاء المساكين بين الانصار يقتلون في سككهم ومساجدهم والى أبوابهم وهم معه في الناس وانصرف وكان الامر كما قال

﴿ذكر ولاية عبد الله بن مطيع العدوي على قريش ثانية وما فعلوه واعتزله﴾

قد ذكرنا رجوع عقبة عن امر قومه وعوده الى الشام فلما وصل الى معاوية وعده بانه يعاوده الى قريش ويولي معاوية وقومه الشام فاستعفاه ليزيد لي امر قومه في هذه السنة وارسله اليها فوصل الى المدينة وقد اجتمع اليها احراسها وأولاده فقال له اني قد جئت بالقرود ان حبسوا جميع ما لي والاموال واجمعهم ما رهبرين فيس الملوي وأحسن أولاده قال له اني قد جئت بسبي من الله عز وجل لا الى ما عندك من كفر بالله وأوسى عما يفعل عقبة ثم سار في عسكر عظيم حتى حل بحرة واقم وقد اجتمع بها خلق كثير من الروم فما زالوا يقاتلونهم اشد القتال وهم على دينهم فلما رأوا كثرتهم وقلتهم كثير ودخل المهزمون المدينة وحاصرهم بها عقبة وكره المقام عليهم فسار الى الابواء وهي بلاد بني سعد فيها عدة قصور وقرى كثيرة فقصد مدينتها العظمى واسمها ريم وصبح بها من هناك من الروم والنصارى وهرب بعضهم الى الجبال فقتل المسلمون ومن المدينة من النصارى عدة وقعات ثم ان الروم اجتمعوا وقصدوا عقبة فلما بلغ الروم خبره استغاثوا بالبربر فجاءوهم ونصروهم فاجتمعوا في جمع كثير والتقوا واقتتلوا قتالا شديدا واشتد الامر على المسلمين لكثرة العدو ثم ان الله تعالى نصرهم فاهزمت الروم والبربر وأخذهم السيف وكثر فيهم القتل وغنم المسلمون اموالهم وسلاحهم ثم سار حتى نزل على طنجة فلقيه بطريق من الروم اسمه يليان فاهدى له هدية حسنة ونزل على حكمه ثم سأله عن الاندلس فاعظم الامر عليه فسأله عن البربر فقال هم كثيرون لا يعلم عددهم الا الله وهم بالسوس الادنى وهم كفار لم يدخلوا النصرانية ولهم بأس شديد فسار عقبة اليهم نحو السوس الادنى وهو مغرب طنجة وانتهى الى اوائل البربر فلقوه في جمع كثير فقتل فيهم قتلا ذريعا وبعث خيله في كل مكان هربوا اليه وساروا حتى وصل الى السوس الاقصى وقد اجتمع له البربر في عالم لا يحصى

فلقيهم

في الورى رأسه تخوف العيول
ان كسرى عدا على الملك الهمام حتى سما اخر الليل وغارني به الاعداء
لم تكده ولا أحتها حرفاء وسمحم ناعيه بين قيول الهند تحطمه
محنط اندى نواحيه
(وملكان النعمان) حين أراد المصير الى كسرى مستشيرا له على من يستخلفه على شيبان وأودعهم سلاحه وحمله عند هانئ بن مسعود فقال له شيبان قم فسر الى كسرى على النعمان حتى اتى هانئ بن مسعود وطلب اليه تركته فامتنع وأبى أن يحقر ذمة وكان ذلك السبب لذي قار وقد تقدم خبرها على ذلك فيما تقدم من هذا الكتاب ونهى عن عادته هنا (وملكات) حرقاء بنت النعمان بن المنذر لما خرجت الى سفحها يعرش لها طير يقوبا بالحرير والديباج معشى بالدر والوشي ثم تقبل في حواريها حتى تنزل الى سفحها وترجع الى مربطها فلما هلك النعمان لكبها الزمان وأنزلها من الرفعة الى الذلة ولما وفد سعد بن أبي وقاص القادسية أميرا عليها وهزم الله الفرس

فلقيهم فقاتلهم وهزمهم وقتل المسلمون فيهم حتى ملوا وغنموا منهم وسبوا سبيا كثيرا وسار حتى بلغ ماليان ورأى البحر المحيط فقال يارب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهدا في سبيلك ثم عاد فنفر الروم والبربر على طريقه خوفا منه واجتاز بمكان يعرف بالبرمعياء الفرس منزله ولم يكن به ماء فلحق الناس عطش كثير شرفوا على الهلاك فصلى على عقبة ركعتين ودعا فبحث فرس له الارض بيديه فكشف له عن صفاة فانفجر الماء فنادى عقبة في الناس فحفروا احساء كثيرة وشربوا وسمى ماء الفرس فلما وصل الى مدينة طبنة وبينها وبين القيروان ثمانية أيام أمر أصحابه ان يتقدموا فوحافوا جانقة منه بما نال من العدو وانه لم يبق احدا يخشاه وسار الى تهوذا ينتظر اليها في نحو يسير فلما رآه الروم في قلة طمعوا فيه فأناقوا باب الحصن وشتموه وقاتلوه وهو يدعوهم الى الاسلام فلم يقبلوا منه

﴿ ذكر خروج كسيلة بن لمزم البربري على عقبة ﴾

هذا كسيلة بن لمزم البربري كان قد أسلم اولا وأبو المهاجر افريقية وحسن اسلامه وهو من أكابر البربر وأبعدهم صوتا وصحب أبا المهاجر فلما ولى عقبة عرفه أبو المهاجر محل كسيلة وأمره بحفظه فلم يقبل واستخف به وأتى عقبة بغير فأمر كسيلة بذبحها وسلخها مع السلاخين فقال كسيلة هؤلاء فتياني وغلماني يكفونني المؤنة فشتمه وأمره بسلخها ففعل فتنح أبو المهاجر هذا عند عقبة فلم يرجع فقال له أوثق الرجل فاني اخاف عليك منه فتهاون به عقبة فاسمر كسيلة الغدر فلما كان الغد ورأى الروم قلة من معه عقبة فارسلوا الى كسيلة واعلموه حاله وكان في عسكر عقبة مصمرا للغدر وقد أعلم الروم ذلك واطمعهم فلما راسلوه أظهر ما كان يضمره وجمع أهله وبني عمه وقصد عقبة فقال أبو المهاجر عاجله قبل ان يقوى جمعه وكان أبو المهاجر موثقا في الحديد مع عقبة فزحف عقبة الى كسيلة فتحنى كسيلة عن طريقه ليكثر جمعه فلما رأى أبو المهاجر ذلك تمثل بقول أبي محجن الثقفي

كفى حزنا ان ترتدي الخيل بالقنا * وأترك مشدودا علي وثاقيا
اذا قمت عناني الحديد وأغلقت * مصارع من دوني تصم صماديا

فبلغ عقبة ذلك فاطلقه فقال له الحق بالمسلمين وفم بامرهم وأنا أغتنم الشهادة فلم يفعل وقال وانا أيضا أريد الشهادة فكسر عقبة والمسلمون أجفان سيوفهم وتقدموا الى البربر وقاتلوهم فقتل المسلمون جميعهم لم يفلت منهم أحد وأسر محمد بن أوس الانصاري في نحو يسير فخلصهم صاحب قفصة وبعث بهم الى القيروان فعزم زهير بن قيس البلوي على القتال فخالفه جيش الصنعاني وعاد الى مضرقتبعه أكثر الناس فاضطر زهيرا الى العود معهم فسار الى برقة وأقام بها وأما كسيلة فاجتمع اليه جمع أهل افريقية وقصد افريقية وبها أصحاب الانفال والدراري من المسلمين فطلبوا الامان من كسيلة فآمنهم ودخل القيروان واستولى على افريقية واقام بها الى ان قوى أمر عبد الملك بن مروان فاستعمل على افريقية زهير بن قيس البلوي وكان مقيما ببرقة مرابطا

﴿ ذكر ولاية زهير بن قيس افريقية وقتله وقتل كسيلة ﴾

لما ولي عبد الملك بن مروان ذكر عنده من بالقيروان من المسلمين وأشار عليه أصحابه بانفاذ الجيوش الى افريقية لاستنقاذهم فكتب الى زهير بن قيس البلوي بولاية افريقية وجهز له جيشا كثيرا فسار سنة تسع وستين الى افريقية فبلغ خبره الى كسيلة فاحتفل وجمع وحشد البربر والروم واحضر اشراف أصحابه وقال قد رأيت ان ارحل الى تمس فانزلها فان بالقيروان خلقا كثيرا من المسلمين ولهم علينا عهد فلا نغدر بهم ونخاف ان قاتلنا زهيرا أن يثب هؤلاء من

وقتل رستم وأتت خرقاء بنت النعمان في حفدة من قومها وجواريها وهن في زيهن على السروج وقطعان السود مذعورات تطلب صلته فلما وقفن بين يديه أنكرهن سعد فقال أليكن خرقاء قالت هذا أناذه قال أنت خرقاء قالت نعم فما تنكرك في استغنامي ثم قالت ان الدنيا دار زوال ولا ندوم على حال تنقل أهلها انتقالا وتفقيهم بعد حال حالا كنا ملوك هذا المصر يحمى لنا خراجه ويطيعنا أهله مدى المدة ورمان الدولة فلما أدبر الامر وانتهى صاح بنا صائح الدهر فصدع عصانا وشتت شملنا وكذلك الدهر ياسعد انه ليس يأتي قوما بمسرة الا ويعقبهم بحسرة ثم أنشأت تقول

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا
اذا نحن فيهم سوقة ليس نعرف
فأف لدنيا لا يدوم نعيمها
تقلب تارات بنا وتصرف

فقال سعد قاتل الله عدي ابن زيد كأنه ينظر اليها حيث يقول

ان للدهر صولة فاحذرنها
لا تبيتن قد أمنت الدهورا
قد بيت الفتى معافى فيردى
ولقد كان آمنا مسرورا

ور ثماوذ برأيه بمشر أصحابه وقد تلمار هيرا فلما ظهر بابهم تعجابهم الى طرابلس وقطعا أثرهم
الى ان لحقوه وان ظهروا به فاقتتلوا بالحبال وبحوا باقاحاوه الى ذلك ورحل الى غش وبلغ ذلك رهيرا
فلم يدحل الغير وقد ل اوام ظاهرها ثلاثة أيام حتى اراح واستراح ورحل فى طلب كسيلة فلما
قاربه نزل وعبى أصحابه وركب اليه وا تى العسكران وشد القتال وكثر القتل فى الفريقين حتى
أيس الناس من الحياة فلم يزالوا كذلك أكثر النهار ثم صر الله المسلمين واهزم كسيلة وأصحابه
وقتل هو وجماعة من اعيان أصحابه عشر وتبع المسلمون المزر والروم يقتلونهم أدركوا منهم
ما كثروفى هذه الوقعة ذهب رجال المزر والروم وسلوكهم واشرافهم وعادرهيرا الى
الغيروان ثم رهيرا رأى ان يرسيه ما كان عليه فابى ان يقيم وقال اعا قدمت للجهاد فاحاب ان
يصل الى بلده واهله وكان عازما على ذلك فسرح بالغيروان عسكروهم آمنون لحلوا البلاد من عدو
ولا شوكة ورحل فى جمع كثير الى مصر وكان قد بلغ الروم بالقسطنطينية مسير رهيرمن برقه
الى قرطاجنة لقتال كسيلة وعلموا حلوه الخرجوا اليه فى مراكب كثيرة وقوة قويه من جزيرة
صقلية وساروا الى برقه فاصطدموا بها بسفن كثيرة وقتلوا وهزموا ووافى ذلك قدوم رهيرمن
قرطاجنة الى برقه وخبر الخبر وهو العسكر بالسرعة والجد فى قتالهم ورحل هو ومن معه وان
الروم جمعا كثيرا فسار اليه المسلمون اسمعانوه فلم يكه الرجوع وباشر القتال واشتد الامر وعظم
طعن وكثر الروم عليهم وقتلوا رهيرا وأصحابه ولم يمح منهم أحد وعاد الروم وعاجموا الى
القسطنطينية ولما سمع عبد الملك بن مروان بقتل رهير عظم عليه واشتد تسيره الى افريقية
حسان بن النعمان الغسانى وسنذكره مع ما نذكره وسنعيد ان شاء الله وكان بينى ان نذكر ولاية
رهير وقتله سنة سبع وسبعين واعادكرناه ههنا ليتصل خبر كسيلة وقتله فان الحادثة واحدة
وقد تقدم فلم نعد حديثها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة توليد بن عبد الملك بن مروان عمه وهو اولد محمد بن على بن عبد الله بن عباس والد السفاح
والمنصور وهو يومئذ عبد المطلب بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمى وله صحبة
وسلم بن مخلد الانصارى وكان عمره لما مات النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين وهو يومئذ عصر
سيروان بن الحكم وقيل توفى سنة ثلاث وستين (مخلد بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وفتح اللام
وتشديدها)

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وستين﴾

﴿ذكر وفاة الحرة﴾

كان أول وقعة الحرة ما تقدم من خلع يزيد لما كان هذه السنة اخرج أهل المدينة عثمان بن
محمد بن أبى سفيان عامل يزيد وحصروا بنى أمية بعد ما بايعوا عبد الله بن حنظلة فاجتمع بنو امية
ومواليهم ومن يرى رأيهم من اهل وحل حتى نزلوا دار مروان بن الحكم وكتبوا الى يزيد
يستغيثون به وقدم الرسول اليه وهو جالس على كرسى وقد وضع قدميه فى طشت فيه ماء لنفرس
كان بها فلما قرأ الكتاب تمثل

لقد بدلوا لحكم لدى فى صحتى * فذلك قومى عطفة بلبان

ثم قال اما يكون بنو امية ألف رجل وقال الرسول بلى والله واكثر قال فما استطاعوا أن يقاتلوا
ساعة من النهار فبعث الى عمرو بن سعيد فاقرأه الكتاب وأمره أن يسير اليهم فى الناس فقال قد

قال له عما هى واصفة بين
يدى مداد حمل عمرو
ابن معديكرب وكان رقوزا
لأنهم فى الحاه يه فلما
طرلهم قال أنت حرقاء
وانهم قال فى رحمك
قاهم عوف ثعلبة
أن عمهم سعوا
بعمك فقالت يا عمرو ان
للدهر عثرات وعبرات
بعد الملوك وتهم
فعصبهم بعد
وعرفهم منكرهم وبدلهم
بعد عز هذا لامر كما
بدأه فلما حل
بكره قال فأكرمه سعد
وحبس جزءه فلما
أردف فرفه قال حتى
أحدث عهده ما
بعصبهم امض لأمر الله
من عبد صالح بعده
الاحديث سدارته عليه
بحرجت من عنده فقيها
بعد بدينه فقال لهم بعل
بن لامرءات أكرم
وحبى عليكم اكرم
الكريم (قال أبو الحسن
على بن الحسين المسعودى)
وقولا ملوك الحيرة فى
أن ظهور الاسلام وظهوره
الله وأذل الكافرين
لجميع من سميا من
هؤلاء الملوك من ولد عمرو
ابن عدى بن أحب حديثه
الابرص على حسب
ما نصا عليه فى صدر هذا

كنت ضبطت لك الامور والبلاد فأما الآن اذا صارت دماء قريش تهراق بالمدينة ولا أحب أن تولى ذلك وبعث الى عبيد الله بن زياد يأمره بالمسير الى المدينة وحاصرة ابن الزبير بمكة فقال والله لاجمعتهما للفاسق قتل ابن رسول الله وغزو الكعبة ثم أرسل اليه يعتذر وبعث الى مسلم بن عقبة المري وهو والد الذي سمي مسرفا وهو شيخ كبير مريض فأخبره الخبر فقال اما يكون بنو أمية أذل رحل فقال الرسول بلى قال فما استطاعوا ان يقاتلوا ساعة من النهار ليس هؤلاء باهل ان نصروا فانهم الادلاء دعهم يا أمير المؤمنين حتى يجهدوا أنفسهم في حماة عدوهم ويتعبوا لك من يقاتل لي طاعتك ومن يستسلم قال ويحك انه لا خير في العيش بعدهم فاخرج الناس وقيل ان معاوية قال يريد ان لك من أهل المدينة يوما فان هلوا فارمهم مسلم بن عقبة فانه رجل قد عرفت صحبته فلما خلع أهل المدينة أمر مسلما بالمسير اليهم فنادى في الناس بالخبر الى الحار وان يأخذوا عطاءهم وهو مائة دينار فانتدب لذلك اثنا عشر ألفا وخرج يريد يعرضهم وهو متقلد سيفا متنكب قوسا عربية وهو يقول

أبلغ أبا بكر اذا الليل سرى * وهبط القوم على وادي القرى
اجمع سكران من النوم ترى * أم جمع بقطان نمى عمه الكرى
يا عجبا من ملحد يا عجبا * مخادع بالدين يعلو بالعرى

وسار الجيش وعليهم مسلم وقال له يزيد ان حدث بك حدث فاستخلف الحصين بن نمير السكوني وقال له ادع القوم ثلاثا فان أجابوك والا فقاتلهم فاذا ظهرت عليهم فأبحها ثلاثا فكل ما فيها من مال أو دابة أو سلاح أو طعام فهو لك فاذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس وانظر علي بن الحسين فاكفف عنه واستوص به خيرا فانه لم يدخل مع الناس وانه قد أتاني كتابه وقد كان مروان بن الحكم كلم ابن عمر لما أخرج أهل المدينة عامل يزيد وبني أمية في ان يغيب أهله عنده فلم يفعل فكلم علي بن الحسين فقال ان لي حرما وحرمي يكون مع حرمك يقال افعل فبعث بأمر أته وهي عائشة ابنة عثمان بن عفان وحرمه الى علي بن الحسين فخرج بها بحرمه وحرم مروان الى ينبع وقيل بل أرسل حرم مروان وأرسل معهم ابنه عبد الله بن علي الى الطائف ولما سمع عبد الله ابن مروان ان يزيد قد سير الجنود الى المدينة قال ليت السماء وقعت على الارض اعظاما لذلك ثم انه ابتلي بعد ذلك بان وجه الحجاج لحصر مكة ورمى الكعبة بالمنجنيق وقتل ابن الزبير وأما مسلم فانه أقبل بالجيش مبلغ أهل المدينة خبرهم فاشتد حصارهم لبني أمية في دار مروان وقالوا والله لا نكف عنكم حتى يستمر لكم ونضرب أعناقكم أو تعطونا عهد الله وميثاقه ان لا تمنعونا عاشه ولا تدلوا الى عورة ولا تظاهروا علينا عدوا فكف عنكم ونخرجكم عنا ففعلوا وهم على ذلك فأخرجوهم من المدينة وكان أهل المدينة قد جعلوا في كل منهل بينهم وبين الشام رقيبا فمطروا فأرسل الله السماء عليهم لم يستقوا بدلو حتى وردوا المدينة فلما أخرج أهل المدينة بنو أمية ساروا يأتفالهم حتى لقي مسلم بن عقبة وادي القرى فدعا عمرو بن عثمان بن عفان وزر الناس فقال له خبرني ما وراءك وأشر علي فقال لا استطيع قد أخذ علينا العهود والمواثيق ان لا ندل على عورة ولا نظاهر عدوا فانتهره وقال والله لولا انك ابن عثمان لضربت عنقك وايم الله لا لقيها فرشيا بعدك فخرج الى أصحابه فأخبرهم خبره فقال مروان بن الحكم لابنه عبد الملك ادخل قبلي لعله يجتري بك عسى فدخل عبد الملك فقال هات ما عندك فقال نعم أرى ان تسير بين معسكرك فاذا انتهيت الى ذي نخلة رات فاستظل الناس في ظله فاكلوا من صقره فاذا أصبحت من

الباب ثم جاء الاسلام وملك الفرس كسرى ابرويز بن هرمز فملك على العرب بالحيرة اياس بن قبيصة الطائي وكان ملكه تسع سنين ولثمانية أشهر مضت من ملك اياس كان مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم ملك) الحيرة جماعة من العرس وقد كان كذلك قبل عمرو بن عدي ملوك الحيرة على حسب ما ذكرنا وكان عدة الملوك بالحيرة ثلاثة وعشرين ملكا من بني نصر وغيرهم من العرب والعرس وكان مدة ملكهم ستمائة سنة واثنتين وعشرين سنة وثمانية أشهر وقد قيل ان عمر ان الحيرة وبدوه الى أن خربت في وقت بناء الكوفة كان خمسمائة سنة وبضعا وثلاثين سنة (قال المسعودي) ولم يزل عمرانها يتناقص من الوقت الذي ذكرنا الى صدر من أيام المعتضد فانه استولى عليها الخراب وقد كان جماعة من خلفاء بني العباس كالسفاح والمنصور والرشيد وغيرهم يرتادونها ويطلبون المقام بها لطيب هوائها وصفاء جوهرها وصحة تربها وصلابتها وقرب الخورنق والنجف منها وقد كان فيها ديارات

العدمصيت وتركت المدينة ذات ليس ارثم درت بها حتى تأتيهم من قبل الحرة مشرقا ثم تستقبل
القوم فاذا سمعته لتهم وقد اشرقت عليهم الشمس طلعت بين أكتافهم أصحابك فلا تؤذيهم
ولا تؤذيهم ولا يروعون من انطلاق سكم وأسعد رياحكم وسعود كم ودروعكم ما لا تروعه انتم
ما داموا معروفين ثم قال بهم واسمع الله عليهم فقال له مسلم بن عقبة اى امرئ واد ثم ان مروان
دخل فلما رآه قال له يا مروان أليس قد دخل علمك عبد الملك قال بلى وأى رجل عبد الملك فلما كلمت
من رجال قريش رجلا شبهها به قال مروان اذا لعمت عبد الملك وقد لعبتني ثم انه صارق كل
مكان يصنع ما أمر به عبد الملك فجاءهم من قبل المشرق ثم دعاهم مسلم فقال ان أمير المؤمنين
يزعم انكم لا صلى والى أكره رافة ما بكم والى أوحا بكم ثلاثا فان ارعوى والا راجع الحق قبل
منكم وصرفت عنكم وسرت الى هذا الحجل الذى بمكة وان أبيتم كما قد اعتدرنا اليكم فلما سمعت
الثلاثة دخل بعضهم لبعض يا قوم تسمعون أنسالموا أم تحاربون فقالوا بل نحارب فقال لهم لا تفعلوا بل
احملوا على الناس جملة واحدة وكملوا على أهل هذا الجند الذى معهم اليه المراق والعساق
من كل أوب يعنى انه ليس معه الا أعداء الله فلو أنهم ان تحوروا اليه مرة كما كم نحن قد علم ان
هو ليس له بحرام فيحيطون أهله ويحدقون به ويستحلون حرمته لا والله لا نفعل وكان أهل المدينة
قد تحدوا حمد وعبيه فجمع لهم وكان على جند عبد الرحمن بن زهير بن عبد عوف وهو ابن عم عبد
الرحمن بن عوف وكان عبد الله بن مطيع على رجالة آخرهم قريش فى حاشية المدينة وكان معقل
ابن سنان الاشجعى وهو من الصحابة على رجالة آخرهم لهم بجزون وكان أميرجماعتهم عبد الله بن
جعدبة العسيل الانصارى فى أعظم تلك الارباع وهم الانصار وسعد مسلم فيمن معه فاقبل من
ناحية الحرة حتى ضرب وسط اطه على طريق الكوفة وكان مر يصا وامر فوضع له كرسى بين
الصفين وقال يا أهل الشام فانوا عن أميركم وادعوا حدوا لا تقصدون ربعا من تلك الارباع
لا هزموه وحمله الخيل نحو العسيل فحمل عليهم ابن العسيل فيمن معه وكشفهم فانهزموا
الى مسلم فمضى فى وجوههم بالرجال وصاح بهم وقاتلوا قتالا شديدا ثم ان الفضل بن عباس بن
ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب حمل على ابن العسيل فقاتل معه فى نحو من عشرين فارسا قتالا
حسنا ثم قال لابن العسيل من كان معك فارسا فليأتنى فليقف معى فاذا حملت فليحملوا فوالله
لا أنثنى حتى يلحق مسلما فاقتله أو أقتل دونه ففعل ذلك وجمع الخيل اليه فحمل بهم الفضل على
أهل الشام فانكشفوا فقال لا صحابه احملوا أخرى حملة فداكم والله لئن عاينت أميرهم
لاقتلنه أو أقتل دونه فليس هذا الصبر الا الصبر ثم حمل وحمل أصحابه فانهزمت خيل الشام عن
مسلم بن عقبة ومعه حتى حمته رجاله فركب حشاه على الركب مشرعى الاسنة نحو القوم ومضى
يقتل بما هو نحو رايته مسلم وضرب رأس صاحبها فاقتطع المغفر ورمى هامته وحرمينا وقال حدها
بنى وان بن عبد المطلب وطن له مسلم فقال قتلت عبيد القوم ورب الكعبة فقال أحطأت
سمت الحمرة وانما كان ذلك الامار وميا وكان شجاعا فاحد مسلم رايته وحرص أهل الشام
وقال شدوا مع هذه الراية فشى رايته وثبتت تلك الرجال امام الرايه فصرع الفضل بن عباس
فحمل وما بينه وبين أصحاب مسلم بن عقبة الا نحو من عشرة أذرع وقتل معمر بن عبد الرحمن
ابن عوف وأقبل خيل مسلم ورجالته نحو ابن العسيل وهو يحرض أصحابه ويدعو أهل المدينة
ويقدم أصحابه الى ابن العسيل فلم يقدم عليهم للرماح التى بايديهم والسيوف وكانت تتقرق
عنهم فنادى مسلم الحصين بن نمير وعبد الله بن عصام الاشعرى وامرهما ان يبرلا فى جندهما

كثير فيها رهان فحسبوا
غيرها من البلاد لقد
الحرب الهبا وتعرت فى
هذه الوقت ليس بها
الا العدى والا وعد
كثير من أهل الرايه بما
تحدث فى المستقبل من
الزمن أن سعدها سيعود
بالعمران وان هذا الحى
سيزول ويذهب ملك
بكونه (قد المسعودى)
ولم يبق من ملوك الحيره
حتى زال وسير وحروب قد
اتى على ذكرها والعرر
من منسوطة اشتركنا
أخبارها وبيد بعد
من هذا الكتاب فى
ذكر من اردنا

ذكر ملوك غسان من
اليمن من عمان وغيرها
من الملوك

كان ولى من ملوك الشام
من اليمن واسع بن هوذ (م
من) من سوماوات وهو
أيوب بن رزاح وقد ذكر الله
عز وجل فى كتابه ما كان
من حسده على انسان بديه
وما انتقص من أمره ثم
غلبت الروم على ديارها
فتفرقوا فى البلاد وكانت
قضاعة من ملوك من حمير
أول من نزل الشام وانضموا
الى ملوك الروم فكونوهم
بعد أن دخلوا فى النصرانية
على من حوى الشام من
العرب وكان أول من ملك من

ففعلوا وتقدمهم اليهم فقال ابن الغسيل لاصحابه ان عدوكم قد أصاب وجهه القتال الذى كان ينبغى ان يقاتلكم به وانى قد طمعت أن لا يلبثوا الا ساعة حتى يفصل الله بينكم وبينهم اما لكم واما عليكم اما انكم أهل النصرة ودار الهجرة وما أطن ربكم أصبح عن أهل بلد من بلدان المسلمين أرضى منه عنكم ولا على أهل بلد من بلدان العرب بأعظم منه على هؤلاء الذين قاتلوكم وانى لاكل امرئ منكم ميتة وهو ميتة سوء الا محالة ووالله ما ميتة أفضل من ميتة الشهادة وقد ساقها الله اليكم فاستموها ثم دنا بعضهم من بعض فاحد أهل الشام يرمونهم بالنبل فقال ابن الغسيل لاصحابه عليهم فتستهدفون لهم من أراد التعجيل الى الجنة فليلزم هذه الراية فقام اليه ناس فمضى منهم بعضهم الى بعض فاقتتلوا أشد قتال رئى لاهل هذا القتال وأخذ ابن الغسيل يقدم بيده واحدا واحدا حتى قتلوا بين يديه وهو يضرب ويقول

بعد المنى رام سعاد وطمى * وباب الحق وآيات الهدى

* لا يبعد الرحمن الا من عصى *

ثم قتل وقتل معه أخوه لامه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس فقال ما أحب ان الذين قتلوني مكان هؤلاء اقوى وقتل معه عبد الله بن يزيد بن عاصم ومحمد بن عمرو بن حزم الانصاري فمر به مروان بن الحكم فقال رحمك الله رب السارية قد رأيتك تطيل القيام فى الصلاة الى جنبها وانهزم الناس وكان فيمن انهزم محمد بن سعد بن أبى وقاص فلما بلى وأباح مسلم المدينة ثلاثا يقتلون الناس ويأخذون المتاع والاموال فافزع ذلك من بها من الصحابة فخرج أبو سعيد الخدرى حتى دخل فى كهف الجبل فتبعه رجل من أهل الشام فاقتحم عليه الدار فانتضى أبو سعيد سيفه يخوف به الشامى فلم ينصرف عنه وعاد أبو سعيد وأعمد بيده وقال لئن بسطت يدك الى لاقتلنك ما أنا باسط يدى اليك لاقتلك فقال من أنت قال أنا أبو سعيد الخدرى قال صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فتركه ومضى وقيل ان مسلما لما نزل بهم المدينة خرج اليه أهلها بجموع كثيرة وهيئة حسنة فهابهم أهل الشام وكرهوا أن يقاتلوهم فلما رآهم مسلم وكان شديد الوجع سبهم ودعا عليهم وحرضهم فقاتلوهم فيئا الناس فى قتالهم اذ سمعوا تكبيرا من خلفهم فى جوف المدينة وكان سببه ان بنى حارثة ادخلوا أهل الشام المدينة فانهزم الناس وكان ممن أصيب فى الخندق أكثر ممن قتل ودعا مسلم الناس الى البيعة ليزيد على انهم خول له يحكم فى دمائهم وأموالهم وأهليهم ما شاء فمن امتنع من ذلك قتله وطلب الامان ليزيد بن عبد الله بن ربيعة بن الاسود ولمحمد بن أبى الجهم بن حذيفة ولمعدل بن سمان الاشجعى فأتى بهم بعد الوقعة يوم فقال بايعوا لى الشرط وقال المرشيان بايعك على كتاب الله وسنة رسوله فضرب اعناقهما وقتل مروان سبحان الله تقتل رجلين من قريش أتيا بامان وطعن بخاصرته بالقضيب وقال وأبيك والله لو قلت عقالنهما لقتلتك وأمر معقل بن سمان بجلاس مع القوم فدعا بشراب ليسقى قتل مسلم أى الشراب أحب اليك قال العسل قال اسقوه فشرب حتى ارتوى فقال له أرويت قال نعم قال والله لا تشرب بعدها شربة الا فى نار جهنم قال أنشدك الله والرحم فقال له أنت لدى لقيتنى بطبريه ليله خرجت من عندى يريد قلت سرا فى نهر اورجعنا شهرا واصبحت صفرا فرجع الى المدينة فجمع هذا الفاسق ابن الفاسق وبايع لرجل من المهاجرين أو الانصار ثم غطمان واضع من الخلق والخلافة انى آليت يمينا لا انقلت فى حرب أقدر منه على قتلك الا فعلت ثم أمر به فقتل وأتى بيزيد بن وهب فقال له بايع قال أبايعك على الكتاب والسنة قال اقتلوه قال أنا أبايعك قال لا والله فتكلم فيه مروان اصهر كان بينهما

تنوخ النعمان بن عمرو بن مالك (ثم ملك بعده) عمرو بن النعمان بن عمرو (ثم ملك بعده) الحوارى بن النعمان ولم يملك من تنوخ الا ما ذكرنا وهو تنوخ بن مالك بن فهم بن تيم الله بن الاردن دبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة ابن مالك بن حمير وقد تنورع فى قضاعة أمن معد كان أم من قحطان وتضاعة تأبى أن تكون من معد وتزعم أنها من قحطان على ما ذكرنا وقد قيل فى نسب قضاعة واتصالها بحمير ما ذكرنا من النسب ثم وردت سليح الشام وعلبت على تنوخ وتنصرت من ملكته الروم على العرب الذين بالشام وتمرقت قبائل العرب لما كان عارب وقصة عمرو بن عامر بن سبا وسارت غسان الى الشام من ولد مازن وذلك أن الازد ابن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب ابن يعرب بن قحطان بن مازن واليه ترجع جميع قبائل غسان وانما غسان ما عشروا منه فسموا بذلك (وفى ذلك) يقول حسان ابن ثابت الانصارى اما سألت فانا معشر نجب الازد نسبتنا والماء غسان

فأمر عمرو بن حريث فوجئت أنفه ثم قتل يزيد ثم أتى مروان بن الحكم فجاء به إلى مروان وابنه عبد الملك جالس بينهما عنده وعنده عمرو بن حريث فأمر مروان أن يحتز رأسه بذلك فشرب منه يسيرا ثم ناوله على بن الحسين فلما وقع في يده قال له مسلم لا تشرب من شرابنا فارتعد كفه ولم يأمنه على نفسه وأمسك المدية وقال له أجئت تمشي بين هؤلاء لتأمن عندي والله لو كان إلهما أمر لبيتك ولكن أمير المؤمنين أوصى بك وأخبرني أنك كابنه فإن شئت فاشرب وإن شئت فاشرب ثم أجلسه معه على السرير ثم قال له لعل أهلك فزعوا قال أي والله فأمر بدابة فأسرجت له فحمله عليها فردّه ولم يلزمه بالبيعة ليزيد على ما شرط على أهل المدينة وحصر علي بن عبد الله بن عباس ليبايع فقال الحسين بن نمير السكوني لا يبايع ابن أخته الأكسعة علي بن الحسين وكانت أم علي بن عبد الله كندية فقامت كندة مع الحصين فتركه مسلم فقال علي

أبى العباس ترم بن قصي * وأحوالي الملوك بنو وليعه
هموا سموا دماري يوم جاءت * كتائب مصرف وبنو اللكيعه
أراد بني التي لا عز فيها * فحالت دونه أيد سريعه

يعني قوله مصرف مسلم بن عقبة فنسبه إلى جده وقعة الحرة مصرفا وبنو وليعة بطن من كندة منهم أمه واللكيعة أم أمه وقيل إن عمرو بن عثمان بن عفان لم يكن فيمن خرج من بني أمية فأتي به يومئذ إلى مسلم فقال يا أهل الشام تعرفون هذا فقالوا لا قال هذا حميت بن الطيب هذا عمرو بن عثمان هي يا عمرو اذهب فطهر أهل المدينة قبحك الله رجل مسكم والله طهر أهل الشام قبحك الله أنا أمير المؤمنين عثمان فأمر به فمنعت لحيته ثم قال يا أهل الشام أما هذا كانت تحل الحمل في فيها ثم تقول يا أمير المؤمنين حاجتك مني في وفي مهامشاهي وباهي وكانت من دوس ثم حلى سبيله وكانت وقعة الحرة لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين قال محمد بن عمارة قدمت الشام في تجارة فقال لي رجل من أين أنت فقلت من المدينة فقال حميثة فقلت يسميها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وتسميها حميثة فقال إن لي ولها الشأن الماحرج الناس إلى وقعة الحرة رأيت في المنام أني قتلت رجلا اسمه محمد أدخل بقتله النار فاجتهدت في أن لا أسير معهم فلم يقبل مني فسرت معهم ولم أقاتل حتى انفضت الوقعة فمررت برجل في القتلى به رمق فقال تح يا كلب فأنعت من كلامه وقتله ثم ذكرت رؤياي فجئت برجل من أهل المدينة يتصفح القتلى فلما رأى الرجل الذي قتلته قال الله لا يدخل قاتل هذا الجنة قلت ومن هذا قال هو محمد بن عمرو بن حزم وكان يدعى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم محمدا وكان أبا عبد الملك فأتيت أهله فعرضت عليهم أن يقبلوني فلم يقبلوا وعرضت لهم الدية فلم يأخذوا ومن قتل بالحرة عبد الله بن عاصم الأنصاري وليس بصاحب الأذان وقتل ابن زيد بن ثابت وقتل أيضا فيها عبيد الله بن عبد الله بن موهب ووهب بن عبد الله بن زمعة بن الأسود وعبد الله بن عبد الرحمن بن حاطب وزيد بن عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفي هذه السنة توفي الربيع بن خيثم الكوفي الزاهد وحج بالناس هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان يسمى يومئذ العائذ وكانوا يرون الأمر شورى وأتاه الخبر بوقعة الحرة هلال المحرم مع المسور ابن مخرمة فاستعظموه بأمر عظيم فاعدهو وأصحابه واستعاروا وعرفوا أن مسلما نازل بهم

﴿ثم دخلت سنة أربع وستين﴾

وسنذكر بعد هذا الموضع ما عمر وما عمر فيها وحمرسيل بعين تنورة ثم في البلاد وحمر الماء المعروف بماسان وقد ذكر أن عمرو بن حريث خرج من مكة مرسلا فيما على هذا الماء إلى أن أدركه الموت وكان عمره ثمانية وسبعين سنة أو نحو ذلك وأن عمامته سوداء وأن نعمة ملكا وملت غسان على ما ذكر أم من العرب فملكوا الروم على العرب وكان أول من صار من ملوك غسان بالشام الحرث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن مرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث (ثم ملك) بعده الحرث بن جبلة بن حصنة ابن عمرو بن عثمان بن حارثة بن مرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث (ثم ملك) بعده جبلة بن الأيهم بن الحرث بن جبلة بن حصنة بن عمرو وأمه مارية بنت الفرطين بنت أرقم بن ثعلبة بن حصنة ابن عمرو وقد ذكرنا مارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية بن ثور ابن كندة وهي التي ذكرتها الشعراء في أشعارها وتنسب جماعة من ملوك غسان إليها وملك بعده النعمان بن الحرث بن ثعلبة ابن جبلة بن حصنة بن عمرو (ثم ملك) بعده جبلة بن أبي شمر وكان ملكه حين بعث رسول الله صلى الله

﴿ذكر مسير مسلم لحصار ابن الزبير وموته﴾

فلما فرغ مسلم من قتال أهل المدينة ونهبها اشخص عن معه نحو مكة يريد ابن الزبير ومن معه واستخلف على المدينة روح بن زنباع الجذامي، وقيل استخلف عمرو بن محرمة الاشجعي فلما انتهى الى المشلل نزل به الموت وقيل مات بثنية هرشى فلما حضره الموت أحضر الحصين بن النمير فقال له يا بردعة الحمار لو كان الامر الي ما ولايتك هذا الجند ولكن أمير المؤمنين ولاك خذ عني أربعا (١) اسرع السير وعجل المجازة ولا تنكر قريشا من اذنك ثم قال اللهم اني لم أعمل قط بعد شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله عملا أحب الي من قتلي أهل المدينة ولا أرجى عندي في الآخرة فلما مات سار الحصين بالناس فتدم مكة لاربع بقين من المحرم سنة أربع وستين وقد بايع أهلها وأهل الحاج لعبد الله بن الزبير واجتمعوا عليه ولحق به المنهزمون من أهل المدينة وقدم عليه نجدة من يزيد الحميري في الناس من الخوارج يمنعون البيت وحرج ابن الزبير الى لقاء أهل الشام ومعه أخوه المنذر فبارز المنذر رجلا من أهل الشام فضرب كل واحد منهما صاحبه بضربة مات منها، وحمل أهل الشام عليهم حملة انكشف منها اصحاب عبد الله وعثرت بغلة عبد الله فقال تعساش برا فصاح باصحابه فاقبل اليه المسور بن مخرمة ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف فقاتلا حتى قتلا جميعا وصار بهم ابن الزبير الى الليل ثم انصرفوا عنه هذا في الحصر الاول ثم أقاموا عليه يقاتلونه بقية المحرم وصفر كله حتى اذا مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الاول سنة أربع وستين رموا البيت بالمجانيق وحرقوه بالنار واخذوا يترحزون ويقولون

حصاره مثل الغريق المربد * نرمي بها أعواد هذا المسجد

وقيل ان الكعبة احترقت من نار كان يوقدها اصحاب عبد الله حول الكعبة وأقبلت شررة هبت بها الريح فاحترقت ثياب الكعبة واحترق خشب البيت والاول أصح لان البخاري قد ذكر في صحيحه ان ابن الزبير ترك الكعبة ليراها الناس محترقة يحرضهم على أهل الشام واقام أهل الشام يحاصرون ابن الزبير حتى بلغهم نعي يزيد بن معاوية لهلال ربيع الآخر

﴿ذكر وفاة يزيد بن معاوية﴾

وفي هذه السنة توفي يزيد بن معاوية بحوران من أرض الشام لاربع عشرة خلت من شهر ربيع الاول وهو ابن ثمان وثلاثين سنة في قول بعضهم وقيل تسع وثلاثين وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر وقيل ثمانية أشهر وقيل توفي في ربيع الاول سنة ثلاث وستين وكان عمره خمسا وثلاثين سنة وكانت خلافته سنتين وثمانية اشهر والاول اصح وأمه ميسون بنت بحدل بن انيف الكلبية وكان له من الولد معاوية وكنيته ابو عبد الرحمن وأبو ليلى وهو الذي ولي بعده وخالد ويكنى أبا هاشم يقال انه أصاب علم الكيمياء ولا يصح ذلك لاحد وابو سفيان وأمهم أم هاشم بنت عتبة بن ربيعة تزوجها بعده مروان بن الحكم وله أيضا عبد الله بن يزيد كان أرمى العرب وأمه أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر وهو الاسوار وعبد الله الاصغر وعمرو وأبو بكر وعتبة وحرب وعبد الرحمن ومحمد لامهات شتى

﴿ذكر بعض سيرته واخباره﴾

قال محمد بن عبيد الله بن عمرو العتبي نظر معاوية وهو امير أنه ابنة قرظة الى يزيد وأمه ترجله فلما فرغت منه قبلته فقالت ابنة قرظة لعن الله سوادا ساقي أمك فقال معاوية أما والله لما تفرجت عنه وركاها خير مما تفرجت عنه وركاك وكان لمعاوية من ابنة قرظة عبد الله وكان أحمق فقالت

عليه وسلم (ثم ملك) جبلة ابن الايهم بن جبلة بن الحرث بن ثعلبة بن مازن وهو غسان بن الازد بن عوف وهو الملك الذي امتدحه حسان بن ثابت الانصاري حيث يقول في شعر طويل أشهر نهم فان ملكك الشأ م الى الروم فخر كل يماني

(وفيه يقول أيضا)

لمن الدار أقفرت بعمان بين أعلى اليرموك والصمان من قريات من ثلاثين عدت ناسكا منه بالقصور الدواني فدديا لنصح والولائد تظمن مراعاة أكلة المرجان ذاك معنى لا آل جفنة في الدهر

وحقا تصرف الارمان صلوات المسيح في ذلك الدير دعاه القسيس والرهبان وهذه مواضع وقرى من غوطة دمشق واعمالها بين الجولان واليرموك

(وذكر عدة) من الاخباريين أن حسان ابن ثابت الانصاري زار الحرث بن أبي شمر الغساني وكان النعمان ابن المنذر اللخمي يساميه فقال له وهو عنده يا ابن الفريعة لقد نبئت أنك تفضل النعمان على فقال وكيف أفضله عليك فوالله لقفالك أحسن من

(١) قوله خذ عني أربعا هكذا في الاصل والمعدود ثلاثة فحرراه

لا والله ولكنك تؤثره فقال سوف أبين لك ذلك فأمر فدعي له عبد الله فلما حضر قال أي بني اني أردت ان أعطيك ما أبت أهله واست تسألني شيأ الا احتملك اليه فقال حاجتي ان تشتري كلبا وترهن وحمارا فقال أي بني انت حمار وأشتري لك حمارا ثم فاخرج ثم احضر يزيد وقال له مثل قوله لاخيه فخر ساجدا ثم قال حين رفع رأسه الحمد لله الذي بلغ أمير المؤمنين هذه المدة وأراه في هذا الرأي حاشى ان تمتقني من النار لان من ولي أمر الامة ثلاثة ايام اعتقه الله من النار فقد لي العهد بعدك وتولى العام لصائفة وتأذن لي في الحج اذا رجعت وتولني الموسم وتريد لاهل الشام كل رحل عشرة دنانير وتمرض لايام بني سفيان وبني عدي لانهم حلفائي فقال معاوية قد فعلت وقبل وجهه فقال لامرأته اسقيه فرطه كيف رأيت فالت أوصيه يا أمير المؤمنين فقبل وقال عمر بن سعيد بن العاص يريد في حياة أبيه فلما بلغ المدينة جلس على شراب له فاستأذن عليه ابن عباس والحسين فقيل له ان ابن عباس اذا وجد ريح الشراب عرفه فحمه وأذن للحسين فلما دخل وجد رائحة الشراب مع الطيب فقال لله درطيبك ما أطيبه فما هذا قال هو طيب يصنع بالشام ثم دعا بقدح فشربه ثم دعا بآخر فقال اسق اباعبد الله فقال له الحسين عليك شرابك أيها الرجل لا عين عينت مني ومال يزيد

ألا ياصاح بحت * دعوتك دائما ولم تجب
الى القينات والشهوا * ت والصهباء والطرب
وباطيـــة مكللة * عليها سادة العرب
وبهن التي تملت * فؤادك ثم لم تتب

فنهض الحسين وقال بل فؤادك يا بن معاوية تبلت وقال شقيق بن سلمة لما قتل الحسين ثار عبد الله بن الزبير فدعا بن عباس الى بيعته فامتنع وقال يريد ان امتناعه تمسك منه ببيعته وكتب اليه أما بعد فقد بلغني ان الملحد بن الزبير دعاك الى بيعته وانك امتنعت وفاء منك لنا فجزاك الله من ذي رحم خيرا فنحن نجزي الواصلين لارحامهم الموفين بعهودهم فما ينسى من الاشياء فليست بمنسية برك وتحمل صلتك الذي أنت له أهل وفطرمن طبع عليك من الآفاق من مصرهم ابن الزبير بمسألته فعلمهم منك أسمح الناس وذلك أطوع منهم للمحل فكتب اليه ابن عباس أما بعد فقد جاءني كتابك فاما ركوني بيعة ابن الزبير فوالله ما أرجو بذلك برك ولا أخشى به حدك ولكن الله بالذي أنوي عليم وبه أنت لست بناس بري فاحبس أيها الانسان برك عني فاني حابس عنك بري وسألت ان أحبب الناس اليك وأبغضهم وأخذلهم لابن الزبير فلا ولا سرورا ولا كرامة كيف وقد قتلت حسينا وفتيان عبد المطلب مصابيح الهدى ونجوم الاعلام عادرتهم جدلى بأمرك في صعيد واحد مرملين بالدماء مسلوبين بالعراء مقتولين بالظماء لا مكفنين ولا مسودين تسفي عليهم الرياح ويتعاورهم عرج البطاح حتى اتاح الله بقوم لم يشركوا في دمائهم كسوهم وأجوهم وبي وبهم لو عززت وجلست مجلسك الذي جلست فسألتني عن الاشياء فلست بناس اطرادك حسينا من حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حرم الله وتسييرك الجنود اليه فما زالت بذلك حتى أشخصته الى العراق فخرج خائفا يترقب فمرلت به جنودك عداوة منك لله ولرسوله ولاهل بيته لدن أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فطلب اليكم الموادعة وسألكم الرجعة فاغتنمتم قلة انصاره واستئصال أهل بيته وتعاونتم عليه كأنكم قتلتم أهل بيت من الترك والكفر فلا شيء أعجب عندي من طلبتك وذي وقد قتلت ولد أبي وسفكت

وجهه ولانك أشرف من أبيه ولانوه أشرف من جميع قومه ولشمائل أحمد من يمينه ولحرمانك أنفع من نداه ولقليلك أكثر من كثيره ولفقدك أشرع من غديره ولكريمك أربح من سريره ولحدونك أغوص من بحره وليومك أطول من شهره ولشهرك أمد من حوله ولحولك خير من حقبه ولزندك أورى من زنده ولحدك أعرض من جدده وابن من غسان وابنه من لخم وكيف أفصله عيث وعدله بث فقل يا ابن العريعة هذا لا يسمع لاني شعرت قل تبث ان يصدر يسمع الحرث الاصغر فقد أحس من وجهه وأمن حبرص المدر ويسري يديث على عسره كيمي يديه لي المعسر (وكانت ديار ملوك غسان) بالسير وك والحولان وغيرهم من عوطة دمشق وتعمل لها وسهم من بزل الاردن من أرض الشام وجبلة بن الايهم هو الذي أسلم وارتد عن دينه حوف العار والقود من الطمة وخبره واسع مشهور وقد اتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا وسائر أخباره لوك تموح وسليح وغيرهما من

يقطر من دمي وانت احد ثاري ولا يجمعك ان ظفرت بنا اليوم فلنظفرن بك يوما والسلام قال الشريف أبو يعلى حمزة بن محمد بن أحمد بن جعفر العلوي وقد جرى عنده ذكر يزيد انا لا نكفر يزيد لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اني سألت الله ان لا يسلط على بني أحدا من غيرهم فاعطاني ذلك

﴿ذكر بيعة معاوية بن يزيد بن معاوية وعبد الله بن الزبير﴾

في هذه السنة بويع لمعاوية بن يزيد بالخلافة بالشام ولعبد الله بن الزبير بالحجاز ولما هلك يزيد بلغ الخبر عبد الله بن الزبير بمكة قبل ان يعلم الحصين بن نمير ومن معه من عسكر الشام وكان الحصار قد اشتد من الشاميين على ابن الزبير فناداهم ابن الزبير واهل مكة علام تقاتلون وقد هلك طاغيتكم فلم يصدقوهم فلما بلغ الحصين خبر موته بعث الى ابن الزبير فقال موعدنا بيننا الليلة الابطح فالتقيا وتحادثا فراث فرس الحصين فجاء حمام الحرم يلتقط روث الفرس فكف الحصين فرسه عنهن وقال اخاف ان يقتل فرسي حمام الحرم فقال ابن الزبير تخرجون من هذا وانتم تقتلون المسلمين في الحرم فكان فيما قال له الحصين انت احق بهذا الامر هلم فنبايعك ثم اخرج معه الى الشام فان هذا الجند لدين معي هم وجوه الشام وفرسانهم فوالله لا يختلف عليك اثنان وتؤمن الناس وتهدر هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك وبين أهل الحرم فقال له انا لا اهدر الدماء والله لا أرضى ان اقتل بكل رجل منهم عشرة منكم وأحد الحصين يكلمه سرا وهو يجهر ويقول والله لا افعل فقال له الحصين قبح الله من يعدك بعد داهيا وآيما قد كنت أظن ان لك رأيا وأنا اكلمك سرا وتكلمني جهرا وادعوك الى الخلافة وأنت لا تريد الا القتل والهلكة ثم فارقه ورحل هو واصحابه نحو المدينة وندم ابن الزبير على ما صنع فارسل اليه اما المسير الى الشام فلا أفعله ولكن بايعوا لي هناك فاني مؤمسكم وعادل فيكم فقال الحصين ان لم تقدم بنفسك لا يتم الامر فان هناك ناسا من بني أمية يطلبون هذا الامر وسار الحصين الى المدينة فاجترأ أهل المدينة على أهل الشام فكان لا يفرد منهم احد الا أحدثوا به فلم يتفرقوا وخرج معهم بنو أمية من المدينة الى الشام ولو خرج معهم ابن الزبير لم يختلف عليه أحد فوصل اهل الشام دمشق وقد بويع معاوية بن يزيد فلم يمكث الا ثلاثة اشهر حتى هلك وقيل بل ملك أربعين يوما ومات وعمره احدى وعشرون سنة وثمانية عشر يوما ولما كان في آخر امارته امر فنودي الصلاة جامعة فاجتمع الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فاني ضعفت عن أمركم فابتغيت لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه أبو بكر فلم أجده فابتغيت ستة مثل ستة الشورى فلم أجدهم فانتم اولى بامركم فاختاروا له من أحببتم ثم دخل منزله وتغيب حتى مات وقيل انه مات مسموما وصلى عليه الوليد بن عتبة بن ابي سفيان ثم اصابه الطاعون من يومه فمات ايضا وقيل لم يمت وكان معاوية اوصى ان يصلي لعبد الله بن قيس بالناس حتى يقوم لهم خليفة وقيل لمعاوية لو استخلفت فقال لا اتزود مرارتها واترك لبني أمية حلاوتها

﴿ذكر حال ابن زياد بعد موت يزيد﴾

لما مات يزيد واتى الخبر عبيد الله بن زياد مع مولاه حمران وكان رسوله الى معاوية بن أبي سفيان ثم الى يزيد بعده فلما أتاه الخبر اسره اليه واخبره باختلاف الناس في الشام فامر فنودي الصلاة جامعة فاجتمع الناس وصعد المنبر فنعى يزيد وثلبه فقال الاحنف انه قد كانت لبريد في أعناقنا بيعة ويقال في المثل اعرض عن ذي فتره فاعرض عنه عبيد الله وقال يا أهل البصرة ان مهاجرنا

ملك الشام ودعا النبي صلى الله عليه وسلم الغساني الى الاسلام ورغبه في الايمان وقد أتينا على خبره وما كان من اسلامه وأخباره مع النبي صلى الله عليه وسلم في كتابنا أخبار الزمان وفيما بعد (وفي أبيه) يقول النابغة

هذا غلام حسن وجهه
مستقبل الخير مع القمام
الحرث الاكبر والحرث الا
صغر والحرث خير الاتام
ثم لهند ولهند وقد
اسرع في الخيرات منه امام
وخمسة آباؤهم ماؤهم
اكرم من يشرب صوب الغمام

جميع من ملك من ملوك غسان بالشام احد عشر ملكا وقد كان بالشام ملوك ببلاد مأرب من ارض البلقاء من بلاد دمشق وكذلك مدائن قوم لوط من ارض الاردن وبلاد فلسطين وكانت خمس مدن فكانت دار المملكة منها والمدينة العظمى مدينة سدوم وكانت سمة كل ملك يملكها فارعا وكذلك ذكر في التوراة وذكر اسماء هذه المدن اعرضنا عنه اذ كان فيه خروج عن شرط الاختصار وقد كان لكندة وغيرها من العرب من قحطان ومعد ملوك كثيرة لم نتعرض لذكرها

اذ كان لا اسماءهم تعموهم
وشهرهم كتولبا الحليمه
وقيصر وكسرى و نحو شى
ولئلا يطول الكتاب
ذكرهم وقد تيداعلى سائر
ملوك العرب من معد
وقحطان وغيرهم ممن وسم
بالملك فى بعض الممالك فى
سائر ايام الحالية والممالك
الباقية من ليصان
والسودان ممن امكن ذكره
وتأتى لنا الاخبار عنه
واعتمدت فى هذا الكتاب
من الملوك ما اشتهر ملكه
وعرف تملكه ميلا الى
الاختصار وطلبا لتيسير
وتسهيلا على مستدف من
احد رهم فى كتبنا لمعتدم
ذكرهم ان شاء الله
الموفق

﴿ ذكر الوادى من
العرب وغيرهم من الامم
وعلة سكناه لهم وحمل
من اخبار العرب وغير
ذلك مما يتصل بهذا
المعنى ﴾

وقد تقدم ذكرنا لولد قحطان
وان من عداهم من العرب
لغاربة ذكرت من عاد
وطسم وجديس وعملاق
وجرهم وثمود وعميل وويار
وسائر من سميناه وان من بقى
ممن ذكرنا دخلوا فى العرب
الباقية الى هذا الوقت وهم
قحطان ومعد ولا نعلم ان
قبيلا بقى يشار اليه فى

ايكم ودياركم وموالى فيكم والقدولينكم وما يحصى ديوان مقاتليكم الا سبعين الفا والقد احصى
اليوم مائة الف وما كان يحصى ديوان عمالكم الا تسعين الفا والقد أحصى اليوم مائة وأربعين
الفا وما ترك لكم فاطمة من اسلامه عليكم الا وهو فى سلطانكم وان يزيد قد توفى والقد اختلف الناس
بالشام وانهم اليوم أكثر لناس عددا واعزنفرا واغنى عن الناس وأوسعهم بلادا فاختاروا
لانفسكم رحلا ترضونه لدينكم وحمايتكم وأنا اقول راض من رضيتموه فان اجتمع أهل الشام على
رجل ترضونه لدينكم وحمايتكم دخلتم فيما دخل فيه المسلمون وان كرهتم ذلك كنتم على أحد
بيكم حتى تعصوا جماعتكم فما لم الى احد من أهل البلدان حاجة ولا يستغنى الناس عنكم
فقام خطباء أهل المصرة وقالوا لقد سمعنا مقالتك وما نعلم أحدا أقوى عليها منك فهل لك فيها
فقال لا حاجة لى فى ذلك فكرروا عليه وأبى عليهم ثلاثا ثم بسط يده فبايعوه ثم انصرفوا وصحوا
بيديهم بالحيطان وقلوا أيطن ان مرجئة سنتادله فى الجماعة والفرقة فلما بايعوه ارسل الى أهل
الكوفة مع عمرو بن مسلم وسعد بن العرجاء التميمى يعلمهم ما صنع أهل البصرة ويدعوهم الى
بيعته فلما وصلا الى الكوفة وكان خليفته عليها عمرو بن حريث جمع الناس وقام الرسولان
فخطبا اهل الكوفة ودعواهم الى ذلك فقام يزيد بن الحرث بن يزيد الشيبانى وهو ابن ردء فقال الحمد
لله لدى ارانا من ابن سمية نحن بايعنا ولا كرامة وحصبوا قول الناس بهم حصبوهما الناس
عنده فصرفت تيك الرسل يزيد بن رويم فى الكوفة ورفعته ورجع الرسولان الى البصرة فاعلماه
الحال فقال اهل البصرة يجمعه اهل الكوفة ولا يبقى نحن فضعف سلطانه عندهم فكان يأمر
بالامر فلا يقضى ويرى الرأى فيرد عليه ويأمر حابس المحطى فيحال بين اعوانه وبينه ثم جاء الى
البصرة سلمة بن ذؤيب الحنظلى المعنى فوقف فى السوق وبيده لواء وقال ايها الناس هلموا الى
فانى ادعوكم الى ما لم يدعكم اليه أحد أدعوكم الى اعادة الحرة يعنى عبد الله بن الزبير فاجتمع اليه
الناس وجعلوا يصفقون على يديه ما يضعونه فسمع الحمراس رياح فجمع الناس لحطهم وذكرلهم امره
ومعهم وانه دعاهم الى من يريد بيعته فبايعوه هل البصرة وانهم لواجيره وقال انى ارعى ابلكم
فصيتم أكفكم بالحيطان وباب الدار وقتم ما قمتم والى آمر بالامر فلا يفسد ويرد على رأى ويحال
بين أهوائى وبين طمتى ثم ان هذا سلمة بن ذؤيب يدعوا الى الخلاف عليكم ليفرق جماعتكم
ويضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف فقال الاحنف والناس نحن نأتيك اسلمه فاتوه بسلمه فاذا
جمعه قد كف والسنق قد تسع لمارأوا ذلك تعدوا عن رياح فلم يأتوه فدعا عبيد الله رؤساء محاربة
السلطان واراد هم ليقاتلوا معه فقالوا ان امرنا قواد معلما فقال له احوته مالك احايعة وقاتل
عنه فان هزمت رجعت اليه فامدك ولعل الحرب تكون سجالا وقد اتحد بين هؤلاء القوم
أموالا وان ظهروا ساءك لكونا واهلكوها فلم تبق لك بقية فلما رأى ذلك أرسل الى الحرث بن
عباس بن صهبان الحرصى لاردى فاحضره وقال له يا حرث ان آبى أوصانى انى ان حنكت فى
الحرب يوما أن اختاركم فقال الحرث ان قومى قد اختبروا أباك فلم يجدوا عنده مكانا ولا عندك
مكانا ولا اردك اذا احمرت بأسا أدرى كيف امانى لك ان اخرجتك نهارا أخاف أن تقتل واقتل
ولكنى اقيم معك الى الليل ثم أردك فخرج فى اثنا عشر فقال عبيد الله نعم ما رأيت فاقام عنده فلما
كان الليل حمل حلقه وكان فى بيت المال تسعة عشر ألف ألف وفرق ابن زياد مصهائى مواليه
وادخر الباقى لآل زياد وسار الحرث بعبيد الله بن زياد فكان يمر به على الناس وهم يتحارسون
يحاربه الحرورية وعبيد الله يسأله اين نحن والحرث يخبره فلما كانوا بنى سليم قال أين نحن قال

في بني سليم فقال سلما ان شاء الله فلما أتى بني ناجية قال أين نحن قال في بني ناجية قال نجونا ان شاء الله فقال بنو ناجية من أنت قال الحرث بن قيس وكان يعرف رجل منهم عبيد الله فقال ابن مرجانة وأرسل سهما فوقع في عمامته ومضى به الحرث فانزله في داره نفسه في الجهاضم فقال له ابن رياد يا حرث انك أحسنت فاصنع ما أشير به عليك قد علمت منزلة مسعود بن عمرو في قومه وشرفه وسنه وطاعة قومه له وهو لك ان تذهب بي اليه فاكون في داره وهي في وسط الازد فانك ان لم تفعل فرق عليك امر قومك وأخذه الحرث فدخلا على مسعود ولم يشعر وهو جالس يصلح خفاله فلما رآهما عرفهما فقال للحرث تعوذ بالله من شر ما طرقتني به قال ما طرقتك الا بخير قد علمت ان قومك انجوز يادا وفوالله فصارت مكرمة يفخرون بها على العرب وقد بايعتم عبيد الله سعة الرضا من مشورة وبيعة أخرى قبل هذه يعني بيعة الجماعة فقال مسعود أترى لنا ان نعادي أهل مصرنا في عبيد الله ولم نجد من أبيه مكافاة ولا شكرا فيما صنعنا معه فقال الحرث انه لا يعاديك أحد على الوفاء على بيعتك حتى تبلغه ما منه أفخرج عن بيتك بعد ما دخله عليك فامر مسعود فدخل بيت أخيه عبد العافر بن عمرو ثم ركب مسعود من ليلته ومعه الحرث وجماعة من قومه فطافوا بي الازد فقالوا ان ابن رياد قد دوخ لا ناس ان تخطوا به فاصبحوا في السلاح وفقد الناس ابن رياد فقالوا ما هو الا في الازد وقيل ان الحرث لم يكلم مسعودا بل أمر عبيد الله فحمل معه مائة ألف وأتى بها أم بسطام امرأة مسعود وهي بنت عمرو بن الحرث ومعه عبيد الله فاستأذن عليها فاذنت له فقال لها قد أتيتك بأمر مسعود به نساء العرب وتتجلين به العرب وأخبرها الخبر وأمرها ان تدخل ابن زياد البيت وتلبسه ثوبا من ثياب مسعود ففعلت فلما باء مسعود أخبرأ سماء بضربها فخرج عبيد الله والحرث اليه وقال له قد اجارني وهما ثوبك على وطمامك في بطني وشهد الحرث وتطوابه حتى رضي فلم يزل ابن زياد في بيته حتى قتل مسعود فسار الى الشام ولما فقد ابن زياد بقي أهل البصرة في غير أمير فاجتمعوا ثلاثين يؤمرون عليهم ثم تراضوا بقيس بن الهيثم السلمي وبالنعمان ابن مقيان الراسبي الحرمي ليختارا من بر ضيان لهم وكان رأي قيس في بني أمية ورأي النعمان في بني هاشم فقال النعمان ما أرى أحدا أحق بهذا الامر من فلان لرجل من بني أمية وقيل بل ذكر له عبد الله بن الاسود الزهري وكان هوى قيس فيه وانما قال النعمان ذلك خديعة ومكر بقيس فقال قيس قد قلدتك امري ورضيت من رضيت ثم خرجا الى الناس فقال قيس قد رضيت من رضي النعمان

﴿ذكر ولاية عبد الله بن الحرث البصرة﴾

لما اتفق قيس والنعمان ورضي قيس بمن يؤمره النعمان أشهد عليه النعمان بذلك وأخذ على قيس وعلى الناس العهود بالرضا ثم أتى عبد الله بن الاسود وأخذ بيده واشترط عليه حتى ظن الناس انه بايعه ثم تركه وأخذ بيد عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب الملقب ببيه واشترط عليه مثل ذلك ثم حمد الله وأثنى عليه وذكر النبي صلى الله عليه وسلم وحق أهل بيته وقرابته وقال أيها الناس ما تنقمون من رجل من بني عم نبيكم وأمه هند بنت أبي سفيان قد كان الامر فيهم فهو بين أختكم ثم أخذ بيده وقال رضيت لكم به فنادوه قد رضينا وبايعوه واقبلوا به الى دار الامارة حتى نزلها وذلك أول جمادى الآخرة سنة أربع وستين وقال الفرزدق في بيعته

وبايعت افواما وفيت بعهدهم * وبيعة قد بايعته غير نادم

﴿ذكر هرب ابن زياد الى الشام﴾

الارض من العرب الاول غير معد وقحطان وذكرنا من طاف البلاد من التبابعة والاذواء وشيد البنيان في الشرق والغرب ومصر الامصار وبنى المدن الكبار كفريقش بن ابرهة وما بنى بالمغرب من المدن كمدينة افريقية وصقلية وما كور من الكور هما لك وما اتحد من العمائر وكسير شمر الى أرض المشرق وبنيانه سمرقند ومن خلف هنالك من حمير بها وبلاد انبت والصين وقد ذكر لك جماعة من شعرائهم ممن سلف وخلف (وقد افتخر) دعبل بن علي الخزاعي في قصيدته التي يرد فيها على الكميت وفخر دعبل بمن سلف من ملوكهم وسيرفي الارض وأن لهم من الفضل ما ليس لمعد بن عدنان فقال في شعره

هو كتبوا الكتاب بباب مرو
وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم جمعوا الجموع بسمرقند
وهم غرسوا هناك النخيلا
(وقد كان) من بلاد اليمن ملوك لا يدعون بالتبابعة ممن تقدم وتأخر منهم حتى ينقاد الى ملكه أهل الشحر وحضرموت فحينئذ يستحق أن يسمى تبعا

ثم ان الازد وربيعة حددوا الحلف الذى كان بينهم وبين الجماعة وأنفق ان زيادا لاء كثيرا فيهم حتى تم الحلف وكتبوا بذلك بينهم كتابين فكان أحدهما عند مسعود بن عمرو فلما جمع الاحنف بن قيس الازد طلبت الى ربيعة ذلك قال لا يرالون لهم اتباعا ابدا أبوهم فلما تحالفوا اتفقوا على ان يردوا ابن زياد الى دار الامارة فسار واوربيعة مع مسعود بن عمرو وقالوا لابن زياد سر معنا فلم يفعل وارسل معه مواليه على الخيل وقال لهم لا تحدثوا بخبر ولا بشر الا أتيتموني به فحمل مسعود لا يأتى سكة ولا يصير وقبيلة الا أتى بخبر أولئك العلماء ان زيادا لخبر وسارت ربيعة وعليهم مالك بن مسمع وأحدوا سكة المربد حتى جاء مسعودا وقد دخل المسجد فصعد المنبر وعبد الله بن الحرث فى دار الامارة وقيل له ان مسعودا وأهل اليمن وربيعة قد سار واوسيهيج بين الناس شر فاصلحت بينهم وركبت فى بنى تميم فقال أنعدهم الله لا والله لا افسد نفسى فى اصلاحهم وجعل رجل من أصحاب مسعود يقول

لمكحل سه * جارية فى قمه * تمشط رأس لعبه

هذا قول الازد واما مضر يقولون ان أمه كانت ترقصه وتقول هذا وصعد مسعود المنبر وسار مالك بن مسمع بحدود ربيعة حتى دخل سكة بنى العدوية فحرق دورهم لما فى نفسه لاستعراض بنى حارم ربيعة بهراة وجاء بنو تميم مع الاحنف فقاتلوا بالحران ربيعة والازد فتحاملوا وقد سار وا الى الرحبة وقد حلوها فقال لهم احق بما حق بهم فقالوا قد دخلوا الدار فقال لستم احق بدارهم وقتله امرأة عمرو وقال له مالك ولرياسة انما أنت امرأة تحمر وقال لست امرأة أحق بالحمر منك فجمع معه كلمة أسوأ سهم أوه فقالوا ان امرأة صادقة حمر لها وقد قتلوه لصياح التى على طريق ثور وقتلوا المسعد الذى على باب المسجد وقد دخل مالك بن مسمع سكة بنى العدوية فحرق فقال الاحنف أقيموا البينة على هذا فى دون هذا ما يحل دمه فشهدوا عنده على ذلك فقال الاحنف جاء عباد بن الحصين فقالوا لا وهو عباد بن الحصين بن يزيد بن عمرو بن أوس من بنى عمرو بن تميم ثم قال اجاء عباد فقالوا لا قال أهما عباس بن طارق بن ربيعة لصريمى من بنى سعد بن ربيعة فقالوا نعم فدعاه فانتزع مخراقا فى رأسه فعقده فى رمح ودفعه اليه وقال سر فلما ترى قال اللهم ان لم تحرقها اليوم فلم تحرقها فمضى وصاح بها فحرقها وهى أم الاحنف كلها بها فسار عباس الى المسجد فلما سار عباس جاء عباد فقال ما صنع الناس وقيل سار بهم عباس فقال لا أسير تحت لواء عباس وعاد الى بيته ومعه ستون فارسا فلما وصل عباس الى المسجد قاتل الازد على أبوابه ومسعود على المنبر يحصص الناس فقاتل عباس بن بيهس الضبى وهو يقول

يال تميم اهامد كوره * ان فات مسعودها مشهوره * فاستمسكوا بالجانب المقصوره

أى لا يهرب وأتوا مسعودا وهو على المنبر فاستنزلوه وقتلوه وذلك أول شوال سنة أربع وستين وانهزم أصحابه وهرب أشيم بن شقيق بن ثور وطعنه أحدهم فصاح فقال العرزدق

لو أن أشيم لم يسق أستنا * وأحطأ الباب اديرا ساقد
اذ الصاحب مسعودا وصاحبه * وقد تهافتت الاعماح والكبد

ولما صعد مسعود المنبر أتى ابن زياد فقيل له ذلك فنهبأ لمجىء الى دار الامارة فأتوه وقالوا له انه قتل مسعود فركب ولحق بالشام فاتى مالك بن مسمع فاتاه ناس من مضر فحصروه فى داره وحرقوا داره ولما هرب ابن زياد تبعوه فاحرقهم فهبوا ما وجدوا له وفى ذلك يقول واقد بن حليفة المنقرى

ومن تخلف عن ملكه ممن ذكرنا فى مضر ولم نطلق له اسما تبع وقد قال الله عز وجل فى قصة قريش ونحصرها قوما وعددها أقل خبرهم قوم تبع الآية حين دخل الحرم فمنعت الله عنه الفيل وما فعل بمن معه وكذلك حكى عن عبد الله بن العباس وقد كان تبع أو كرب سار فى الارض ووطئ بلدانها ووطئ رض عراق فى مثل الطوائف وعبيد الطوائف حينئذ حوش سوره فى توكرب ملكا من طوائف فقال له قائل واليس قد سار فى الارض وهزم من بها فقال وأى تبع توكرب على ملكه ومثل العراق والشأم لك روكثير من الشرق (وفى ذلك يقول)

تبع وبيكرب مصبح
وردالث مع وسوه
ورثوهم حدودهم والحدود
الحميما حياد من طمار
مسيرهم مسيرا عبدا
وسحبانا الخيل ملك قتاد
وان أولاد غاشم مصعودا
فكسود البيت لدى حرم
الله ملاه قصبا وبرودا
واقامه من الشهر عشرا
وحملانه اليه اعبيدا

يارب جبار شديد كلبه * قد صار فينا تاجه وسلبه
منهم عبيد الله يوم نسلبه * جياده وبزه ونهبه
يوم التقى مقتبلنا ومقتنبه * لولم يحج ابن زياد هربه

وقد قيل فى قتل مسعود وسير ابن زياد غير ما تقدم وهو انه لما استخار ابن زياد بمسعود بن عمرو اجاره ثم سار ابن زياد الى الشام وأرسل معه مسعود مائة من الازد حتى قدموا به الى الشام فبينما هو يسير ذات ليلة قال قد ثقل على ركوب الابل ووطؤها على ذى حافر فحملوه قطيفة على حمار فركبه ثم سار وسكت طويلا فقال مسافر بن شريح اليشكرى فقلت فى نفسى ان كان شاء الوفظ عليه نومه فقلت أنائم أنت قال لا كنت أحدث نفسى قلت أفلا أحدثك بما كنت تحدث به نفسك قال هات قلت كنت تقول ليتنى كنت لم أقتل حسينا قال وماذا قلت تقول ليتنى لم أكن قتلت من قتلت قال وماذا قلت تقول ليتنى لم آكل لمست البيضاء قال وماذا قلت تقول ليتنى لم أكن استعملت الدهقين قال وماذا قلت تقول ليتنى كنت أخرج مما كنت قال أما قتلى الحسين فانه أشار الى يريد بقتله أو قتلى فاخترت قتله واما البيضاء فانى اشتريتها من عبد الله بن عثمان الثقفى وأرسل الى يريد ألف ألف فاعفتها على ان بتيت فلاها لى وان هلكت لم آس عليها واما استعمال الدهاقين فان عبد الرحمن بن أبى بكرة أراد ان يروح فوقع فى عنده معاوية وبلغ خراج العراق مائة ألف ألف فخيرنى معاوية بين العزل والضمان وكرهت العزل وكنت اذا استعملت العربى كسر الخراج فان اغرمت عشيرته أو طالبته أو غرت صدورهم وان تركته تركت مال الله وانا اعرف مكانه وحدثت الدهاقين أبصر بالجباية والوفاء للامانة وأهون بالمطالبة معكم مع انى قد جعلتكم امناء عليهم لا يظلموا أحدا واما قولك فى السخاء ما كان لى مال فاجوده عليكم ولو شئت لاخذت بعض مالكم فخصصت به بعضكم دون بعض فيقولون ما أسخاه واما قولك ليتنى لم أكن قتلت من قتلت فما عملت بعد كلمة الاخلاص عملا هو أقرب الى الله عندى من قتل من قتلت من الخوارج ولكن سأخبرك قلت ليتنى كنت قاتلت أهل البصرة فانهم يأبون طائعين ولقد حرصت على ذلك ولكنى بخ زياد قالوا ان قاتلتهم فطهروا علمك لم يبقوا منا أحدا وان تركتهم يغيب الرجل صاعدا حواله واصهاره فرفقت بهم وكنت أقول ليتنى أخرجت أهل الحجر فضربت أعناقهم وأما ادفانت هاتان فيتنى أقدم الشام ولم يبرموا امرا قال فقدم الشام ولم يبرموا امرا وكان معه صبيان وقيل بل قدم وقد أبرموا فنقض ما أبرموا فلما سار من البصرة استخلف مسعودا عليها فقال بنو تميم وقيس لا نرضى به ولا نولى الا رجلا ترضاه جماعتنا فقال مسعود قد استخلفنى ولا أدع ذلك أبدا وخرج حتى انتهى الى القصر ودخله واجتمعت تميم الى الاحنف فقالوا له ان الازد قد دخلوا المسجد قال اغلوها ولهم ولكم قالوا قد دخلوا القصر وصعد مسعود المنبر وكانت خوارج قد خرجوا فنزلوا نهر الساورة حين خرج عبيد الله الى الشام فزعم الناس ان الاحنف بعث اليهم ان هذا الرجل الذى قد دخل القصر هو لنا ولكم عدو فما يمنعكم عنه فجاءت عصابة منهم حتى دخلوا المسجد ومسعود على المنبر يبايع من أتاه فرماه علج بقال له مسلم من أهل فارس دخل البصرة فاسلم ثم دخل فى الخوارج فاصاب قلبه فقتله فقال الناس قتله الخوارج فخرجت الازد الى تلك الخوارج فقتلوا منهم وجرحوا فطردوهم عن البصرة ثم قيل للازد ان غيما قتلوا مسعودا فارسلوا يسألون فاذا ناس من تميم تقوله فاجتمعت الازد عند ذلك فرأسوا عليهم زياد بن عمرو اخا مسعود بن عمرو ومعهم مالك بن مسمع فى ربيعة وجاءت تميم الى

ثم طفنا بالبيت سبعا
وسبعا
وسجدنا عند المقام سجودا
(وقال أيضا فيه)
لست بالتبع اليمانى ان لم
أر كض الخيل فى سواد
العراق
أو تؤدى ربيعة الحرج قسرا
أو تعقى عوائق العوّاق
(وقد كنت) لنزار بن معد
معه وقائع وحروب كثيرة
واجتمعت عليه معد بن
ربيعة ومضر واياد وأعار
وتداعت بجدتها ازر
وتواهبت ما كان بينها من
الدماء والثأر وكانت لهم
غلبة فى ذلك يقول أبو
دواد الايادى
ضربنا على تبع حربه
جبال البرود وحرج الذهب
وولى بوكرب هاربا
وكان جبانا كثير الرهب
واتبعته فهوى للجبين
وكان العريرها من غلب
(وقد ذكرنا) فيما بعد هذه
النسب من ابراهيم عليه
الصلاة والسلام وولده
اسمعيل وتفرق النسب
الى نزار بن معد بن عدنان
فلنذكر الآن فى هذا
الموضع خبر ولد نزار
الاربعة مع الافعى بن
الافعى الجرهمى ثم نعقب
ذلك بما اليه قصدنا فى هذا
الباب من هذا الكتاب

To: www.al-mostafa.com

مع علة سكنى البوادى من عرب البدو وغيرهم من سكن الجبال والاودية وسائر القرارى والقصار

(ذكر) عدة من أخبارى العرب أن زرارة بن معبد ولد أربعة أولاد يادوا له كان يكنى وأشار ومحيلة وخثعم من ولده على ما قيل ان كان فيما ذكر تنازع لان من الناس من ألحقهم باليمن ومن الناس من ذكرهم ما وصفنا هم من ولد عمار بن نزار بن ربيعة ومضر فلما حضرت زرارة الوفاة قال لبنيه ودفعه جارية له شمطاء قل لا يدخل هذه الجارية ومن شبهها من مالى فيرث ثم أخذ سيد معصر فأخذ له قبضة من أدم ثم قال هذه القبضة وما أشبهها من مالى فلك ثم أخذ سيد ربيعة وقال له هذه الفرس الادهم والخباء الاسود وما شبههما من مالى فلك ثم أخذ سيد أعار وقال له هذه البدرة والمحلس وما أشبههما من مالى فلك فان اشتكت عليكم هذه القسمة فانوا الاعفى بن الاعفى الجرهمى وكان ملك نجران حتى يقسم بينكم وترضوا بقسمته فلم يلبث زرارة الا قليلا حتى هلك وأشكلت القسمة على ولده فركبوا راحلهم ثم

الاحنف يقولون قد خرج القوم وهو يتمكث لا تخف للفتنة فخاته امرأته بمصر فقالت احلس على هذا أى عما أنت امرأة فخرج الاحنف فى بنى تميم ومعهم من بالبصرة من قيس فالتقوا فقتل بينهم قتلى كثيرة فقال لهم بنو تميم الله الله يا معشر الازد فى دمائنا ودمائكم بيننا وبينكم القرآن ومن شئتم من أهل الاسلام فان كان لكم علينا بينة فاختارونا وأفضل رجل فينا فاقتلوه وان لم تكن لكم بينة فانخلعوا لله منا قتلنا ولا آمرنا ولا نعلم له قاتلا وان لم تريدوا ذلك فنحن ندى صاحبكم عمانية آلاف درهم وأتاهم الاحنف واعتذر اليهم مما فعل وسفر بينهم عمر بن عبيد الله بن معمر وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فطلبوا عشر ديات فاجابهم الى ذلك واصطلحوا عليه وأما عبد الله بن الحرث به فانه أقام يصلى بهم حتى قدم عليهم عمر بن عبيد الله بن معمر أميرا من قبل ابن الزبير وقيل بل كتب ابن الزبير الى عمر يعهده على البصرة فأتاه الكتاب وهو متوجه الى العمرة فكتب عمر الى أخيه عبيد الله يأمره ان يصلى بالناس فصلى بهم حتى قدم عمر فبقى عمر أشهرا ثم حتى قدم الحرث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى بعهد له وليها الحرث وهو اتباع وقيل استعمل عبيد الله بن الحرث سنة أهل البصرة بعد قتل مسعود بسبب العصبية وانتشار الخوارج فكتب أهل البصرة الى ابن الزبير وكتب ابن الزبير الى أنس بن مالك يأمره أن يصلى بالناس فصلى بهم ثلاثين يوما وكان عبيد الله بن الحرث يقول ما حان أن أصبح الناس فسادا نبى وكان يتدين وفى يديه سارية مع بنى الارزق أى الاهواز من البصرة وأما أهل الكوفة فانهم لما ماردوا رسل ابن زياد على ما ذكرنا قبل عزلوا خليفته عليهم وهو عمرو بن حريث واجتمع الناس وقالوا نؤمر علينا رجلا الى ان يجتمع الناس على خليفة فاجتمعوا على عمر بن سعد فجاءت نساء همدان يبكين الحسين ربيبهم مقتلدو السيوف فطافوا بالمعرفقال محمد بن الاشعث ياله أمرا غير ما كنا فيه وكانت كندة تقوم بأمر عمر بن سعد لانهم أخواله فاجتمعوا على عامر بن مسعود بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة الجمحى فخطب أهل الكوفة فقال ان لكل قوم شرة ولات فاطلبوها الى مظانها وعليكم عسلا يحل وتمحدوا كسروا شرابكم بالماء ووارواعنى بدء الحدران فقال ابن همام

شربت شرابا وانهم غير محسود * واكسره بالماء لانعس ابن مسعود
ان الامير له فى الخمر مأربة * فاشرب هنيأ مريأ غير مرصود
من دا يحترم ماء المزن خالطه * فيها ويحبى قول ابن مسعود
انى لاكره شديد لوة لنا * فى قعر دجلة ماء العنافيد

ولما بايعه أهل الكوفة وكتبوا بذلك الى ابن الزبير أقره عليها وكان يلقب دحروجة الجعل وكان قد صبر فمكث ثلاثة شهور من مهلك يزيد بن معاوية ثم قدم عليهم عبيد الله بن يزيد الخطمى لانصارى على الصلاة وابراهيم بن محمد بن طلحة على الخراج من عند ابن الزبير واستعمل محمد بن الاشعث بن قيس على الموصل فاجتمع لابن الزبير أهل الكوفة والبصرة ومن بالقبيلة من العرب وأهل الجزيرة وأهل الشام الا أهل الاردن فى امارة عمر بن عبيد الله بن معمر وكان يعاون الحارث بالبصرة عدة أمة فخاوجد لها من يحملها حتى استأجروا لها أربعة لاعلاج يحملونها

(ذكر خلاف أهل الرى)

فى هذه السنة بعد موت يزيد خالف أهل الرى وكان عليهم الفرخان الرازى فوجه اليهم عامر ابن مسعود وهو اميرالكوفة محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس التميمى فلقيه أهل الرى فهزمهم محمد فبعث اليهم عامر عتاب بن ورقاء الرياحى التميمى فاقتتلوا قتالا شديدا

فقتل

فقتل الفرحا - وانهزم المشركون وكان محمد بن عمير هذا مع علي بصفين على تميم الكوفة ثم عاش بعد ذلك فلما ولي الحجاج الكوفة فارقها وسار الى الشام لكراهته ولاية الحجاج

﴿ذكر بيعة مروان بن الحكم﴾

في هذه السنة بويع مروان بن الحكم بالشام وكان السبب فيها ان ابن الزبير لما بويع له بالخلافة ولى عبيد الله بن الزبير المدينة وعبد الرحمن بن مخدم الفهري مصر واخرج بني أمية ومروان بن الحكم الى الشام وعبد الملك بن مروان يومئذ ابن ثمان وعشرين سنة فلما قدم الحصين بن نمير ومن معه الى الشام أخبر مروان بما كان بينه وبين ابن الزبير وقال له وانى أمية تراكم في اختلاط فاقيموا أميركم قبل ان يدخل عليكم شأنكم فتكون فتنة عمياء صماء وكان من رأى مروان ان يسير الى ابن الزبير فيبايعه بالخلافة فقدم ابن زياد من العراق وبلغه ما يريد مروان ان يفعل فقال له قد استحييت لك من ذلك انت كبير قريش وسيدها تمضي الى أبي خبيب فتبايعه يعني ابن الزبير لانه كان يكنى بابنه خبيب فقال ما فات شيء بعد فقام اليه بنو أمية ومواليهم وتجمع اليه أهل اليمن فسار الى دمشق وهو يقول ما فات شيء بعد فقدم دمشق والضحاك بن قيس قد بايعه أهلها على ان يصلي بهم ويقيم لهم أمرهم حتى يجتمع الناس وهو يدعو الى ابن الزبير سرا وكان زفر بن الحرث الكلابي بقنسرين يبايع لابن الزبير والنعمان بن بشير بحمص يبايع له أيضا وكان حسان بن مالك بن بحدل الكلبي بفلسطين عاملا لمعاوية ولابنه يزيد وهو يريد بني أمية وسار الى الاردن واستخلف على فلسطين روح بن زنباع الجذامي فثار نائل بن قيس بروح فاخرجه من فلسطين وبايع لابن الزبير وكان حسان في الاردن يدعو الى بني أمية فقال لاهل الاردن ما شهادتكم على ابن الزبير وقتلي الحرة والوا نشهد انه صاحبي وان قتلي الحرة في النار قال فما شهادتكم على يزيد وقتلاكم بالحرة قالوا نشهد انه على الحق وان قتلانا في الجنة قال فاتا اشهد انكم كنتم يزيد وشيعته على حق انهم اليوم على حق ولئن كان ابن الزبير وشيعته على باطل انهم اليوم عليه قالوا له صدقت نحن نبايعك على ان نقاتل من خالفك وأطاع ابن الزبير على ان تجعل بنا هرين العلامين يعنون ابني يزيد عبد الله وخالدا فانا نكره ان يأتينا الناس بشيخ وتأتيهم صبي وكتب حسان الى الضحاك كتابا يعظم فيه حق بني أمية وحسن بلائهم عنده ويذم ابن الزبير وانه حاج حليفتين وأمره ان يقرأ كتابه على الناس وكتب كتابا آخر وسلمه الى الرسول واسمه باغضة وقال له ان قرأ كتابي على الناس والا فاقرأ هذا الكتاب عليهم وكتب حسان الى بني أمية يأمرهم ان يحضروا ذلك وقدم باغضة فدفع كتاب الضحاك اليه وكتاب بني أمية اليهم فلما كانت الجمعة صعد الضحاك المنبر فقال له باغضة لتقرأ كتاب حسان على الناس فقال له الضحاك اجلس فقام اليه الثانية والثالثة وهو يقول له اجلس فاخرج باغضة الكتاب وقرأه على الناس فقال الوليد بن عتبة بن أبي سفيان صدق حسان وكذب ابن الزبير وشتمه وقيل كان الوليد قدمات بعد موت معاوية بن يزيد وقام يزيد بن أبي العمص العسائي وسفيان بن الابرد الكلبي فصدقا حسانا وشتما ابن الزبير وقام عمرو بن يزيد الحكمي فشتم حسانا واثنى على ابن الزبير وامر الضحاك بالوليد ويزيد بن أبي العمص وسفيان فحبسوا وجال الناس ووثب كلب على عمرو بن يزيد الحكمي فضربوه ومزقوا ثيابه وقام خالد ابن يزيد فصعد مرقاتين من المنبر وسكن الناس ونزل الضحاك فصلى الجمعة ودخل القصر فجاءت كلب فأخرجوا سفيان وجاءت غسان فاخرجوا يزيد وجاء خالد بن يزيد وأخوه عبد الله معهما اخواهما من كلب فاخرجوا الوليد بن عتبة وكان أهل الشام يسمون ذلك اليوم يوم جيرون

في مفازة اذا هم بأثر بعير فقال اياد ان هذا البعير الذي ترون أثره اعور فقال أعمار وانه لابتر قال ربيعة وانه لاورم قال مضر وانه لشرود فلم يلبثوا أن رفع اليهم راكب يوضع بين راحلته فلما غشيهم قال لهم هل رأيتم من بعير ضال في وجوهكم قال اياد بعيرك أعور قال فانه لاعور قال أعمار بعيرك أبتر قال فانه لابتر قال ربيعة بعيرك أورر قال فانه لازور قال مضر كان بعيرك شرودا قال انه لشرود ثم قال لهم وأين بعيري دلوني عليه قالوا والله ما حسسنا لك ببعير ولا رأيناه قال أنتم أصحاب بعيري وما أخطأتم من نعته شيأ قالوا ما رأينا بعيرا فتبعهم حتى قدموا نجران فلما أناخوا بباب الاقيعي استأذنوا عليه فاذن لهم فدخلوا وصاح الرجل من وراء الباب أيها الملك هؤلاء أخذوا بعيري ثم حلفوا انهم ما رأوه فدعا به الاقيعي فقال ما تقول فقال أيها الملك هؤلاء ذهبوا ببعيري وهم أصحابه فقال لهم الاقيعي ما تقولون قالوا رأينا في سفرنا هذا اليك أثر بعير فقال اياد انه لاعور قال وما يدريك انه أعور قال رأيته مجتهدا في رعي الكلأ من شق قد لحسه

الاول ثم خرج الضحاك الى المسجد فجلس فيه وذكر يزيد بن معاوية فسبه فقام اليه شاب من كلب فضربه بعصا فقام الناس بعضهم الى بعض فاقتتلوا فقيس تدعو الى ابن الزبير وتصرة الضحاك وكلب تدعو الى بني أمية ثم الى خالد بن يزيد لانه ابن أختهم ودخل الضحاك دار الامارة ولم يخرج من الغد الى صلاة الفجر وبعث الى بني أمية فاعتذروا اليهم وانه لا يريد ما يكرهون وأمرهم ان يكتبوا الى حسان ويكتب معهم ليسير من الاردن الى الجابية ويسيروا هم من دمشق فجمعوا معه بالجابية وبايعوا الرجل من بني أمية ووصلوا وكتبوا الى حسان وسار الضحاك ومن أمية نحو الجابية فاتاه ثور بن معن السلمي وقال دعوتنا الى ابن الزبير فبايعناك على ذلك وأنت تسير الى هذا الاعرابي من كلب تستخلف ابن أخته خالد بن يزيد فقال الضحاك فما الرأي قال الرأي ان تظهر مكانكم وتدعو الى ابن الزبير فرجع الضحاك ومن معه من الناس فدخل عرج راهط ودمشق بيده واجتمع بنو أمية وحسان وغيرهم بالجابية وكان حسان يصلي بهم أربعين وما والناس يتشاورون وكان ملك بن هبيرة السكوني يهوى خالد بن يزيد ولحصين بن نمير يميل الى مروان فقال ملك لحصين هل بايع هذا الغلام الذي نحن ولد آبائه وقد عرفت منزلتنا من أبيه فانه يجعلنا على رقاب العرب غدا ففي خلدا فقال لحصين لا والله لا أبايع العرب شيخ وناشئها صبي فقال ملك والله ان اجتمعت مروان لحسدك على سوطك وشراك نعلك وطن بحرة سنطل ان مروان أو عشيرته وأحوعشيرة فابايعوه كنتم عبيدا لهم ولكن عليكم بابن أخيكم فقال لحصين اني رأيت في المنام قبيلا معلقا من السماء وان من يلي الخلافة يتناوله فلم يتناوله أحد الا مروان فالله لنجعلنه وقام روح بن زنباع الجذامي فقال أيها الناس اذكر تذكرون عبد الله بن عمر وصحبته وقدمه في الاسلام وهو يتذكرون ولكنه ضعيف وليس بصاحب أمة محمد الصعيف وتذكرون ابن الزبير وهو يتذكرون انه ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه ابن ذات النطاقين ولكنه رجل قد خلع خليفتين يزيد وابنه معاوية وسفك الدماء وشق عصا المسلمين وليس الرجل بصاحب أمة محمد وما مروان بن الحكم فوالله ما كان في الاسلام صدع الا كان ممن يشعبه وهو الذي قاتل علي بن أبي طالب يوم الجمل وانا نرى للناس ان يبايعوا الكبير ويستشيروا الصغير يعني بالكبير مروان وبالصغير خالد بن يزيد فاجتمع رأيهم على البيعة لمروان ابن الحكم ثم لخالد بن يزيد ثم لعمرو بن سعيد بن العاص من بعد خالد على ان امرة دمشق لعمرو وامرة حمص لخالد بن يزيد فقال حسان خالد قد قبل يا بن أختي ان الناس قد أولوك لحداثة سنك والله ما أريد هذا الامر لا لك ولا لهل بيتك وما أبايع مروان الا بطرا لكم فقال خالد بل بحبرت كما قال والله ما حبرت منكم ولكن الرأي لك ما رأيت ثم بايعوا مروان لثلاث خلون من ذي القعدة سنة أربع وستين وقال مروان حين بويع له

لما رأيت الامر أمر انهما * سرت عماة لهم وكلبا
والسكسكيين رجالا غلبا * وطيبا بأباه الاصربا *
والقين يمشي في الحديد نكبا * ومن تموح مشعرا صعبا
لا يأخذون الملك الا غصبا * فان دنت قيس فقل لا قربا

(حبيب بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخره باء موحدة)

﴿ذكر وقعة مرج راهط وقتل الضحاك والنعمان بن بشير﴾

ثم ان مروان لما بايعه الناس سار من الجابية الى مرج راهط وبه الضحاك بن قيس ومعه ألف

والشق الآخر وان كثير الالتفاف لجسمه فقلت انه أعور فقال اما رأيته يرعى ببعره مجتمعا ولكن أهب لمصح به فعلمت انه بعير وقال ربيعة رأيت أثر احدى يديه شاة والاخرى فاسدا فعلمت انه أرور وقال مصر رأيته يرعى الشقة من الارض ثم يتعداها فيمر بالكلأ الملتف العنص ولا يعشر منه حتى يأتي ما هو أرق منه فيرعى منه فعلمت انه شرود وقال الاعمى صدقتم فد صلوا أثر بعيرك وليسوا باصحابه لنفس بعيرك ثم قال الاعمى لنقوم من أنتم فحبروه نحالهم وتسموا فرحب بهم وحياهم ثم قال ما حطبكم فقصوا عليه قصة أبيهم قال الاعمى وكيف تحبون الى قومكم على ما ترى فلو أمرتم بذلك أو ثم أمرهم فأرلوا وأمر خادما له على دار لضيافة ان يحسن اليهم ويكرم مثواهم والطفهم بأفضل ما قدر عليه ثم أمر وصيفا له من بعض خدمه طرفة أديما فقال اطرح كل كلمة تخرج من أفواههم فأتى بها فلما رأوا بيت الضيافة أتاهم القهرمان بقرص من شهدوا كلوا وقالوا ما رأينا شهدا أعذب ولا أحسن ولا أشد حلاوة منه فقال اباد

فارس وكان قد استمد الضحاك النعمان بن بشير وهو على حمص فامده بشرحبيل بن ذى الكلاع واستمد أيضا زفر بن الحرث وهو على قنسرين فامده باهل قنسرين وأمده نائل بأهل فلسطين فاجتمعوا عنده واجتمع على مروان كلب وغسان والسكاسك والسكون وحمل على ميمنته عمرو بن سعيد وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد وكان يزيد بن أبى النمس الغسانى مخفيا بدمشق لم يشهد الجابية فغلب على دمشق وأخرج عامل الضحاك بن قيس وغلب على الخزائن وبيت المال وبايع لمروان وامده بالاموال والرجال والسلاح فكان أول فتح على بنى أمية وتحارب مروان والضحاك بمرج راهط عشرين ليلة واقتتلوا قتالا شديدا فقتل الضحاك قتله دحية بن عبد الله وقتل معه ثمانون رجلا من اشراف أهل الشام وقتل أهل الشام مقتلة عظيمة وقلما قيس مقتلة لم يقتل مثلها فى موطن قط وكان ممن قتل هانئ بن قبيصة النمرى سيد قومه كان مع الضحاك فقتله وارع ابن ذؤاله الكلابى فلما سقط جزعا قال

دعست ابن ذات النوف أجهز على امرئ * يرى الموت خيرا من فرار وألما
لا تتركنى بالحشاشة انتى * صبور اذا ما النكس مثلك احجما

فعاد اليه وارع فقتله وكانت الوقعة فى المحرم سنة خمس وستين وقيل بل كانت فى آخر سنة اربع وستين ولما رأى مروان رأس الضحاك ساءه ذلك وقال الآن حين كبرت سنى ودق عظمى وسرت فى مثل طم الحمار اقبلت بالكتائب اضرب بعضها ببعض ولما انهزم الناس من المرج لحقوا باجنادهم فانتهى أهل حمص اليها وعليها النعمان بن بشير فلما بلغه الخبر خرج هاربا ليلا ومعه امرأته نائلة بنت عمارة الكلبية وثقله وأولاده فحير ليلته كلها وأصبح أهل حمص فطلبوه وكان الذى طلبه عمرو بن الجلى الكلاعى فقتله ورد أهله والرأس معه وجاءت كلب من أهل حمص فاخذوا نائلة وولدها معها ولما بلغت الهزيمة زفر بن الحرث الكلابى بقنسرين هرب منها فلحق بقرقيسيا وعليها عياض الحرشى كان يزيد ولاه اياها فطلب منه ان يدخل الحمام ويحلف له بالطلاق والعتاق على انه لما يخرج من الحمام لا يقيم بها فاذن له فدخلها فغلب عليها وتحصن بها ولم يدخل حمامها فاجتمعت اليه قيس وهرب نائل بن قيس الجذامى من فلسطين فلحق بابن الزبير بمكة واستعمل مروان بعده على فلسطين روح بن زنباع واستوثق الشام لمروان واستعمل عماله عليها وقيل ان عبيد الله بن زياد انما جاء الى بنى أمية وهم بتدمر ومروان بريد ان يسير الى ابن الزبير ليبايعه ويأخذ منه الامان لبنى أمية فرده عن ذلك وأمره ان يسير باهل تدمر الى الضحاك فيقاتله ووافقه عمرو بن سعيد وأشار على مروان بأن يتزوج أم خالد بن يزيد ليسقط من أعين الناس فتزوجها وهى فاختة ابنة أبى هاشم بن عتبة ثم جمع بنى أمية فبايعوه وبايعه أهل تدمر وسار الى الضحاك فى جمع عظيم فخرج الضحاك اليه فتقاتلا فانهزم الضحاك ومن معه وقتل الضحاك وسار زفر بن الحرث الى قرقيسيا واجتمعت عليه قيس وصحبه فى هزيمته الى قرقيسيا شابان من بنى سليم فجاءت خيل مروان تطلبهم فقال الشابان لزفر انج بنفسك فانا نحن نقتل فمضى زفر وتركهما فقتلا وقال زفر فى ذلك

أرينى سلاحى لا أبالك انتى * اذا الحرب لا تزداد الا تماديا
أنانى عن مروان بالغيب انه * مقيد دمى أو قاطع من لسانيا
فنى العيش منجاة وفى الارض مهرب * اذا نحن رفعنا لهن المثانيا
فلا تحسبونى ان تغيبت غافلا * ولا تفرحوا ان جئتكم بلقائيا

صدقتم لولا أن نخله فى هامة جبار فوعاها الغلام فلما حضر غداؤهم وجىء بالشواء فاذا بشاة مشوية فأكلوها وقالوا ما رأينا شواء أجود شيأ ولا أرخص لحما ولا أحسن منه فقال الغلام صدقتم لولا أنه غذى بلبن كلبة ثم جاءهم بالشراب فلما شربوا قالوا ما رأينا خمرا أرق ولا أعذب ولا أصفى ولا أطيب رائحة منه فقال ربيعة صدقتم لولا ان كرمها نبت على قبر ثم قالوا ما رأينا منزلا أكرم قرى ولا اخصب رجلا من هذا الملك قال مضر صدقتم لولا انه لغير أبيه فذهب الغلام الى الافعى فأخبره بما كان منهم فدخل الافعى على أمه فقال أقسمت عليك الا ما أخبرتينى من أنا ومن أبى فقالت يا بنى وما دعاك الى هذا أنت ابن الافعى الملك الاكبر قال حقا لتصدقينى فألح عليها قالت يا بنى ان أباك الافعى الذى تدعى له كان شيخا قد ثقل فخشيت أن يخرج هذا الملك عنا أهل البيت وقد كان قدم الينا شاب من أبناء الملوك فدعوته الى نفسى فعلقت بك منه ثم بعث التهرمان فقال أخبرنى عن التهد الذى بعثت به الى هؤلاء النفر ما خطبه قال أنا أخبرنا بدير

فقد بيت المرعى على دمن الثرى * له ورق من تحته الترباديا
وتصبى ولا يبقى على الارض دمنة * وتبقى حزازات النفوس كما هيا
لعمرى لقد ابقت وقيعة راهط * لحسان صدعا بينا متنابيا
فلم ترمنى نبوة قبل هذه * فراري وتركى صاحبى ورائيا
عشية أدعو فى القرآن فلا أرى * من الناس الا من على ولا ليا
أيدهب يوم واحد ان اسأته * بصالح أيامى وحسن بلائيا
فلا صبح حتى تنشط الخيل بالقنا * وتثأرص دسوان كلب نسائيا
ألا ليت شعرى هل تغيبن غارتى * منوحا واحيى طيأ من سقائيا

وأجابه حواس بن القعطل

لعمرى لقد ابقت وقيعة راهط * على زفر من آل الداما فيا *
فقيم ثوى بين الصلوع محله * وبين الحشا اعيا لطيب المداويا
تبكى على قتلى سليم وعامر * وديان معدورا وتبكى الدواكيا
دعا بالسلاح ثم أحجم اذ رأى * سيوف حباب والطوال المذاكيا
عليها كأسد لعاب فيالان بجدة * اذا شرعوا نحو الطوال العواليا

وقال عمرو بن الحلى الكلابى

تبكى رفرا قيس من هناك قومه * بعبرة عين منجف سحومها
تبكى على قتلى اصيبت براهط * تحاوبها هام القفار ورومها
ايبكى حمى للحى قيس براهط * وولت شلالا واستبيح حريمها
تبكيهم حران تحرى دموعها * ترجى برارا أن يؤب حلومها
فمت كمدا او عش ذليلا وبضعا * بحسرة نفس لا تنام همومها

فى أبيات (يريد بن أبى الخمس بالسين المهملة وقيل بالشين المعجمة وكان قد ارتد عن الاسلام ودخل الروم مع حملة بن الايهم ثم عاود الاسلام وشهد صفين مع معاوية وعاش الى أيام عبد الملك ابن مروان وقتل بالموت والثاء المعجمة من فوق باثنتين)

﴿ذكر فتح مروان مصر﴾

فلما قتل الضحاك وأصحابه واستقر الشام لمروان سار الى مصر فتقدمها وعليها عبد الرحمن بن خالد القرشى يدعو الى ابن الزبير فخرج الى مروان فيمن معه وبعث مروان عمرو بن سعيد من ورائه حتى دخل مصر وقيل لابن خالد ذلك فرجع وبايع الناس مروان ورجع الى دمشق فلما دنا منه بلغه أن ابن الزبير قد بعث اليه أخاه مصعبا فى جيش فارسل اليه مروان عمرو بن سعيد قبل ان يدخل الشام فقاتله فانهزم مصعب وأصحابه وكان مصعب شجاعا ثم عاد مروان الى دمشق واستقر بها وقد كان الحصين بن نمير ورومالك بن هبيرة قد اشترطا على مروان شروطا لهما ولخالد ابن يزيد فلما توطن ملكه قال ذات يوم ومالك عنده ان قوما يدعون شروطا منهم عطارة مكحلة يعنى مالكا وكان يتطيب ويتكحل فقال مالك هذا ولما تردى تهامة ويبلغ الحرام الطيبين فقال مروان مهلا يا أبا سليمان اغمد اعينك فقال هو ذاك

﴿ذكر بيعة أهل خراسان سلم بن زياد وأمر عبد الله بن خازم﴾

لما لمع سلم بن زياد وهو بخراسان موت يزيد كتم ذلك فقال ابن عرادة

فى طيف وعمت اليه من بشوره فأحضروا أنهم هجموا على عظام محرة صكرة فى ذلك الصيف فاذا الحل قد عسلت فى جحمه من تلك لعطاء فلو بعسل لم ترمثله فقدمته فى القوم لحودته ثم مت الى صاحب مرثده وقال ماهذه الشاه التى شويتم لهؤلاء القوم قال انى بعثت لى رعى أن ابعث الى بأحسن شئ عندك فبعث بها الى وما سألته عنها فبعث الى الراعى أن أعلمنى خبر هذه الشاة قال بها قرن مولدت من تحتى ثم قول فماتت أمها فبقيت وكانت كلمة لى قد وصعت فاتت المحلة تحمراء الكلية وكانت ترضع من الكتبة مع جرثم اولم أجد فى غنمى مثلها فبعثت بها اليك ثم بعث لى صاحب الشراب فقال ماهذا الخمر الذى سقيت لهؤلاء القوم قال من جبة كرم نبت غرستها على قبر أبيك فليس فى العرب مثل شرابه فقال الا فى مالهؤلاء القوم ان هم الا شياطين ثم أحضرهم فقال ماحطبكم فصوا على فصصكم فقال اياذان لى جعل لى خادمة شمطاء وما أشبهها من ماله فقال ان أبيك ترك برسا فهى لك ورعاولها مع الخادم قال

يا أيها الملك المغالق بابه * حدثت أمور شأنهن عظيم
قتلى بحرة والذين بكابل * ويزيد أغلق بابه المكتوم
أبنى أمية ان آخر ملككم * جسد بحوارين ثم مقيم
طرقت منيته وعند وساده * كوب ورق راعف مرءوم
ومرفة تبكى على نسوانه * بالصبح تقعد مرة وتقوم

فلما أظهر شعره أظهر سلم صوت يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد ودعا الناس الى البيعة على الرضا حتى يستقيم أمر الناس على خليفة فبايعوه ثم نكثوا به بعد شهرين وكان محسنا اليهم محبوبا فيهم فلما خلع عنهم استحلف عليهم المهلب بن أبى صفرة ولما كان بسرخس لقيه سليمان ابن مرثد أحد بنى قيس بن ثعلبة بن ربيعة وقال له ضاقت عليك الارض حتى خلفت على خراسان رجلا من اليمن يعنى المهلب وكان ازديا والازد من اليمن فولاه مرو والروذ وذا الفارياب والطالقان والجوزجان وولى أوس بن ثعلبة بن زفر وهو صاحب قصر أوس بالبصرة هراة فلما وصل الى نيسابور لقيه عبد الله بن خازم فقال من وليت خراسان فاخبره فقال أما وجدت فى المضر من تستعمله حتى فرقت خراسان بين بكر بن وائل واليمن اكتب لى عهدا على خراسان وكتب له واعطاه مائة ألف درهم وسار ابن خازم الى مرو وبلغ خبره المهلب فاقبل واستخلف رجلا من بنى جشم بن سعد بن زيد مناه بن تميم فلما وصلها ابن خازم منعه الجشمى وجرت بينهما مناوشة فاصابت الجشمى رصية بحجر فى جبهته وتحاجزوا ودخلها ابن خازم ومات الجشمى بعد ذلك بيومين ثم سار ابن خازم الى سليمان بن مرثد بمرو الروذ فقاتله أياما فقتل سليمان ثم سار الى عمرو بن مرثد وهو بالطالقان فاقتتلوا طويلا فقتل عمرو بن مرثد وانهزم أصحابه فلحقوا بهراة بأوس ابن ثعلبة ورجع ابن خازم الى مرو وهرب من كان بمرو الروذ من بكر بن وائل الى هراة وانضم اليها من كان بكور خراسان من بكر وكثر جمعهم وقالوا لاوس بن ثعلبة نبايعك على ان تسير الى ابن خازم وتخرج مضر من خراسان فابى عليهم فقال له بنو صهيب وهم موالى بنى مجدم لا نرضى ان نكون نحن ومضر فى بلد واحد وقد قتلوا سليمان وعمرا ابنى مرثد فاما ان تبايعنا على هذا والا بايعنا غيرك فاجابهم فبايعوه فسار اليهم ابن خازم فنزل على واد بينه وبين هراة فاشار البكريون بالخروج من هراة وعمل خندق فقال أوس بل نلزم المدينة فانها حصينة ونطاول ابن خازم ليضجر ويعطية ما يريد فابوا عليه فخرجوا وخندقوا واقتتلوا وقاتلهم ابن خازم نحو سنة وقال له هلال الضبى اغانقاتل اخوتك وبنى أبيك فان نلت منهم الذى تريد فانى العيش خير فلو أعطيتهم شيأ يرضون به وأصلحت هذا الامر وقال والله لو خرجنا اليهم من خراسان ما رضوا فقال هلال والله لا أقاتل معك انا ولا رجل وطيء حتى تعتذر اليهم قال فانت رسولى اليهم فارضهم فاتى هلال أوس بن ثعلبة فناشده الله والقرابة فى نزار وان يحفظ ولاءها فسأل هل لقيت بنى صهيب قال لا قال فالقهم قال فخرج فلقى جماعة من رؤساء أصحابه فاخبرهم ما أتى له فقالوا له هل لقيت بنى صهيب فقال لقد عظم أمر بنى صهيب عندكم فاتاهم وكلمهم فقالوا لولا انك رسول لقتلناك قال فهل يرضيكم شئ قالوا واحدة من اثنتين اما أن تخرجوا من خراسان واما أن تقيموا وتخرجوا النساء عن كل سلاح وكراع وذهب وفضة فرجع الى ابن خازم فقال ما عندك فاخبره فقال ان ربيعة لم تزل غضابا على ربها منذ بعث نبيه من مضر وأقام ابن خازم يقاتلهم فقال يوما لاصحابه قد طال مقامنا وناداهم يا معشر ربيعة أرضيتم من خراسان بخندقكم فاحفظوهم ذلك فتنادوا للقتال فهاهم أوس

أغمار ان أبى جعل لى بدرة ومجلسه وما أشبههما من ماله قال ذلك ماترك أبوك من الرقة والحرقى والارض فقال ربيعة ان أبى جعل لى فرسا ادهم وبيتا أسود وما أشبههما من ماله قال فان أباك ترك خيلا دهما وسلاحا فهى لك وما فيها من عبيد فسمى ربيعة الفرس فقال مضر ان أبى جعل لى قبة حمراء من ادم وما أشبهها من ماله فقال ان أباك ترك ابلا حمرا فهى لك وما أشبهها من ماله فصارت لمضر الابل والقبة الحمراء والذهب فسمى مضر الحمراء وكانوا على ذلك مع اخوانهم جرهم بمكة فاصابهم سنة فاهلكت الشاء وعامة الابل وبقيت الخيل وكان ربيعة يغزو عليها ويصل اخوته وذهب ما كان لاغمار من شاء فى تلك السنين ثم عاود الناس الخصب والغيث فرجعت الابل وثابت اليها أنفسها ومشت فتناسلت وكثرت وقام مضر بامر اخوته فبينما هم كذلك وقد قدم الرعاء بابلهم فتشعبوا ليلا وعشوا رعاءهم فقام مضر يوصى الرعاة يد أغمار عظم يتعرقه فدجاه به فى ظلمة الليل وهو لا يبصر فضرب فى عنق مضر فتاوه مضر وصاح عينى عينى

ان تعلمنه من الخروج بجماعتهم وأن يقاتلوا كما كانوا يقاتلون ومضوه فقال ان حارم لاصحابه احملوا بنا عليهم فيكون الملك لمن غلب واذا نقيتم الخيل فاطعنوها في مناحرها فاقتتلوا ساعة وهزمهم بكر بن وائل حتى انتهوا الى خندقهم وتمرقوا عليه اوشمالا وسقط الناس في الخندق وقتل فلان بن حارم وهرب اوس بن تعلبة الى سجستان فمات بها أو قريبا منها وقتل من بكر بن وائل ثمانية آلاف وغلب بن حارم على هراة واستعمل عليها ابنه محمدا وسلم اليه شماس بن نار العبدي وجعل بكير بن وشاح الثقفي على شرطته ورجع ابن حارم الى مرو وأغارت الترك على قصر اسعاد وابن حارم على هراة وكان فيه ناس من الازد فحصروهم فارسلوا الى ابن حازم فوجه اليهم رهير بن حيان في بني تميم وقال له اياك ومثاواة الترك اذا رأيتموهم فاحملوا عليهم وواعدهم في يوم بارد فلما التقوا حمل عليهم فاهزمت الترك واتبعوهم حتى مضى عامة الليل فرجع رهير وقد يبست يده على رمحه من البرد فجعلوا يمضغون الشحم ويضعه على يده ودهنوه وأوقدوا له نارا فمضت يده ثم رجع الى هراة وقال في ذلك ثابت قطنة

قد تنسمي فوارس من تميم * على ما كان من صلك المقام
تقصر له هلي وقد أرى * أسى حين قل به المحامي
يسبق بعد كسر الرمح فيهم * اذود هم بدي شطب حسام
أثر عليهم الحسوم ترا * كبكر الشرب آبية المدام
فلولا الله ليس له شريك * وصبري قونس الليث الهمام
اذا فاصمت نساء بني دثار * أمام الترك بادية الحدام

﴿ذكر أمر التوابين﴾

قيل لما قتل الحسين ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة ودخل الكوفة تلاقته الشيعة بالتلاوم والمنادمة ورأت ان قد احطأت خطأ كبيرا بدعائهم الحسين وتركهم نصرته واجابته حتى قتل بين اظهرهم ورأوا انه لا يغسل عارهم والاثم عليهم الا قتل من قتله والقتل فيهم فاجتمعوا بالكوفة في خمسة نفر من رؤساء الشيعة الى سليمان بن صرد الخزاعي وكانت له صحبة والى المسيب بن نجبة الفزاري كان من أصحاب علي والى عبد الله بن سعد بن نفيل الازدي والى عبد الله بن والى التيمي تيم بكر بن وائل والى رفاعة بن شداد البجلي وكانوا من خيار أصحاب علي فاجتمعوا في منزل سليمان بن صرد الخزاعي فبدأهم المسيب بن نجبة فقال بعد حمد الله اما بعد فانا ابتلينا بطول العمر والتعرض لانواع الفتن فمرغب الى ربه أن لا يجعلنا ممن يقول له غدا أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وقد أتاكم النذير وقال أمير المؤمنين علي فيما قال العمر الذي أعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة وليس فيما رجل الا وقد بلغه وقد ذكرنا العمر بتركية انفسنا وجدنا الله كاذبين في كل موطن من مواطن ابتلى نبيه صلى الله عليه وسلم وقد بلغنا قتل ذلك كتبه ورسله واعذر اليها فسألها نصره عود أو بدء وعلانية فما ساعده بنفسه حتى قتل الى جانبه الا من نصرناه بيد ولا جاد لها عنه بالسنتنا ولا قويناه باموالنا ولا طلبناله العشائر بالمصرة الى عشائرنا بالمدر بها وعند لقاء بها وقد قتل فيما ولد حبيه وذريته ونسله لا والله لا عذر دون أن تقتلوا قاتله والموالين عليه او تقتلوا في طلب ذلك وهي ربنا ان يرضى عنا عند ذلك ولا اراه عند لقائه لعقوبته يا قوم ايها القوم ولوا عليكم رجلا منكم فانه لا بد لكم من أمير تفزعون اليه ورايه تحفون بها

وقام

وقام رفاعة بن شداد وقال اما بعد فان الله قد هداك لاصوب القول وبدأت بارشد الامور بدعائك
الى جهاد الفاسقين والى التوبة من الذنب العظيم فسموع منك مستجاب الى قولك وقلت ولوا
أمركم رجلا تفزعون اليه وتحفون برايته وقد رأيناسئل الذى رأيت فان تكن أنت ذلك الرجل
تكن عندنا مرضيا وفينا منتصحا وفى جماعتنا محبوبا وان رأيت ورأى أصحابنا ذلك ولينا هذا
الامر شيخ الشيعة وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذا السابقة والقدم سليمان بن صرد
الخزاعى المحمود فى بأسه ودينه الموثوق بحزمه وتكلم عبد الله بن سعد بنحو ذلك وأثنيا على المسيب
وسليمان فقال المسيب قد أصتم وولوا أمركم سليمان بن صرد فتكلم سليمان فقال بعد حمد الله
اما بعد فانى لخائف ان لا يكون آخرنا الى هذا الامر الذى تكدت فيه المعيشة وعظمت فيه الرزية
وشمل فيه الجور أولى الفضل من هذه الشيعة لما هو حيرانا كنا عند اعتزافنا الى قدوم آل بيت
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عنهم النصر ومحتهم على القدوم فلما قدموا وتبينا بحجرنا وأذهلنا
وتربصنا حتى قتل فيما وابنيناه وسلالته وعصابته وبضعة من لحمه ودمه اذ جعل يستصرخ
ويسأل النصف فلا يعطى اتخذه الفاسقون غرضا للنبل ودريئة للرماح حتى أقصدوه وعدوا
عليه فسلبوه النصف ألا انهضوا فقد سخط عليكم ربكم ولا ترجعوا الى الحلائل والابناء حتى يرضى
الله والله ما أظنه راضيا دون ان تناجزوا من قتله ألا لا تهابون الموت فما هابه أحد قط الا ذل
وكونوا كبنى اسرائيل اذ قال لهم نبيهم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم
فاقتلوا أنفسكم ففعلوا وجثوا على الركب ومدوا الاعناق حتى علموا انهم لا ينجيهم من عظيم الذنب
الا القتل فكيف بكم لو دعيتم الى ما دعوا أحذوا السيوف وركبوا الاسنة وأعدوا لهم ما استطعتم
من القوة ومن رباط الخيل حتى تدعوا وتستفزوا فقال عبد الله بن سعد بن نفيل اما أنا فوالله لو أعلم
انه يحيينى من دنبى ويرضى ربى عنى قتلى نفسى لقتلتها وأنا أشهدكم على المسلمين أقويهم به على قتال الفاسقين فقال
أبو المعتمر حسن بن ربيعة الكنانى مثل ذلك فقال سليمان حسبكم من أرادمن هذا شيأ فليأت
به عبد الله بن وال التيمى فاذا اجتمع عنده كل ما تريدون اخراجه جهزنا به ذوى الحلة والمسكنة من
أشياعكم وكتب سليمان بن صرد الى سعد بن حذيفة بن اليمان يعلمه بما عزموا عليه ويدعوه الى
مساعدتهم ومن معه من الشيعة بالمدائن فقرأ سعد بن حذيفة الكتاب على من بالمدائن من
الشيعة فاجابوا الى ذلك وكتبوا الى سليمان بن صرد يعلمونه أنهم على الحركة اليه والمساعدة له
وكتب سليمان أيضا كتابا الى المثنى بن مخربة العبدى بالبصرة مثل ما كتب الى سعد بن حذيفة
فاجابه المثنى اما معشر الشيعة حمدنا الله على ما عزمتم عليه ونحن سوافوك ان شاء الله للاجل الذى
ضربت وكتب فى أسفل الكتاب

تصركانى قد أبيتك معلما * ألا أبلغ الهادى أحس هذيم
طويل القرى نهد أحق مقلص * ملاح على فأس اللجام أروم
بكل فتى لا يملأ الروع قلبه * محش لنار الحرب غير سؤوم
أخى ثقة ينوى الاله بسعيه * ضروب بنصل السيف غير أثيم

فكان أول ما ابتدؤا به أمرهم بعد قتل الحسين سنة احدى وستين فاز الوا يجمع آلة الحرب
ودعاء الناس فى السر الى الطلب بدم الحسين فكان يجيبهم النفر ولم يزالوا على ذلك الى ان هلك
يزيد بن معاوية سنة أربع وستين فلما مات يزيد جاء الى سليمان أصحابه فقالوا قد هلك هذا

الموجبة لذلك من فعلهم
(تباين الناس) فى السبب
الموجب لما وصفنا فذهب
كثير من الناس الى أن الجيل
الاول ممن سكن الارض
سكنوا حينا من الزمان
لم يبنوا بناء ولا شيدوا مدنا
وكان سكناهم فى شعب
الاكواخ والمظال ثم ان
نفرا منهم أخذوا فى اتخاذ
المساكن وحالف بعدهم
خلف فابتنوا الابنية وثبتت
فرقة منهم على سجيتها
الاولى فى البيوت والاطلال
ينجعون الاماكن الزوهة
الخصبة ويتنقلون عنها اذا
أجدبت فمضت هذه
الطائفة على نهج الاقدمين
(وذكرت) طائفة ان أول
ذلك أن الناس لما نضب
عنهم الطوفان الذى أهلك
الله به الارض من زمن نوح
على نبينا وعليه السلام
تفرق من نجا فى طلب
البقاع الخصبة المخيرة
وانفرد من انفرد بانتجاع
الارضين وحلوا البيداء
وآخرون بقاعا تخيرونها
كمن ابتنى اقليم بابل من النبط
ومن سلم من ولد حام بن نوح
عليه السلام مع عمرو بن
كنعان بن سنجارب بن غمرود
الاول بن كوش بن سام بن
نوح وذلك حين تملك على
اقليم بابل من قبل الضحاك
وهو نمرود وكمن حل

الطاعية والامر ضعيف فان شئت وثبنا على عمرو بن حريث وكان خليفة ابن زياد على الكوفة ثم أظهرنا الطلب بدم الحسين وتتبعنا قتلته ودعونا الناس الى أهل هذا البيت المستأثر عليهم المدفوعين عن حقهم فقال سليمان بن صرد لا تعجلوا الى قد ذكرت فتذاكروا فرأيت ان قتلة الحسين هم أشراف الكوفة وفرسان العرب وهم المطلوبون بدمه ومتى علموا ما تريدون كانوا أشد الناس عليكم وطرت فيمن تسمى معكم فعلمت انهم لو خرجوا لم يدركوا ثارهم ولم يشفوا نفوسهم وكانوا حربا لعدوهم ولكن اثبتوا في بيوتكم وادعوا الى أمركم فمن دعاكم ممن تثقون به من أصحاب لهم باس كثير بعد هلاك يزيد ان أهل الكوفة أخرجوا عمرو بن حريث وبادروا الامر الزبير وسليمان وأصحابه يدعون الناس فلما مضت ستة أشهر بعد هلاك يزيد قدم المختار بن أبي عبيد الكوفة في النصف من رمضان وقدم عبد الله بن يزيد الانصاري أميرا على الكوفة من قبل ابن الزبير لثمان بقين من رمضان وقدم ابراهيم بن محمد بن طلحة معه على خراج الكوفة فاخذ المختار يدعو الناس الى قتال قتلة الحسين فقول حشد كثير من عبد المهدي محمد بن الحنفية وزيرا أميرا فرجع اليه طائفة من الشيعة وكان يقول انما يريد سليمان ان خرج وقتل نفسه ومن معه وليس له نصرة بالحرب ولا بالخبر عند الله بن يزيد الخروج عليه بالكوفة في هذه الايام وقيل له انه يحبسه وخوف بأسه أمرء ان تركه فقال عبد الله ان هم ولوه ولم يعزلوه تركوا لم يطلبهم ان هؤلاء القوم يطلبون بدم الحسين بن علي فرحم الله هؤلاء القوم أصيبوا فخرجوا طاهرين وليسيروا الى من قاتل الحسين وقد أولى الهم يعني ابن زياد وأذلهم طهير هذا ابن زياد قاتل الحسين وقاتل أحبارهم وأمنائهم فتوجه اليهم وقد قاربوه على ليلة من حمص مع القاسم والاسعد فاليد أولى من ان تحملوا أنفسكم ويقتلكم وقتل بعضكم بعضا فيبقى عدوكم وقد صعقتم وتلك أمنيته وقد قدم عليكم أعدى خلق الله لكم من ولي عليكم هو وأبوه سمية لا يعلمان عن قتل أهل العفاف والدين هو الذي من قتله أتيتم والذي قتل من قاتلون قد جاءكم فاسمعوا منه وشوكتكم واحملوها عليه ولا تحملوها بعضكم في بعض لكم باسح وكان مروان قد سير ابن زياد الى الحجاز وقد أقبل راجعا من العراق فلما قرع عبد الله بن يزيد من قوله قال ابراهيم بن محمد بن طلحة أيها الناس لا يغركم من السيف والعشم مقاله هذا لداهن والله ثم خرج عنهما حارج لقتله وانما استيقنا ان قوما يريدون الخروج علينا لما حسدوا الوالد ولده والمولود والاه والحميم الحميم والعريف عرافته حتى يدعو اللحق ويذلوا للطاعة فوثب اليه المسيب بن نجبة وقطع عليه مقالته ثم قال يا ابن الساكتين انت تهدد بنا سيفك وعشمك أنت والله أذل من ذلك انا لا نملكك الى معصية وقد قتلنا أباك وحدك واما أنت ايها الامير فقد قلت قولا سديدا فعال ابراهيم والله لنقتلن وقد أوهن هذا يعني عبد الله ابن يزيد فقال له عبد الله بن والما اعتراضك فيما بيننا وبين أميرنا ما أنت عليها يا امير انما أنت أمير هذه الحرية فاقبل على حراثتك ولئن أفسدت أمر هذه الامة بعد أفسده والدك وكانت عليها مادة الشر فاستهم جماعة ممن مع ابراهيم فشاتموه فنزل الامير عن المنبر وتهدده ابراهيم بانه يكتب الى الزبير يشكوه فجاءه عبد الله في منزله واعتذر اليه فقبل عذره ثم ان أصحاب سليمان خرجوا يشترون السلاح ظاهرين ويجهزون

﴿ذكر فراق الخوارج عبد الله بن الزبير وما كان منهم﴾

وفي هذه السنة فارق الخوارج الذين كانوا قد صاروا مكة عبد الله بن الزبير وكانوا قد قاتلوا معه أهل الشام وكان سبب قدومهم عليه انهم لما اشتد عليهم ابن زياد بعد قتل أبي بلال اجتمعوا فتذاكروا

بلاد مصر من ولد حام على حسب ما ذكرنا في باب مصر وأخبارها في هذا الكتاب وكان عمر الشام من الكنعانيين وكان حل بوادي البرر وهم هوره وربنة وسريسة ومعوله ورمحوله وبصره وكنامه ولواتة ومرنة ورلوبه وموسه ولعطه وصدسة ومعموره وعصره وواطه ووارثه واسه وسواصين ورلته وهي موريه وموكلان وموصرران وودوعس وسرمسوسا وصنهاجه ومن سكن من أنواع الاجناس من لا يحشر وغيرهم لعمارة المعروفة بعمارة البربرية سوى ورعويين والعروبة وسنسون ومنهم من سكن غير لعمارة واسع في هذه البلاد من المغرب (وقد ذكرنا) ان أرض البربر خاصة كانت أرض فلسطين من بلاد الشام وأن ملكهم كان جالوت وهذا الاسم جملة لسائر ملوكهم لي أن قتل داود عليه الصلاة والسلام ملكهم جالوت فلم يملك عليهم بعده ملك وأنهم انتهوا الى ديار المغرب الى موضع يعرف بلوبية فانتشروا هنالك فنزل منهم ربانة ومعموله وصريسة الجبال من تلك

ذلك فقال لهم نافع بن الازرق ان الله قد انزل عليكم الكتاب فرض عليكم الجهاد واحتج عليكم
وقد حرد أهل الطول فيكم السيوف فاخرجوا الى هذا الذي قد تأركه فمن كان على رأينا
جاهد معنا وان كان على غير رأينا قعد عنا وكان عسكر الشام قد سار نحو اليمامة
فسار الخوارج حتى قدموا على اليمامة قبل عسكر الشام وأخبرهم انه على اثرهم بغير
تنتيس فقاتلوا معه أهل الشام حتى مات يزيد بن معاوية وانصرف أهل الشام عنهم راجعين
وقالوا ان الذي صنعتم أمس لعبيد رأى تقاتلون معه رجل لا تعرفون لعله ليس على مثل رأيكم وقد
كان أمس يقاتلكم هو وأصحابه ويدعي انه من أهل عمان فأتوه واسألوه عن عمان وان كان في عمله
كان وليكم وان أبى كان عدوكم وتوقفوا فيه فان أخبركم فاقتلوه فلما سألوه أخبرهم
حين أردت القيام واكن روحوا لعشيته حتى أعلمكم فانصرفوا عنه الى أصحابهم
حوله بالسلاح فخرج الخوارج وأصحابه حوله وعلى رأسه وبأيديهم فاستقبلهم نافع بن الازرق
لاصحابه ان الرجل قد أرضى خلائقكم فتقدم اليه نافع بن الازرق وعبد الله بن هلال فقال عبيده عبد
حمد الله أما بعد فاني محمد أدعو الى عبادة الله واخلاص الدين له فيما أتى به محمد صلى الله عليه وسلم
فعمل فيهم كتاب الله حتى قبضه الله واستخلف الناس أبا بكر فسار أبو بكر وعمر وعثمان
بكتاب الله وسنة نبيه ثم ان الناس أحدثوا بعثمان فحمى الاحداث وآثر قرابته واستعمل له
ورفع الدرة ووضع السوط ومرق الكتاب وضرب السابق بالفضل وحرمهم وحدث به الذي أحدثهم فمشوا عليه
وتحاماه العرب وصار اليه طاعة فمشوا عليه فمنهم أولياؤه ومن ابرأ منه وأولياؤه فرأيتم أن تبرأوا
أنت يا نافع فقال قد فهمت الذي ذكرت به النبي صلى الله عليه وسلم وقفوفه ما ذكرت وقد
ما وصفت وفهمت ما ذكرت به أبا بكر وعمر وقد وقفت وأصبت وفهمت الذي ذكرت به عثمان
واني لا أعلم مكان أحد ممن حلق الدنيوم أعلم بأمر عثمان وأمره مني كمعرفته حيث هم ليمنه
واستعتبوه فلم يدع شيئا لا أعتبهم ثم رجعوا اليه كتاب له يزعمون انه كتبه بأمره ومنه منهم فقال
لهم ما كتبته فان سألتم فهو ابنه كم فان لم يكن خطه لكم فوالله ما ختمه ولا سمله ولا
ووثوا عليه وقتلوه وقد ذكرت ما عتبته به ليس كذلك هو ولكل خير أهل وأنا أسألكم وأنتم
حضرتي أي ولي لامر ان وعدو أعداء فيرى الله منكم وعرفوا القوم فقال نافع بن الازرق
الحنظلي وعبد الله بن الصغار السعدي وعبد الله بن اباض وحنظلة بن بيهس وحمزة بن
عبد الله وعبيد الله والزبير بن علي سلمان بن مروان وكلهم من تميم حتى أتوا البصرة وانطلق أبو بلال
من بني مرة بن واثل وأبو بديك عبد الله بن ثور بن مخيس من عليه وعطية بن الاسود ليشتروا لي
اليمامة فوثبوا بها مع أبي طالوت ثم اجتمعوا عند ذلك على خلعه بن عاصم الحنفي وبركوا أباظ لوت
فاما نافع وأصحابه فانهم قدموا البصرة وهم على رأي أبي لال واجتمعوا وتذاكروا فضيلة الجهاد
فخرج نافع على ثلاثمائة وذلك عند وقت الناس بالناس بادوكسر الخوارج بالبصرة وخرجوا
واشتغل الناس عنهم بحرب الازد وربيعة وعم فلما خرج نافع تبعوه واصطلح أهل البصرة على
عبد الله بن الحرث فحذر الناس للخوارج وان فوهة فلحق نافع بالاهواز في سبع سنين أربع
وستين وخرج من بقي معهم بالبصرة الى ابن الازرق الا من لم يرد الخروج فورد ذلك منهم عبد الله
ابن الصغار وعبد الله بن اباض ورجال معهما على رأيهما ولم يرد نافع رأي ان ولايه من تخلف عن
الجهاد من الذين قعدوا من الخوارج لا تحل له وان من تخلف عنه لاجله فقال لاجله ذلك

الديار وبطن الاودية ورملوا
أرض رقمة وبرات هواره
بلاد اياس وهي بلاد
طرا اس المعرب ان الثلاث
المدن قد كانت هذه
الديار للروحية والروم
فاخذوا من الروحيين
أوطنوا أرضهم الجزائر
البربر وسكن الاكثر
منهم جزيرة سقلية وسرقت
البربر بلاد المغرب
واما في ديار المغرب نحو
من مسافة ألفي ميل من
لاد البربر وتراجعت
الروم ولا يرجعون الى مدينهم
ه لك على موضعه وصار
من البربر واجتمعت البربر
بكثير الى ولا يته
والرمل وهو من أطراف
البربر والديار (ومن بحر
البربر سيه) وصقلية خرج
الى جانب وهو الفصل بين
البحرين المغرب بحر
الظلمات المغرب بحر
أوقيانوس وغيرهم ولا من
ذكر من الامم من سكن
قطع الارض والى المدائن
شرقي وغربي (ورأت العرب)
أن حولان الارض وتغير
قاعها على الايام أشبه
بالعرف واليق بدى الامة
وقالوا لكون تحكم في
الارض تسكن حيث تشاء
أصلح من غير ذلك فحاروا
سكنى لدوم أحل ذلك
(وذكر آخرون) أن القدماء
من العرب لما باركهم الله من

ودعاهم الى الوفاء بعهودهم لا يحل لهم مما كتبهم ولا أكل ذبائحهم ولا يجوز قبول شهادتهم
واحتجم بأن عهدهم لا يحل ميراثهم ورأى قتل الاطفال والاستيراس وان جميع المسلمين
كفار مع كفر العرب لا يقبل منهم الا الاسلام أو القتل فاحاله الى ذلك بعضهم وفارقه بعضهم
وممن وافقه عبد الله بن عامر وسار الى البصرة وتابعه الخوارج الذين هاجروا كوا أباطالوت وكتب
الى ابن عباس وابن الصعار يدعوهما معهما الى ذلك فسر ابن الصعار الكتاب ولم يقرأه
على أصحابه حتى ردد رأيه حتى قرأه واحد بعد واحد ابن عباس فقرأه فقال قاتله الله أي رأي رأى
صدق ولو كان اليوم شركين من أصوب الناس رأيا وكانت سيرته كسيرته في المشركين
ولكنه قد كذب بما يقول ان اليوم مثل أمس الشرك وأهله اكفار بالعهد والاحكام ولا يحل لنا الا
دماؤهم وسبي ذراريهم وحرام عليه قتل الصغار بزعمه الله صدق وقد صدقت وبرئ الله من
ابن الازرق وقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وسار عبد الله ومن معه فيمن أطاعه من القوم واشتدت شوكة ابن الازرق
وكثرت جموعه وأقام بالاهواز يحمي الخراج ويقوي به رأقبل نحو البصرة حتى دنا من الجسر
فبعث اليه عبد الله بن الحرث مسلم بن عبيس بن كريز بن ربيعة من أهل البصرة (عبيس بالعين
المهملة المضمومة والباء الموحدة وبعدها ياء آخر تحت وبالسين المهملة وعبيده بن لال بضم
اللام المهملة وبالباء الموحدة)

﴿ذكر قدوم نجدة الحروري الكوفة﴾

كان الشيعة من الخوارج وغيرهم لما كان من أمر الحسين بن علي ما كان طمع في الناس وحمل
من قصر أمل من كان رأى حسينا وبعث الحسين مسلم بن عقيل الى الكوفة كان المختار
ابن أبي عبيد في الحبس فلما بلغه مقدم مسلم بن عقيل الكوفة وقد ظهر ولم يكن خروجه من ميعاد تكاسق
وقال لمن حوله ما يقول هذا المغرور ومن معه فقال له عبد الله بن زياد عمرو بن حريث
وهو يومئذ على الكوفة أيها الامير لا يدري ما صنع فمع حبر عمر اه بدعائه وآمنه فحضر عنده
فلما كان عند كرعمر بن نوايدري عما أمره به عبد الله فأخبره بمن دخل وقال له أنت
فقال نعم أجوع مسراني فعل فقال لم فعل ولكن أدنت وراء ظهر أمير عمر وشهد له
عمرو وضرب وجه المختار شريحه وقال لولا شهادة عمرو لضربت عنقك ثم حبسه حتى قتل الحسين ثم
ان المختار بعث ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب يسأله ان يشفع له وكان ابن عمر زوج أخت المختار
صفية بنت أبي عبيد وكتب ابن عمر الى يزيد يشفع فيه فأرسل يزيد الى ابن زياد يأمره باطلاقه
فطلبه وأخبره بأن يزيد لا يريد قتله ولكن يريد حبسه فأبى المختار فأخبره ابن زياد بأنه قد سلمه
فسأله عن علة امتناعه فقال خفت أن ابن الزبير يسألني عنه بالليل وانه يبايع سرا ولو اشتدت
شوكته وكثرت جموعه لطلبني فقال المختار انه رجل العرب اليوم وان اتبع رأيي اكتسح أمر الناس
ان التقيته أو عدت وأبرقت وكان قد بايع سرا بمكان قد ظهرت له في عصابة من المسلمين
فلما قدم الشهيد المظلوم المقتول بالطف سيد المسلمين وابن سيد المرسلين وابن سيدها
الحسين على فور ذلك لا قبل نقتله عدة ممن قتل على دم يحيى بن زكريا ثم سار وان العرق يجب من
قربه قال ابن العرق فوالله لكأني أسمع محمد بن الحجاج بن يوسف فصفق وقال لله دره أي
رجل ديلم ومعسر حرب ومقارع أعداء كان يريد المختار على ان الزبير أكتم عنه ان الزبير أمره
فطاوعه وكان يعلم أن الزبير يميل به بالطائف وانه يزعم انه صاحب العصا ومسير

المختار بن فقال ابن الزبير ماله قاتله الله لقد انبعث كذابا متكهنا ان يهلك الله الجبارين يكن المختار
أولهم فهو في حديثه اذ دخل المختار المسجد فطاف وصلى ركعتين وجلس فأتاه معارفه يحدثونه ولم
يأت ابن الزبير فوضع ابن الزبير عليه عباس بن سهل بن سعد فأتاه وسأله عن حاله ثم قال له مثلك
يغيب عن الذي قد اجتمع عليه الاشراف من قريش والانصار وثقيف ولم تبق قبيلة الا وقد أتاه
زعيمها فبايع هذا الرجل فقال اني أتيته العام الماضي وكتم عني خبره فلما استغنى عني أحببت ان
أريه اني مستغن عنه فقال له العباس القه الليلة وأنا معك فأجابه الى ذلك ثم حضر عند ابن الزبير
بعد العتمة فقال المختار أبايعك على ان لا تقضي الامور دوني وعلى ان أكون أول داخل واذا
ظهرت استعنت بي على أفضل عملك فقال ابن الزبير أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله فقال وشر
غلماني تبايعه على ذلك وأنا لا أبايعك الا على ذلك فبايعه فأقام عنده وشهد معه قتال الحصين بن
نمير وأبلى أحسن بلاء وقاتل أشد قتال وكان أشد الناس على أهل الشام فلما هلك يزيد بن معاوية
وأطاع أهل العراق ابن الزبير أقام عنده خمسة أشهر فلما رأى انه لا يستعمله جعل لا يقدم عليه أحد
من أهل الكوفة الا سأله عن حال الناس فأخبره هانئ بن جبة الوادعي باتساق أهل الكوفة على
طاعة ابن الزبير الا ان طائفة من الناس هم عدد أهلها لو كان لهم من يجمعهم على رأيهم أكل بهم
الارض الى يوم ما فقال المختار انا أبو اسحق انا والله لهم ان أجمعهم على الحق وألقى بهم ركبان الباطل
وأهلك بهم كل جبار عنيد ثم ركب راحلته نحو الكوفة فوصل الى نهر الحيرة يوم الجمعة فاغتسل
ولبس ثيابه ثم ركب فمر بمسجد السكون وجبانة كندة لا يمر بمجلس الا سلم على أهله وقال
ابشروا بالنصر والفلج أتاكم ما تحبون ومر ببني بداء فلقي عبيدة بن عمرو البدي من كندة فسلم
عليه وقال له ابشر بالنصر واليسر والفلج انك أبا عمرو على رأي حسن لن يدع الله معه مأثما لا غفره
ولا ذنبا الا ستره وكان عبيدة من أشجع الناس وأشعرهم وأشدهم حبا لعلي وكان لا يصبر
عن الشراب فقال له بشرك الله بالخير فهل أنت مفسر لنا ما قلت قال نعم القني في الرحل الليلة ثم مضى في همدان
فلقي اسمعيل بن كثير فرحب به وقال له القني أنت وأخوك الليلة فقد أتيتكم بما تحبون ومر
على حلقة من همدان فقال لقد قدمت عليكم بما يسركم ثم أتى المسجد واستشرف له الناس فقام
الى سارية فصلى عندها حتى أقيمت الصلاة وصلى مع الناس ثم صلى ما بين الجمعة والعصر ثم
انصرف الى داره واختلف اليه الشيعة وأتى اسمعيل بن كثير وأخوه وعبيدة بن عمرو فسألهم
فأخبروه خبر سليمان بن صرد وانه على المسير فحمد الله ثم قال ان المهدي ابن الوصي بعثني اليكم
أمينا ووزيرا ومنتخبا وأميرا وأمرني بقتل الملحدين والطلب بدم أهل بيته والدفع عن الضعفاء
فكونوا أول خلق الله اجابة فضربوا على يده وبايعوه وبعث الى الشيعة وقد اجتمعت عند سليمان
ابن صرد فقال لهم نحو ذلك وقال لهم ان سليمان ليس له بصر بالحرب ولا تجربة بالامور وانما
يريد ان يخرجكم فيقتلكم ويقتل نفسه وانا اعمل على مثال مثل لي وأمر بين لي أعز وليكم وأقتل
عدوكم وأشفي صدوركم فاسمعوا قولي وأطيعوا أمري ثم ابشروا وما زال بهذا ونحوه حتى
استمال طائفة من الشيعة وصاروا يختلفون اليه ويعظمونه وعظماء الشيعة مع سليمان لا يعدلون
به احدا وهو أثقل خلق الله على المختار وهو ينظر الى ما يصير أمر سليمان فلما خرج سليمان نحو
الجزيرة قال عمر بن سعد وشبث بن ربعي ويزيد بن الحرث بن رويم لعبد الله بن يزيد الخطمي
وابراهيم بن محمد بن طلحة ان المختار أشد عليكم من سليمان انما خرج يقاتل عدوكم وان المختار يريد
ان يثب عليكم في مصركم فأوثقوه واسجنوه حتى يستقيم أمر الناس فأتوه فأخذوه بغتة فلما رآهم

وصيانة الاجسام فان العقول والآراء تتولد من حيث تولد الهواء وطبع الهواء الصفاء وفي هذا الاقليم من العاهات والاسقام والعلل والآلام فاذ آثرت العرب سكنى البوادي والحلول في البيداء فهم أقوى الناس هما وأشدهم أحلاما وأصحهم أجساما وأعزهم جارا وأحماهم ذمارا وأفصحهم حوارا وأجودهم فطانة أكسبهم اياه صفاء الجو ونقاء الهواء لان الابدان تحتوي أجزاؤها على ممكن لا كدار وعدم الاقذار ما يرتفع اليه وبالطبع في رصانته وانفسه من جميع المتعفنات والمستنقعات من المياه وفي أكنافه وجميع ما يتصاعد اليه وكذلك تراكيب الاقذار والادواء والعاهات في أهل المدن وتركبت في أجسامهم وصاغت في أشعارهم وأبشارهم وفضلت العرب على سائر من عداها من بوادي الامم المعترضة لما ذكرناه من تخيرها الاماكن وارتياد المواطن (قال المسعودي) وكذلك بنو قطاطة الاكراد وسكان الجبال من الاجيال الجافية وغيرهم الذين مساكنهم حزون الارض ورؤسها وذلك أن هذه الامم الساكنة هذه الجبال والاودية تناسب أخلاقها مساكنها

قال ما لكم والله ما طسرت أكفكم فقال ابراهيم بن محمد بن طلحة لعبد الله شدد كتافا ومشه عافيا فقال عبد الله ما كنت لأفعل هذا برجل لم يظاهر لنا قدره اغا أخذناه على النص فقال ابراهيم ليس هذا بعشك فادرجي سهدا الذي بلعناعنك يا ابن أبي عبيد فقال ما بلغك عني الا باطل وأعوذ بالله من شر كعش أبيك وجدك ثم حمل الى السجن غير مقيد وقيل بل كان مقيدا فكان يقول في السجن أما ورب الحار والسيل والاشجار والمهامه والقفار والملائكة الابرار والمصطفين الاخيار لاقتلن كل جبار بكل لدن خطار ومهند بتار بجموع الانصار ليس بمثل أعمار ولا بعز شرار حتى ادأقت عمودا دين وزايلت شعب صدع المسلمين وشفيت غليل صدور المؤمنين وأدركت ثار النبيين لم يكبر علي زوال لدنيا ولم أحفل بالموت اذا أتى وقيل في خروج المختار الى الكوفة وسببه غير ما تقدم وهو ان المختار قال لابن الزبير وهو عندي لا علم قوما لوأن لهم رجلا له عقل ولم يعيا يأتي ويدر لاستخرج لك منهم جندا تقاتل بهم أهل الشام قال من هم قال شيعة علي بالكوفة قال فكن أنت ذلك الرجل فعند ذلك ارتحل فنزل ناحية منها يبكي على الحسين ويذكر مصابه حتى لقوه وأحموه فسار به الى وسط الكوفة وأتاه منهم شر كثير فلما قوى أمره سار الى ابن مطيع

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذا العام هدم السفاح عبد الله بن الزبير وكان عامله على المدينة فيها أخوه عبيده بن الزبير وعلى الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمي وعلى قضائها هشام بن هبيرة وعلى البصرة عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي وعلى حراسان عبيد الله بن حازم وفيها مات شداد بن أوس بن ثابت وهو ابن أخي حسان بن ثابت وفيها توفي المسور بن مخرمة بمكة في يوم الذي ورد فيه خبر موت يزيد بن معاوية وكان سبب موته أن أمه بعقيقة نحره فحبق في جانب وجهه فرص أياما ومات وفيها توفي أبو برزة الاسلمي بخراسان وفيها توفي الوليد بن عتبة بن أبي سفيان في قول وفي أيام يزيد مات أبو تعلبة الخشني وقيل مات سنة خمس وسبعين له صحبة وفي أيامه أيضا مات عائذ بن عمرو المزني بالبصرة وشهد بيعة الرضوان وفي أيام ابن زياد بالكوفة مات قيس بن حرشة وهو صحابي وخبر موته عجيب مع ابن زياد لانه كان قتل أخا له لحق وفي أيامه مات نوفل بن معاوية بن عمرو الدؤلي وفي أيامه مات أبو حليمة الانصاري شهد أحدا وذكر في تملك مشهور وفي أيامه مات عتبان بن مالك وهو بدري وفي هذه السنة وفي شقيق بن ثور السدوسي

﴿ثم دخلت سنة خمس وستين﴾

﴿ذكر مسير التوابين وقتلهم﴾

لما أراد سليمان بن صرد الخزاعي الشخوص سنة خمس وستين بعث الى رؤس أصحابه وأنوه فلما اجتمعوا اليه يوم الاثنين لاربع ليال خلون من شهر ربيع الآخر خرج في وجوه أصحابه وكانوا اعدوا للخروج تلك الليلة فلما أتى النخيلة دار في الناس فلم يجتمع عنده منهم فارسل حكيم بن منقذ الكندي والوليد بن عصير الكناني فناديا في الكوفة بالثارات الحسين وكانا أول خلق الله دعا بالثارات الحسين فاصبح من الغد وقد أتاه نحو مما في عسكره ثم نظر في ديوانه فوجدهم ستة عشر ألفا ممن بايعه فقال سبحان الله ما وافانا من ستة عشر ألفا الا أربعة آلاف فقيل له ان المختار ينعط الناس عنك انه قد تبعه ألفان فقال قد بقي عشرة آلاف أما هؤلاء فقوم سيئ أمايذكرون الله والعهود والمواثيق فاقام بالنخيلة ثلاثا يبعث الى من تخلف عنه فخرج اليه نحو من ألف رجل فقام اليه المسيب بن نجبة فقال رحمك الله انه

لا يسعك الكاره ولا يقاتل معك الا من أخرجته النية فلا تقتل أحدا وحدث في آخرهن قال نعم ما رأيت ثم قام سليمان في أصحابه فقال أيها الناس من كان خرج يريد الدنيا فوالله ما يأتي في أحد وعيمة نعمها ما حلا رصواني الله وما معه من دهب ولا فضة ولا متاع ما هو الا سيوفنا على عواتقنا وراد قدر الملعقة فمن كان يهوى هذا فلا يصحبنا فتمادى أصحابه من كل جانب انا لا نطلب الدنيا وليس لها خرجنا انما خرجنا نطلب التوبة والطلب بدم ابن بنت رسول الله نبينا صلى الله عليه وسلم فلما عزم سليمان على المسير قال له عبد الله بن سعد بن نهيل اني قد رأيت رأيا ان يكن صوابا فالله الموفق وان يكن ليس صوابا فمن قبلي أتيت رأيت أن تطلب بدم الحسين وقتلته كلهم بالكوفة فنهم عمر بن سعد ورؤس الارباع والعمائل فاين تذهب من هؤلاء ودع الاوتار وقال أصحابه كلهم هذا هو الرأي فقال سليمان لكني أبالا أرى ذلك ان الذي قتله وعبى الجنود اليه وقال لا أمان له عندي دون ان يستسلم فامضى فيه حكمي هذا الفاسق ابن الفاسق عبيد الله بن زياد فسروا اليه على بركة الله فان ظهركم الله عليه رجونا ان يكون من بعده أهون علينا ونرجو ان يدين لكم أهل مصركم شيعته فيطرون الى كل من شرك في دم الحسين فيقتلونه ولا يعشون وان يسهدوا فاعفوا فانتم المحلين وما عند الله خير للابرار اني لا أحب ان تجعلوا جدكم غير المحلين ولو قاتلهم أهل مصركم سعدهم رجل ان يرى رجلا قد قتل أخاه وأباه وحميمه ورجلا يريد قتله فاصبروا لله وسيروا مع عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة خروج ابن سرد فاياه فاشراف أهل الكوفة ولم يحجبهم من شرك في دم الحسين حوفا منه وكان عمر بن سعد ثلاثة لايام يعيث في قصر الامارة حوفا منهم فلما أتياه قال عبد الله بن يزيد ان المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يغشه وأنتم جوارنا وأهل بلد وأحب أهل مصر الينا فلا تعجلوا بالمسير ولا تعصوا عبد الله بن حرب وحكم من حاسبه أقاموا معنا حتى تهيأ فاذا سار عدونا اليكم رحلنا اليه بحمامه فقاتلناه وجعل لسليمان وأصحابه جراح حوحي ان أقاموا وقال ابراهيم بن محمد مثله وقال سليمان لهما قد نصحتما المصيحة واجتهدتما في المشورة فعن بالله وله ونسأل الله العزيمة على الرشد ولا نرى الاسائرين فقال عبد الله فاقيموا حتى نعبي معكم جريدا كثيفا فقاتلوا عدوكم بجمع كثيف وكان قد بلغهم اقبال عبيد الله بن زياد من الشام في جنود كثيرة فلم يقم سليمان فسار عشية الجمعة لخمس مضين من ربيع الآخر سنة خمس وستين ووصل دار الاهواز وقد تخلف عنه ناس كثير فقال ما أحب ان تخلفوا ولو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ان الله كره انبعاثهم فثبطهم وحبسهم بفضل ذلك ثم سار واقاموا الى قبر الحسين فلما وصلوا صاحوا صيحة واحدة فما رؤي أكثر باكيا من ذلك اليوم فترحموا عليه وتنادوا عنده من خذلانه وترك القتال معه وأقاموا عنده يوما وليلة يبكون ويتضرعون ويترحمون عليه وعلى أصحابه وكان من قولهم عند قبره اللهم ارحم حسينا الشهيد ابن الشهيد المهدي ابن المهدي الصديق ابن الصديق اللهم انا نشهدك أنا على دينهم وسبيلهم واعداء قاتليهم وأولياء محبيهم اللهم انا حزب لما ابن بنت نبينا صلى الله عليه وسلم فاغفر لنا ما مضى وما توتب علينا فارحم حسينا وأصحابه الشهداء الصديقين وانا نشهدك أنا على دينهم وعلى ما قتلوا عليه وان لم تعسر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وزادهم النظر اليه حسرة ثم سار وا بعد ان كان الرجل يعود الى قبره كالمودع له فاردحم الناس عليه أكثر من ازدحامهم على الحجر الاسود ثم سار واعلى الآبار وكتب اليهم عبد الله بن يزيد كتابا منه يا قوم لا تطيعوا عدوكم أنتم في أهل بلادكم حيث كلكم ومتى يصل منكم عدوكم يعلموا أنكم أعلام

ما أكثر غذائهم قال اللحم واللبن والتمر قال ما حلائقهم قال العز والشرف والمكارم وقرى الضيف وادمار الجار واجارة الخائف واداء الحمالات وبذل المهج في المكرمات وهم سراة الليل وليوث النهار وعمار البر وأنس القفر الغوا القناعة وسبقوا الصراعة لهم الاحد بالثار والانفة من العار والحماية للذمار قال كسرى لقد وصفت هذا الجيل كرما ونبلا وما أولانا بالنجاح ذلك فيهم فتحيرت العرب في العراري والمهمهات والمصاف فمنهم المجد والمنهم ممن سكن أغوار الارض كغور بيسان وغورة من ارض الشام من بلاد فلسطين والاردن ومن سكنه من لخم وجذام ولجميع العرب مياه يجتمعون عليها وقطع ملكية يعرجون عليها لمحارزها والسماوة والنهائم وأنجاد الارض والبتاع والقيعان والوهاد ولست ترى قبيلا من العرب تزيل عن الاماكن المعروفة لهم والمياه المشهورة بهم كماء صارح وماء العقيق والسباط وما أشبه ذلك من المياه (وأما أجناس الاكراد وأنواعهم) فقد تنازع

مصركم ايد معهد ... ثم يرد وراءكم باوصالهم ان تطهروا عليكم يرحموكم أو يعيدوكم في ملتهم
وان تحاولوا تداركوهم ان أيديكم واحدة وعدوكم واحد ومتى تجتمع كلمتكم على
... تظهروا على عدوكم ومتى تختلف تهن شوكتكم على من بقي منكم يا قوم الاستعشوا تصحى ولا
... هو هري و ... لرحيم مر كتبي لهم السلام فقال سليمان وأخبره قد أتانا هداياهم ونحن
... مصر فخرج ... مسرعا الى الجزيرة ودوناس أرض بدونا مهدا برأي وكتب اليه سليمان
... ويحول ... لقومه فاستشيروا فيهم أنفسهم من رأيهم وانهم قد تناولوا من عظيم
... هو حيوان ... لله ووكلوا عليه ورصدوا ما صنع الله عليهم فلما وافى الكتاب الى عبد الله قال
... مرة ولم ... مكم عنهم فيهم والله ليقتلن كرام مسلمين ثم سار حتى انتهوا الى
... سيل عليه وهو ... ر من الطريق الكلاني قد تخصص بهامهم ولم تخرج اليهم فارسل اليه
... ب رجلا ... ب ليسأل خرج اليه سوفا في المسلخ الى باب مدينة سبا مدينهم نفسه وطلب
... ر ... هل من رفيق فانتدب له رجل حسن الهيئة اسمه المسيب بن نجبة ستأتي
... ل أبو أمامة ... ري ما في مراكبهم فارس مصر الحمراء كلها قد عدس اشرافها عشرة كان
... هو وهو ... ل له دس بدن له فان له لما دخل عليه أجلسه الى جانبه
... ه ... ا وما عرفوا ما فعل رفيقه في أبواب المدينة الا لعلم انما يريدون أم
... ر ... س ... ه نحب ما لكم ولبلادكم سلاح وسيرة حسنة ثم مر بابه وخرج
... ... ر ... ل أحد فارس وقال لعلي احتاج اليه اذا خرج
... ر ... ر كثير ... حتى اسمعني الناس عن السوق لان كان الرجل
... ... ر ... ل من لعبد وخرج ليهم رفيقهم وقال لسليمان بقدار خمسة
... ر ... هم من ارتهم ... من بير وشرحبيل بن ذي الكلاع وادهم بن محرز وحمله بن عبد الله
... ... ن وعبد الله بن ... دي عدد كثير من السولة والمردين شئتم دخلتم مدينتها وكانت
... ا وحديد ... ه العدو ... هم جميعا فقال سليمان فطلب أهل مصر بذلك منا
... ا ... ر ... در رهم لي عين الوردة وهي رأس عين فاجعلوا المدينة في ظهوركم
... ون ... ه ... ا لهم من أيديكم وما بينكم فاتم آمنون منه فطووا المنازل
... ... ب ... عة فقال اكرم منكم فدى ارحوا أن تسقوهم وان فاتلوهم ولا تقاتلوهم في
... ... ر ... ا عبورهم ... هم كثرة منكم لا آمن أن تحيطوا بكم فلا تقتلوا لهم فيصرعوكم
... ... ل ... ه فاني لا أرى معكم رجاله ومعهم الرجاله والفرسان بعضهم بعضا ولكن
... هم في ... ولقاتلهم بثوهم أيديهم ومنيسرتهم واجعلوا مع كل كتيبة أخرى الى
... ... ل على احدى الميمنتين رجلة الاخرى فيعسف بها وحتى شاءت كتيبة ارتمت
... ... ب عليه خطب ولو كنتم صفا واحدا فرجت اليكم الرجاله فدفعتم عن الصف انتقض
... ... ف لهم عليه ودعوهم ودعوا لهم واثبوا عليه ثم سار واتخذين فانتهوا الى عين الوردة
... ... ا ... وا وحسابهم ... راحوا وأراحوا وأقبل أهل الشام في عساكرهم حتى كانوا من
... ... ة على مسيرة يوم وليلة فقام سليمان في أصحابه وذكر الآخرة ورغب فيها ثم قال أما بعد
... ... ا كم عدوكم لدى دأبهم اليه في السير آناء الليل والنهار فاذا لقيتموهم فاصدقوهم القتال
... ... وا ان الله مع الصابرين ولا يولهم امرؤ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة ولا تقتلوا
... ... ولا تحرقوا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا شيخا ولا امرأة ولا وليدا ولا تعجلوا
... ... ولا تعملوا أسيرا من اهل دعوتكم الا أن يقاتلكم بعد أن تأسروه

فان هذه كانت سيرة على فى أهل هذه الدعوة ثم قال ان أنا قتلت فامير الناس [illegible] فان
قتل فالامير عبد الله بن سعد بن نفيل فان قتل فالامير [illegible] الله [illegible] فان قتل فالامير [illegible]
شداد رحم الله امرأ صدق ما عاهد الله عليه ثم بعث المسيب فى أربعمائة فارس ثم قال سر حتى
تلقى أول عساكرهم فشن عليهم فان رأيت ما تحبه والا رجعت [illegible] [illegible] أحد
او تستقبل آخر حتى لا تحده [illegible] وساروا يومهم وليلتهم ثم نزلوا [illegible] فأرسل أصحابه
الجهات ليأتوه عن يلقون فأتوه باعرابى فسأله عن أدنى العساكر [illegible] [illegible] عسكرهم
عساكرهم مسلك عسكر شرحبيل بن ذى الكلاع وهو منه على رأس ميل وقد اختلف هو
والحصين ادعى الحصين أنه على الجماعة وأبى شرحبيل ذلك وهما ينتظران أمر [illegible] [illegible] المسيب
ومن معه مسرعين فشدوا عليهم وهم غارون فحملوا [illegible] [illegible] [illegible] العسكر [illegible]
المسيب منهم رجالا فاكثروا فيهم الجراح وأخذوا الدواب [illegible] الشام [illegible] [illegible]
فغنم منه أصحاب المسيب ما [illegible] ثم انصرفوا الى سليمان موفورين ولما بلغ الخبر [illegible] [illegible]
الحصين بن نمير مسرعا حتى نزل فى اثنى عشر ألفا فخرج أصحاب سليمان [illegible] [illegible]
الاولى وعلى ميمنة عبد الله بن سعد وعلى ميسرة [illegible] [illegible] [illegible] وقف وهو فى القلب وجعل
الحصين على ميمنته جبلة بن عبد الله وعلى ميسرته ربيعة بن المخارق الغنوى [illegible]
بعض دعاهم أهل الشام الى الجماعة على عبد الملك بن مروان ودعاهم أصحاب سليمان الى خلع
عبد الملك وتسليم عبيد الله بن زياد [illegible] [illegible] يخرجون من بالعراق [illegible] [illegible]
الامر الى أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم فأبى كل منهم [illegible] [illegible] [illegible]
الحصين والميسرة [illegible] على الميمنة وحمل سليمان فى القلب على جماعتهم فهزم أهل الشام الى
معسكرهم وما زال الظفر لأصحاب سليمان الى أن حجز بينهم الليل [illegible] [illegible]
حتى مع ابن ذى الكلاع ثمانية آلاف أمدهم بهم عبيد الله بن زياد وخرج [illegible] [illegible]
فقاتلوهم قتالا لم يكن أشد منه جميع النهار لم يحجز بينهم الا الصلاة فلما أمسوا تحاجزوا وقد كثر
الجراح فى الفريقين وطاف القصاص على أصحاب سليمان يحرضونهم [illegible] أهل الشام
اتاهم أدهم بن محرز الباهلى فى نحو من عشرة آلاف من ابن زياد فاقتتلوا يوم الجمعة قتالا شديدا
الى ارتفاع الضحى ثم ان أهل الشام كثروهم وتعطفوا عليهم من كل جانب ورأى سليمان ما لقى
أصحابه فنزل ونادى عباد الله من أراد البكور الى ربه والتوبة من ذنبه [illegible] ثم كسر جفن سيفه
ونزل معه ناس كثير وكسروا جفون سيوفهم ومشوا معه فقاتلوهم فقتلوا من أهل الشام مقتلة
عظيمة وجرحوا فيهم فاكثروا الجراح فلما رأى [illegible] صبرهم وبأسهم بعث الرجالة ترميهم بالنبل
واكتنفتهم الخيل والرجال فقتل سليمان رحمه الله رماه يزيد بن الحصين بسهم فوقع [illegible] [illegible]
فلما قتل سليمان أخذ الراية المسيب بن نجبة وترحم على سليمان ثم تقدم فقاتل بها ساعة [illegible]
ثم حمل وفعل ذلك مرارا ثم قتل رضى الله عنه بعد أن قتل رجالا فلما قتل [illegible] أخذ الراية عبد الله بن
سعد بن نفيل وترحم عليهما ثم قرأ منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا [illegible]
من كان معه من الازد فبيناهم فى القتال أتاهم فرسان ثلاثة من سعد بن حذيفة يخبرون [illegible]
فى سبعين ومائة من أهل المدائن ويخبرون أيضا بمسير أهل البصرة مع [illegible] بن المخارق العبدى فى
ثلثمائة فسر الناس فقال عبد الله بن سعد ذلك لو جاؤنا ونحن أحياء فلما نظر الرسل الى مصارع
اخوانهم ساءهم ذلك واسترجعوا وقاتلوا معهم وقتل عبد الله بن سعد بن نفيل قتله ابن أخى ربيعة

وتما [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] الا كراد (ومن
الدابر) [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] لا [illegible] المدم
[illegible]
[illegible]
ولم [illegible] [illegible]
هو [illegible] [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] لك [illegible]
[illegible] فى [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ولا أصحاب
الاول [illegible]
الحديث [illegible]
أحمار [illegible]
[illegible]
[illegible]
ان ظهور [illegible]
[illegible] الفرس هو [illegible]

ان مخارق وحمل خالد بن سعد بن نفيل على قاتل أخيه فطعنه بالسيف واعتنقه الآخر فحمل أصحابه عليه فخلصوه بكثرتهم وقتلوا خالدا وبقيت الراية ليس عندها أحد فنادوا عبد الله بن وال فاذا هو قد اصطلى الحرب فى عصابة معه فحمل رفاعة بن شداد فكشف أهل الشام عنه فأتى فأخذ الراية وقاتل مليا ثم قال لاصحابه من أراد الحياة التى ليس بعدها موت والراحة التى ليس بعدها نصب والسرور الذى ليس بعده حزن فيتقرب الى الله بقتال هؤلاء المحلين الى الجنة وذلك عند العصر فحمل هو وأصحابه فقتلوا رجالا وكشفوهم ثم ان أهل الشام تعطفوا عليهم من كل جانب حتى ردوهم الى المكان الذى كانوا فيه وكان مكانهم لا يؤتى الا من وجه واحد فلما كان المساء تولى قتالهم ادهم بن محرز الباهلى فحمل عليهم فى خيله ورجله فوصل ابن محرز الى ابن وال وهو يتلو ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا الآية فغاظ ذلك ادهم بن محرز فحمل عليه فضرب يده فابانها ثم تنحى عنه وقال انى أظنك وددت انك عند أهلك قال ابن وال بئسما ظننت والله ما أحب ان يدك مكانها الا أن يكون لى من الاجر مثل ما فى يدى ليعظم وزرك ويعظم اجرى فغاظه ذلك أيضا فحمل عليه وطعنه فقتله وهو يقول ما يزول وكان ابن وال من النساك العباد فلما قتل أتوا رفاعة بن شداد البجلى وقالوا له أخذ الراية فقال ارجعوا بنا لعل الله يجمعنا اليوم شرهم فقال له عبد الله بن عوف بن الاحمر هلكنا والله لئن انصرفنا اليركب ان اكافئا فلا يلبث فرسحا حتى نهلك عن آخرنا وان نحن امنا ناج أخذته العرب يتقربون به اليهم فقتل صبرا هذه الشمس قد قاربت الغروب فنقاتلهم على خيلنا فاذا غسق الليل ركبنا خيولنا أول الليل وسرنا حتى نصبح ونسير على مهل ويحمل الرجل صاحبه وجريحه ونعرف الوجه الذى نأخذ فقال رفاعة نعم ما رأيت وأخذ الراية وقاتلهم قتالا شديدا وراموا أهل الشام اهلاكهم قبل الليل فلم يصلوا الى ذلك لشدة قتالهم وتقدم عبد الله بن عزيز الكنانى فقاتل أهل الشام ومعه ولده محمد وهو صغير فنادى بنى كنانة ان أهل الشام وسلم ولده اليهم ليوصلوه الى الكوفة فعرضوا عليه الامان فابى ثم قاتلهم حتى قتل وتقدم كرب بن يزيد الحميرى عند المساء فى مائة من أصحابه وقاتلهم أشد قتال فعرض عليه وعلى أصحابه ابن ذى الكلاع الحميرى الامان قال قد كنا آمنين فى الدنيا وانما خرجنا نطلب أمان الآخرة فقاتلوهم حتى قتلوا وتقدم صخر بن هلال المزنى فى ثلاثين من مرينة فقاتلوا حتى قتلوا فلما أمسوا رجع أهل الشام الى معسكرهم ونظر رفاعة الى كل رجل قد عقر به فرسه وجرح فدعمه الى قومه ثم سار بالناس ليلته وأصبح الحصين ليلتقيهم فلم يرهم فلم يبعث فى آثارهم وساروا حتى أتوا قرقيسيا فعرض عليهم زفر الاقامة فاقاموا ثلاثا فاضافهم ثم زودهم وساروا الى الكوفة ثم أقبل سعد بن حذيفة بن اليمان فى أهل المدائن فبلغ هيت فاتاه الخبر فرجع فلقى المثنى بن مخربة العبدى فى أهل البصرة بصدود فاخبره فاقاموا حتى أتاهم رفاعة فاستقبلوه وبكى بعضهم الى بعض واقاموا يوما وليلة ثم تفرقوا فسار كل طائفة الى بلدهم ولما بلغ رفاعة الكوفة كان المختار محبوسا فارسل اليه اما بعد فرحبا بالعصبة الذين عظم الله لهم الاجر حين انصرفوا ورضى فعلهم حين قتلوا أما ورب البيت ما حط احاط منكم حطوة ولا ربا ربوة الا كان ثواب الله له أعظم من الدنيا وما فيها وقد قضى ما عليه وتوفاه الله وجعل روحه مع أرواح النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ولم يكن بصاحبكم الذى به تنصرون الى آنا الامير المأمور والامين المأمون وقاتل الجبارين والمنتقم من أعداء الدين المفيد من الاوتار قاعدوا واستعدوا وابشروا وادعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدم أهل البيت والدمع عن الصفياء وجهاد المحلين والسلام * وكان

النبى عليه السلام وتفسيره
ادريس بالفارسية
المنهلوية وهى الاولى
الراية والمطرد والعلم (وأما
الترك وأجناسها) فقد
قدمنا كثيرا من أخبارها
وقد غلط قوم فزعموا أن
الترك من ولد طوج بن
افريدون وهذا غلط ولى
طوج على الترك وسلح على
الروم وكيف توليه عليهم
وهم ولده وما قلنا يدل على
أن الترك من غير ولد
طوج بن افريدون بل
لطوج فى الترك عقب
مشهور والمعظم فى
أجناس الترك هم التبت
وهم من حمير على حسب
ما ذكرنا أن بعض التبابعة
ربتهم هنالك وما قلنا من
الاكراد فلا شك عند
الناس والاصح من أنسابهم
أنهم من ولد ربيعة بن نزار
فاما نوع من الاكراد وهم
الشاهجان ببلاد ما بين
الكوفة والبصرة وهى
أرض الدينور وهمذان
فلا نتاكر بهم أنهم من ولد
ربيعة بن نزار بن معد
والعاخرذان وهم من
الكيكان ببلاد اذربيجان
والهلبانية والسراد وما حوى
بلاد الجبال من الساذنجان
والكربه والبارد لكان
والباريخيان واليارسان
والحالبة والحيانا رفيه

قتل سليمان ومن معه فى شهر ربيع الآخر ولما سمع عبد الملك بن مروان بقتل سليمان وانهزام أصحابه صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وقال اما بعد فان الله قد أهلك من رؤس أهل العراق ملقح فتنة ورأس ضلالة سليمان بن صرد ألا وان السيوف تركن رأس المسيب خذاريف وقد قتل الله منهم رأسين عظيمين ضالين مضلين عبد الله بن سعد الازدى وعبد الله بن وال البكرى ولم يبق بعدهم من عنده امتناع وفى هذا نظر فان اباه كان حيا قال أعشى همدان فى ذلك وهى مما يكتم ذلك الزمان

ألم خيال منك يا أم غالب * لخيت عنا من حبيب مجانب
ومازلت فى شجو ومازلت مقصدا * لهم غيرانى من فراقك ناصب
فما أنس لا انس انتقالك فى الضحى * الينامع البيض الحسان الخراعب
تراءت لنا هيفاء مهضومة الحشا * لطيفة طى الكشح ريا الحقائب
مسيكة غزار ودمى بهائها * كشمس الضحى تتكل بين السحائب
فلما نغشاها السحاب وحوله * بدا حاجب منها وضنت بجانب
فتلك النوى وهى الجوى لى والمنى * فاحبب بها من خلة لم تصاقب
ولا يبعد الله الشباب وذكره * وحب تصافى المعصرات السواكب
ويزداد ما أحببته من عتابنا * لعابا وستيا للخدين المقارب
فانى وان لم أنسهن لذاكر * رويه محباة كريم المناصب
توسل بالتقوى الى الله صادقا * وتقوى الاله خير نكساب كاسب
وخلى عن الدنيا فلم يلتبس بها * وتاب الى الله الرفيع المراتب
تخلى عن الدنيا وقال طرحتها * فلست اليها ما حييت بآيب
وما أنا فيما يكره الناس فقده * ويسعى له الساعون فيها براغب
توجهه نحو الثوية سائرا * الى ابن زياد فى الجموع الكتائب
بقوم هم أهل التقية والنهى * مصاليت انجاد سراة مناجب
مضوا تاركى رأى ابن طلحة حسبة * ولم يستجيبوا للامير المخاطب
فساروا وهم ما بين ملتمس التقى * وآخر مما جر بالامس تائب
فلاقوا بعين الوردة الجيش ناضلا * اليهم فحسوهم ببيض قواضب
يمانية تذرى الاكف وتارة * بخيل عتاق مقربات سلاهب
فجاءهم جمع من الشام بعده * جموع كموج البحر من كل جانب
فبارحوا حتى أبيدت سراتهم * فلم ينج منهم ثم غير عصائب
وغودر أهل الصبر صرعى فاصبحوا * تعاورهم ريح الصبا والجنائب
فاضحى الخزاعى الرئيس مجدلا * كأن لم يقاتل مرة ويحارب
ورأس بنى شمخ وفارس قومه * شنوءة والتيمى هادى الكتائب
وعمرو بن بشر والوليد وخالد * وزيد بن بكر والخليس بن غالب
وضارب من همدان كل مشيع * اذا شد لم ينكل كريم المكاسب
ومن كل قوم قد أصبت زعيمهم * وداحسب فى ذروة المجد ثاقب

والحاوانيه والمسكان ومن حل بلاد الشام من الديابلة وغيرهم فالمشهور فيهم أنهم من مضر بن نزار ومنهم اليعقوبية والحورفان وهم نصارى وديارهم مما يلى الموصل وجبل الجودى (وفى الاكراد) من رأيهم رأى الخوارج والبراءة من عثمان وعلى رضى الله عنهما فهذه جملة من أخبار بوادى العالم وقد أعرضنا عن ذكر القول فيهم (والحلج) وهم أنواع من الترك نحو بلاد عرس ونصيبين وبست مما يلى بلاد سجستان وكذلك من بلاد كرمان من أرض العقص والملوح والحب (قال المسعودى) فاما أيام العرب ووقائعها وحروبها فقد ذكرناها فيما سلف من كتبنا وما كان بينها فى الجاهلية والاسلام كيوم الهباءة وحروب ذبيان واليمن وحرب داحس والغبراء وحرب بكر بن وائل وتغلب وهى حرب البسوس ويوم الكلاب ويوم حزار ومقتل جساس ابن زهير ويوم ذى قار ويوم شعب جنانه وما كان من بنى عامر وغيرهم وحرب الاوس والخزرج وما كان بين غسان وعك (وسنورد) بعد هذا الباب جملا من

أخبار العرب الدائرة وغيرها وتفريقها في البلاد ونذكر جملا من آرائهم ودياناتهم في الجاهلية وما ذهبت اليه في الغيلان والهواتف والقيافة والكهانة والنفوس والصدى والهام وغير ذلك من شيمها وبالله التوفيق

﴿ذكر ديانات العرب وآرائها في الجاهلية وتفرقها في البلاد وخبر أصحاب الفيل وعبد المطلب وغير ذلك مما لحق بهذا الباب﴾

كانت العرب في جاهليتها فرقا منهم الموحد المقر بخالقه المصدق بالبعث والنشور موقنا بأن الله يثيب المطيع ويعاقب العاصي وقد تقدم ذكرنا في هذا الكتاب وغيره من كتبنا من دعا الى الله عز وجل ونبه أقوامه على آياته في الفترة كقس ابن ساعدة الايادي ورياب السبتي وبحيرا الراهب وكانا من عبد القيس (وكان من العرب) من أقر بالخالق وأثبت حدوث العالم بالبعث والاعادة وأنكر الرسل وعكف على عبادة الاصنام وهم الذين حكى الله عز وجل قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى الآية وهذا الصنف الذين حجوا الى الاصنام وقصدوها ونحروا

أبوا غير ضرب يفلق الهام وقعه * وطعن بأطراف الاسنة صائب
وان سعيدا يوم يدمر عامرا * لاشجع من ليث بدرب مواثب
فيا خير جيش بالعراق وأهله * سقيتم روايا كل أسحم ساكب
فلا يبعدن فرساننا وحماتنا * اذا البيض أبدت عن خدام الكواعب
وما قتلوا حتى أثاروا عصابة * تجللن نورا كالشموس الصوارب

وقيل قتل سليمان ومن معه في شهر ربيع الآخر (الخزاعي الذي هو في هذا الشعر هو سليمان ابن صرد الخزاعي ورأس بني شمخ هو المسيب بن نجبة الفزاري وفارس شنوأة هو عبد الله بن سعد بن نفيل الازدي ازد شنوأة والتيمي هو عبد الله بن وال التيمي من تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل والوليد بن عصير الكناني وخالد هو خالد بن سعد بن نفيل أخو عبد الله * نجبة بالنون والجيم والباء الموحدة المفتوحات)

﴿ذكر بيعة عبد الملك وعبد العزيز ابني مروان بولاية العهد﴾

في هذه السنة أمر مروان بن الحكم بالبيعة لابنيه عبد الملك وعبد العزيز وكان السبب في ذلك ان عمرو بن سعيد بن العاص لما هزم مصعب بن الزبير حين وجهه أخوه عبد الله الى فلسطين رجع الى مروان وهو بدمشق قد غلب على الشام ومصر فبلغ مروان ان عمرا يقول ان الامر لي بعد مروان فدعا مروان حسان بن ثابت بن نجدا فاخبره انه يريد ان يبايع لابنيه عبد الملك وعبد العزيز وأخبره بما بلغه عن عمرو فقال انا أكفيك عمرا فلما اجتمع الناس عند مروان عشيا قام حسان فقال انه قد بلغنا ان رجالا يتمنون اماني قوموا فبايعوا لعبد الملك وعبد العزيز من بعده فبايعوا عن آخرهم

﴿ذكر بعث ابن زياد وحبيش﴾

في هذه السنة سير مروان بن الحكم بعثين أحدهما مع عبيد الله بن زياد الى الجزيرة ومحاربة زفر بن الحرث بقرقيسيا واستعمله على كل ما يفتحه فاذا فرغ من الجزيرة توجه لقصد العراق وأخذه من ابن الزبير فلما كان بالجزيرة بلغه موت مروان وأتاه كتاب عبد الملك بن مروان يستعمله على ما استعمله عليه أبوه ويحثه على السير الى العراق والبعث الآخر الى المدينة مع حبيش بن دلجة القيني فسار بهم حتى انتهى الى المدينة وعليها جابر بن الاسود بن عوف ابن أخي عبد الرحمن بن عوف من قبل ابن الزبير فهرب منه جابر ثم ان الحرث بن أبي ربيعة وهو أخو عمرو بن ربيعة وجه جيشا من البصرة وكان واليا عليها لابن الزبير وجعل عليهم الحتيف بن السحف التيمي لحرب حبيش فلما سمع بهم حبيش سار اليهم من المدينة وأرسل عبد الله بن الزبير العباس بن سهل بن سعد الساعدي الى المدينة أميرا وأمره ان يسير في طلب حبيش حتى يوافي الجند من أهل البصرة الذين عليهم الحتيف فأقبل عباس في آثارهم حتى لحقهم بالربذة فقاتلهم حبيش فرماه يزيد بن سنان بسهم فقتله وكان معه يومئذ يوسف بن الحكم وابنه الحجاج وهما على جمل واحد وانهزم أصحابه فتحرز منهم خمسمائة بالمدينة فقال العباس بن سهل انزلوا على حكمي فنزلوا فقتلهم ورجع ول حبيش الى الشام ولما دخل يزيد بن سنان المدينة كان عليه ثياب بيض فاسودت مما مسحه الناس ومما صبوا عليه من الطيب

﴿ذكر موت مروان بن الحكم وولاية ابنه عبد الملك﴾

في شهر رمضان من هذه السنة مات مروان بن الحكم وكان سبب موته ان معاوية بن يزيد لما

حضرته الوفاة لم يستخلف أحدا وكان حسان بن بحدل يريد ان يجعل الامر من بعده فى أخيه خالد بن يزيد وكان صغيرا وحسان حال أبيه يزيد فبايع حسان مروان بن الحكم وهو يريد ان يجعل الامر بعده لخالد فلما بايعه هو وأهل الشام قيل لمروان تزوج أم خالد وهى بنت أبى هاشم ابن عتبة حتى يصغر شأنه فلا يطلب الخلافة فتزوجها فدخل خالد يوما على مروان وعنده جماعة وهو يمشى بين صفين فقال مروان والله انك لاحمق فقال يا ابن الرطبة الاست تقدر به لتسقطه من أعين أهل الشام فرجع خالد الى أمه فاخبرها فقالت له لا يعلمن ذلك منك الا انا أنا أكفيكه فدخل عليها مروان فقال لها هل قال لك خالد فى شيأ قالت لا ايه أشد لك تعظيما من ان يقول فيك شيأ فصدقها ومكث أياما ثم ان مروان نام عندها يوما فغطته بوسادة حتى قتلته فمات بدمشق وهو ابن ثلاث وستين سنة وقيل احدى وستين واراد عبد الملك قتل أم خالد فقيل له يظهر عند الخلق ان امرأة قتلت اباك فتركها ولما توفى مروان قام بأمر الشام بعده ابنه عبد الملك وكان بحمص ابنه عبد العزيز بطاعة أخيه عبد الملك وكان عبد الملك ولد لسبعة أشهر فكان الناس يذمرونه لذلك قيل انه اجتمع عنده قوم من الاشراف فقال لعبيد الله بن زياد بن طبيان المكرى بلغنى انك لا تشبه اباك فقال بلى والله انى لاشبهه بعض الماء بالماء والفرات بالفرات ولكن ان شئت اخبرتك بمن لم تنضجه الارحام ولم يولد بالتمام ولم يشبه الاخوال والاعمام قال من ذاك قال سويد بن منجوف فلما خرج عبيد الله وسويد قال له سويد ما سرنى بقاتلك له حمر النعم فقال عبيد الله وما سرنى والله باحتمالك اياى وسكوتك سودها

﴿(ذكر صفته ونسبه واخباره)﴾

هو مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية من كنانة وكان مولده سنة اثنتين من الهجرة وكان أبوه قد أسلم عام الفتح ونفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف لانه يتجسس عليه ورآه النبى صلى الله عليه وسلم يوما يمشى ويتحلج فى مشيه كأنه يحكيه فقال له كن كذلك فما زال كذلك حتى مات ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم عثمان ابا بكر فى رده لانه عمه فلم يفعل فلما توفى أبو بكر وولى عمر كلمه أيضا فى رده فلم يفعل فلما ولى عثمان رده وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدنى ان يرده الى المدينة فكان ذلك مما أنكر الناس عليه وتوفى فى خلافة عثمان فصلى عليه وقد رويت أخبار كثيرة فى لعنه ولعن من فى صلبه رواها الحافظ وفى أسانيدها كلام وكان مروان قصيرا أحمر أوقص يكنى أبا الحكم وأبا عبد الملك واعتق فى يوم واحد مائة رقبة وولى المدينة لمعاوية مرات فكان اذا ولى يبالغ فى سب على واذا عزل وولى سعيد بن العاص كف عنه فسئل عنه محمد بن على الباقر وعن سعيد فقال كان مروان خير النافى السر وسعيد خير النافى العلانية وقد أخرج حديث مروان فى الصحيح وكان الحسن والحسين يصليان خلفه ولا يعيدان الصلاة وهو أول من قدم الخطبة فى صلاة العيد قبل الصلاة ولما مات بويع لولده عبد الملك بن مروان فى اليوم الذى مات فيه وكان يقال له ولولده بنو الزرقاء يقول ذلك من يريد ذمهم وعيبهم وهى الزرقاء بنت موهب جدة مروان بن الحكم لابيه وكانت من ذوات الرايات التى يستدل بها على ثبوت البغاء فلهذا كانوا يذمون بها ولعل هذا كان منها قبل ان يتزوجها أبو العاص بن أمية والد الحكم فانه كان من أشراف قريش ولا يكون هذا من امرأة له وهى عنده والله أعلم (حبيش ابن دلجة بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة المفتوحة ثم الياء المثناة من تحت وآخره شين معجمة ودلجة بفتح الدال واللام)

البدن ونسكوا لها النسائك وأحلوا لها وحرموا (ومنهم) من أقر بالخالق وكذب بالرسل والبعث ومال الى قول أهل الدهر وهؤلاء الذين حكى الله تعالى الحادهم وخبر عن كفرهم بقوله تعالى وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون (ومنهم) من مال الى اليهودية والنصرانية (ومنهم) المار على عنجهيته الراكب لهمجيته وقد كان صنف من العرب يعبدون الملائكة ويزعمون انها بنات الله فكانوا يعبدونها لتشفع لهم الى الله وهم الذين اخبر الله عز وجل عنهم بقوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وقوله تعالى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى (فمن كان) مقرا بالتوحيد مثبتا للوعيد تارك للتقليد عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف وكان حفر بئر زمزم وكانت مطوية وذلك فى ملك كسرى فاذا فاستخرج منها غزالى ذهب عليها الدر والجوهر وغير ذلك من

﴿ذكر مقتل نافع بن الازرق﴾

فى هذه السنة اشتدت شوكة نافع بن الازرق وهو الذى ينتسب اليه الازارقة من الخوارج وكان سبب قوته اشتغال أهل البصرة واختلافهم بسبب مسعود بن عمرو وقتله وكثرة جموعه واقبل نحو الجسر وبعث اليه عبد الله بن الحرث مسلم بن عبيس بن كريز بن ربيعة فخرج اليه فدفعه عن أرض البصرة حتى بلغ دولاب من ارض الاهواز فاقتتلوا هناك وجعل مسلم بن عبيس على ميمنته الحجاج بن باب الحيرى وعلى ميسرته حارثة بن بدر الغدانى وجعل ابن الازرق على ميمنته عبيدة بن هلال وعلى ميسرته الزمل بن الماحوز التميمى واشتد قتالهم فقتل مسلم أمير أهل البصرة وقتل نافع بن الازرق أمير الخوارج فى جمادى الآخرة فأمر أهل البصرة عليهم الحجاج بن باب الحيرى وأمرت الخوارج عبد الله بن الماحوز التميمى واقتتلوا فقتل عبد الله والحجاج فامر أهل البصرة عليهم ربيعة بن الاجرم التميمى وأمرت الخوارج عبيد الله بن الماحوز التميمى ثم عادوا فاقتتلوا حتى أمسوا وقد كره بعضهم بعضا وملوا القتال فبيناهم كذلك متواقفون متحاجزون اذ جاءت الخوارج سرية مستريحة لم تشهد القتال فحملت على الناس من ناحية عبد القيس فانهزم الناس وقتل أمير أهل البصرة ربيعة بعد ان قتل أيضا غفل بن حنظلة الشيبانى النسابة وأخذ الراية حارثة بن زيد فقاتل ساعة وقد ذهب الناس عنه فقاتل وحمى الناس ومعه جماعة من أهل البصرة ثم أقبل حتى نزل بالاهواز وبلغ ذلك أهل البصرة فاغزعهم وبعث عبد الله بن الزبير الحرث بن أبى ربيعة وعزل عبد الله بن الحرث فاقبلت الخوارج نحو البصرة

﴿ذكر محاربة المهلب الخوارج﴾

لما قربت الخوارج من البصرة أتى أهنها الاحنف بن قيس وسألوه ان يتولى حربهم فاشار بالمهلب بن أبى صفرة لما يعلم فيه من الشجاعة والرأى والمعرفة بالحرب وكان قد قدم من عند ابن الزبير وقد ولاه خراسان فقال الاحنف ما لهذا الامر غير المهلب فخرج اليه أشراف أهل البصرة فكلموه فابى فكلمه الحرث بن أبى ربيعة فاعتذر بعهده على خراسان فوضع الحرث وأهل البصرة كتابا اليه عن ابن الزبير يأمره بقتال الخوارج وأتوه بالكتاب فلما قرأه قال والله لا أسير اليهم الا ان تجعلوا الى ما غلبت عليه وتقطعونى من بيت المال ما أقوى به من معى فاجابوه الى ذلك وكتبوا له به كتابا وأرسلوا الى ابن الزبير فامضاه فاختار المهلب من أهل البصرة ممن يعرف نجدته وشجاعته اثنى عشر ألفا منهم محمد بن واسع وعبد الله بن رياح الانصارى ومعاوية بن قرة المزنى وأبو عمران الجونى وخرج المهلب الى الخوارج وهم عند الجسر الاصغر فحاربهم وهو فى وجوه الناس واشرافهم فدفعهم عن الجسر ولم يكن بقى الا ان يدخلوا فارتفعوا الى الجسر الاكبر فسار اليهم فى الخيل والرجال فلما رأوه قد قارب بهم ارتفعوا فوق ذلك ولما بلغ حارثة بن زيد تامير المهلب على قتال الازارقة قال لمن معه من الناس كرنبوا ودولبوا حيث شئتم فاذهبوا وأقبل بمن معه نحو البصرة فرد الحرث بن أبى ربيعة الى المهلب وركب حارثة فى سفينة فى نهر دجيل يريد البصرة فاتاه رجل من تميم وعليه سلاحه والخوارج وراءه فصاح التميمى بحارثة يستغيث به ليحمله معه فقرب السفينة الى شاطئ النهر وهو جرف فوثب التميمى اليها فاعصت بجميع من فيها فغرقوا وأما المهلب فانه سار حتى نزل بالخوارج وهم بنهر تيرى فتنحوا عنه الى الاهواز فسير المهلب الى عسكرهم الجواسيس تاتيه باخبارهم فلما أتاه خبرهم سار نحوهم واستخلف أخاه المغيرة بن المهلب ابن

الحلى وسبعة أسياف قلعية وسبعة أدرع سوابغ فضرب من الاسياف بابا للكعبة وجعل احدى الدرعين صفائح وجعل الاخرى فى الكعبة وكان عبد المطلب أول من أقام الرفادة والسقاية بمكة عذبا وجعل باب الكعبة ذهبا وفى ذلك يقول عبد المطلب

أعطى بلا شح ولا مشاحة ... سقيا على رغم العدو الكاشح

بعذب الحلى والصفائح ... حليا لبيت الله ذى المسارح

وكان قد نذر ان رزقه الله عز وجل عشرة أولاد ذكور أن يقرب أحدهم لله تعالى أحبهم اليه وهو عبد الله أبو النبى صلى الله عليه وسلم فضرب عليه بالقداح حتى افتداه بمائة من الابل فى خبر طويل

(وقد كان) أبرهة حين سار بالحبشة وأتى أنصاب الحرم نزل بالموضع المعروف بجب الحصب فأتى بعبد المطلب بن هاشم فأخبر أنه سيد مكة فعظمه وهابه لاستدارة نور النبى صلى الله عليه وسلم فى جبينه فقال له سلنى يا عبد المطلب فأبى أن يسأله الا ابلا له فأمر بردها وقال ألا تسألنى الرجوع فقال أنا رب هذه الابل وللبيت رب سيمنعه منك وانصرف عبد المطلب

ابن ابى صفرة فجال أصحابه ثم عادوا فلما رأى الخوارج صبرهم سار واعن سوق الاهواز الى مناذر فسار يريدهم فلما قاربهم سير الخوارج جمعا عليهم واقدموا لى أبى صفرة الى نهر تيرى وبها المعارك فقتلوه وصلبوه وبلغ الخبر الى المهلب فسير ابنه المغيرة الى نهر تيرى فانزل عمه المعارك ودفنه وسكن الناس واستخلف بها جماعة ودعا الى أبيه وقد نزل سولاف وكان المهلب شديد الاحتياط والحذر لاينزل الا فى خندق وهو على تعبية ويتولى الحرس بنفسه فلما نازل الخوارج بسولاف ركبوا ووقفوا له واقتتلوا قتالا شديدا صبر فيه الفريقان ثم حملت الخوارج حملة صادقة على المهلب وأصحابه فانهزموا وقتل منهم وثبت المهلب وابلى ابنه المغيرة يومئذ بلاء حسنا ظهر فيه اثره ونادى المهلب اصحابه فعادوا اليه معهم جمع كثير نحو أربعة آلاف فارس فلما كان الغد أراد القتال بمن معه فنهاه بعض أصحابه لضعفهم وكثرة الجراح فيهم فترك القتال وسار وقطع دجيل ونزل بالعاقول وهو لا يؤتى الا من جهة واحدة وفى يوم سولاف يقول ابن قيس الرقيات

ألا طرقت من آل ميـة طارقـه * على انها معشوقة الدل عاشقه
تميس وارض السوس بينى وبينها * وسولاف رسافى حمته الازارقه
اذا نحن شـتى صادفتنا عصابة * حرورية اضحت من الدين مارقه
احادت الينا العسكرين كليهـما * فباتت لمادون اللحاف معانقه

وقال فيه بعض الخوارج

وكائن ترى منا يوم سولاف منهم * اسارى وقتلى فى الجحيم مصيرها

واكثر الشعراء فيه فلما وصل المهلب الى العاقول نزل فيه واقام ثلاثة أيام ثم ارتحل وسار نحو الخوارج وهم بسلى وسلبرى فنزل قريبا منهم وكان كثيرا ما يفعل اشيا يحدث بها الناس ليفشطوا الى القتال فلا يرون لها اثرا حتى قال الشاعر

أنت الفتى كل الفتى * لو كنت تصدق ما تقول

وسماه بعضهم الكذاب وبعض الناس يظن انه كذاب فى كل حال وليس كذلك انما كان يفعل ذلك مكايدة للعدو فلما نزل المهلب قريبا من الخوارج وخندق عليه وضع المسالح وأذكى العيون والحرس والناس على راياتهم ومواقفهم وأبواب الخندق محفوظة فكان الخوارج اذا أرادوا بياته وغرته وجدوا أمرا محكما فرجعوا فلم يقاتلهم انسان كان أشد عليهم منه ثم ان الخوارج ارسلوا عبيدة بن هلال والزبير بن الماحوز فى عسكر ليلا الى عسكر المهلب ليبيتوه فصاحوا بالناس عن يمينهم ويسارهم فوجدوهم على تعبية قد حذروا فلم ينالوا منهم شيأ وأصبح المهلب فخرج اليهم فى تعبية وجعل الازد وتميما يمنة وبكر بن وائل وعبد القيس ميسرة وأهل العالية فى القلب وخرجت الخوارج وعلى ميمنتهم عبيدة بن هلال اليشكرى وعلى ميسرتهم الزبير ابن الماحوز وكانوا أحسن عدة وأكرم خيلا من أهل البصرة لانهم مخروا الارض وجردوها مابين كرمان الى الاهواز فالتقى الناس واقتتلوا أشد قتال وصبر الفريقان عامة النهار ثم ان الخوارج شدت على الناس شدة منكرة فحفلوا وانهزموا لا يلوى أحد على أحد حتى بلغ الهزيمة البصرة وخاف أهلها السباء واسرع المهلب حتى سبق المنهزمين الى مكان مرتفع ثم نادى الى عباد الله فاجتمع اليه ثلاثة آلاف اكثرهم من قومه من الازد فلما رآهم رضى عدتهم فخطبهم وحثهم على القتال ووعدهم النصر وأمرهم ان يأخذ كل رجل منهم عشرة احجار وقال سيروا بنا نحو عسكرهم فانهم الآن آمنون وقد خرجت خيلهم فى طلب اخوانهم فوالله انى لارجو ان

الى مكة وهو يقول

يا أهل مكة قد وافاكم ملك
مع الفيول على أنيابها الزرد
هـذا النحاتى قد سارت كتائبه
مع الليوث عليها البيض تتقد
يريد كعبتكم والله مانعه
كمنع تسع لماء هاجرد
وأمر قريش أن تلحق ببطون الاودية ورؤس الجبال من معرة الحبشة وقلد الابل المعال وخلاها فى الحرم ووقف بباب الكعبة وهو يقول

يارب لا أرجو لهم سواكا
يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا
فامنعهم أن يخربوا قراكا

ويقول

يارب ان المرء يمـ
ـنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم
ومحالهم عدوا محالك

فارسل الله عليهم الطير الابابيل أشباه اليعاسيب ترميهم بحجارة من سجيل وهو طين خلط بحجارة خرجت من البحر مع كل طير ثلاثة أحجار فاهلكهم الله عز وجل (وقد ذكرنا) خبر أبى رغال فيما سلف من هذا الكتاب حين دلهم وهلاكه فى الطريق وجعلت الحبشة يومئذ تسأل عن نفيل بن حبيب الخثعمى يدلها على الطريق

لا يرجع اليهم خيلهم حتى تستبيحوا عسكرهم وتقتلوا أميرهم فاجابوه فاقبل بهم راجعا فاشعرت الخوارج الا والمهلب يقاتلهم في جانب عسكرهم فلقيهم عبد الله بن الماحوز وكان يزيد الخوارج فرماهم أصحاب المهلب بالاحجار حتى اثخنوهم ثم طعنوهم بالرماح وضربوهم بالسيوف فاقتتلوا ساعة فقتل عبد الله بن الماحوز وكثير من أصحابه وغنم المهلب عسكرهم وأقبل من كان في طلب أهل البصرة راجعا وقد وضع المهلب لهم خيلا ورجالا تختطفهم وتقتلهم وانكشفوا راجعين مذلولين مغلوبين فارتفعوا الى كرمان وجانب اصبهان وقال بعض الخوارج لما رأى قتال أصحاب المهلب بالحجارة

أتانا بالحجارة ليقتلنا بها * وهل تقتل الاقران ويحك بالحجر

ولما فرغ المهلب منهم أقام مكانه حتى قدم مصعب بن الزبير على البصرة أميرا وعزل الحرث بن أبي ربيعة وفي هذا اليوم يقول الصلتان العبدي

بسلي وسلبرا مصارع فتية * كرام وقتلى لم توسد خدودها

فلما قتل عبد الله بن الماحوز استخلف الخوارج الزبير بن الماحوز وكتب المهلب الى الحرث ابن أبي ربيعة يعرفه ظفره فارسل الحرث الكتاب الى ابن الزبير بمكة ليقرأه على الناس هناك وكتب الحرث الى المهلب أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه نصر الله وظفر المسلمين فهنيئا لك يا أخا الازد شرف الدنيا وعزها وثواب الآخرة وفضلها فلما قرأ المهلب كتابه ضحك وقال اما يعرفني الا بأخي الازد فما هو الا أعرابي جاف وقيل ان عثمان بن عبيد الله بن معمر قاتل الخوارج ونافع ابن الازرق قبل مسلم فقتل عثمان وانهزم أصحابه بعد ان قتل من الخوارج خلق كثير فسير اليهم من البصرة بعده حارثة بن زيد العبدي فلما رآهم عرف انه لا طاقة له بهم فقال لاصحابه كروا ودولبوا كيف شئتم فاذهبوا يعني ماشاء ثم سار بعده مسلم بن عبيس وقيل ان المهلب لما دفع الخوارج من البصرة الى ناحية الاهواز أقام بقية سنته يجبي كور دجلة ورزق أصحابه وأتاه المدد من البصرة حتى بلغ أصحابه ثلاثين الفا فعلى هذا يكون هزيمة الخوارج سنة ست وستين

﴿ ذكر نجدة بن عامر الحنفي ﴾

هو نجدة بن عامر بن عبد الله بن ساد بن المفرج الحنفي كان مع نافع بن الازرق ففارقه لاحداثه في مذهبه ما تقدم ذكره وسار الى اليمامة ودعا أبو طالوت الى نفسه فمضى الى الحضارم فنهبها وكانت لبني حنيفة فاخذها منهم معاوية بن أبي سفيان فجعل فيها من الرقيق ما عدتهم وعدة ابنائهم ونسائهم أربعة آلاف فغنم ذلك وقسمه بين أصحابه وذلك سنة خمس وستين فكثر جمعه ثم ان عيرا خرجت من البحرين وقيل من البصرة تحمل مالا وغيره يرادبها ابن الزبير فاعترضها نجدة فاخذها وساقها حتى أتى بها اباطالوت بالحضارم فقسمها بين أصحابه وقال اقتسموا هذا المال وردوا هؤلاء العبيد واجعلوهم يعملون الارض لكم فان ذلك انفع فاقتسموا المال وقالوا لنجدة خير لنا من أبي طالوت فخلعوا أباطالوت وبايعوا نجدة وبايعه أبو طالوت وذلك في سنة ست وستين ونجدة يومئذ ابن ثلاثين سنة ثم سار في جمع الى بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فلقيهم بذي المجاز فهزمهم وقتلهم قتلا ذريعا وصبر كلاب وعطيف ابنا قرة بن هبيرة القشيريان وقاتلا حتى قتلا وانهزم قيس ابن الرفاد الجعدي فلحقه أخوه لابيه معاوية فسأله ان يحمله ردفا فلم يفعل ورجع نجدة الى اليمامة فكثر أصحابه فصاروا ثلاثة آلاف ثم سار نجدة الى البحرين سنة سبع وستين فقالت الازد نجدة احب الينا من ولاتنا لانه ينكر الجور ولا تنا يجورونه فعزموا على مسالمته واجتمعت عبد القيس ومن بالبحرين غير الازد على محاربته فقال بعض الازد نجدة أقرب اليكم منه الينا لانكم كلكم من

ربيعة

وقيل يسمع كلام الحبشة وسوالهاعنه وقد رجع لما عمهم من البلاء وانفرد عن جملتهم يؤمل الخلاص وقد تاهو فأنشأ يقول

ألا رد حتى ذلك يا ردينا * معاكم مع الاصباح عينا
فانك لو رأيت ولن تريه * لدى جنب المحصب ما رأينا
حمدت الله اذ عاينت طيرا * وحصب حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل * كان على لحبشان دينا

وقد ذكرنا ما كان منهم في هلاك عبيدهم فيما سلف من هذا الكتاب فلما صدهم الله عز وجل عن الكعبة أنشأ عبد المطلب يقول

أيها الداعي لقد أسمعتني * ثم مابي عن ندا كم من صمم
ان لبيت لربا مانعا * من يرده بأثام يصطلم
وامدتمع فيمن جندت * حمير والحي من آل قرم
فانثنى عنه وفي أوداجه * جارح أمسك عنه بالكظم
قمت والاشرم يرمي حيلة * ان ذا الاشرم غر بالحرم
جزاك الله فيما قد مضى * لم يزل ذاك على عهد أبرهم
نحن دمرنا ثمودا عنوة * ثم عاد اقبلها ذات الارم
نعبد الله وفينا سنة * صلة للقربى وايفاء الذمم
لم يزل لله فينا حجة * يدفع الله بها عنا النقم

ربيعة فلا تحاربوه وقال بعضهم لا ندع نجدة وهو حروري مارق تجري علينا أحكامه فالتقوا بالقطيف فانهزمت عبد القيس وقتل منهم جمع كثير وسبى نجدة من قدر عليه من أهل القطيف فقال الشاعر

نصحت لعبد القيس يوم قطيفها * ومانفع نصح قبل لا يتقبل

واقام نجدة بالقطيف ووجه ابنه المطرح في جمع الى المنهزمين من عبد القيس فقاتلوه بالثوير فقتل المطرح بن نجدة وجماعة من أصحابه وارسل نجدة سرية الى الخط فظفر بأهله واقام نجدة بالبحرين فلما قدم مصعب بن الزبير الى البصرة سنة تسع وستين بعث اليه عبد الله بن عمير الليثي الاعور في أربعة عشر ألفا فجعل يقول اثبت نجدة فانا لا نفر فقدم ونجدة بالقطيف فاتى نجدة عسكر ابن عمير وهو غافل فقاتلهم طويلا وافترقوا واصبح ابن عمير فهاله ما رأى في عسكره من القتلى والجرحى وحمل عليهم نجدة فلم يلبثوا أن انهزموا فلم يبق عليهم نجدة وغنم ما في عسكرهم واصاب جواري فيهن ام ولد لابن عمير فعرض عليها ان يرسلها الى مولاها فقالت لا حاجة بي الى من فرّ عني وتركني وبعث نجدة أيضا بعد هزيمة ابن عمير جيشا الى عمان واستعمل عليهم عطية بن الاسود الحنفي وقد غلب عليها عباد بن عبد الله وهو شيخ كبير وابناه سعيد وسليمان يعشران السفن ويجبيان البلاد فلما أتاهم عطية قاتلوه فقتل عباد واستولى عطية على البلاد فاقام بها أشهرا ثم خرج منها واستخلف رجلا يكنى ابا القاسم فقتله سعيد وسليمان ابنا عباد واهل عمان ثم حالف عطية نجدة على ما ذكره ان شاء الله فعاد الى عمان فلم يقدر عليها فركب في البحر واتى كرمان وضرب بها دراهم سماها العطوية واقام بكرمان فارسل اليه المهلب جيشا فهرب الى سجستان ثم الى السند فلقيه خيل المهلب بقندابيل فقتلته وقيل قتله الخوارج ثم بعث نجدة الى البوادي بعد هزيمة ابن عمير أيضا من يأخذ من أهلها الصدقة فقاتل أصحابه بني تميم بكاظمة وأعان أهل طويلع بني تميم فقتلوا من الخوارج رجلا فارسل نجدة الى أهل طويلع من أغار عليهم وقتل منهم بضعا وثلاثين رجلا وسبى ثم انه دعاهم بعد ذلك فاجابوه فاخذ منهم الصدقة ثم سار نجدة الى صنعاء في خوف من الجيش فبايعه أهلها وظنوا ان وراءه جيشا كثيرا فلما لم يروا مددا يأتيه ندموا على بيعته وبلغه ذلك فقال ان شئتم أقلتكم بيعتكم وجعلتكم في حل منها وقاتلتكم فقالوا لا نستقيل بيعتنا فبعث الى مخاليفها فاخذ منهم الصدقة وبعث نجدة أبا فديك الى حضرموت فجبى صدقات أهلها وحج نجدة سنة ثمان وستين وقيل سنة تسع وستين وهو في ثمانمائة وستين رجلا وقيل في الف رجل وستمائة رجل وصالح ابن الزبير على ان يصلي كل واحد باصحابه ويقف بهم ويقف بعضهم عن بعض فلما صدر نجدة عن الحج سار الى المدينة فتأهب أهلها للقتال وتقلد عبد الله بن عمر سيفا فلما كان نجدة بنخل اخبر بلبس ابن عمر السلاح فرجع الى الطائف واصاب بنتا لعبد الله بن عمرو بن عثمان كانت عند ظئر لها فضمها اليه فقال بعض أصحابه ان نجدة ليتعصب لهذه الجارية فامتحنوه فسأله بعضهم بيعها منه فقال قد اعتقت نصيبي منها فهي حرة قال فزوجني اياها قال هي بالغ وهي املك بنفسها فانا استأمرها فقام من مجلسه ثم عاد فقال قد استأمرتها فكرهت الزواج فقيل ان عبد الملك أو عبد الله بن الزبير كتب اليه والله لئن أحدثت فيها حدثا لاطأن بلادك وطأة لا يبقى معها بكرى وكتب نجدة الى ابن عمر يسأله عن أشياء فقال سلوا ابن عباس فسألوه ومسائله ابن عباس مشهورة ولما سار نجدة من الطائف أتاه عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي فبايعه عن قومه ولم يدخل نجدة الطائف فلما قدم الحجاج الطائف لمحاربة ابن الزبير قال لعاصم ياذا الوجهين

(قال المسعودي) وقد استدل قوم ممن ذهب الى الغلو في بعض المذاهب والخروج عما أوجبته قضية العقل وضرورات الحواس بهذا الشعر وقول عبد المطلب فيما كان منهم في قديم الزمان وأيد ذلك الشعر بشعر العباس بن عبد المطلب في مدحه النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه منصرفه من تبوك فاسلم قال سمعت العباس بن عبد المطلب يقول يارسول الله اني أريد أن أمتدحك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل لا يفضض الله فاك وأنشأ يقول

من قبلها طبت في الظلال وفي
مستودع حيث يخصف الورق

ثم هبطت البلاد لا بشر
أنت ولا مضغة ولا علق

بل نطفة تركب السفين وقد
ألجم نسرا وأهله الغرق

تنقل من صالب الى رحم
اذا مضى عالم بدا طبق

أنت لها وارث وأشرقت الـ
أرض وأورى بنورك الافق

حتى احتوى بيتك المهيمن من
خندف علياء تحتها النطق

فنحن في ذلك الضياء وفي
النور وسبل الرشاد نخترق

بايعت نجدة قال اى والله وذو عشرة أوجه أعطيت نجدة الرضا ودفعته عن قومى وبلدى واستعمل الحاروق وهو حراق على الطائف وتبالة والسراة واستعمل سعد الطلائع على ما يلى نجران ورجع نجدة الى البحرين فقطع الميرة عن أهل الحرمين منها ومن اليمامة فكتب اليه ابن عباس ان ثمامة بن اثال لما أسلم قطع الميرة عن أهل مكة وهم مشركون فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل مكة أهل الله فلا تمنعهم الميرة فجعلها لهم وانك قطعت الميرة عنا ونحن مسلمون فجعلها نجدة لهم ولم يزل عمال نجدة على النواحى حتى اختلف عليه أصحابه فطمع فيهم الناس فاما الحاروق فطلبوه بالطائف فهرب فلما كان فى العقبة فى طريقه لحقه قوم يطلبونه فرموه بالحجارة حتى قتلوه

﴿ ذكر الاختلاف على نجدة وقتله وولاية أبى فديك ﴾

ثم ان أصحاب نجدة اختلفوا عليه لاسباب نقموها منه فنها ان أباسنان حيان وائل أشار على نجدة بقتل من أجابه تقية فشتمه نجدة فهم بالفتك به فقال له نجدة كاف الله أحدا علم الغيب قال لا قال فانما علينا ان نحكم بالظاهر فرجع أبو سنان الى نجدة ومنها ان عطية بن الاسود خالف على نجدة وسببه ان نجدة سير سرية بحرا وسرية برا فاعطى سرية البحر أكثر من سرية البر فنازعه عطية حتى أغضبه فشتمه نجدة فغضب عليه وألب الناس عليه وكلم نجدة فى رجل يشرب الخمر فى عسكره وقال هو رجل شديد النكاية على العدو وقد استنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمشركين وكتب عبد الملك الى نجدة يدعوه الى طاعته ويوليه اليمامة ويمده بما أصاب من الاموال والدماء فطعن عليه عطية وقال ما كاتبه عبد الملك حتى علم منه دهانا فى الدين وفارقه الى عمان ومنها ان قوما فارقوا نجدة واستتابوه فحلف ان لا يعود ثم ندموا على استتابته وتفرقوا وانقموا عليه أشياء أخر فخالف عليه عامة من معه وانحاز واعنه وولوا أمرهم أبا فديك عبد الله بن ثور أحد بنى قيس بن ثعلبة واستخفى نجدة فارسل أبو فديك فى طلبه جماعة من أصحابه وقال ان ظفرتم به فجيئونى به وقيل لابى فديك ان لم تقتل نجدة تفرق الناس عنك فالح فى طلبه وكان نجدة مستخفيا فى قرية من قرى هجر وكان للقوم الذين اختفى عندهم جارية يخالف اليها راع لهم فاخذت الجارية من طيب كان مع نجدة فسألها الراعى عن أمر الطيب فاخبرته فاخبر الراعى أصحاب أبى فديك بنجدة فطلبوه فتذربهم فاتى أخواله من بنى تميم فاستخفى عندهم ثم أراد المسير الى عبد الملك فاتى بيته ليعهد الى زوجته فعلم به الفديكية وقصدوه فسبق اليه رجل منهم فاعلمه فخرج وبيده السيف فنزل الفديكى عن فرسه وقال ان فرسى هذا لا يدرك فاركبه فلعلك تظفر عليه فقال ما أحب البقاء ولقد تعرضت للشهادة فى مواطن ما هذا باحسنها وغشيه أصحاب أبى فديك فقتلوه وكان شجاعا كريما وهو يقول

وان جرّ مولانا علينا جريرة * صبرنا لها ان الكرام الدعائم

ولما قتل نجدة سخط قتله قوم من أصحاب أبى فديك ففارقوه وثار به مسلم بن جبير فضربه اثنى عشر ضربة بسكين فقتل مسلم وحمل أبو فديك الى منزله فبرئ

﴿ ذكر استعمال مصعب على المدينة ﴾

فى هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير أخاه عبيدة بن الزبير عن المدينة واستعمل أخاه مصعبا وسبب ذلك ان عبيدة خطب الناس فقال لهم تقترون ما صنع الله بقوم فى ناقة قيمتها خمسة دراهم فسمى

قالوا وهذا الخبر ذكره أصحاب السير والاخبار والمغازى ونقلوا هذا المديح من قول لعباس وما كان من سرور النبى صلى الله عليه وسلم بذلك واستبشاره به فجعلت هذه الطائفة من الغلاة ما ذكرنا من الشعرين شعر عبد المطلب وشعر العباس دلالة لهم على ما ادعوها وتعلقوا الى شبه بعيدة استخرجوها فمع منها ما تقدم من أوائل العقول وموجبات الفحص ذكر ذلك جماعة من مصنفى كتبهم ومن حذاق مبرزيهم من فرق المحمدية والعلبانية وغيرهم من فرق الغلاة منهم اسحق بن محمد النخعى المعروف بالاحمر فى كتابه المعروف بكتاب الصراط وقد ذكر ذلك الفياض بن على فى نقضه لكتاب الصراط وذكره المعروف بالمنكر فى نقضه هذا الكتاب المترجم بالصراط وهؤلاء محمدية نقضوا هذا الكتاب وهو على مذهب العلبانية وقد أتينا على ذكر هؤلاء من المحمدية والمغيرية وسائر فرق الغلاة وأصحاب التفويض والوسائط واستقصينا النقض عليهم

مقوم الناقة فبلغ ذلك أخاه عبد الله فعزله واستعمل مصعبا

﴿ ذكر بناء ابن الزبير الكعبة ﴾

لما احترقت الكعبة حين غزا أهل الشام عبد الله بن الزبير أيام يزيد تركها ابن الزبير يشنع بذلك على أهل الشام فلما مات يزيد واستقر الامر لابن الزبير شرع في بنائها فامر بهدمها حتى الحقت بالارض وكانت قد مالت حيطانها من حجارة المنجنيق وجعل الحجر الاسود عنده وكان الناس يطوفون من وراء الاساس وضرب عليها السور وادخل فيها الحجر واحتج بان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا حدثان عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس ابراهيم وأزيد فيها الحجر فحفر ابن الزبير فوجد اساسا امثال الجمال فحركوا منها حجرة فبرقت بارقة فقال أقروها على أساسها وبنائها وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر وقيل كانت عمارتها سنة أربع وستين

﴿ ذكر الحرب بين ابن خازم وبني تميم ﴾

في هذه السنة كانت الحرب بين ابن خازم السلمي وبني تميم بخراسان وسبب ذلك ان من كان بخراسان من بني تميم أغاروا ابن خازم على من بها من ربيعة وقد تقدم ذكر ذلك فلما صفت له خراسان جفا بني تميم وكان قد جعل ابنه محمدا على هراة وجعل على شرطته بكير بن وشاح وضم اليه شماس بن دثار العطاردي وكانت ام محمد تميمية فلما جفا ابن خازم بني تميم اتوا ابنه محمدا بهراة فكتب ابن خازم الى ابنه محمد والى بكير وشماس يامرهم بمنعهم عن هراة فاما شماس فصار مع بني تميم وأما بكير فابى منعهم فاقاموا ببلاد هراة فارسل بكير الى شماس اني اعطيتك ثلاثين الفا فاعط كل رجل من بني تميم الفا على ان ينصرفوا فاقاموا عليه واقاموا يترصدون محمدا ليخرج يتصيد فاخذوه وشدوه وثاقا وشربوا ليلتهم وجعلوا يمولون عليه كلما أرادوا البول فقال لهم شماس اما اذ بلغتم هذا منه فاقتلوه بصاحبيكما اللذين قتلهما بالسياط وكان قد ضرب رجلين من تميم بالسياط حتى ماتا فقاموا اليه ليقتلوه فمنعهم عنه حيان بن مشجعة الضبي والقى نفسه عليه فلم يقتلوه منه وقتلوا محمدا فشكر ابن خازم لحيان ذلك ولم يقتله فيمن قتل وكان الذي تولى قتل محمد رجلين اسم أحدهما عجلة واسم الآخر كسيب فقال ابن خازم بئس ما اكتسب كسيب لقومه ولقد عجل عجلة لقومه شرا واقبلت تميم الى مرو وأمروا عليهم الحريش بن هلال القريعي واجمع اكثرهم على قتال ابن خازم فقاتل الحريش بن هلال عبد الله بن خازم سنتين فلما طالت الحرب خرج الحريش فنادى ابن خازم وقال له طالت الحرب بيننا فعلام نقتل قومي وقومك ابرز الي فايينا قتل صاحبه صارت الارض له فقال له ابن خازم قد انصفت وبرز اليه فتضاربا ونصا ولا تصاول الفحلين لا يمد أحدهما على صاحبه ثم غفل ابن خازم فضربه الحريش على رأسه فالقى فروة رأسه على وجهه وانقطع ركاب الحريش وانتزع السيف ولزم ابن خازم عنق فرسه راجعا الى أصحابه ثم غاداهم القتال فكثروا بذلك بعد الضربة اياما ثم مل الفريقان فتفرقوا ثلاث فرق فرقة الى نيسابور مع بحير بن ورقا وفرقة الى ناحية أخرى وفرقة فيها الحريش الى مرو الروذ فاتبعه ابن خازم الى قرية تسمى الملحمة والحريش في اثني عشر رجلا وقد تفرقت عنه أصحابه وهم في خربة فلما انتهى اليه ابن خازم خرج اليه في أصحابه فحمل مولى لابن خازم على الحريش فضربه فلم يصنع شيأ فقال الحريش لرجل معه ان سيفي لا يصنع في سلاحه شيأ فاعطني خشبة فاعطاه عودا من عناب فحمل على المولى فضربه فسقط وقيذا ثم قال لابن خازم ما تريد مني وقد خليتك والبلاد قال انك تعود اليها

وعلى سائر من ذهب الى التحول بتناسخ الارواح في أنواع أشلاء الحيوان ممن ادعى الاسلام وغيرهم ممن سلف من اليونانيين والهند والثنوية والمجوس واليهود والنصارى وذكر قول احمد بن حائط وابن بالوس وجعفر القاضي الى من نجم في وقتنا ممن تقدم وتأخر الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ممن أحدث تفريعا على ما سلف من أصولهم وأبدى شبها أيدها ما تقدم من مذاهبهم مثل الحسين ابن منصور المعروف بالحلاج وأصحاب ابي يعقوب المرايلي ثم أصحاب السوق ومن تأخر عنهم وفارقهم في أصولهم مثل ابي جعفر محمد بن علي اللقاني المعروف بابن أبي القراقر وغيرهم من أمم وذكرنا الفرق بينهم وبين غيرهم من اصحاب الدورق في هذا الوقت ممن يراعي وقت الظهر وأصحاب حجج الليل والنهار اذ كان هؤلاء قد أثبتوا القول بالتناسخ وان الارواح تنتقل في شيء من الاجسام الحيوانية وأحالوا على القديم عز وجل أن يجوز عليه شيء مما تقدم في كتابنا آنفا (وقد) تفاعل

بنا الكلام فى ذكر عبد المطلب (تنازع) الناس فى عبد المطلب فمنهم من رأى انه كان موحدا وانه لم يشرك بالله عز وجل ولا أحد من آباء النبى صلى الله عليه وسلم وأنه نقل فى الاصلاب الطاهرة وانه اخبر أنه ولد من نكاح لا من سفاح ومنهم من رأى أن عبد المطلب كان مشركا وغيره من آباء النبى صلى الله عليه وسلم الا من صح ايمانه وهذا موضع فيه تنازع بين الامامية والمعتزلة والخوارج والمرجئة وغيرهم من الفرق فى الحكم والاختيار وليس كتابنا هذا موسوما للحجاج فنذكر حجاج كل فريق منهم (وقد أبينا) على قول كل فريق منهم وما انتقده قوله فى كتابنا المقالات فى أصول الديانات وفى كتاب الاستبصار ووصف أقاويل الناس فى الامامة وفى كتاب الصفوة أيضا (وكان) عبد المطلب يوصى ولده بصلة الارحام واطعام الطعام ويرغبهم فعل من يراعى فى المتعقب معادا وبعثا ونشورا وجعل السقاية والرفادة الى ابنه عبد مناف وهو أبو طالب وأوصاه بالنبى صلى الله عليه

قال لا اعود فصالحه على ان يخرج من خراسان ولا يعود الى قتاله فاعطاه ابن خازم أربعين ألفا وفتح له الحريش باب القصر فدخله ابن خازم وضمن له وفاء دينه وتحدثا طويلا وطارت قطنة عن الضربة التى برأس ابن خازم فاخذها الحريش ووضعها مكانها فقال له ابن خازم مسك اليوم ألين من مسك امس فقال الحريش معذرة الى الله واليك أما والله لولا ركابى انقطع لخالط السيف رأسك وقال الحريش فى ذلك

أزل عظيم ذراعى عن مركبه * حمل الرديني فى الادلاج بالسحر
حوين ما اغتمضت عيني بمنزلة * الا وكفي وسادا لي على حجر
يرى الحديد وسربالي اذا هجمت * عني العيون مجال الفالح الذكر

(بحير بن ورقاء بفتح الباء الموحدة والحاء المهملة المكسورة والحريش بالحاء والراء المهملتين والشين المعجمة)

﴿(ذكر عدة حوادث)﴾

فى هذه السنة وقع طاعون الجارف بالبصرة وفيها عبيد الله بن معمر فهلك به خلق كثير فماتت أم عبد الله فلم يجدوا الحمار يحملها حتى استأجروا من حملها وهو الامير وحج بالناس عبد الله ابن الزبير وكان على المدينة مصعب وعلى الكوفة ابن مطيع وعلى البصرة الحرث بن ربيعة المخزومى وعلى خراسان محمد بن حازم وفيها توفى عبد الله بن عمرو بن العاص السهمى وكان قد عمى آخر عمره وكانت وفاته بمصر وقيل توفى سنة ثمان وستين

﴿ثم دخلت سنة ست وستين﴾

﴿(ذكر وثوب المختار بالكوفة)﴾

فى هذه السنة رابع عشر ربيع الاول وثب المختار بالكوفة وأخرج عنها عبد الله بن مطيع عامل عبد الله بن الزبير وسبب ذلك ان سليمان بن صرد لما قتل قدم من بقى من أصحابه الكوفة فلما قدموا وجدوا المختار محبوسا قد حبسه عبد الله بن يزيد الخطمى وابراهيم بن محمد بن طلحة وقد تقدم ذكر ذلك فكتب اليهم من الحبس يثنى عليهم ويعيبهم الظفر ويعرفهم انه هو الذى أمره محمد بن على المعروف بابن الحنفية بطلب الثار فقرأ كتابه رفاعة بن شداد والمثنى بن مخربة العبدى وسعد بن حذيفة بن اليمان ويزيد بن أنس واحمر بن شميط الاحمسى وعبد الله بن شداد البجلى وعبد الله ابن كامل فلما قرؤا كتابه بعثوا اليه ابن كامل يقولون له انا بحيث يسرك فان شئت ان نأتيك ونخرجك من الحبس فعلنا فكتب فاخبره فسر بذلك وقال لهم انى أخرج فى ايامى هذه وكان المختار قد أرسل الى ابن عمر يقول له انى قد حبست مظلوما ويطلب اليه ان يشفع فيه الى عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة فكتب اليهما ابن عمر فى أمره فشفعاه واخرجاه من السجن وضمناه وحلفاه انه لا يبغيهما غائلة ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان فان فعل فعليه ألف بدنة ينحرها عند الكعبة ومماليكه احرار ذكرهم وانثاهم فلما خرج نزل بداره فقال لمن يثق به قاتلهم الله ما احمقهم حين يرون أنى أفى لهم اما حلفى بالله فانى اذا حلفت على يمين فرأيت خيرا منها ان أكفر عن يمينى وخرجى عليهم خير من كفى عنهم واما هدى البدن وعتق المماليك فهو هون على من بصقة فوددت أن تم لى امرى ولا املك بعده مملوكا أبدا ثم اختلفت اليه الشيعة واتفقوا على الرضا به ولم يزل اصحابه يكثرون وأمره يقوى حتى عزل ابن الزبير عبد الله بن يزيد الخطمى وابراهيم بن محمد بن طلحة واستعمل عبد الله بن مطيع على عملهما بالكوفة فلقيه بحير بن ريسان الحميرى عند مسيره الى الكوفة فقال له لا تسر الليلة فان القمر بالناطح ولا

تسمر فقال له وهل نطلب الا النطح فلقى نطحا كما يريد فكان البلاء موكلا بمنطقه وكان شجاعا وسار ابراهيم الى المدينة وكسر الخراج وقال كانت فتنة فسكت عنه ابن الزبير وكان قدوم ابن مطيع فى رمضان لخمس بقين منه وجعل على شرطته اياس بن ابى مضارب العجلى وأمره بحسن السيرة والشدة على المريب * ولما قدم صعد المنبر فحمد الله وقال اما بعد فان أمير المؤمنين بعثنى على مصركم وثغوركم وأمرنى بحباية فيئكم وان لا أحمل فضل فيئكم عنكم الا برضاكم وان اتبع وصية عمر بن الخطاب التى أوصى بها عند وفاته وسيرة عثمان بن عفان فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا وخذوا على أيدى سفهائكم فان لم تفعلوا فلوموا أنفسكم فوالله لا وقعن بالسقيم العاصى ولا قيمن درء الاصغر المرتاب فقام اليه السائب بن مالك الاشعرى فقال اما حمل فيئنا برضانا فانا نشهد انا لا نرضى ان تحمل عنا فضله وأن لا يقسم الا فينا وان لا يسار فينا الا بسيرة على بن أبى طالب التى سار بها فى بلادنا عنده حتى هلك ولا حاجة لنا فى سيرة عثمان فى فيئنا ولا فى أنفسنا ولا فى سيرة عمر بن الخطاب فينا وان كانت اهون السيرتين علينا وقد كان يفضل بالناس خيرا فقال يزيد بن أنس صدق السائب وبر فقال ابن مطيع نسيركم بكل سيرة أحببتموها ثم نزل وجاء اياس بن مضارب الى ابن مطيع فقال له ان السائب بن مالك من رؤس أصحاب المختار فابعث الى المختار فليأتك فاذا جاءك فاحبسه حتى يستقيم أمر الناس فان أمره قد استجمع له وكأنه قد وثب بالمصر فبعث ابن مطيع الى المختار زائدة بن قدامة وحسين بن عبد الله البرسمى من همدان فقالا أجب الامير فعزم على الذهاب فقر أزائدة واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك الآية فالقى المختار ثيابه وقال ألقوا على قضيفة فقد وعكت انى لاجد برد اشديد ارجعا الى الامير فأعلماه حالى فعادا الى ابن مطيع فاعلماه فتركه ووجه المختار الى اصحابه فجمعهم حوله فى الدور وأراد ان يثب فى الكوفة فى المحرم فجاء رجل من أصحاب شبام وشبام حى من همدان وكان شريفا اسمه عبد الرحمن بن شريح فالقى سعيد بن منقذ الثورى وسمر بن أبى سمر الحنفى والاسود ابن جراد الكندى وقدامة بن مالك الجشمى فقال لهم ان المختار يريد يخرج بنا ولا ندرى ارسله ابن الحنفية أم لا فانهضوا بنا الى ابن الحنفية نخبره بما قدم علينا به المختار فان رخص لنا فى اتباعه تبعناه وان نهانا عنه اجتنبناه فوالله ما ينبغى ان يكون شئ من الدنيا آثر عندنا من سلامة ديننا فقالوا له أصبت فخرجوا الى ابن الحنفية فلما قدموا عليه سألهم عن حال الناس فاخبروه عن حالهم وما هم عليه وأعلموه حال المختار وما دعاهم اليه واستأذنوه فى اتباعه فلما فرغوا من كلامهم قال لهم بعد ان حمد الله واثنى عليه وذكر فضيلة أهل البيت والمصيبة بقتل الحسين ثم قال لهم واما ما ذكرتم ممن دعاكم الى الطلب بدمائنا فوالله لوددت ان الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ولو كره لقال لا تفعلوا فعادوا وناس من الشيعة ينتظرونهم ممن اعلموه بحالهم وكان ذلك قد شق على المختار وخاف ان يعود وا بامر يحذل الشيعة عنه فلما قدموا الكوفة دخلوا على المختار قبل دخولهم الى بيوتهم فقال لهم ما وراءكم فقد فتنتم وارتبتم فقالوا له انا قد أمرنا بنصرك فقال الله أكبر اجمعوا لى الشيعة فجمع من كان قريبا منهم فقال لهم ان نفرا قد أحبوا ان يعلموا مصداق ما جئت به فرحلوا الى الامام المهدى فسألوه عما قدمت به عليكم فبأهلهم لى وزيره وظهيره ورسوله وأمركم باتباعى وطاعتى فيما دعوتكم اليه من قتل المحلين ولطلب بدماء أهل بيت نبيكم المصطفين فقام عبد الرحمن بن شريح وأخبرهم بحالهم ومسيرهم وان ابن الحنفية أمرهم بمظاهرته وموازرته وقال لهم ليبلغ الشاهد الغائب واستعدوا وتأهبوا وقام جماعة من أصحابه

وسلم وقد تنوزع فى اسم أبى طالب فمنهم من رأى أن اسمه ما وصفنا ومنهم من رأى أن كنيته اسمه وان على بن أبى طالب رضى الله عنه كتب فى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم ليهود خيبر باملاء النبى صلى الله عليه وسلم وكتب على بن أبى طالب باسقاط الالف وقد ذكر عبد المطلب فى شعره وصية أبى طالب بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال

أوصيت من كنيته بطالب
بابن الذى قد غاب ليس آيب
وقد كان أكبر العرب
ممن بقى ودثر يقر بالسانح
ويستدل على الخالق
(وقد كان) فى ملك النمرود
ابن كوش بن حام بن نوح
هيجان الريح التى نسفت
صرح النمرود ببابل من
أرض العراق فبات
الناس ولسانهم سريانى
واصبحوا قد تفرقت
لغاتهم على اثنين وسبعين
لسانا فسمى الموضع من
ذلك الوقت بابل فصار من
ذلك فى ولد سام بن نوح
تسعة عشر لسانا وفى ولد
يافث بن نوح سبعة وثلاثون
لسانا على حسب ما ذكرنا
فى صدر هذا الكتاب وكان
من تكلم بالعربية يعرب
وجرهم وعاد وعنبل وجديس

فقالوا نحوا من كلامه فاستجمعت له الشيعة وكان من جملتهم الشعبي وأبوه شراحيل فلما تهيأ امره للخروج قال له بعض أصحابه ان أشراف أهل الكوفة مجمعون على قتالكم مع ابن مطيع فان اجابنا الى أمرنا ابراهيم بن الاشتر رجونا القوة على عدونا فانه فتى رئيس وابن رجل شريف له عشيرة ذات عز وعدد فقال لهم المختار فالقوه وادعوه فخرجوا اليه ومعهم الشعبي فاعلموه حالهم وسألوه مساعدتهم عليه وذكروا له ما كان أبوه عليه من ولاء علي وأهل بيته فقال لهم انى قد أجبتكم الى الطلب بدم الحسين وأهل بيته على ان تولوني الامر فقالوا له أنت لذلك أهل ولكن ليس الى ذلك سبيل هذا المختار قد جاءنا من قبل المهدي وهو المأمور بالقتال وقد امرنا بطاعته فسكت ابراهيم ولم يجبهم فانصرفوا عنه فاخبروا المختار فمكث ثلاثا ثم سار في بضعة عشر من أصحابه والشعبي وأبوه فيهم الى ابراهيم فدخلوا عليه فالقى لهم الوسائد فجلسوا عليها وجلس المختار معه على فراشه فقال له المختار هذا كتاب من المهدي محمد بن علي أمير المؤمنين وهو خير أهل الارض اليوم وابن خير أهلها قبل اليوم بعد أنبياء الله ورسله وهو يسألك ان تنصرنا وتوازرنا قال الشعبي وكان الكتاب معي فلما قضى كلامه قال لي ادفع الكتاب اليه فدفعه اليه الشعبي فقرأه فاذا فيه من محمد المهدي الى ابراهيم بن مالك الاشتر سلام عليك فاني احمد الله اليك الذي لا اله الا هو أما بعد فاني قد بعثت اليكم وزيري وأميني لدى ارتضيته لنفسي وأمرته بقتال عدوي والطلب بدماء اهل بيتي فانهض معهم بنفسك وعشيرتك ومن اطاعك فانك ان تنصرني واجبت دعوتي كانت لك بذلك عندي فضيلة ولك اعنة الخيل وكل جيش غار وكل مصر ومنبر وثغر ظهرت عليه فيما بين الكوفة واقصى بلاد الشام فلما فرغ من قراءة الكتاب قال قد كتب الى ابن الحنفية قبل اليوم وكتبت فلم يكتب الى الا باسمه واسم أبيه قال المختار ان ذلك زمان وهذا زمان قال فمن يعلم ان هذا كتابه فشهد جماعة ممن معه منهم زيد بن انس واحمر بن شميط وعبد الله بن كامل وجماعتهم الا الشعبي فلما شهدوا تناول ابراهيم عن صدر الفراش واجلس المختار عليه وبايعه ثم خرجوا من عنده وقال ابراهيم للشعبي قد رأيتك لم تشهد مع القوم أنت ولا أبوك أفترى هؤلاء شهدوا على حق فقال له هؤلاء سادة القراء ومشيخة المصر وفرسان العرب ولا يقول مثلهم الا حقا فكتب أسماءهم وتركها عنده ودعا ابراهيم عشيرته ومن اطاعه واقبل يختلف الى المختار كل عشية عند المساء يدبرون أمورهم واجمع رأيهم على ان يخرجوا ليلة الخميس لاربع عشرة من ربيع الاول سنة ست وستين فلما كانت تلك الليلة عند المغرب صلى ابراهيم باصحابه ثم خرج يريد المختار وعليه وعلى أصحابه السلاح وقد أتى اياس بن مضارب عبد الله بن مطيع فقال له ان المختار خارج عليك باحدى هاتين الليلتين وقد بعثت ابني الى الكناسة فلو بعثت في كل جبانة عظيمة بالكوفة رجلا من أصحابك في جماعة من أهل الطاعة لهاب المختار وأصحابه الخروج عليك فبعث ابن مطيع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني الى جبانة السبيع وقال اكفني قومك ولا تحدثن بها حدثا وبعث كعب بن أبي كعب الخثعمي الى جبانة بشر وبعث زحر بن قيس الجعفي الى جبانة كندة وبعث عبد الرحمن بن مخنف الى جبانة الصائديين وبعث شمر بن ذي الجوشن الى جبانة سالم وبعث يزيد بن رويم الى جبانة المراد وأوصى كلا منهم ان لا يؤتى من قبله وبعث شبث بن ربعي الى السبخة وقال اذا سمعت صوت القوم فوجه نحوهم وكان خروجهم الى الجبانين يوم الاثنين وخرج ابراهيم بن الاشتر يريد المختار ليلة الثلاثاء وقد بلغه ان الجبانين قد ملئت رجالا وان اياس بن مضارب في الشرط قد أحاط بالسوق والقصر فاخذ معه من

وثمود وعملاق وطسم وجاسم وبادر وعبد بن ضخم فسار يعرب بن قحطان بن عامر ابن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بمن تبعه من ولده وغيرهم وهو يقول

أنا ابن قحطان الهمام الافضل
الايمن المعرب ذي المهلهل
يا قوم سيروا في الرعيل الاول
أنا الندي باللسان المسهل
الآبي المنطق غير المشكل
حشرت والامة في تبلبل
يا قوم سيروا في الرعيل الاول
نحو يمن الشمس في تحول
تحل باليمن على ما وصفنا

أنعامس هذا الكتاب (وسار بعده عاد بن عوص) بن ارم ابن سام بن نوح بولده ومن تبعه وهو يقول

الى ابن عاد الطويل البادي
وسام جدي ابن نوح الهادي
فقد رأيتم يعرب الرمادي
وسوقه الطارف والتلادي
تحل بالاحقاف وأدنى الرمل بين عمان وحضرموت واليمن وتفرق هؤلاء في الارض فانتشر منهم ... كثير منهم جيرون بن سعد بن عاد حل بدمشق فعمرها وجمع عمد الرخام والمرمر اليها وشيد بنيانها وتسمى ارم ذات العماد وقد روى عن كعب الاحبار في ارم

اصحابه نحو مائة دارع وقد لبسوا عليها الاقبية فقال له أصحابه تجنب الطريق فقال والله لامرن وسط السوق بجنب القصر ولارعين عدونا ولارينهم هوانهم علينا فسار على باب الفيل ثم على دار عمرو بن حريث فلقيهم اياس بن مضارب في الشرط مظهرين السلاح فقال من انتم فقال ابراهيم انا ابراهيم بن الاشتر فقال اياس ماهذا الجمع الذي معك وما تريد واست بتاركك حتى آتي بك الامير فقال ابراهيم خل سبيلا فقال لا أفعل وكان مع اياس بن مضارب رجل من همدان يقال له أبو قطن وكان يكرمه وكان صديقا لابن الاشتر فقال له ابن الاشتر ادن مني يا أباقطن فدنا منه وهو يظن ان ابراهيم يطلب منه ان يشفع فيه الى اياس فلما دنا منه أخذ رمحا كان معه وطعن به اياسا في ثغرة نحره فصرعه واهوى رجلا من قومه فاخذ رأسه ونفرق أصحاب اياس ورجعوا الى ابن مطيع فبعث مكانه ابنه راشد بن اياس على الشرط وبعث مكان راشد الى الكناسة سويد بن عبد الرحمن المنقري أبا القعقاع بن سويد واقبل ابراهيم بن الاشتر الى المختار وقال له انا قد عزمنا للخروج القابلة وقد جاء امر لا بد من الخروج الليلة واخبره الخبر ففرح المختار بقتل اياس وقال هذا أول الفتح ان شاء الله تعالى ثم قال لسعيد بن منقذ قم فاشعل النيران في الهوادي والقصب وارفعها وسر أنت يا عبد الله بن شداد فناد يا منصور أمت وقم أنت يا سفيان بن ليلى وأنت يا قدامة بن مالك فناد بالنارات الحسير ثم لبس سلاحه فقال له ابراهيم ان هؤلاء الذين في الجبانين يمنعون أصحابنا من اتيانا فلو سرت الى قومي بني مني ودعوت من أجابني وسرت بهم في نواحي الكوفة ودعوت بشاعرنا لخرج الينا من اراد الخروج ومن أتاك حبسته عندك الى من معك فان عوجلت كان عندك من يمنعك الى ان آتيك فقال له افعل وعجل واياك ان تسير الى أميرهم تقاتله ولا تقاتل احدا وأنت تستطيع ان لا تقاتله الا أن يبدأك أحد بقتال فخرج ابراهيم واصحابه حتى أتى قومه واجتمع اليه كل من كان أجابه وسار بهم في سكك المدينة ليلا طويلا وهو يتجنب المواضع التي فيها الامراء الذين وضعهم ابن المطيع فلما انتهى الى مسجد السكون أتاه جماعة من خيل زحر بن قيس الجعفي ليس عليهم أمير فحمل عليهم ابراهيم فكشفهم حتى أدخلهم جبانة كندة وهو يقول اللهم انك تعلم انا نضرب بنا لاهل بيت نبيك ونرنا لهم فانصرنا على هؤلاء ثم رجع ابراهيم عنهم بعد ان هزمهم ثم سار ابراهيم حتى أتى جبانة أثير فتنادوا بشعارهم فوقف فيها فاتاه سويد بن عبد الرحمن المنقري ورجا ان يصيبهم فيحظى بها عند ابن مطيع فلم يشعر به ابراهيم الا وهو معه فقال ابراهيم لاصحابه باشرطة الله انزلوا فانكم أولى بالنصر من هؤلاء الفساق الذين خاضوا في دماء أهل بيت نبيكم فنزلوا ثم حمل عليهم ابراهيم حتى أخرجهم الى الصحراء فانهزموا فركب بعضهم بعضا وهم ينادون وتبعهم حتى ادخلهم الكناسة فقال لابراهيم أصحابه اتبعهم واغتنم ما دخلهم من الرعب فقال لا ولكن ناتي صاحبنا يؤمن الله بنا وحشته ويعلم ما كان من نصرنا له فيزداد هو وأصحابه قوة مع انى لا آمن ان يكون قد أتى ثم سار ابراهيم حتى اتى باب المختار فسمع الاصوات عالية والقوم يقتتلون وقد جاء شبث بن ربعي من قبل السبخة فبي له المختار يزيد ابن أنس وجاء حجار بن ابجر العجلي فجعل المختار في وجهه احمر بن شميط فبينما الناس يقتتلون اذ جاء ابراهيم من قبل القصر فبلغ حجارا وأصحابه ان ابراهيم قد اتاهم من ورائهم فتفرقوا في الازقة قبل ان ياتيهم وجاء قيس بن طهفة الهدي في قريب من مائة وهو من أصحاب المختار فحمل على شبث بن ربعي وهو يقاتل يزيد بن أنس فخلى لهم الطريق حتى اجتمعوا واقبل شبث الى ابن مطيع وقال له اجمع الامراء الذين بالجبانين وجميع الناس ثم انهد الى هؤلاء القوم فقاتلهم فان امرهم

ذات العماد غير هذا وهذا الموضع بدمشق في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة سوق من أسواقها عند باب المسجد الجامع يعرف بحيرون وجيرون هو بنيان عظيم كان قصر هذا الملك عليه أبواب من نحاس عجيبة بعضها على ما كانت عليه والبعض على مسجد الجامع وقد ذكرنا فيما مر خبر بني أسهود (وسار بعد عاد ابن عوص) ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه وهو يقول

أنا الفتى الذي دعى ثمودا
ياقوم سيروا ودعوا الترديدا
لعلما أن ندرك الوفودا
فنلحق البادي لنا الصديدا
انا أبينا اليعرب الحميدا
وعاد ما عاد الفتى الجليدا

فنزل هؤلاء الحجر الى فرع وقد تقدم ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب وخبر نبيهم صالح عليه السلام وانهم نحو وادي القرى بين الشام والحجاز (وسار بعد ثمود) جديس ابن عملاق بن لاوذ بن ارم ابن سام بن نوح بولده ومن تبعه وهو يقول

انا جديس والمسير المسلكا
قد تلك نفسي يا ثمود المهلكا
دعوتني فقد قصدت نحوكا
اذ سارت العيس وأبيت

فقوى وقد خرج المختار وظهر واجتمع له أمره فلما بلغ قوله المختار خرج في جماعة من أصحابه حتى نزل في ظهر دير هند في السبخة وخرج أبو عثمان النهدي فنادى في شاكريهم مجتمعون في دورهم يخافون ان يظهر والقرب كعب الخثعمي منهم وكان قد أخذ عليهم أفواه السكاك فلما أتاهم أبو عثمان في جماعة من أصحابه نادى يا لثارات الحسين يا منصور امت أمت يا أيها الحي المهتدون ان أمير آل محمد ووزيرهم قد خرج ونزل دير هند وبعثني اليكم داعيا ومبشرا فاخرجوا رحمكم الله فخرجوا ينتدا عون يا لثارات الحسين وقاتلوا كعبا حتى خلى لهم الطريق فاقبلوا الى المختار فنزلوا معه وخرج عبد الله بن قتادة في نحو من مائتين فنزل مع المختار وكان قد تعرض لهم كعب فلما عرف أمرهم من قومه خلى عنهم وخرجت شبام وهم حي من همدان من آخر ليلتهم فبلغ خبرهم عبد الرحمن بن سعيد الهمداني فارسل اليهم ان كنتم تريدون المختار فلا تمروا على جبانة السبيع فلحقوا بالمختار فتوافى الى المختار ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثني عشر ألفا كانوا بايعوه فاجتمعوا له قبل الفجر فاصبح وقد فرغ من تعبيته وصلى باصحابه بغلس وأرسل ابن مطيع الى الجبابين فامرهم ان يأتوا المسجد وأمر راشد بن اياس فنادى في الناس برئت الذمة من رجل لم يات المسجد الليلة فاجتمعوا فبعث ابن مطيع شبث بن ربعي في نحو ثلاثة آلاف الى المختار وبعث راشد بن اياس في أربعة آلاف من الشرط فسار شبث الى المختار فبلغه خبره وقد فرغ من صلاة الصبح فارسل من أتاه بخبرهم وأتى الى المختار ذلك لوقت سعر بن أبي سعر الحنفي وهو من أصحابه لم يقدر على اتيانه الا تلك الساعة فرأى راشد بن اياس في طريقه فاخبر المختار خبره أيضا فبعث المختار ابراهيم بن الاشتر الى راشد في سبعمائة وقيل في ستمائة فارس وستمائة راجل وبعث نعيم ابن هبيرة أخا مصقلة بن هبيرة في ثلثمائة فارس وستمائة راجل وأمره بقتال شبث بن ربعي ومن معه وأمرهما بتجميل القتال وان لا يستهدفا لعدوهما فانه أكثر منهما فتوجه ابراهيم الى راشد وقدم المختار يزيد بن أنس في موضع مسجد شبث بن ربعي في سبعمائة أمامه فتوجه نعيم الى شبث فقاتله قتالا شديدا فجعل نعيم يحمل على سعر بن أبي سعر على الخيل ومشى هو في الرجالة فقاتلهم حتى اشرقت الشمس وانبسطت فانهزم أصحاب شبث حتى دخلوا البيوت فناداهم شبث وحرضهم فرجع اليه منهم جماعة فحملوا على أصحاب نعيم وقد تفرقوا فهزموهم وصبر نعيم فقتل وأسر سعر بن أبي سعر وجماعة من أصحابه فاطلق العرب وقتل الموالي وجاء شبث حتى أحاط بالمختار وكان قد وهن لقتل نعيم وبعث ابن مطيع يزيد بن الحرث بن رويم في ألفين فوقفوا في أفواه السكاك وولى المختار يزيد بن أنس خيله وخرج هو في الرجالة فحملت اليه خيل سبث فلم يبرحوا مكانهم فقال لهم يزيد ابن أنس يا معشر الشيعة انكم كنتم تقتلون وتقطع أيديكم وارجلكم وتسمل أعينكم وترفعون على جذوع النخل في حب أهل بيت نبيكم وأنتم مقيمون في بيوتكم وطاعة عدوكم فما ظنكم بهؤلاء القوم اذا ظهروا عليكم اليوم والله لا يدعون منكم عينا تطرف وليقتلنكم صبرا ولتروين منهم في أولادكم وأزواجكم وأموالكم ما الموت خير منه والله لا ينجيكم منهم الا الصدق والصبر والطعن الصائب والضرب الدارك فهيؤا للحملة فتيسروا وانتظروا أمره وجثوا على ركبهم واما ابراهيم بن الاشتر فانه لقي راشدا فاذا معه أربعة آلاف فقال ابراهيم لاصحابه لا يهولنكم كثرة هؤلاء فوالله لرب رجل خير من عشرة والله مع الصابرين وقدم خزيمة بن نصر العبسي في الخيل ونزل هو يمشي في الرجالة وأخذ ابراهيم يقول لصاحب رايته تقدم برايتك امض بهؤلاء وبهؤلاء واقتل الناس فتقدم راشد وحمل خزيمة بن نصر العبسي على راشد فقتله ثم نادى قتلت راشدا ورب الكعبة

وانهزم

وقد قدمنا فيما سلف انهم هؤلاء الذين نزلوا اليمامة (وسار بعد حديس) عملاق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح ومن زعم وهو يقول

لما رأيت الناس ذا تامل
وسار عاد ذو اللسان الاول
وحدنا فى الحاق الاول

فسرت حتى بالسوام المهمل

فنزل هؤلاء أكناف الحرم والتهائم ومنهم من سار الى بلاد مصر والمغرب وقيل ان هؤلاء بعض قراعة مصر وقد ذكرنا قول من الحق من العماليق وغيرهم ممن ذكر بقطور بن يحقن بن ابراهيم الخليل ورأيتم انهم من ولد لعيص على حسب ما ذكرنا فيما تقدم وقد كانت العماليق ملوكا كثيرة سلفت في مواضع من الشام وغيره وقد أتينا على أخبارهم وذكر ممالكهم وحروبهم في كتابنا أخبار الزمان وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب قصة يوشع بن نون مع ملك العمليق وانهم اضافوا الى ملك الروم على مشارق الشام والغرب والجزيرة من ثغور الروم فيما بينهم وبين فارس (فمن ملك الروم) من

وانهزم أصحاب راشد وأقبل ابراهيم وخزيمة ومن معهما بعد قتل راشد نحو المختار وأرسل البشير الى المختار بقتل راشد فكبر هو وأصحابه وتوبت نفوسهم ودخل أصحاب ابن مطيع النشل وأرسل ابن مطيع حسان بن قائد بن بكر العبسي في جيش كثيف نحو السبخة فاعترض ابراهيم ليرده عن بالسبخة من أصحاب ابن مطيع فتقدم اليهم ابراهيم فانهزموا من غير قتال وتأخر حسان يحمي أصحابه فحمل عليه خزيمة فعرفه فقال يا حسان لولا القرابة لقتلتك فانج بفرسك وعثر به فرسه فوقع فابتدره الناس فقتل ساعة فقال له خزيمة أنت آمن فلا تقتل نفسك وكف عنه الناس وقال لابراهيم هذا ابن عمي وقد امنته فقال احسنت وأمر بفرسه فاحضر فاركبه وقال الحق باهلك وأقبل ابراهيم نحو المختار وشبث بن ربعي محيط به فلقيه يزيد بن الحرث وهو على أفواه السكك التي تلي السبخة فاقبل الى ابراهيم ليصده عن شبث واصحابه فبعث ابراهيم اليه طائفة من أصحابه مع خزيمة بن نصر وسار نحو المختار وشبث فيمن بقي معه فلما دنا منهم ابراهيم حمل على شبث وحمل يزيد بن أنس فانهزم شبث ومن معه الى أبيات الكوفة وحمل خزيمة بن نصر على يزيد ابن الحرث فهزمه وازدحموا على أفواه السكك وفوق البيوت وأقبل المختار فلما انتهى الى أفواه السكك رمته الرماة بالنبل فصدوه عن الدخول الى الكوفة من ذلك الوجه ورجع الناس من السبخة منهزمين الى ابن مطيع وجاءه قتل راشد بن اياس فسقط في يده فقال له عمرو بن الحجاج لز بيدي أيها الرجل لا ملق بيدك وأخرج الى الناس واندبهم الى عدوك فان الناس كثير وكلهم معك الا هذه الطائفة التي خرجت والله يهزمها وانا أول منتدب فانتدب معي طائفة ومع غيري طائفة فخرج ابن مطيع فقام في الناس ووبخهم على هزيمتهم وأمرهم بالخروج الى المختار وأصحابه ولما رأى المختار انه قد منعه يزيد بن الحرث من دخول الكوفة عدل الى بيوت مرينة وأحمس وبارق وبيوتهم منفردة فسقوا أصحابه الماء ولم يشربوا هو فانه كان صائما فقال أحمر بن شميط لابن كامل أترى صائما قال نعم قال لو افطر كان أقوى له قال انه معصوم وهو أعلم بما يصنع فقال أحمر صدقت أستغفر الله فقال المختار نعم المكان للقتال هذا فقال ابراهيم ان القوم قد هزمهم الله وأدخل الرعب في قلوبهم سيرنا فوالله ما دون القصر مانع فترك المختار هناك كل شيخ ضعيف ذي علة وثقلهم واستخلف عليهم أبا عثمان النهدي وقدم ابراهيم امامه وبعث ابن مطيع عمرو بن الحجاج في ألفين يخرج عليهم فارسل المختار الى ابراهيم ان اطوه ولا تقم عليه فطواه وأقام وأمر المختار يزيد بن أنس ان يواقف عمرو بن الحجاج فمضى اليه وسار المختار في أثر ابراهيم ثم وقف في موضع مصلى خالد بن عبد الله ومضى ابراهيم ليدخل الكوفة من نحو الكناسة فخرج اليه شمر بن ذي الجوشن في ألفين فسرح اليه المختار سعيد بن منقذ الهمداني في قومه وأرسل الى ابراهيم يأمره بالمسير فسار حتى انتهى الى سكة شبث فاذا نوفل بن مساحق في اثنين وقيل خمسة آلاف وهو الصحيح وقد أمر ابن مطيع منادياً فنادى في الناس ان الحقوا بابن مساحق وخرج ابن مطيع فوقف بالكناسة واستخلف شبث بن ربعي على القصر فدنا ابن الاشتر من ابن مطيع فامر أصحابه بالنزول وقال لهم لا يهولنكم ان يقال جاء شبث وآل عتيبة بن النهاس وآل الاشعث وآل يزيد ابن الحرث وآل فلان فسمى بيوتات أهل الكوفة ثم قال ان هؤلاء لو وجدوا حر السيوف لانهزموا عن ابن مطيع انهزام المعزى من الذئب ففعلوا ذلك وأخذ ابن الاشتر اسنل قباءه فادخله في منطقته وكان القباء على الدرع فلم يلبثوا حين حمل عليهم أن انهزموا يركب بعضهم بعضا على افواه السكك وازدحموا وانتهى ابن الاشتر الى ابن مساحق فاخذ بعنان دابته ورفع السيف

العماليق أذينة بن الصميدع الذي ذكره الاعشى في قوله
ازال أذينة عن ملكه
واخرج عن ملكه دايزن
وقد كان ملك بعد العماليق حسان بن اذينة بن طرب ويقال هو الذي يعرف بأمه ثم ملك عمرو بن طرب ويقال هو الذي كان يعرف باسمه وقد كان بينه وبين جذيمة الابرش الازدي ابن مالك حروب كثيرة فقتله جذيمة على ما ذكرنا وما كان من قتل الزباء لجذيمة وقول الشاعر
كان عمرو بن زبالم يعش ملكا
ولم يكن حوله الزايات تختفق
لامم جذيمة من نمرساء مشعلة
قيها خراشف بالبيران تردشق
(ثم سار طسم) بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح بعد عملاق بن لاوذ بن اولاده ومن تبعه وهو يقول
انى أنا طسم وجدى سام
سام بن نوح وهو الامام
لما رأيت الاخ والاعلاما
قلت لنفسي ألحقي السواما
أحالك عملاقا وذا الاقدام
يا ليتني لا كان ولي حام
فنزل هؤلاء البحرين وقد كان جميع من ذكرنا بيدوا وانتشروا في الارض على حسب ما ذكرنا من

مساكنهم وكثرت جديس فملكت عليها الاسود بن عمار وكثرت طسم فملكت عليها عمليق بن جديس وقد كرنا عبيد بن شريد الخرعي حين وفد على معاوية وأخبره أن طسم اربلاود بن سام بن نوح هم العرب العاربة وقد كان ملكهم جميعا باليمامة واسمها الدالك جو وكان لطسم ملك يقال له عملوق وكان ظلوما غشوما لا ينهاه شئ عن هواه مع استراره واقدامه على جديس وتعديه عليهم وقهره اياهم وتوفى في ذلك دهرا وهم أهل مطل قد عطلوا المعمه وانتهكوا الحرمة وبلادهم أفضل البلاد وأكثرها خيرا فيها صوف الشعر والاعناب وهي حينئذ مقفرة وقصور مصفعة فلم يزل على ذلك حتى أتته امرأة من جديس يقال لها هريلة فنزلت ورزح لها فاقرقها يقال له مشق فأراد قبض ولده منها فتنافت عليه فارتفعا الى الملك عملوق ليحكم بينهما فقالت المرأة أيها الملك هذا الذي حملته تسعا ووضعته دعوا وأرضعته شفعا ولم أنل منه نفعا حتى اذا تمت أوصاله واستوفى حصله

عليه فقال له يا ابن الاشتر انشدك الله هل بيني وبينك من احنة أو تطلبني بثار فخلى سبيله وقال ذكره اوكان يذكره له ودخلوا الكناسة في آثارهم حتى دخلوا السوق والمسجد وحصروا ابن مطيع ومعه الاشراف من الناس غير عمرو بن حريث فانه أتى داره ثم خرج الى البرجاء المختار حتى نزل جانب السوق وولى ابراهيم حصار القصر ومعه يزيد بن أنس واحمر بن شميط فحصروهم ثلاثا فاشتد الحصار عليهم فقال شبث لابن مطيع انظر لنفسك ولمن معك فوالله ما عندهم غنى عنك ولا عن انفسهم فقال أشيروا علي فقال شبث الرأي ان تأخذ لنفسك ولنا امانا وتخرج ولا تهلك نفسك ومن معك فقال ابن مطيع اني لاكره ان آخذ منه امانا والامور لامير المؤمنين مستقيمة بالحجاز والبصرة قل تخرج ولا يشعر بك أحد فتنزل بالكوفة عند من تثق اليه حتى تلحق بصاحبك وأشار بذلك عبد الرحمن بن سعيد واسماء بن خارجة وابن مخنف وأشراف الكوفة فاقام حتى أمسى وقال لهم قد علمت ان الدين صمدوا هدابكم انما هم أراذلكم واحداثكم وان اشرافكم وأهل الفضل منكم سامعون مطيعون وأنا مبلغ ذلك صاحبي ومعلمه طاعتكم وجهادكم حتى كان الله الغالب على أمره فثوا عليه خيرا وخرج عنهم وأتى دار أبي موسى فجاء ابن الاشتر ونزل القصر ففتح أصحابه الباب وقالوا يا ابن الاشتر آمنون نحن قال أنتم آمنون فخرجوا فاتبعوا الحمار ودخل الحمار القصر فبات فيه واصبح أشراف الناس في المسجد وعلى باب القصر وخرج الحمار فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه فقال الحمد لله الذي وعد وليه النصر وعدوه الخسر وجعله فيه الى آخر الدهر وعدا مفعولا وقضاء مقضيا وقد خاب من افترى أيها الناس انا رفعت لنا راية وصدت لنا ماية فقيل لنا في الراية ان أرفعوها وفي الغاية أن حروا اليها ولا تعدوها فسمعنا دعوة الداعي وقتله لواعي وكم من باغ وباغية لقتلي في الواغية وعند الله طغى وادبر وعصى وكذب وتولى ألا فادخلوا أيها الناس وبايعوا سعة هدى فلا والذي جعل السماء سقفا مكفوفا والارض فجاجا سبلا ما بايعتم بعد بيعة علي بن أبي طالب وآل على اهدى منها ثم نزل ودخل عليه اشراف الكوفة فبايعوه على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب بدماء أهل البيت وحمى المحلين والدفع عن الضعفاء وقتال من قاتلنا وسلم من سالمنا وكان ممن بايعه المدثر بن حسان وابنه حسان فلما خرجا من عنده استقبلهما سعيد بن منقذ الثوري في حماعة من السبيعة فلما رأوهما لواهذان والله من رؤس الجبارين فقتلوا المدثر وابنه حسانا وفيهما سعيد حتى أخذوا أمر المختار فلم تفتهم فلما سمع المختار ذلك كرهه وأقبل المختار حتى يسكن الناس ويسحر مودة الاشراف ويحسن السيرة وقيل له ان ابن مطيع في دار أبي موسى مسكت فلما أمسى بعث له عشرة آلاف درهم وقال تجهز بها فقد علمت مكانك وانك لم يمنعك من الخروج الا عدم النفقة وكان بينهما صداقة ووجد المختار في بيت المال تسعة آلاف الف فاعطى اصحابه الذين قاتلوا بهم حين حصر ابن مطيع في القصر وهم ثلاثة وخمسمائة لكل رجل منهم خمسمائة درهم واعطى ستة آلاف من أصحابه اتوه بعد ما احاطا بالقصر واقاموا معه ثلث الليلة وثلاث لايام الا له مائتين مائتين واستقبل الناس بخير وجعل الاشراف جلساءه وجعل على شرطته عبد الله بن كامل الشاكري وعلى حرسه كيسان اباعمرة فقام أبو عمرة على رأسه ذات يوم وهو مقبل على الاشراف يحدثهم ووجهه فقال لابي عمرة بعض اصحابه من الموالي اما ترى أبا اسحق قد اقبل على العرب ما ينظر اليها فسأله المختار عما قالوا له فاخبره فقال قل لهم لا يشق عليهم ذلك فانتم مني واما مسكم وسكت طويلا ثم قرأ اما نحن المجرمين منتقمون فلما سمعوها

قال بعضهم لبعض أبشروا كانكم والله قد قتلتم يعني الرؤساء وكان أول راية عقدها المختار لعبد الله ابن الحرث اخي الاشتر على أرمينية وبعث محمد بن عمير بن عطارد على اذربيجان وبعث عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس على الموصل وبعث اسحق بن مسعود على المدائن وارض جوخى وبعث قدامة ابن أبي عيسى بن زمعة النصري حليف ثقيف على بهقباذ الاعلى وبعث محمد بن كعب بن قرظة على بهقباذ الاوسط وبعث سعد بن حذيفة بن اليمان على حلوان وأمره بقتال الاكراد واقامة الطرق وكان ابن الزبير قد استعمل على الموصل محمد بن الاشعث بن قيس فلما ولى المختار وبعث عبد الرحمن ابن سعيد الى الموصل اميرا سار محمد عنها الى نكريت ينظر ما يكون من الناس ثم سار الى المختار فبايعه فلما فرغ المختار مما يريد صار يجلس للناس ويقضي بينهم ثم قال ان لي فيما أحاول لشغلا عن القضاء ثم أقام شريحا يقضي بين الناس ثم خافهم شريح فتمارض وكانوا يقولون انه تمارض وانه شهد على حجر بن عدي وانه لم يبلغ هانئ بن عروة ما ارسله به وان عليا عزله عن القضاء فلما بلغ شريحا ذلك منهم تمارض فجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود ثم ان عبد الله مرض فجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائي

﴿ ذكر قتل المختار قتلة الحسين عليه السلام ﴾

وفي هذه السنة وثب المختار بمن بالكوفة من قتلة الحسين وكان سبب ذلك ان مروان بن الحكم لما استوسق له الشام بعث جيشين أحدهما الى الحجاز عليه حبيش بن دلجة القيني وقد ذكرنا أمره وقتله والجيش الآخر الى العراق مع عبيد الله بن زياد وقد ذكرنا ما كان من أمره وأمر التوابين وكان قد جعل لابن زياد ما غلب عليه وأمره ان يذهب الكوفة ثلاثا فاحتبس بالجزيرة وبها قيس عيلان مع زفر بن الحرث على طاعة ابن الزبير فلم يزل عبيد الله بن زياد مشتغلا بهم عن العراق نحو سنة فتوفي مروان وولي بعده ابنه عبد الملك بن مروان فأقر ابن زياد على ما كان أبوه ولاه وأمره بالجد في أمره فلما لم يمكنه في زفر ومن معه من قيس شيء أقبل الى الموصل فكتب عبد الرحمن بن سعيد عامل المختار الى المختار يخبره بدخول ابن زياد أرض الموصل وانه قد نحى له عن الموصل الى تكريت فدعا المختار يزيد بن أنس الاسدي وأمره ان يسير الى الموصل فينزل بادانى أرضها حتى يمده بالجنود فقال له يزيد خلني انتخب ثلاثة آلاف فارس وخلني مما وجهي اليه فان احتجت كتبت اليك استمدك فأجابه المختار فانتخب له ثلاثة آلاف وسار عن الكوفة وسار معه المختار والناس يشيعونه فلما ودعه قال له اذا لقيت عدوك فلا تناظرهم واذا أمكنتك الفرصة فلا تؤخرها وليكن خبرك كل يوم عندي وان احتجت الى مدد فاكتب الي مع اني ممدك وان لم تستمدلا به أشد لعضدك وارعب لعدوك ودعا له الناس بالسلامة ودعا لهم فقال لهم سلوا الله لي الشهادة فوالله لئن فاتني النصر لا تفوتني الشهادة فكتب المختار الى عبد الرحمن بن سعيد أن خل بين يزيد وبين البلاد فسار يزيد الى المدائن ثم سار الى أرض جوخى والزاذانات الى أرض الموصل فنزل بباقلى وبلغ خبره ابن زياد فقال لا بعثن الى كل ألف ألفين فارسل ربيعة بن مخارق الغنوي في ثلاثة آلاف وعبد الله بن جملة الخثعمي في ثلاثة آلاف فسار ربيعة قبل عبد الله بيوم فنزل بيزيد بن أنس بباقلى فخرج يزيد بن أنس وهو مريض شديد المرض راكب على حمار يمسكه الرجال فوقف على أصحابه وعباهم وحثهم على القتال وقال ان هلكت فامير كم ورقاء بن العازب الاسدي فان هلك فامير كم عبد الله بن ضمرة العذري فان هلك فامير كم سعر بن أبي سعر الحنفي وجعل على ميمنته عبد الله وعلى ميسرته سعرا وعلى الخيل ورقاء ونزل هو فوضع بين الرجال على سرير وقال قاتلوا عن

ارادان يأخذه قسرا

ويسلبنيه قهرا ويتركني
منه صفرا قال زوجها قد
أخذت المهر كاملا ولم أنل
منه نائلا الا ولدا حاملا
فافعل ما أنت فاعلا وأمر
الملك أن يؤخذ الولد منها
ويجعل في حلمانه فقالت
هزيلة في ذلك
أتينا أخا طسم ليحكم بيننا
فأرم حكما في هزيلة ظالما
لعمري لقد حكمت
لا متورعا
ولا فهما عند الحكومة
عالما
ندمت فلم أقدر على متزحزح
وأصبح زوجي حائر الرأي
نادما
فبلغ الملك قول هزيلة فغضب
وأمر أن تتزوج امرأة من
جديس فترف الى زوجها
حتى تحمل اليه فيفترعها
قبل زوجها فلقوا من ذلك
ذلا طويلا ولم تزل تلك
حالتهم حتى تزوجت عفيرة
وقيل الشموس بنت عمار
الطسمي أخت الاسود بن
عفار فلما كانت ليلة هديها
الى زوجها انطلق بها الى
عملوق الملك ليطأها على عادته
ومعه القينات يغنين ويقلن
في غنائهن
ابدأ بعملوق وثنى فاركبي
وبادري الصبح بأمر معجب
فالبكر بعدكم من مذهب
فلما دخلت عفيرة على
عملوق وافترعها وخلى
سبيلها فخرجت عفيرة

أميركم ان شئتم أو فروا عنه وهو يأمر الناس بما يفعلون ثم يغمى عليه ثم يفيق واقتتل الناس عند
وانى الصبح يوم عرفة واشتد قتالهم الى ارتفاع الضحى فانهزم أهل الشام وأخذ عسكرهم وانتهى
أصحاب يزيد الى ربيعة من مخارق وقد انهزم عنه أصحابه وهو نازل ينادى يا أولياء الحق انا ابن
مخارق نحن نقاتلون العبيد الاباق ومن ترك الاسلام وخرج منه فاجتمع اليه جماعة فقاتلوا معه
واشتد القتال ثم انهزم أهل الشام وقتل ربيعة بن مخارق قتله عبد الله بن ورقاء الاسدى وعبد الله
ابن ضمرة لعذرى فلم يسر المنهزمون غير ساعة حتى لقيهم عبد الله بن جملة فى ثلاثة آلاف فردهم
المنهزمين ونزل يزيد بباقلى فباتوا لياتهم يتحارسون فلما أصبحوا يوم الاضحى خرجوا الى القتال
فاقتتلوا قتالا شديدا ثم نزلوا فصلوا الظهر ثم عادوا الى القتال فانهزم أهل الشام وترك ابن جملة فى
جماعة فقاتل قتالا شديدا فحمل عليه عبد الله بن فراد الخثعمى فقتله وحوى أهل الكوفة
عسكرهم وقتلوا فيهم قتالا ذريعا وأسروا منهم ثلثمائة أسير وأمر يزيد بن أنس بقتلهم وهو يا آخر
رمق فقتلوا ثم مات آخر النهار فدفنه أصحابه وسقط فى أيديهم وكان قد استخلف ورقاء بن عازب
الاسدى فصلى عليه ثم قال لاصحابه ماذا ترون انه قد بلغنى ان ابن زياد قد أقبل اليكم فى ثمانين ألفا
وانما أنا رجل منكم فاشيروا على فانى لا أرى لنا يا أهل الشام طاقة على هذه الحال وقد هلك يزيد
وتفرق عنا بعض من معنا فلو انصرفنا اليوم من تلقاه أنفسنا لقالوا انما رجعنا منهزمين لموت أميرنا
ولم يروا لنا ها هنا بين وان لقيناهم اليوم كما حاطرين فان هزمونا اليوم لم تنفعنا هزيمتنا اياهم
بالامس فقالوا نعم ما رأيت فانصرفوا فبلغ ذلك المختار وأهل الكوفة فأرجف الناس بالمختار وقالوا
ان يزيد قتل ولم يصدقوا انه مات فدعا المختار ابراهيم بن الاشتر وأمره على سبعة آلاف وقال له
سر فاذا لقيت جيش يزيد بن أنس فانت لا مير عليهم فاردد هم عنك حتى تلقى ابن زياد وأصحابه
فتناجزهم فخرج ابراهيم فعسكر بحمام أعين وسار فلما سار اجتمع أشراف الكوفة عند شبث بن
ربعى وقالوا والله ان المختار تأمر علينا بغير رضا منا ولقد آزى بموالينا فحملهم على الدواب وأعطاهم
فيأ نا وكان شبث شيخهم وكان جاهليا اسلاميا فقال لهم شبث دعونى حتى ألقاه فذهب اليه فلم يدع
شيئا انكروه الا ذكره له فاحذلا يذكر خصلة الا قال له المختار انا أرضيهم فى هذه الخصلة وآتى لهم
كل ما أحبوا وذكر له الموالى ومشاركتهم فى الفىء فقال له ان أنا تركت موالينا كم وجعلت فيأكم
لكم تقاتلون معى بنى أمية وابن الزبير ونعطونى على الوفاء عهد الله وميثاقه وما أطمئن
اليه من الايمان فقال شبث حتى أخرج الى أصحابى فاذكر لهم ذلك فخرج اليهم فلم يرجع
اليه وأجمع رأيهم على قتاله فاجتمع شبث بن ربعى ومحمد بن الاشعث وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس
وشمر حتى دخلوا على كعب بن أبى كعب الخثعمى فكلموه فى ذلك فاجابهم اليه فخرجوا من
عنده حتى دخلوا على عبد الرحمن بن مخنف الازدى فدعوه الى ذلك فقال لهم ان أطعتمونى لم
تخرجوا فقالوا له لم فقال لانى أخاف ان تتفرقوا وتختلفوا ومع الرجل شجعانكم وفرسانكم مثل
فلان وفلان ثم معه عبيدكم وموالكم وكلهم هؤلاء واحدة وموالكم أشد حنقا عليكم من عدوكم
فهم مقاتلوكم بشجاعة العرب وعداوة العجم وان انتظرتموه قليلا كفيتموه بقدوم أهل الشام
ومجىء أهل البصرة فيكفونه بغيركم ولم تجعلوا بأسكم بينكم فقالوا ننشدك الله ان تخالفنا وتفسد
علينا رأينا وما أجمعنا عليه فقال انما أنا رجل منكم فاذا شئتم فاخرجوا فوثبوا بالمختار بعد مسير
ابراهيم بن الاشتر وخرجوا بالجبانين كل رئيس بجبانة فلما بلغ المختار خروجهم أرسل قاصدا مجدا
الى ابراهيم بن الاشتر فلحقه وهو بساباط فأمره بالرجوع والسرعة وبعث المختار اليهم فى ذلك

اخبروني

على قومها فى دمائها شاقة
جيبها عن قبلها ودبرها وهى
تقول
لا أسد أذل من جديس
أهكذا يفعل بالعروس
وقالت أيضا تعرض جديس
على طسم وأبت أن تمضى
الى زوجها من كلمة
أيصلح ما يؤتى الى فتياتكم
وأنتم رجال فيكم عدد الرمل
أيصلح غشى فى لدما فتياتكم
صبحة زفت فى النساء الى
البعل
فان أنتم لا تعصبوا بعد هذه
وتكونوا نساء لا تفروا من
الكحل
ودونكم طيب العروس فانما
خلقتم لاثواب العروس
وللغسل
قبيحا وشيكا كالذى ليس
دافعا
ويختل يمشى بينها مشية
الفحل
فلو أنكما الرجال وكنتم
نساء لكنتم لا تقرون على الذل
هونوا كراما واصبروا
لعدوكم
بحرب تنطى فى القرام من
الجزل
ولا تجزعوا للحرب يا قوم انما
تقوم بأقوام كرام على رحل
فهلك فيها كل نكس موكل
ويسلم فيها ذو الحجابة والفضل
وفى ذلك يقول أخوها
جاءت غشى طسم فى خميس
كالربيع فى هشهشة اليبيس

أخبروني ماذا تريدون فاني صانع كل ما أحببتم قالوا نريد ان نعترلنا فانك عزمت ان ابن الحنفية يبعثك لم يبعثك قال فارسلوا اليه وفدا من قبلكم وأرسل أنا اليه وفدا ثم انظروا في ذلك حتى يظهر لكم وهو يريد ان يريثهم بهذه المقالة حتى يقدم عليه ابراهيم بن الاشتر وأمر أصحابه فكفوا أيديهم وقد أخذ عليهم أهل الكوفة بافواه السكك فلا يصل اليهم شيء الا القليل وخرج عبد الله ابن سبيع في الميدان فقاتله بنوشاكر قتالا شديدا فجاءه عقبة بن طارق الجشمي فقاتل معه ساعة حتى ردهم عنه ثم أقبل فنزل عقبة مع ثمر ومعه قيس عيلان في جبانة سالول ونزل عبد الله بن سبيع مع أهل اليمن في جبانة السبيع ولما سار رسول المختار وصل الى ابن الاشتر عشية يومه فرجع ابن الاشتر بقية عشيته تلك الليلة ثم نزل حتى أمسى وأراحوا دوابهم قليلا ثم سار ليلته كلها ومن الغد فوصل الى صروبات ليلته في المسجد ومعه من أصحابه أهل القوة ولما اجتمع أهل اليمن بجبانة السبيع حضرت الصلوات فكره كل رأس من أهل اليمن ان يتقدمه صاحبه فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف هذا أول الاختلاف قدموا الرضى فيكم سيد القراء رفاعة بن شداد البجلي ففعلوا فلم يزل يصلي بهم حتى كانت الوقعة ثم ان المختار بنى أصحابه في السوق وليس فيه بنيان فامر ابن الاشتر فسار الى مضر وعليهم شبث بن ربعي ومحمد بن عمير بن عطارد وهم بالكناسة وخشي ان يرسله الى أهل اليمن فلا يبالغ في قتال قومه وسار المختار نحو أهل اليمن بجبانة السبيع ووقف عند دار عمرو بن سعيد وسرح بين يديه أحمر بن شميط البجلي وعبد الله بن كامل الشاكري وأمر كلا منهما بلزوم طريق ذكره له يخرج الى جبانة السبيع وأسر اليهما أن شباما قد أرسلوا اليه يخبرونه انهم يأتون القوم من ورائهم فمضيا كما أمرهما فلما بلغ أهل اليمن مسيرهما فافترقوا اليهما واقتتلوا أشد قتال رآه الناس ثم انهزم أصحاب أحمر بن شميط وأصحاب ابن كامل ووصلوا الى المختار فقال ما وراءكم قالوا هزمنا وقد نزل أحمر بن شميط ومعه ناس من أصحابه وقال أصحاب ابن كامل ما ندري ما فعل ابن كامل فاقبل بهم المختار نحو القوم حتى بلغ دار أبي عبد الله الجدلي ووقف ثم أرسل عبد الله بن قراد الخثعمي في اربعمائة الى ابن كامل وقال له ان كان قد هلك فانت مكانه وقاتل القوم وان كان حيا فاترك عنده ثلثمائة من أصحابك وامض في مائة حتى تأتي جبانة السبيع فتأتي أهلها من ناحية حمام قطن فمضى فوجد ابن كامل يقاتلهم في جماعة من أصحابه قد صبروا معه فترك عنده ثلثمائة رجل وسار في مائة حتى أتى مسجد عبد القيس وقال لاصحابه اني أحب ان يظهر المختار وأكره ان تهلك أشراف عشيرتي اليوم ووالله لا أموت أحب الي من ان يملكوا علي يدي ولكن قفوا فقد سمعت ان شباما يأتيهم من ورائهم فلعلهم ينهزمون ذلك ونعافى نحن منه فاجابوه الى ذلك وبات عند مسجد عبد القيس وبعث المختار مالك بن عمرو النهدي وكان شجاعا وعبد الله بن شريك النهدي في أربعمائة الى أحمر بن شميط فانتهوا اليه وقد علاه القوم وكثروه فاشتد قتالهم عند ذلك واما ابن الاشتر فانه مضى الى مضر فلقي شبث بن ربعي ومن معه فقال لهم ابراهيم ويحكم انصرفوا فما أحب ان يصاب من مضر على يدي فابوا وقاتلوه فهزمهم وجرح حسان بن فائد العبسي فحمل الى أهله فمات وكان مع شبث وجاءت البشارة الى المختار بهزيمة مضر فارسل الى احمر بن شميط وابن كامل يبشرهما فاشتد أمرهما فاجتمع شبام وقد رأسوا عليهم أبا القلوص ليأتوا اليمن من ورائهم فقال بعضهم لبعض لو جعلتم جدكم على مضر وربيعة لكان أصوب وأبو القلوص ساكت فقالوا ما تقول فقال قال الله تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار فسار وامعه نحو أهل اليمن فلما خرجوا الى جبانة السبيع لقيهم على فم

ياطسم ما لقيت من جديس حقا لك الويل فهيسي هيس

قال فلما سمعت جديس بذلك وغيره من قولها اجتمعت عصبا لذلك فقال لهم الاسود ابن عفار وكان فيهم سيدا مطاعا يا جديس أطيعوني فيما آمركم به وأدعوكم اليه ففي ذلك عز الدهر وذهاب الذل قالوا وما ذلك قال قد علمتم أن هؤلاء يعني طسما ليسوا باعز منكم ولكن ملك صاحبكم عليكم وعليهم هو الذي يذلنا اليه بالطاعة ولولا ذلك ما كان له علينا من فضل ولو امتنعنا منه لكان لنا النصف فقالوا قد قبلنا قولك ولكن القوم أكثر منا عددا وأكثر عددا وعددا منا فنخاف ان ظفروا بنا أن لا يبقوا علينا فقال والله يا جديس لتطيعوني فيما آمركم به وأدعوكم اليه أو لاتكفن على سيفي فأقتل به نفسي قالوا فانا نطيعك فيما قد عزمت عليه قال فاني صانع لعملوق وقومه من طسم طعاما وداعيهم اليه فاذا جاؤا اليه منفصلين من الخيل والبغال نهضنا اليهم بأسيافنا فانفردت أنا بالملك وانفرد كل رجل منكم برجل منهم قالوا افعل ما بدا لك واجتمع رأيهم عليه فقالت عفيرة لاخيها الاسود لا تفعل هذا فان الغدر فيه ذلة

السكة الاعسر الشاكرى فقتلاه ونادوا فى الجبانة وقد دخلوها يا لثارات الحسين فسمعها يزيد بن عمير ذى مران الهمدانى فقال يا لثارات عثمان فقال لهم رفاعة بن شداد مالنا ولعثمان لا أقاتل مع قوم يبغون دم عثمان فقال له ناس من قومه جئت بنا وأطعمالك حتى اذا رأينا قومنا تأخذهم السيوف قلت انصرفوا ودعوهم فعطف عليهم وهو يقول شعر

أنا ابن شداد على دين على * لست لعثمان بن اروى بولى

لاصابين اليوم فيمن يصطلى * بحر نار الحرب غير مؤتلى

فقاتل حتى قتل وكان رفاعة مع المختار فلما رأى كذبه أراد قتله غيلة قال فنعنى قول النبى صلى الله عليه وسلم من اتقنه رجل على دمه فقتله فانا منه برىء فلما كان هذا اليوم قاتل مع أهل الكوفة فلما سمع يزيد بن عمير يقول يا لثارات عثمان عاد عنهم فقاتل مع المختار حتى قتل وقتل يزيد بن عمير بن ذى مران والنعمان بن سهبان الجرمى وكان ناسكا وقتل الفرات بن زحر بن قيس وجرح أبوه زحر وقتل عبد الله بن سعيد بن قيس وقتل عمر بن مخنف وقاتل عبد الرحمن بن مخنف حتى جرح وحملته الرجال على أيديهم وما يشعر وقاتل حوله رجال من الازد وانهزم أهل اليمن هزيمة قبيحة وأخذ من دور الوادعيين خمسمائة أسير فأتى بهم المختار مكتفين فأمر المختار باحضارهم وعرضهم عليه وقال انظروا من شهد منهم قتل الحسين فأعلمونى فقتل كل من شهد منهم قتل الحسين فقتل منهم مائتين وثمانية وأربعين قتيلا وأخذ أصحابه يقتلون كل من كان يؤذيهم فلما سمع المختار بذلك أمر باطلاق كل من بقى من الاسارى وأخذ عليهم المواثيق ان لا يجامعوا عليه عدوا ولا يبغوه وأصحابه غائلة ونادى منادى المختار من أغلق بابه فهو آمن الا من شرك فى دماء آل محمد صلى الله عليه وسلم وكان عمرو بن الحجاج الزبيدى ممن شهد قتل الحسين فركب راحلته وأخذ طريق واقصة فلم يرله خبر حتى الساعة وقيل أدركه أصحاب المختار وقد سقط من شدة العطش فذبحوه وأخذوا رأسه ولما قتل فرات بن زحر بن قيس أرسلت عائشة بنت خليفة بن عبد الله الجعفية وكانت امرأة الحسين الى المختار تسأله أن يأذن لها فى دفنه ففعل فدفنته وبعث المختار غلاما له يدعى زربى فى طلب شمر بن ذى الجوشن ومعه أصحابه فلما دنوا منه قال شمر لاصحابه تباعدوا عنى لعله يطمع فى فتباعدوا عنه فطمع زربى فيه ثم حمل عليه شمر فقتله وسار شمر حتى نزل مساء ثم سار حتى نزل قرية يقال لها الكاتانية على شاطئ نهر الى جانب تل ثم أرسل الى أهل تلك القرية فاخذ منها علجا فضربه وقال امض بكتابى هذا الى مصعب بن الزبير فمضى العلج حتى دخل القرية وفيها أبو عمرة صاحب المختار وكان قد أرسله المختار الى تلك القرية ليكون مسلحة بينه وبين أهل البصرة فلقى ذلك العلج علجا آخر من تلك القرية فشكا اليه ما لقى من شمر فبينما هو يكلمه اذ مر به رجل من أصحاب أبى عمرة اسمه عبد الرحمن بن أبى الكنود فرأى الكتاب وعنوانه لمصعب بن الزبير من شمر فقال للعلج اين هو فأخبره فاذا ليس بينه وبينهم الا ثلاثة فراسخ قال فاقبلوا يسيرون اليه وكان قد قال لشمر أصحابه لو ارتحلت بنا من هذه القرية فانا نخوف منها فقال كل هذا فزع من الكذاب والله لا أتحول منها ثلاثة أيام ملأ الله قلوبهم رعبا فانهم لنيام اذ سمع وقع الحوافر فقالوا فى أنفسهم هذا صوت الدبى ثم اشتد فذهب أصحابه ليقوموا فاذا بالخيل قد اشرفت من التل وكبروا وأحاطوا بالابنية فولى أصحابه هاربين وتركوا خيولهم وقام شمر وقد اتزر ببرد وكان أبرص فظهر بياض برصه من فوق البرد وهو يطأ عنهم بالرمح وقد عجلوه عن لبس ثيابه وسلاحه وكان أصحابه قد فارقوه فلما أبعدوا عنه سمعوا التكبير وقائلا يقول قتل الخبيث قتله ابن ذى

الكنود

وغاروا لكن كابدوا القوم فى ديارهم يطمروا أو تموتوا كراما قال لا ولكن نكر بهم ويكون ذلك أمكن لنا من نواصيهم وأبلغ فى الانتقام منهم فقالت عفيرة فى ذلك أشعارا قد ذكرتها فيما سلف من كتبنا ثم ان الاسود صنع طعاما كثيرا وأمر قومه فاختطوا سيوفهم ودفنوها فى الرمل حيث أعدوا الطعام ثم قال لهم اذا أتاكم القوم يرفلون فى حليهم فخذوا أسيافكم ثم تقدموا عليهم قبل ان يأخذوا مجالسهم وابدؤا بالرؤساء فانكم اذا قتلتموهم لم تبالوا بالسفلة ولم يكن بعد ذلك منهم حال تكرهونها قالوا نفعل ما قلت ثم دعى الاسود بعمالوق الطسمى ومن معه من رؤساء طسم باليمامة فاسرعوا اجابة دعوة الاسود فلما توافوا الى المدة وثبت جديس فاستثاروا سيوفهم من الرمل وشدوا على عمالوق وأصحابه فقتلوهم حتى أفنوهم عن آخرهم ومضوا الى ديارهم فانتهبوها وقال الاسود بن عفار فى ذلك أشعارا يرثى بها طسما ويذكر نعيمها وفعل عمالوق بأخته يطول عن ذكرها الكتاب وقد تقدمت فيما سلف من كتبنا قال وهرب

الكنود وهو الذى رأى الكتاب مع العلج وألقيت جثته للكلاب قال وسمعته بعدان قاتلنا بالرمح ثم لقاه وأخذ السيف فقاتلنا به وهو يرتجز شعر

نبهتم ليث عرين باسلا * جهما محياه يدق الكاهلا
لم يرى يوما عن عدو نا كلا * الا كذا مقاتلا أو قاتلا
ينزحهم ضربا ويروى العاملا

وأقبل المختار الى القصر من حبانة السبيع ومعه سراقة بن مرداس البارقى أسيرا فنادا ه شعرا

امنن علي اليوم يا خير معد * وخير من حل بنجر والجمد * وخير من لبى وحيا ومجد

فارسله المختار الى السجن ثم احضره من الغد فاقبل اليه وهو يقول شعر

* ألا أبلغ أبا اسحق انا * نزونا نزوة كانت علينا
خرجنا لا نرى الضعفاء شيأ * وكان خروجنا بطرا وحينا
لقينا منهم ضربا طلحفا * وطعنا صائبا حتى انثنينا
نصرت على عدوك كل يوم * بكل كتيبة تنمى حسينا
كنصر محمد في يوم بدر * ويوم الشعب اذ لاقى حنينا
فاصبح اذ ملكت فلو ملكنا * لجرنا في الحكومة واعتدينا
تقبل توبة مني فاني * سأشكر اذ جعلت النقد دينا

قال فلما انتهى الى المختار قال اصلح الله الامير أحلف بالله الذى لا اله الا هو لقد رأيت الملائكة تقاتل معك على الخيول البلق بين السماء والارض فقال له المختار اصعد المنبر فاعلم الناس فصعد فاخبرهم بذلك ثم نزل فخلا به فقال له انى قد علمت انك لم ترد بما أردت ما قد عرفت ان لا اقتلك فاذهب عنى حيث شئت لا تفسد على أصحابى فخرج الى البصرة فنزل عند مصعب وقال شعر

* الا أبلغ أبا اسحق أنى * رأيت البلق دهما مصمتات
كفرت بوحيكم وجعلت نذرا * على قتالكم حتى الممات
أرى عيني مالم تبصراه * كلانا عالم بالترهات

وقتل يومئذ عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانى وادعى قتله سعير بن أبى سعير وأبو الزبير الشبامى وشبام من همدان ورجل آخر فقال ابن عبد الرحمن لابى الزبير الشبامى أتقتل أبى عبد الرحمن سيد قومك فقر لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية وانجلت الوقعة عن سبعمائة وثمانين قتيلا من قومه وكان أكثر القتل ذلك اليوم فى أهل اليمن وكانت الوقعة لست ليال بقين من ذى الحجة سنة ست وستين وخرج أشراف الناس فلحقوا بالبصرة وتجرد المختار لقتلة الحسين وقال ما من دينا ان نترك قتلة الحسين احياء بئس ناصر آل محمد صلى الله عليه وسلم أنا اذا فى الدنيا انا اذا الكذاب كما سمونى وانى أستعين بالله عليهم فسموهم لى ثم اتبعوهم حتى تقتلوهم فانى لا يسوغ الى الطعام والشراب حتى أطهر الارض منهم فدل على عبد الله بن أسيد الجهنى ومالك بن بشير البدى وحمل بن مالك المحاربى فبعث اليهم المختار فاحضرهم من القادسية فلما رآهم قال يا أعداء الله ورسوله أين الحسين بن على أدوا الى الحسين قتلتم من أمرتم بالصلاة عليهم فقالوا رحمك الله بعثنا كارهين فامنن علينا واستبقنا فقال لهم هلا منعتم على الحسين ابن بنت نبيكم فاستبقوه وسقيموه وكان البدى صاحب برنسه فأمر بقطع يديه ورجليه وترك

رجل من طسم وكان اسمه رباح بن مرة الطسمى فاتى الى حسان بن تبع الحميرى ملك اليمن يومئذ فاستغاث به وقد كان عمد الى جريدة نخل رطبة فجعل عليها طينا رطبا وحملها معه وأخرج معه كلبة فلما ورد على حسان كسر يد كلبته وفرغ الطين عن الجريدة فخرجت خضراء ودخل الى حسان واستعاذ به وأخبره بالذى صنعت جديس بقومه فقال له الملك لله أبوك فمن أين مبدأك قال أبيت اللعن من أرض قريبة وقوم انتهك منهم مالم ينتهك من أحد أنا رباح ابن مرة الطسمى دعتنا جديس الى مدعاة لهم فاجبناهم منفصلين فى الحلل وقد أعدوا لنا السلاح عند جفانهم فاكلنا طعاما حتى سمرنا حطاما بلا طلب دم ولا ترة سلفت فدونك أبيت اللعن قوما قطعوا أرحامنا وسفكوا دماءنا قال الملك حسان أمعك خرجت هذه الجريدة وهذه الكلبة قال نعم فقال الملك ان كنت صادقا لقد خرجت من ارض قريبة ووعده بالنصرة ثم نادى فى حمير بالمسير وأعلمهم بما فعل بطسم قالوا

يضطرب حتى مات وقتل الآخرين وأمر زياد بن مالك الضبعي وبعمران بن خالد القشيري وبعبد الرحمن بن أبي خشارة البجلي وبعبد الله بن قيس الخولاني فأحضروا عنده فلما رآهم قال بافلة الصالحين وقتلة سيد شباب أهل الجنة قد أفاد الله منكم اليوم لقد جاءكم الورس في يوم نحس وكانوا يهوا من انورس الذي كان مع الحسين ثم أمر بهم فقتلوا وأحضروا عنده عبد الله وعبد الرحمن ابني صلخت وعبد الله بن وهب بن عمرو الهمداني وهو ابن عم أعشى همدان فأمر بقتلهم فقتلوا وأحضر عنده عثمان بن خالد بن اسيد الدهماني الجهني وأبو أسماء بشر بن شميط القاضي وكانا قد اشتركا في قتل عبد الرحمن بن عقيل وفي سلبه فضرب أعناقهما وأحرقا بالنار ثم أرسل الى الخولي بن يزيد الاصبحي وهو صاحب رأس الحسين فاختفى في مخرجه فدخل أصحاب المختار يفتشون عليه فخرجت امرأته واسمها العيوف بنت مالك وكانت تعاديه منذ جاء برأس الحسين فقالت لهم ما تريدون فقالوا لها أين زوجك قالت لا أدري وأشارت بيدها الى المخرج فدخلوا ووجدوه وعلى رأسه قوصرة فاخرجوه وقتلوه الى جانب أهله وأحرقوه بالنار

﴿ ذكر مقتل عمر بن سعد وغيره ممن شهد قتل الحسين ﴾

ثم ان المختار قال يوما لاصحابه لاقتلن غدا رجلا عظيم القدمين غائر العينين مشرف الحاجبين يسر قتله المؤمنين والملائكة المقربين وكان عند الهيثم بن الاسود النخعي فعلم انه يعني عمر بن سعد فرجع الى منزله وأرسل الى عمر مع ابنه المرباي يعرفه ذلك فلما قاله له قال جزى الله أباك خيرا كيف يقتلني بعد العهود والمواثيق وكان عبد الله بن جعدة بن هبيرة اكرم الناس على المختار لقرابته بعلي وكلمه عمر بن سعد ليأخذ له أمانا من المختار ففعل وكتب له المختار أمانا وشرط فيه ان لا يحدث وعني بالحدث دخول الخلاء ثم ان عمر بن سعد خرج من بيته بعد عود المرباي عنه فاتى حمامه فاخبر مولى له بما كان منه وبأمانه فقال له مولاه وأي حدث أعظم مما صنعت تركت أهلك ورحلك وأتيت الى ههنا ارجع ولا تجعل عليك سبيلا فرجع وأتى المختار فاخبره باطلاقه فقال كلا ان في عنقه سلسلة سيردها وأصبح المختار وبعث اليه باعمرة فتاه وقال أجب الامير فقام عمر فمشى في جبة له فضربه أبو عمرة بسيفه فقتله وأخذ رأسه فاحضره عند المختار فقال المختار لابنه حفص بن عمر وهو جالس عنده أتعرف من هذا قال نعم ولا خير في العيش بعده فامر به فقتل وقال المختار هذا بحسين وهذا بعلي بن الحسين ولا سواء والله لو قتلت به ثلاثة ارباع قريش ما وفوا أقله من أنامله وكان السبب في تهييج المختار على قتله ان يزيد بن شراحيل الانصاري أتى محمد بن الحنفية وسلم عليه وجرى الحديث الى أن تذاكر المختار وقتال ابن الحنفية انه يزعم انه لما شيعة وقتلة الحسين عنده على الكراسي يحدثونه فلما اتاه يريد اخبار المختار بذلك فقتل عمر بن سعد وبعث برأسه ورأس ابنه الى ابن الحنفية وكتب اليه يعلمه انه قد قتل من قدر عليه وانه في طلب الباقين ممن حضر قتل الحسين قال عبد الله بن شريك أدركت اصحاب الازدية المعلمة وأصحاب البرانس السود من أصحاب السواري اذا مر بهم عمر بن سعد قالوا هذا قاتل الحسين وذلك قبل ان يقتله وقال ابن سيرين قال علي لعمر بن سعد كيف أنت اذا قمت مقاما تخير فيه بين الجنة والنار فتختار النار ثم ان المختار أرسل الى حكيم بن طفيل الطائي وكان أصاب سلب العباس بن علي ورمى الحسين بسهم وكان يقول لعلق سهمي بسرباله وما ضره فتاه أصحاب المختار فاخذوه وذهب أهله فشفعوا بعدي بن حاتم فكلمهم عدي فيه فقالوا ذلك الى المختار فمضى عدي الى المختار ليشفع فيه وكان المختار قد شفعه في نفر من قومه أصابهم يوم جبانة السبيع فقالت الشيعة انا نخاف ان يشفعه المختار فيه فقتلوه رميا

بالسهام

من فعل هذا أبيت اللعن
قال عبيدهم والوا ما لنا في
هذا من أرب هم اخواننا
ولا نعين بعضنا على بعض
وهم عبيدك أيها الملك
فدعهم فقال حسان ما هذا
بحسن أرأيتم لو كان هذا
فيكم أكان حسنا لملككم
ان يهم بردماءكم وما عليها
في الحكم الا ان يقتص
بعضكم من بعض فقام
فرسانهم فقتلوا أبيت اللعن
الامر أمرك فمرنا بما
أحببت فأمرهم بالمسير
فساروا وساروا بهم ريح
ابن مرة حتى اذا صاروا في
اليمامة على ثلاث قال ريح
ابن مرة فقال حسان أبيت
اللعن ان لي احتاج تزوجة
في جديس ليس في الارض
أبصر منها انها تصرا كب
على مسيرة ثلاث ليال وأنا
أخاف ان تنذر لقومها
فتأمر كل واحد من
أصحابك ان يقتلع شجرة
من الارض فيحملها امامه
ثم يسير وأمر حسان بذلك
ففعلوا ثم ساروا وكان اسم
أخت رباح عمامة فأشرفت
من منظرها فقالت
يا جديس لقد سارت اليكم
الشجر قالوا لها ما دالك
قالت أشجار تسير وراءها
شيء واني لارى رجلا من
وراء شجرة ينهش كتفا
او يخصف نعلا وكذبوها

بالسهام كما رمى الحسين حتى صار كأنه القنفذ ودخل عدى بن حاتم على المختار فاجلسه معه فشفع فيه عدى فقال المختار أتستحل ان تطلب فى قتلة الحسين فقال عدى انه مكذوب عليه قال اذا ادعه الك فدخل ابن كامل فاخبر المختار بقتله فقال ما أعجلكم الى ذلك ألا احضرتموه عندى وكان قد سره قتله فقال ابن كامل غلبتنى عليه الشيعة فقال عدى لابن كامل كذبت ولكن ظننت ان من هو خير منك سيشفعنى فقتلته فسبه ابن كامل فنهاه المختار عن ذلك وبعث المختار الى قاتل على ابن الحسين وهو مرة بن منقذ من عبد القيس وكان شجاعا فاحاط واداره فخرج اليهم على فرسه وبيده رمحه فطاعنهم فضرب على يده وهرب منهم فنجا ولحق بمصعب بن الزبير وشلت يده بعد ذلك وبعث المختار الى زيد بن رقاد الجبانى كان يقول اقد رميت فتى منهم بسهم وكبه على جبهته يتقى النبل فاثبت كفه فى جبهته فما استطاع ان يزيل كفه عن جبهته وكان ذلك الفتى عبد الله بن مسلم ابن عقيل وانه قال حين رمته اللهم انهم اسنقلونا واستذلونا فاقتلهم كما قتلونا ثم ارمى الغلام بسهم آخر وكان يقول جثته وهو ميت فنزعت سهمى الذى قتلته به من جوفه ولم أزل أنضض الآخر عن جبهته حتى أخذته وبقى النصل فلما أتاه أصحاب المختار خرج اليهم بالسيف فقال لهم ابن كامل لا تطعنوه ولا تضربوه بالسيف ولكن ارموه بالنبل والحجارة ففعلوا ذلك به فسقط فاخرقوه حيا وطلب المختار سنان بن أنس الذى كان يدعى قتل الحسين فرآه قد هرب الى البصرة فهدم داره وطلب عبد الله بن عقبة الغنوى فوجده قد هرب الى الجزيرة فهدم داره وكان قد قتل منهم غلاما وطلب آخر من بنى أسد يقال له حرملة بن الكاهن كان قد قتل رجلا من أهل الحسين ففاته وطلب أيضا رجلا من خثعم اسمه عبد الله بن عروة الخثعمى كان يقول رميت فيهم باثنى عشر سهما ففاته ولحق بمصعب بن الزبير وهدم داره وطلب أيضا عمرو بن الصبيح الصدائى كان يقول لقد طعنت فيهم وجرحت وما قتلت منهم أحدا فانى ليلا فاخذوا وأحضر عند المختار فامر باحضار الرماح وطعن بها حتى مات وأرسل الى محمد بن الاشعث وهو فى قرية له الى جنب القادسية فطلبوه فلم يجدوه وكان قد هرب الى مصعب فهدم الحجار داره وبنى بلبنها وطينها دار حجر بن عدى الكندى كان زياد قد هدمها (بحير بن يسار بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة شبام بكسر الشين المعجمة والباء الموحدة بطن من همدان وهمدان بسكون الميم وبالدال المهملة وسعر بكسر السين المهملة وأحمر بن شميط بالحاء المهملة والراء المهملة وشميط بالشين المعجمة وشث بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة جبانة أثير بضم الهمزة وبالثاء المثلثة وبالياء المثناة من تحت وبالراء المهملة عتيبة بن النهاس بالعين المهملة وبالتاء المثناة من فوق ثم بالياء المثناة من تحت وبالباء الموحدة حسان بن فائد بالفاء)

﴿(ذكر بيعة المثنى العبدى للمختار بالبصرة)﴾

وفى هذه السنة دعا المثنى بن محربة العبدى بالبصرة الى بيعة المختار وكان ممن شهد عين الوردة مع سليمان بن صرد ثم رجع فبايع للمختار وسيره الى البصرة يدعو بها اليه فقدم البصرة ودعا بها فاجابه رجال من قومه وغيرهم ثم أتى مدينة الرزق فمسكر عندها وجمعوا الميرة بالمدينة فوجه اليهم القباع أمير البصرة ردعا بها عباد بن حصين وهو على شرطته وقيس بن الهيثم فى الشرط والمقاتلة فخرجوا الى السبخة ولزم الناس بيوتهم فلم يخرج أحد وأقبل عباد فيمن معه فتواقف هو والمثنى فسار عباد نحو مدينة الرزق وترك قيسا مكانه فلما اتى عباد مدينة الرزق أصعد على سورها

وكان ذلك كما ذكرت فقتلوا عن آخذ أهبة الحرب ففى ذلك تقول اليمامة لجديس تحذرهم
انى أرى شحرا من خلفها بشر
فكيف تجتمع الأشجار والبشر
ثوروا أجمعكم فى وجه أولهم
فان ذلك منكم فاعلموا ظفر
واقبل الملك حسان بحمير حتى اذا كان من جو على مسير ليلة عى جيوشه ثم صبحها فاستباح أهلها من جديس قتلا وأفنى نساءهم وصبيانهم وهرب الاسود ابن عفار ملكها حتى نزل بدار بنى طى فأجاروه من الملك وغيره من غيران يعرفوه فيذكروا نسله اليوم فى طى مذكور فلما فرغ حسان من جديس دعا باليمامة بنت مرة وكانت امرأة ذات رقاء فامر فنزعت عيناها فادا فى داخلها عروق سود فسألها عن ذلك فقالت حجر أسود يقال له الاثمد كنت أكحل به فذهب الى بصرى وكانت أول من اكتحل به فاتخذوه بعد ذلك كحلا وأمر الملك باليمامة فصلبت على باب جو وقال سموا جو اليمامة فسميت بها الى اليوم (قال المسعودى) ثم سار بعد

ثلاثين رجلا وقال لهم اذا سمعتم التكبير فكبروا ورجع عباد الى قيس وأنشبوا القتال مع المثنى وسمع الرجال الذين فى دار الرزق التكبير فكبروا وهرب من كان بالمدينة وسمع المثنى التكبير من وراءهم فهرب فيمن معه فكف عنهم قيس وعباد ولم يتبعوهم وأتى المثنى قومه عبد القيس فارسل القباع عسكرا الى عبد القيس ليأتوه بالمثنى ومن معه فلما رأى زياد بن عمرو العتكى ذلك أقبل الى القباع فقال له اترك خيلك من اخواننا أو لقاتلنهم فارسل القباع الاحنف بن قيس وعمر بن عبد الرحمن المحزومى ليصلحا بين الناس فاصلح الاحنف الامر على ان يخرج المثنى وأصحابه عنهم فاجاوه الى ذلك وأخرجوهم عنهم فسار المثنى الى الكوفة فى نفر يسير من أصحابه (مخربة بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء وكسرها ثم باء مفتوحة)

(ذكر مكر المختار بابن الزبير)

فلما أخرج المختار عامل ابن الزبير عن الكوفة وهو ابن مطيع سار الى البصرة وكره ان يأتى ابن الزبير مهروما فلما استجمع للمختار أمر الكوفة أخذ يخادع ابن الزبير فكتب اليه قد عرفت مناصحتى اياك وجهدى على أهل عداوتك وما كنت أعطيتنى اذ أنا فعلت ذلك فلما وفيت لك لم تف بما عاهدتنى عليه فان تردد رجعتى ومناصحتى فعلت والسلام وكان قصد المختار ان يكف ابن الزبير عنه ليتم أمره والشيعة لا يعلمون بشئ من أمره فاراد ابن الزبير أن يعلم اسلم هو أم حرب فدس عمر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومى فولاه الكوفة وقال له ان المختار سامع مطيع فاظهر بما بين ثلاثين ألف درهم الى أربعين ألفا وسار نحو الكوفة وأتى الخبر الى المختار بذلك فدعا المختار رائدة بن قدامة وأعطاه سبعين ألف درهم وقال له هذا ضعف ما أنفق عمر بن عبد الرحمن فى طريقه اليها وامره أن يأخذ معه خمسمائة فارس ويسير حتى يلقاه بالطريق ويعطيه المفتاح ويأمره بالعود فان فعل والا فارده الحيل فاخذ رائدة بن قدامة المال وسار حتى لقى عمر فاعطاه المال وأمره بالانصراف فقال له ان أمير المؤمنين قد ولانى الكوفة ولا بد من اتيانها فدعا رائده الحيل وكان قد كمنها فلما رآها قد أقبلت أخذ المال وسار نحو البصرة فاجتمع هو وابن مطيع فى امرة الحرث بن أبى ربيعة وذلك قبل وثوب المثنى بن مخربة العبدى بالبصرة وقيل ان المختار كتب الى ابن الزبير انى اتخذت الكوفة دارا فان سوغتنى ذلك وأمرت لى بألف ألف درهم سرت الى الشام وكفيتك ابن مروان فقال ابن الزبير لمتى أما كر كذاب ثقيف ويما كرنى ثم تمثل شعر

عارى الحواعر من ثمود أصله * عبد يزعم انه من يقدم

وكتب اليه والله ولا درهم

ولا أمنى عبد الهوان بيدرنى * وانى لا أنى الحتف ما دمت أسمع

ثم ان عبد الملك بن مروان بعث عبد الملك بن الحرث بن أبى الحكم بن أبى العاص الى وادى القرى وكان المختار قد وادع ابن الزبير ليكف عنه ليتفرغ لاهل الشام فكتب المختار الى ابن الزبير قد بلغنى ان ابن مروان قد بعث اليك جيشا فان أحببت أمددتك بعدد فكتب اليه ان الزبيران كنت على طاعتى فبايع لى الناس قبلك وعجل انفاذ الجيش ومرهم ليسيروا الى من بوادى القرى من جند ابن مروان فبعث اليهم والسلام فدعا المختار شرحبيل بن ورس الهمدانى فسيره فى ثلاثة آلاف أكثرهم من الموالى وليس منهم من العرب الا سبعمائة رجل وقال سر حتى تنزل المدينة فاذا دخلتها فاكتب الى بذلك حتى يأتيك أمرى وهو يريد اذا دخلوا المدينة ان يبعث عليهم أميرا ثم يأمر ابن ورس بمحاصرة ابن الزبير بمكة وخشى ابن الزبير أن يكون المختار على كيده فبعث من مكة عباس بن سهل بن سعد فى ألفين وأمره ان يستنفر الاعراب وقال له

طسم بن لاوذ وبار بن أميم ابن لاوذ ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه من قومه فنزل بارض وبار بالارض المعروفة برمل عالج فاصابهم سمة من الله فهلكوا وما كان من بقيتهم فى الارض وقد قدمنا فصلا من ذلك فيما سلف من هذا الكتاب على ما زعم الاخباريون من العرب وحدثوهم بذلك عن حد العقول والله سبحانه وتعالى اعلم وزعموا ان الله عز وجل حين أهلك هذه الامة العظيمة المعروفة بارم كما أهلك طسما وجديسا واسمها وكانت ديارهم بارض اليمامة وأهلكوا بالريح السوداء الحارة وطسم كانت ديارهم بالجولان والجيدور من أرض بلو وبلاد حوران والبثنية وذلك بين دمشق وطبرية من أرض الشام وعملاق وعاد وثمود وأن الجن كانت تسكن فى ديار وبار وجهاص كل من أرادها وقصد البهاص الناس وأنها كانت أخصب بلاد الله عز وجل وأكثرها ثمرا وأطيبها ثمرا وعيشا ونخلا وموزا وان دنا أحد من الناس الى تلك البلاد عالطا أو متعمدا حثت الجن فى وجهه التراب

ان رأيت القوم على طاعتي والافكايدهم حتى تهلكوهم فاقبل عباس بن سهل حتى لقي ابن ورس بالرقيم وقد عبى ابن ورس أصحابه وأتى عباس وقد تقطع أصحابه و أي ابن ورس على الماء وقد عبى أصحابه فدنا منهم وسلم عليهم ثم قال لابن ورس سرا الستم على طاعة ابن الزبير قال بلى قال فسر بنا على عدوه الذي بوادي القرى فقال ابن ورس ما أمرت بطاعتكم انما أمرت ان آتي المدينة فاذا أتيتها رأيت رأيي فقال له عباس ان كنتم في طاعة ابن الزبير فقد أمرني أن اسيركم الى وادي القرى فقال لا اتبعك اقدم المدينة وأكتب الى صاحبي فيأمرني بأمره فقال عباس رأيك أفضل وفطن لما يريد وقال أما أنا فاسير الى وادي القرى ونزل عباس أيضا وبعث الى ابن ورس بجزائر وغنم مسلحة وكانوا قد ماتوا جوعا فذبحوا واشتغلوا بها واختلطوا على الماء وجمع عباس من أصحابه نحو ألف رجل من الشجعان وأقبل نحو وسط اط ابن ورس فلما رآهم نادى في أصحابه فلم يجتمع اليه مائة رجل حتى انتهى اليه عباس واقتتلوا يسيرا فقتل ابن ورس في سبعين من أهل الحفاظ ورفع عباس رايه أمان لاصحاب ابن ورس فاتوها الا نحو من ثلثمائة رجل مع سليمان ابن حمير الهمداني وعباس بن جعدة الجدلي فظفر ابن سهل منهم بنحو من مائتين فقتلهم وأفلت الباقون فرجعوا لما بهم وتفرقوا في الطريق وكتب المختار بخبرهم الى ابن الحنفية يقول اني أرسلت اليك جيشا ليذلوا لك الاعداء ويحرزوا البلاد فلما قاربوا الطيبة فعل بهم كذا وكذا فان رأيت ان أبعث الى المدينة جيشا كثيفا وتبعث اليهم من قبلك رجلا حتى يعلموا اني في طاعتك فافعل فانك ستجدهم بحقكم أعرف وبكم أهل البيت أرأف منهم بآل الزبير والسلام وكتب اليه ابن الحنفية أما بعد فقد قرأت كتابك وعرفت تعظيمك لحقي وما نوه به من سروري وان أحب الامور كلها الي ما أطيع الله فيه فاطع الله ما استطعت واني لو أردت القتال لوجدت الناس الى سراعا والاعوان لي كثيرا ولكن أعتزلكم وأصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين وأمره بالكف عن الدماء

﴿ذكر حال ابن الحنفية مع ابن الزبير ومسير الجيش من الكوفة﴾

ثم ان ابن الزبير دعا محمد بن الحنفية ومن معه من أهل بيته وشيعته وسبعة عشر رجلا من وجوه أهل الكوفة منهم أبو الطفيل عامر بن واثلة صحبة ليبايعوه فامتنعوا وقالوا لا نبايع حتى تجتمع الامة فاكثر الوقيعة في ابن الحنفية وذمه وأغلظ له عبد الله بن هانئ الكندي وقال ان لم يضرك الا تركنا بيعتك لا يضرك شئ وان صاحبنا يقول لو بايعتني الامة كلها غير سعد مولى معاوية ما قبلته وانما عرض بذكر سعد لان ابن الزبير أرسل اليه فقتله فسبه عبد الله وسب أصحابه وأخرجهم من عنده فاخبروا ابن الحنفية بما كان منهم فأمرهم بالصبر ولم يلح عليهم ابن الزبير فلما استولى المختار على الكوفة وصارت الشيعة تدعو لابن الحنفية خاف ابن الزبير أن يتداعى الناس الى الرضا به فالح عليه وعلى أصحابه في البيعة له فحبسهم بزمزم وتوعدهم بالقتل والاحراق وأعطاه الله عهدا ان لم يبايعوا أن ينفذ فيهم ما توعدهم به وضرب لهم في ذلك أجلا فاشار بعض من كان مع ابن الحنفية عليه أن يبعث الى المختار يعلمه حالهم فكتب الى المختار بذلك وطلب منه النجدة فقرأ المختار الكتاب على الناس وقال ان هذا مهديكم وصريح أهل بيت نبيكم قد تركوه ومن معه محصورا عليهم كما يحصر على الغنم ينتظرون القتل والتحريق في الليل والنهار لست أبا اسحق ان لم انصرهم نصرا مؤزرا وان لم أسرب الخيل في اثر الخيل كالسيل يتلوه السيل حتى يحل بابن الكاهلية الويل يعني ابن الزبير وذلك ان أم خويلد أبي العوام زهرة بنت عمرو من بني كاهل بن أسد بن خزيمة

وسفت عليه سوافي الرمل وأثارت عليه الزوابع فان أراد الرجوع خبلوه وتيهوه وربما قتلوه وهذا الموضع عند كثير من ذوي الجاباطل فاذا فيل لهم دلونا على جهته وقفونا على حده زعموا أنها من أرادها أعمى على قلبه كأنهم كبني اسرائيل الذين كانوا مع موسى في التيه فصدهم الله تعالى عن الخروج ولم يجعل لهم سبيلا الى ان تم فيهم مراده وانتهى فيهم حكمه وقد قال في ذلك شاعرهم يخبر بمثل ما وصفنا من قولهم في هذه الارض المجهولة

دعاجم لا يهتدي لمعيله
من اللوم حتى يهتدي لوبار
وداع دعا والليل مرخ سدوله
رجاه القرى يا مسلم بن جبار

وأقوالهم في مثل هذا كثيرة والعرب ممن سلف وخلف في الجاهلية والاسلام يخبرونا عن هذه الارض كاخبارهم عن وادي الروم والصمان والدهناء والرمل الذي بدارين وغيرها من الارضين التي برلوا فيها يجتمعون عليها طلبا للماء والكلا وزعموا أنه ليس بهذه الارض اليوم أحد الا الجن والابل الوحشية وهي عندهم من الابل التي قد ضربت فيها فحول الجن فالوحشية من نسل ابل الجن والعبدية والعسجدية والعمانية قد ضربت فيها

فبكر الناس وقالوا سرحنا اليه وبعجل فوجه أبا عبد الله الجدلى فى سبعين راكبا من أهل القوة ووجه ظبيان بن عمرة أحا بنى تميم ومعه أربعمائة وبعث معه لابن الحنفية أربعمائة ألف درهم وسير أبا المعمر فى مائة وهانئ بن قيس فى مائة وعمير بن طارق فى أربعين ويونس بن عمران فى أربعين فوصل أبو عبد الله الجدلى الى ذات عرق فأقام بها حتى أتاه عمير ويونس فى ثمانين راكبا فبلغوا مائة وخمسين رجلا فسارهم حتى دخلوا المسجد الحرام ومعهم الرايات وهم ينادون بالثارات الحسين حتى انتهوا الى زمزم وقد أعد ابن الزبير الحطب ليحرقهم وكان قد بقى من الاجل يومان فكسروا الباب ودخلوا على ابن الحنفية فقالوا اخل بيننا وبين عدو الله ابن الزبير فقال لهم انى لا أستحل القتال فى الحرم فقال ابن الزبير واعجبا لهذه الخشبية يمنعون الحسين كانى أن قتلته والله لو قدرت على قتلته لقتلتهم وانما قيل لهم خشبية لانهم دخلوا مكة وبايديهم الخشب كراهة اشهار السيوف فى الحرم وقيل لانهم أخذوا الحطب الذى أعده ابن الزبير وقال ابن الزبير أتحسبون انى أخلى سبيلهم دون أن يبايع ويبايعون فقال الجدلى اى ورب الركن والمقام لتخلين سبيله أو لنجالدنك بأسيافنا جدا لا ارتياب منه المبطلون فكف ابن الحنفية أصحابه وحذرهم الفتنة ثم قدم باقى الجند ومعهم المال حتى دخلوا المسجد الحرام فكبروا وقالوا يا لثارات الحسين فخافهم ابن الزبير وخرج محمد بن الحنفية ومن معه الى شعب على وهم يسمون ابن الزبير ويستأذنون محمدا فيه فأبى عليهم فاجتمع مع محمد فى الشعب أربعة آلاف رجل فقسم بينهم المال وعزوا وامتنعوا فلما قتل المختار بضعضعوا واحتاجوا ثم ان البلاد استوثقت لابن الزبير بعد قتل المختار فارسل الى ابن الحنفية ادخل فى بيعتى والا نابذتك وكان رسوله عروة بن الزبير فقال ابن الحنفية بئسما لاحيك ما ألجه فيما سخط الله واغفله عن ذات الله وقال لاصحابه ان ابن الزبير يريد أن يثور بنا وقد أذنت لمن أحب الانصراف عنا فانه لا ذمام عليه منا ولا لوم فانى مقيم حتى يفتح الله بينى وبين ابن الزبير وهو خير الفاتحين فقام اليه أبو عبد الله الجدلى وغيره فاعلموه انهم غير مفارقيه وبلغ خبره عبد الملك بن مروان فكتب اليه يعلمه انه ان قدم عليه أحسن اليه وانه ينزل الى الشام ان أراد حتى يستقيم أمر الناس فخرج ابن الحنفية وأصحابه الى الشام وخرج معه كثير عزة وهو يقول شعر

هديت يا مهدينا ابن المهتدى * أنت الذى نرضى به وترتجى
أنت ابن خير الناس من بعد النبى * أنت امام الحق لسنا نمترى
يا ابن على سر ومن مثل على

فلما وصل مدين بلغه غدر عبد الملك بعمرو بن سعيد وندم على اتيانه وخافه فنزل أيلة وتحدث الناس بفضل محمد وكثرة عباداته وزهده وحسن هديه فلما بلغ ذلك عبد الملك ندم على اذنه له فى قدومه بلاده فكتب اليه انه لا يكون فى سلطانى من لم يبايعنى فارتحل الى مكة ونزل شعب أبى طالب فارسل اليه ابن الزبير يأمره بالرحيل عنه وكتب الى أخيه مصعب بن الزبير يأمره أن يسير نساءه من مع ابن الحنفية فسير نساءه منهن امرأة أبى الطفيل عامر بن واثلة فجاءت حتى قدمت عليه فقال الطفيل شعر

ان يك سيرها مصعب * فانى الى مصعب متعب
أقود الكتيبة مستلئما * كانى أخو عزة أحرب

وهى عدة أبيات وألح ابن الزبير على ابن الحنفية بالانتقال الى مكة فاستأذنه أصحابه فى قتال ابن الزبير فلم يأذن لهم وقال اللهم ألبس ابن الزبير لباس الذل والخوف وسلط عليه وعلى أشياعه من

الوحشية وفى ذلك يقول زهير بن أبى سلمى

كانى على وحشيه أو نعامة
لها نسب فى الطير وهو ظليم

والاشعار فى ذلك كثيرة (وفى بسطا) لجوامع أخبار العرب فيما نقلته عن أسلافها مما أمكن كونه وخرج عن حد الوجوب والجواز خروج عن حد الايجاز والاختصار وقد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا (وسار بعد وبار بن أميم) عبد ضخم بن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه فنزلوا الطائف وهلك هؤلاء ببعض غوائل الدهر فمثروا ودكرتهم الشعراء وفيهم يقول الازدى

وعبد ضخم اذ انسبتهم
ابيض أهل الحى بالنسب
ابتدعوا منصفا لجمعهم

فبين الخط لغة العرب (وذكر) أن هؤلاء أول من كتب بالعربية ووضع حروف المعجم وهى حروف ا ب ت ث وهى التسعة والعشرون حرفا وقد قيل غير ذلك على حسب تفارع بدء الكتابة (وسار) بعد عبد ضخم بن ارم جرهم بن قحطان بولده ومن تبعه وطافوا البلاد حتى أتوا مكة فنزلوها وفى ذلك يقول مضاض بن عمرو الجرهمى

يسومهم

يسومهم الذي يسوم الناس ثم سار الى الطائف فدخل ابن عباس على ابن الزبير وأغلظ له فجرى بينهما كلام كرهنا ذكره وخرج ابن عباس أيضا فلحق بالطائف ثم توفي فصلى عليه ابن الحنفية وكبر عليه أربعا وبقي ابن الحنفية حتى حصر الحجاج ابن الزبير فأقبل من الطائف فنزل الشعب فطلبه الحجاج ليبايع عبد الملك فامتنع حتى يجتمع الناس فلما قتل ابن الزبير كتب ابن الحنفية الى عبد الملك يطلب منه الامان له ولمن معه وبعث اليه الحجاج يأمره بالبيعة فأبى وقال قد كتبت الى عبد الملك فاذا جاءني جوابه بايعت وكان عبد الملك كتب الى الحجاج يوصيه بابن الحنفية فتركه فلما قدم رسول ابن الحنفية وهو أبو عبد الله الجدلي ومعه كتاب عبد الملك بأمره وبسط حقه وتعظيم أهله حضر عند الحجاج وبايع لعبد الملك بن مروان وقدم عليه الشام وطلب منه أن لا يجعل للحجاج عليه سبيلا فأزال حكم الحجاج عنه وقيل ان ابن الزبير أرسل الى ابن عباس وابن الحنفية أن يبايعا فقالا حتى يجتمع الناس على امام ثم نبايع فانك في فتنة فعظم الامر بينهما وغضب من ذلك وحبس ابن الحنفية في زمزم وضيق على ابن عباس في منزله وأراد احراقهما فارسل المختار جيشا كما تقدم فازال عنهما ضرر ابن الزبير فلما قتل المختار قوي عليهما ابن الزبير وقال لا تجاورا ني فخرجا الى الطائف وأرسل ابن عباس ابنه عليا الى عبد الملك بالشام وقال لان يربني بنو عمي أحب الي من أن يربني رجل من بني أسد يعني بني عمه بني أمه لانهم جميعهم من ولد عبد مناف ويعني برجل من بني أسد ابن الزبير فانه من بني أسد بن عبد العزى بن قصي ولما وصل علي بن عبد الله بن عباس الى عبد الملك سأله عن اسمه وكنيته فقال اسمي علي والكنية أبو الحسن فقال لا يجتمع هذا الاسم وهذه الكنية في عسكري أنت أبو محمد ولما وصل ابن عباس الى الطائف توفي به وصلى عليه ابن الحنفية

﴿ذكر الفتنة بخراسان﴾

في هذه السنة كان حصار عبد الله بن خازم من كان بخراسان من بني تميم بسبب قتلهم ابنه محمدا وقد تقدم ذكره فلما تفرقت بنو تميم بخراسان على ما تقدم الى قصره قريبا عدة من فرسانهم ما بين السبعين الى الثمانين فولوا أمرهم عثمان بن بشر بن المحفز المازني ومعه شعبة بن ظهير النهشلي ووردبن الفلق العنبري وزهير بن ذؤيب العدوي وجهان بن مشجعة الضبي والحجاج بن ناشب العدوي ورقية بن الحر في فرسان من تميم وشجعانهم فحاصرهم ابن خازم فكانوا يخرجون اليه فيقاتلونه ثم يرجعون الى القصر فخرج ابن خازم يوما في ستة آلاف وخرج اليه أهل القصر فقال لهم بشر ارجعوا فلن تطيقوه فخالف زهير بن ذؤيب بالطلاق انه لا يرجع حتى يتعرض صفوفهم فاستبطن نهرا قد يبس فلم يشعر به أصحاب عبد الله حتى حمل عليهم فخط أولهم على آخرهم واستدار وكروا راجعا واتبعوه يصيحون به ولم يجسر أحد ينزل اليه حتى رجع الى موضعه فحمل عليهم فافرجوا له حتى رجع فقال ابن خازم لاصحابه اذا طاعنتم زهيرا فاجعلوا في رماحكم كلاليب ثم علقوها في سلاحه فخرج اليهم يوما فطاعنهم فاعلقوا فيه أربعة أرماح بالكلاليب فالتفت اليهم ليحمل عليهم فاضطربت أيديهم وخلوا رماحهم فعاد يجر أربعة أرماح حتى دخل القصر فارسل ابن خازم الى زهير يضمن له مائة ألف وميسان طعمة ليناصحه فلم يجبه فلما طال الحصار عليهم أرسلوا الى ابن خازم ليمكنهم من الخروج ليتفرقوا فقال لا الا على حكمي فاجابوا الى ذلك فقال زهير ثكلتكم مهاتكم والله ليقتلنكم عن آخركم وان طبتم بالموت نفسا فموتوا كراما اخرجوا بنا جميعا فاما أن تموتوا كراما واما أن ينجو بعضكم ويهلك بعضكم وايم الله لئن شددتم عليهم شدة صادقة ليفرجن لكم فان شئتم كنت أمامكم وان شئتم كنت خلفكم فأبوا

هذا سبيل كسبيل يعرب
المبادئ القول المبين
المعرب
باقوم سيروا عن فعال
الاجنب
جرهم جدي وقحطان أبي
(وسار أميم بن لاوذ بن
ارم) بعد جرهم بن قحطان
فحل بأرض فارس فالعرس
على حسب ما قدمنا فيما
سلف من هذا الكتاب في
باب تنازع الناس في أنساب
فارس من ولد كيومرث
ابن أميم بن لاوذ بن ارم بن
سام بن نوح وفي ذلك يقول
بعض من تقدم من أهل
الحكمة من شعراء فارس
في الاسلام
أبونا أميم الخير من مبدل
فارس
وفارس أرباب الملوك بهم
تحري
وما عد قوم من حديث
وحادث
من المجد الا ذكرنا أفضل
الذكر
وقد ذكر جماعة من أهل
السير والاخبار أن جميع
من ذكرنا من هذه القبائل
كانوا أهل خيم وبدو مجتمعين
في مساكنهم من الارض
وأن أميما أول من ابتنى
البنيان ورفع الحيطان وقطع
الاشجار وسقف السقوف
واتخذ السطوح وأن
ولد حام بن نوح حلوا

بيلاد الجنوب وأن ولد كوش بن كنعان خاصة هم النوبة على حسب ما قدمنا آنفا في باب السودان من هذا الكتاب وأن لخذام ولد كنعان بن حام سار وا نحو بلاد افريقيه وطنجة من أرض المغرب فنزلوها وزعم هذا القائل أن البربر من ولد كنعان بن حام (وقد تنازع الناس) في بدء انساب البربر منهم من رأى أنهم من غسان وغيرهم من اليمن وأنهم تفرقوا حول تلك الديار حين تفرق الناس من بلاد مأرب عندما كان من سيل العرم ومنهم من رأى انهم من قيس عيلان ومنهم من رأى غير ما ذكرنا مما سلف من كتبنا (وولد) كنعان بن حام والاغلب من ولد كنعان بلاد الشام وهم الكنعانيون وبهم تعرف تلك الديار وقيل بلاد كنعان وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أخبار مضر بن حام ومصر والانباط (وسار) نوفر بن لوط بن حام بولده ومن تبعه الى أرض الهند والسند والسند أم لهم أجسام طوال وهم من بلاد المنصورة من أرض السند فعلى هذا القول ان الهند والسند من ولد نوفر بن حام بن نوح وولد حام

عليه فقال سأريكم ثم خرج هو ورقيبة بن الحر وغلام تركي وان ظهر فحملوا على القوم حملة منكرة فأفرجوا لهم فمضوا فاما زهير فرجع ونجا أصحابه فلما رجع زهير الى من بالقصر قال قد رأيتم أطيعوني قالوا انا نضعف عن هذا ونطمع في الحياة فقال لا أكون أعجزكم عند الموت فنزلوا على حكم ابن حازم فارسل اليهم فقيدهم وحملوا اليه رجلا رجلا فاراد أن يمن عليهم فأبى عليه ابنه موسى وقال له ان عفوت عنهم قتلت نفسي فقتلهم الا ثلاثة أحدهم الحجاج بن ناشب فشفع فيه بعض من معه فاطلقه والآخر جهيان بن مشجعة الضبي الذي ألقى نفسه على محمد بن عبد الله كما تقدم والآخر رجل من بني سعد من تميم وهو الذي ردّ الناس عن ابن حازم يوم لحقوه وقال انصرفوا عن فارس مصر وقال ولما أرادوا حمل زهير بن ذؤيب وهو مقيد أبى واعتمد على رمحه ووثب الخندق ثم اقبل الى ابن حازم يحجل في قيوده فجلس بين يديه فقال له ابن حازم كيف شكرك ان أطلقتك وأطعمتك ميسان قال لو لم تصنع بي الا حقن دمي اشكرتك فلم يمكنه ابنه موسى من اطلاقه فقال له أبوه ويحك تقتل مثل زهير من لقتال عدو المسلمين من لحمي نساء العرب فقال والله لو شركت في دم أخي لقتلتك فامر بقتله فقال زهير ان لي حاجة لا تقتلني وبخلط دمي بدماء هؤلاء اللئام فتدنيهم عما صنعوا وأمرتهم ان يدفنوا كراما ويخرجوا عليكم مصلتين وايم الله لو فعلوا لادعروا بذلك هذا وشغلوه بنفسه عن طلب ثار أخيه فابوا ولو فعلوا ما قتل منهم رجل حتى يقتل رجلا فامر به ابن حازم فقتل ناحية فلما بلغ الخبر بشر قتلهم قال

أعادل اني لم ألم في قتالهم * وقد عض سيفي كبشهم ثم صمما
أعادل ما وليت حتى تبددت * رجال وحتى لم أجد متقدما
أعاذل اني السلاح ومن يطل * مقارعة الابطال يرجع مكلما
أعيني ان ابر فيما الدمع فاسكبا * دما لا زمالي دون ان تكفادما
أبعد زهير وابن بشر متابعا * وورد أرجي في خراسان مغنما
أعادل كم من يوم حرب شهدته * اكر اذا ما فارس السوء أحجما

يعني زهير بن ذؤيب وابن بشر هو عثمان وورد بن الفلق

(ذكر مسير ابن الاشتر الى قتال ابن زياد)

وفي هذه السنة لثمان بقين من ذي الحجة سار ابراهيم بن الاشتر لقتال عبيد الله بن زياد وكان مسيره بعد فراغ المختار من وقعة السبيع بيومين وأخرج المختار معه فرسان أصحابه ووجوههم وأهل البصائر منهم ممن له تجربة وحرج معه المختار يشيعه فلما بلغ دير عبد الرحمن ابن أم الحكم لقيه أصحاب المختار وهم الكرسي يحملونه على بغل أشهب وهم يدعون الله له بالنصر ويستنصرونه وكان سادن الكرسي حوشب البرسمي فلما رآهم المختار قال

أما ورب المرسلات عرفا * ليقتلن بعد صف صفا * وبعد ألف قاسطين ألفا

ثم ودعه المختار وقال له خذ بني ثلاثا خف الله عز وجل في سر أمرك وعلانيتك وعجل السير واذا لقيت عدوك فناجزهم ساعة تلقاهم ورجع المختار وسار ابراهيم فانتهى الى أصحاب الكرسي وهم عكوف عليه قد رفعوا أيديهم الى السماء يدعون الله فقال ابراهيم اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا هذه سنة بني اسرائيل والذي نفسي بيده اذ عكفوا على عجلهم ثم رجعوا وسار الى وعده

(ذكر حال الكرسي الذي كان المختار يستنصر به)

قال الطفيل بن جعدة بن هبيرة أضقنا اضاقة شديدة فخرجت يوما فاذا جارية لي زيات عنده كرسي

ركبه الوسخ فقلت في نفسي لو قلت للمختار في هذا شيأ فاخذته من الزيات وغسلته فخرج عود نضار قد شرب الدهن وهو بعض قال فقلت للمختار ان كنت اكتمك شيأ وقد بدا لي أن أذكره لك ان أبي جعدة كان يجلس على كرسي عندنا ويروى ان فيه أثرا من علي قال سبحان الله أخرته الى هذا الوقت ابعث به فاحضرته عنده وقد غشي فامر لي باثني عشر ألفا ثم دعا الصلاة جامعة فاجتمع الناس فقال المختار انه لم يكن في الامم الخالية أمر الا وهو كائن في هذه الامة مثله وانه كان في بني اسرائيل التابوت وان هذا فينا مثل التابوت فكشفوا عنه وقامت السبئية وكبروا ثم لم يلبثوا ان أرسل المختار الجند لقتال ابن زياد وخرج بالكرسي على بغل وقد غشي فقتل أهل الشام مقتلة عظيمة فرادهم ذلك فتنة فارتفعوا حتى تعاطوا الكفر فندمت على ما صنعت وتكلم الناس في ذلك نميمة وقيل ان المختار قال لآل جعدة بن هبيرة وكانت أم جعدة أم هانئ أخت علي بن أبي طالب لابويه ائتوني بكرسي علي فقالوا والله ما هو عندنا فقال لا تكونن حتى اذهبوا فأتوني به قال فظنوا انهم لا يأتونه بكرسي الا قال هذا هو وقبله منهم فأتوه بكرسي وقبضه منهم وخرجت شبام وشاكر ورؤس أصحاب المختار وقد جعلوا عليه الحرير وكان أول من سدنه موسى بن أبي موسى الاشعري كان يلم بالمختار لان أمه أم كلثوم بنت الفضل بن العباس فعتب الناس على موسى وتركه وسدنه حوشب البرسمي حتى هلك المختار وقال أعشى همدان في ذلك شعر

شهدت عليكم انكم سبئية * وانى بكم يا شرطة الشرك عارف
فأقسم ما كرسيكم بسكينة * وان كان قد لفت عليه اللفائف
وان ليس كالتابوت فينا وان سعت * شبام حواليه ونهد وحارف
وانى امرؤ أحببت آل محمد * وتابعت وحيا ضمنته المصاحف
وبايعت عبد الله لما تتابعت * عليه قريش شمطها والعطارف

وقال المتوكل الليثي

أبلغ أبا اسحق ان جئته * انى بكرسيكم لكافر
ترى شبام حول أعواده * وتحمل الوحي له شاكر
محمرة أعينهم حوله * كانهن الحامض الخازر

﴿(ذكر عدة حوادث)﴾

وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان على المدينة مصعب بن الزبير عاملا لاخيه عبد الله وعلى البصرة عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي لابن الزبير أيضا وكان بالكوفة المختار متغلبا عليها وبخراسان عبد الله بن خازم وفي هذه السنة توفي أسماء بن حارثة الاسلمي وله صحبة وهو من أصحاب الصفة وقيل بل مات بالبصرة في امارة ابن زياد وتوفي جابر بن سمرة وهو ابن أخت سعد بن أبي وقاص وقيل مات في امارة بشر بن مروان وتوفي أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة ابن بدر الفزاري سيد قومه (حارثة بالحاء المهملة والثاء المثلثة)

﴿(ثم دخلت سنة سبع وستين)﴾

﴿(ذكر مقتل ابن زياد)﴾

ولما سار ابراهيم بن الاشتر من الكوفة أسرع السير ليلقوا ابن زياد قبل أن يدخل أرض العراق وكان ابن زياد قد سار في عسكر عظيم من الشام فبلغ الموصل وملكها كما ذكرناه أولا فسار ابراهيم

في الجنوب من الارض الاكثر منهم وولد بانث في الشمال فيما بين المشرق والمغرب على حسب ما ذكرنا من الامم وتفرقها في الشرق وغيره مما يلي جبل الفتح والباب والابواب (وبقية عاد) في الارض وملكها الجلجان بن الوهم فكانوا يعبدون ثلاثة أصنام وهي سمود وصداء والهماء فبعث الله اليهم هودا على حسب ما قدمناه فكذبوه وهو هود ابن عبد الله بن رباح بن خالد ابن الخلود بن عماد بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح وقد قدمنا ان قوم عاد كانوا عشرة قبائل وقد تقدم ذكر أسمائهم فدعا عليهم هود فمنعوا المطر ثلاث سنين وأجدبت الارض فلم يدر عليهم شرع (وقد كان) من ذكرنا من الامم لا يجحد الصانع جل وعز ويعلمون أن نوحا عليه السلام كان نبيا وأنه وفى لقومه بما وعدهم من العذاب الا أن القوم دخلت عليهم شبه بعد ذلك لتركهم البحث واستعمال النظر ومالت نفوسهم الى الدعة وما تدعو اليه الطبائع من الملاذ والتقليد وكان في نفوسهم هيبة الصانع والقرب اليه بالتماثيل وعبادتها لظنهم أنها قربة

وحالف أرض العراق وأوغل فى أرض الموصل وجعل على مقدمته الطفيل بن لقيط النخعى وكان شجاعا فلما نازل ابن زياد عبى أصحابه ولم يسر الا على تعبية واجتماع الا أنه يبعث الطفيل على الطلائع حتى يبلغ نهر الخازر من بلاد الموصل فنزل بقرية بارشيا وأقبل ابن زياد اليه حتى نزل قريبا منهم على شاطئ الخازر وأرسل عمير بن الحباب السلمى وهو من أصحاب ابن زياد الى ابن الاشتر أن القنى وكانت قيس كلها مضطغنة على ابن مروان من وقعة مرج راهط وجند عبد الملك يومئذ كلب فاجتمع عمير وابن الاشتر فاخبره عمير انه على ميسرة ابن زياد وواعده أن ينهزم بالناس وقال له ابن الاشتر ما رأيك أحندق على واتوقف يومين أو ثلاثة فقال عمير لا تفعل وهل يريدون الا هذا فان المطاولة خير لهم هم كثير أضعافكم وليس يطيق القليل الكثير فى المطاولة ولكن باجر القوم فانهم قد ملؤا عينكم رعبا وان هم شاموا أصحابك وقاتلوهم يوما بعد يوم ومرة بعد مرة لم يسوأهم واجتروا عليهم فقال ابراهيم الآن علمت انك لى ناصح وبهذا أوصانى صاحبى قال عمير أطعمه فان الشيخ قد نرسته الحرب وقاسى منها ما لم يقاسه أحد واذا أصحت فناهضهم وعاد عمير الى أصحابه وأذكى ابن الاشتر نرسه ولم يدخل عينه غمض حتى اذا كان السحر الاول عبى أصحابه وكتب كتائبه وأمر أميرا وجعل سفيان بن يزيد الازدى على ميمنته وعلى بن مالك الجشمى على ميسرته وهو أخو الاحوص وجعل عبد الرحمن بن عبد الله وهو أخو ابراهيم بن الاشتر لامه على الخيل وكانت خيله قليلة وجعل الطفيل بن لقيط على الرجالة وكانت رايته مع مراحم ابن مالك فلما انشق الفجر صلى الصبح بغلس ثم حرج فصف أصحابه وألحق كل أمير بمكانه ونزل ابراهيم يمشى ويحرض الناس وبيمنهم الطفر وسار بهم رويدا فاشرف على تل عظيم مشرف على القوم واد أولئك القوم لم يتحرك منهم أحد فارسل عبد الله بن رهير السلولى ليأتيه بخبر القوم فعاد اليه وقال له قد حرج القوم على هدوء وفشل لقيني رجل منهم وليس له كلام الا يا أبى تراب يا شيعة المختار الكذاب قال فقلت له الذى بيننا أجل من الشتم وركب ابراهيم وسار يحثهم ويذكرهم قتل ابن زياد بالحسين وأصحابه وأهل بيته من السبى والقتل ومنع الماء وحرضهم على قتله وتقدم القوم اليه وقد جعل ابن زياد على ميمنته الحصين بن نمير السكونى وعلى ميسرته عمير بن الحباب السلمى وعلى الخيل شرحبيل بن ذى الكلاع الحميرى فلما تدانى الصفان حمل الحصين بن نمير فى ميمنة أهل الشام على ميسرة ابراهيم فثبت له على بن مالك الجشمى فقتل ثم أخذ رايته فرد بن على فقتل فى رجال من أهل البأس وانهزمت الميسرة فاخذ الراية عبد الله بن وقاء بن حنادة السلولى ابن أخى حبشى بن جنادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل المنهزمين فقال الى يا شرطة الله فاقبل اليه أكثرهم فقال هذا أميركم يقاتل ابن زياد ارجعوا اليه فرجعوا واذا ابراهيم كاشف رأسه ينادى الى شرطة الله أنا ابن الاشتر ان خير فراركم كرا كم ليس مسيأ من أعتب ورجع اليه أصحابه وحملت ميمنة ابراهيم على ميسرة ابن زياد وهم يرجون أن ينهزم عمير بن الحباب كما زعم فقاتلهم عميرا قتالا شديدا وآنف من الفرار فلما رأى ذلك ابراهيم قال لاصحابه اقصدوا هذا السواد الاعظم فوالله لئن هزمناه لا نجفل من ترون بمنة وبسرة انجفال طير ذعرت فمشى أصحابه اليهم فتطاعنوا ثم صاروا الى السيوف والعمد فاضربوا بها مليا وكان صوت الضرب بالحديد كصوت القصارين وكان ابراهيم يقول لصاحب رايته انغمس برايتك فيهم فيقول ليس لى متقدم فيقول بلى فاذا تقدم شد ابراهيم بسيفه ولا يضرب رجلا الا صرعه وكر ابراهيم والرجالة بين يديه كالهم الحملان وحمل أصحابه حملة رجل واحد واشتد القتال فانهزم أصحاب ابن زياد

لهم اليه وكانوا مع ذلك يعظمون موضع الكعبة وكان موضعها على ما ذكرنا ربوة حمراء ووفدت عاد الى مكة يستسقون لهم وكان بمكة يومئذ العمليق فاقاموا على الشرب والله وحتى حسم الحرارنان فبينما معاوية بن بكر يشرحن لهم ما وردوا من أجله وهو

ألا يا ميل ويحك قم فهينم
لعل الله يمطرنا غماما

فيسقى أرض عاد ان عادا
قد آمسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو
به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وان الوحش تأتى أرض عاد
فلا تخشى لرامهم سهاما
وأنتم ههنا فيما اشتهيتم
نهاركم وليلكم التماما

فقبح وفدكم من وفد قوم ولا لبوا التحية والسلاما
ثم ان معاوية بن بكر دعا احدى الحرادة بن فعمت
ألا ياقيل من عوص
ومن عاد بن سام
وعاد كالشمار يع
من الطول الكرام
سقى الله بنى عاد
معاصوب العمام
فاستيقظ القوم من غفلتهم وبادروا الى الاستسقاء لقومهم وفى مجىء السحاب واختيارهم

وقتل من الفريقين قتلى كثيرة وقيل ان عمير بن الحباب أول من انهزم وانما كان قتاله أولا تعذيرا فلما انهزموا قال ابراهيم انى قد قتلت رجلا تحت راية منفردة على شاطئ نهر الخازرفالتمسوه فانى شممت منه رائحة المسك شرقت يداه وغربت رجلاه فالتمسوه فاذا هو ابن زياد قتيلا بضربة ابراهيم فقد قدته بنصفين وسقط كما ذكر ابراهيم فاخذ رأسه وأحرقت جثته وحمل شريك ابن جدير التغلبي على الحصين بن نمير السكوني وهو يظنه عبيد الله بن زياد فاعتنق كل واحد منهما صاحبه فنادى التغلبي اقتلوني وابن ازانية فقتلوا الحصين وقيل ان الذى قتل ابن زياد شريك ابن جدير وكان هذا شريك شهد صفين مع على وأصيبت عينه فلما انقضت أيام على لحق شريك ببيت المقدس وأقام به فلما قتل الحسين عاهد الله تعالى ان ظهر من يطلب بدمه ليقتلن ابن زياد أو ليموتن دونه فلما ظهر المختار للطلب بثار الحسين أقبل اليه وسار مع ابراهيم بن الاشتر فلما التقوا حمل على خيل الشأم بمكحلها صفاصف فامع أصحابه من ربيعة حتى وصلوا الى ابن زياد وثار الرهج فلا تسمع الا وقع الحديد فانهجر عن الناس وهما فيلان شريك وابن زياد والاول أصح وشريك هو القائل

كل عيش فدأراه باطلا * غير ركز الرمح فى ظل الفرس

قال وقتل شرحبيل بن ذى الكلاع الحميرى وادعى قتله سفيان بن يزيد الاردى وورقاء بن عازب الاسدى وعبيد الله بن رهير السلمى وكان عيينة بن أسماء مع ابن زياد فلما انهزم أصحابه حمل أخته هند بنت أسماء وكانت زوجة عبيد الله بن زياد فذهب بها وهو يرتجز

ان نصرمى حبالنا فربما * أرديت فى الهيجا الكمى المعلما

ولما انهزم أصحاب ابن زياد تبعهم أصحاب ابراهيم فكان من غرق أكثر ممن قتل وأصابوا عسكرهم وفيه من كل شئ وأرسل ابراهيم البشارة الى المختار وهو بالمدائن وأنفذ ابراهيم عماله الى البلاد فبعث أخاه عبد الرحمن بن عبد الله الى نصيبين وغلب على سنجار وداراوما والاهما من أرض الجزيرة فولى زفر بن الحرث قرقيسيا وحاجم بن المعمان الباهلى حران والرها وسميساط ونواحيتها وولى عمير بن الحباب السلمى كفرتوثا وطور عبدين وأقام ابراهيم بالموصل وأنفذ رأس عبيد الله ابن زياد الى المختار ومعه رؤس قواده فالقيت فى القصر فجاءت حية دقيقة فحللت الرؤس حتى دخلت فى فم عبيد الله بن زياد ثم خرجت من منخره ودخلت فى منخره وخرجت من فيه فعلت هذا مرارا أخرج هذا الترمذى فى جامعه وقال المغيرة أول من ضرب الزيوف فى الاسلام عبيد الله بن زياد وقال بعض حجاب ابن زياد دخلت معه القصر حين قتل الحسين فاضطرم فى وجهه نارا فقال بكمه هكذا على وجهه وقال لاتحدثن بهذا أحدا وقال المغيرة قالت مرجانة لابنها عبيد الله بعد قتل الحسين ياخبيث قتلت ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاترى الجنة أبدا وقال ابن مفرغ حين قتل ابن زياد

ان المنايا اذا مازرن طاغية * هتكن أستار حجاب وأثواب
أقول بعدا وسحقا عند مصرعه * لابن الخبيثة وابن الكودن الكابى
لا أنت زوجت عن ملك فتمنعه * ولا مشيت الى قوم بأسباب
لا من تزار ولا من جذم ذى يمن * جلمود ذا ألقيت من بين ألهاب
لا تقبل الارض موتاهم اذا قبروا * وكيف تقبل رجسا بين أثواب

وقال سراقة البارقى يمدح ابراهيم بن الاشتر

لما اختاروه منها ما قد
اتضح وفيهم يقول مرثد
ابن سعد من كلمة
عصت عاد رسولهم فاهمسوا
عطاشا لا تبلهم السماء
ألا فيح الاله حلوم عاد
فان قلوبهم قفر هواء
لهم صنم يقال له صمود
يقابله صداء والهباء
فبصرنا النبى سبيل رشد
فأبصرنا الهدى ونأى
العماء
والى موقن فاستيقنوه
بان الله هود هو العلاء
وأن الله هود هو الحى
على الله التوكل والرجاء
وانى لاحق بالامس هودا
واخوته اذا حق المساء
فارسل الله عز وجل على
عاد الريح العقيم من وادهم
فلما رأوا ذلك قالوا هذا
عارض ممطرنا وتباشروا
بذلك فلما سمع هود ذلك
من قولهم قال بل هو
ما استعجلتم به ريح فيها
عذاب أليم الآية فانتهم
الريح يوم الاربعاء فلم تات
الاربعاء الثانية ومنهم حى
فمن أجل ذلك كره الناس
يوم الاربعاء (وقد بينا) فيما
يرد من هذا الكتاب كيفية
ذلك وكيف وقوعه من أيام
الشهر فى باب الشهور
فلما شاهد هود النبى صلى
الله عليه وسلم ما قاله قومه
انفرد هو ومن معه من

أتاكم غلام من عراني مدجج * حري على الاعداء غير نكول
فيا ابن زياد ثوب أعظم هالك * وذق حد ماضي الشفرتين صقيل
حرى الله حيرا شرطة الله انهم * شفوا من عبيد الله أمس غليلي

وقال عمير بن الحباب السلمي يذم جيش ابن زياد

وما كان جيش يجمع الخمر والزنا * محلا اذا الاعداء لاقوا لينصرا

﴿ذكر ولاية مصعب بن الزبير البصرة﴾

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير الحرث بن أبي ربيعة وهو القباع عن البصرة واستعمل عليها أخاه مصعبا فقدمها مصعب متلثما ودخل المسجد وصعد المنبر فقال الناس أمير أمير وجاء الحرث ابن أبي ربيعة وهو الامير وسفر مصعب لثامه فعرفوه وأمر مصعب الحرث بالصعود اليه فاجلسه تحته بدرجة ثم قام مصعب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون الى قوله من المفسدين فاشار بيده نحو الشام وريد أن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين وأشار نحو الحجاز وترى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأشار نحو الكوفة وقال يا أهل البصرة بلغني انكم تلقبون أمراءكم وقد لقبت نفسي بالحرار

﴿ذكر مسير مصعب الى المختار وقتل المختار﴾

ولما هرب أشراف الكوفة من وقعة السبيع أتى جماعة منهم الى مصعب وأتاه شبث بن ربعي على بغلة قد قطع ذنبها وطرف أذنها وشق قباءه وهو ينادي يا غوثاه فرفع خبره الى مصعب فقال هذا شبث بن ربعي وأدخل عليه فاتاه أشراف الكوفة فدخلوا عليه وأخبروه بما اجتمعوا عليه وسألوه المصير لهم والمسير الى المختار معهم وقدم عليه محمد بن الاشعث أيضا واستحثه على المسير وأدناه مصعب وأكرمه لشرفه وقال لاهل الكوفة حين أكثروا عليه لا أسير حتى يأتيني المهلب ابن أبي صفرة وكتب اليه وهو عامله على فارس يستدعيه ليشهد معهم فقال المختار وأبطأ المهلب واعتل شيء من الخراج لكراهية الخروج وأمر مصعب محمد بن الاشعث ان يأتي المهلب يستحثه فاتاه محمد ومعه كتاب مصعب فلما قرأ قال له أما وجد مصعب بريدا غيرك فقال ما أراد بريدا غيري فاراه سواده وأساء وجرمانا عليهم عبيدا فاقبل المهلب معه بجموع كثيرة وأموال عظيمة فقدم البصرة وأمر مصعب بالعسكر عند الجسر الاكبر وأرسل عبد الرحمن بن مخنف الى الكوفة فامره أن يخرج اليه من قدر عليه وان يلقط الناس عن المختار ويدعوهم الى بيعة ابن الزبير سرا ففعل ودخل بيته مستترا ثم سار مصعب فقدم امامه عباد بن الحصين الحبطي التميمي وبعث عمر ابن عبيد الله بن معمر على ميمنته والمهلب على ميسرته وجعل مالك بن مسمع على بكر ومالك بن المنذر على عبد القيس والاحنف بن قيس على تميم وزياد بن عمرو العتكي على الازد وقيس بن الهيثم على أهل العالية وبلغ الخبر المختار فقام في اصحابه فاعلمهم ذلك وندبهم الى الخروج مع أحمر بن شميط فخرج وعسكر بحمام أعين ودعا المختار رؤس الارباع الذين كانوا مع ابن الاشتر وبعثهم مع أحمر بن شميط فسار وعلى مقدمته ابن كامل الشاكري فوصلوا الى المدار وأتى مصعب فعسكر قريبا منه وعبى كل واحد منهما جنده ثم زاحفا فجعل ابن شميط بن كامل على ميمنته وعلى الميسرة عبد الله بن وهيب الخشمي وجعل أبا عمرة مولى عريفة على الموالي فجاء عبد الله ابن وهيب الخشمي الى ابن شميط فقال له ان الموالي والعبيد أولو جور عند المصدوقة وان معهم

المؤمنين وفي ذلك يقول
الهيل بن الهيل
لو أن عادا سمعت من هود
واتبعت طريقة الرشيد
وقد أتى بالوعيد والوعيد
عادا وثمود للقريب والبعيد
ما صبحت عشر القرود
جميعا على الآباء
والجدود
ساقصة الاجساد بالوصيد
ما داجى الوحي لوحود
أحدوثة في الابد الابيد
وقال مهدي بن سعد في شعره
دعاهم حيدة لله هود
فلم يمع المدبر ولا أجابوا
فلما أتوا لا عتو
أصابهم بعيهم لعذاب
وقد كان الآخر من الملوك
الحميري وقد قدمنا ذكره في
هذا الكتاب لما ملك عاد وثمود
وغيرهم وقيل ان أول من
ملك شداد الملوك عاد
ابن عوص ثلثمائة سنة ثم
ملك بعد ابن عوص قال
ولما دثرت هذه الامم من
العرب والعمائل حلت
بهم لديارهم فسكنها غيرهم
من الناس فنزل قوم من بني
حنيفة اليمامة واستوطنوها
وقد كان نزل الجحفة بين
مكة والمدينة وقطنوها
فقال شاعرهم يرثي من
كان في تلك الديار
ان طسما وجرهما وحديسا
والعماليق في السنين
الخوالي
عمروا البيت حقبة ثم ولوا
وانقرت بهم صروف الليالي

رجالا كثيرا على الخيل وأنت تمشي فرهم فليمشوا معك فاني اتخوف ان يطيروا عليها ويسلوك وكان هذا غشا منه للموالي لما كان لقي منهم بالكوفة فاحب ان كانت عليهم الهزيمة وان لا يخو منهم أحد فلم يتهمه ابن شميط ففعل ما اشار به فنزل الموالي معه وجاء مصعب وقد جعل عباد بن الحصين على الخيل فدنا عباد من أحمر واصحابه وقال انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة رسوله والى بيعة المختار والى ان تجعل هذا الامر شورى في آل الرسول فرجع عباد فأخبر مصعبا فقال له ارجع فاحمل عليهم فرجع وحمل على ابن شميط وأصحابه فلم ينزل منهم أحد ثم انصرف الى موقفه وحمل المهلب على ابن كامل فجال بعضهم في بعض فنزل ابن كامل فانصرف عنه المهلب ثم قال المهلب لاصحابه كروا عليهم كرة صادقة فحملوا عليهم حملة منكرة فولوا وصبر ابن كامل في رجال من همدان ساعة ثم انهزم وحمل عمر بن عبيد الله على عبد الله بن أنس فصبر ساعة ثم انصرف وحمل الناس جميعا على ابن شميط فقاتل حتى قتل وتنادوا يا معشر بجيلة وخثعم الصبر فناداهم المهلب الفرار اليوم انجى لكم علام تقتلون أنفسكم مع هذه العبيد ثم قال والله ما ارى كثرة القتل اليوم الا في قومي ومالت الخيل على رجالة ابن شميط فانهزمت وبعث مصعب عبادا على الخيل فقال أيما أسير اخذته فاضرب عنقه وسرح محمد بن الاشعث في خيل عظيمة من أهل الكوفة فقال دونكم ثاركم وكانوا اشد على المنهزمين من اهل البصرة لا يدركون منهزما الا قتلوه ولا يأخذون اسيرا فيعفون عنه فلم ينج من ذلك الجيش الا طائفة اصحاب الخيل واما الرجالة فأبيدوا الا قليلا قال معاوية بن قرة المزني انتهيت الى رجل منهم فادخلت السنان في عينه فاخذت اخضخض عينه به فقيل له أفعلت هذا فقال نعم انهم كانوا عندنا أحل دماء من البرك والديلم وكان معاوية هذا قاضي البصرة فلما فرغ مصعب منهم أقبل حتى قطع من تلقاء واسط ولم يكن يبيت بعد فاخذ في كسكر ثم حمل الرجال انقالهم والضعفاء في السفن فاخذوا في نهر خرشاد ثم خرجوا الى نهر قوسان ثم خرجوا الى الفرات وأتى المختار خبر الهزيمة ومن قتل بها من فرسان أصحابه فقال ما من الموت بد وما من ميتة أموتها أحب الي من ان أموت ميتة ابن شميط فعلموا انه ان لم يبلغ ما يريد يقاتل حتى يقتل ولما بلغه ان مصعبا قد أقبل اليه في البر والبحر سار حتى وصل السلحين ونظر الى مجتمع الانهار نهر الخريرة ونهر السلحين ونهر القادسية ونهر رسف فسكر الفرات فذهب ماؤها في هذه الانهار وبقيت سفن أهل البصرة في الطين فلما رأوا ذلك خرجوا من السفن الى ذلك السكر فاصلحوه وقصدوا الكوفة وسار المختار اليهم فنزل حروراء وحال بينهم وبين الكوفة وكان قد حصن القصر والمسجد وادخل اليه عدة الحصار وأقبل مصعب وقد جعل على ميمنته المهلب وعلى ميسرته عمر بن عبيد الله وعلى الخيل عباد بن الحصين وجعل المختار على ميمنته سليم بن يزيد الكندي وعلى ميسرته سعيد بن منقذ الهمداني وعلى الخيل عمرو بن عبد الله الهندي وعلى الرجالة مالك ابن عبد الله النهدي وأقبل محمد بن الاشعث فيمن هرب من أهل الكوفة ونزل بين مصعب والمختار فلما رأى ذلك المختار بعث الى كل جيش من أهل البصرة رجلا من أصحابه وتداني الناس فحمل سعيد بن منقذ على بكر وعبد القيس وهم في ميمنة مصعب فاقتتلوا قتالا شديدا فارسل مصعب الى المهلب ليحمل على من بازائه فقال ما كنت لاجزر الازد خشية أهل الكوفة حتى أرى فرصتي وبعث المختار الى عبد الله بن جعدة بن هبيرة المخزومي فحمل على من بازائه وهم أهل العالية فكشفهم فانتهوا الى مصعب فجثا مصعب على ركبته وبرك الناس عنده فقاتلوا ساعة وتحاجزوا ثم ان المهلب حمل في أصحابه على من بازائه فحطموا أصحاب المختار حطمة منكرة فكشفوهم

وأراك الزمان منهم وأضحى غيرهم ساكنا بتلك الخوالي ورماهم ريب الزمان فماسوا دورهم بلقع لمر الشمال (وقد كان نزل) بلاد الجحفة بين مكة والمدينة عبيد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح هو وولده فهلكوا بالسيل فسمي ذلك الموضع بالجحفة لاجحافها عليهم (وكان) يثرب بن قانة بن مهليل بن ارم بن عبيد نزل بالمدينة هو وولده ومن بعده فسميت به يثرب فهلك هؤلاء أيضا ببعض غوائل الدهر وآفاته فقال شاعرهم عين جودي على عبيد برجع بأماق فيضانها بانسجام عمروا يثربا ليس بهم سفه رولا صارخ ولا ذو سنام غرسوا النخل فيها عجري معين ثم حفوا السيل بالارحام (وقد أخبر الله) جل قدرته عنهم فقال كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية (وقد تنازع) أهل الشرائع في قوم شعيب بن نوفل بن رعيل ابن مرين عنقاء بن مدين بن ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وكان لسانه العربية فمنهم من رأى انهم من العرب الدائرة والامم البائدة وبعض

وقال عبد الله بن عمرو النهدى وكان ممن شهد صفين اللهم انى على ما كنت عليه بصفين اللهم ابرأ اليك من فعل هؤلاء لاصحابه وابرأ اليك من أنفس هؤلاء يعنى أصحاب مصعب ثم جالد بسيفه حتى قتل وانقضت أصحاب المختار كأنهم اجمة فضرب فيها بار وحمل مالك بن عبد الله النهدى وهو على الرجالة ومعه نحو خمسين رجلا وذلك عند المساء على أصحاب ابن الاشعث حملة منكرة فقتل ابن الاشعث وقتل عامة أصحابه وقاتل المختار على فم سكة شبث عامة ليلته وقاتل معه رجال من أهل البأس وقاتلت معه همدان أشد قتال وتفرق الناس عن المختار فقال له من معه أيها الامير اذهب الى القصر فجاءه حتى دخله فقال له بعض أصحابه الم تكن وعدتنا الظفر وانا سنهزمهم فقال اما قرأت فى كتاب الله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب فقيل ان المختار أول من قال بالبداء فلما اصبح مصعب اقبل يسير فيمن معه نحو السبخة فمر بالمهاب فقال له المهاب يا له فنحاما اهناه لو لم يقتل محمد بن الاشعث قال صدقت ثم قال مصعب للمهاب ان عبيد الله بن على بن ابى طالب قد قتل فاسترجع المهاب فقال مصعب قد كنت أحب ان يشهد هذا الفتح أتدرى من قتله انما قتله من يزعم انه شيعة لابيه ثم نزل السبخة فقطع عنهم الماء والمادة وقاتلهم المختار وأصحابه قتالا ضعيفا واجترأ الناس عليهم فكانوا اذا خرجوا رماهم الناس من فوق البيوت وصبوا عليهم الماء القذر وكان أكثر معاشهم من النساء تأتى المرأة متخفية ومعها القليل من الطعام والشراب الى أهلها فنعاهن مصعب بالنساء فنعهن فاشتد على المختار وأصحابه العطش وكانوا يشربون ماء البئر يعملون فيه العسل وكان ذلك مما روى بعضهم ثم ان مصعبا أمر اصحابه فاقتربوا من القصر واشتد الحصار عليهم فقال لهم المختار ويحكم ان الحصار لا يزيدكم الا ضعفا فاخرجوا بنا فنقاتل حتى نقتل كراما ان نحن قتلنا فوالله ما بأيس ان صدقتموهم أن ينصركم الله فضعفوا ولم يفعلوا فقال لهم اما انا فوالله لا أعطى بيدى ولا أحكمكم فى نفسى واذا خرجت فقتلت لم يزدادوا الا ضعفا وذلا فان نزلتم على حكمهم وثبت اعداؤكم فقتلوكم وبعضكم ينظر الى بعض فتقولون يا ليتنا أطعنا المختار ولو انكم خرجتم معى كنتم ان اخطأتم الظفر تموتوا كراما فلما رأى عبد الله بن جعدة بن هبيرة ما عزم عليه المختار تدلى من القصر فلحق بناس من أخوانه فاختفى عندهم سرا ثم ان المختار طيب وتحنط وخرج من القصر فى تسعة عشر رجلا منهم السائب بن مالك الاشعرى وكانت تحته عمرة بنت أبى موسى الاشعرى فولدت له غلاما اسمه محمدا فلما أخذ القصر وجد صبيا فتركوه فلما خرج المختار قال للسائب ماذا ترى قال ما ترى أنت قال ويحك يا احمق انما نا رجل من العرب رأيت ابن الزبير قد وثب بالحجاز ورأيت ابن نجدة وثب باليمامة ومروان بالشام وكنت فيها كاحدهم الا انى قد طلبت بثار أهل البيت اذ نمت عنه العرب فقاتل على حسبك ان لم يكن لك نية فقال انا لله وانا اليه راجعون ما كنت أصنع ان أقاتل على حسبى ثم تقدم المختار فقاتل حتى قتل قتله رجلان من بنى حنيفة اخوان أحدهما طرفة والآخر طراف ابنا عبد الله بن حاجبة فلما كان الغد من قتله دعاهم بحير بن عبد الله المسكى ومن معه بالقصر الى ما دعاهم المختار فأبوا عليه وامتنعوا أصحاب مصعب من أنفسهم ونزلوا على حكمه فاخرجوهم مكتفين فاراد اطلاق العرب وقتل الموالى فأبى أصحابه عليه فعرضوا عليه فامر بقتلهم وعرض عليه بحير المسكى فقال لمصعب الحمد لله الذى ابتلانا بالاسر وابتلاك بان تعفو عنا هما منزلتان احداهما رضا الله والاخرى سخطه من عفا عفا الله عنه وزاد عزا ومن عاقب لم يأمن القصاص يا ابن الزبير نحن أهل قبلتكم وعلى ملتكم ولسنا تركا ولا ديلما فانما خالفنا اخواننا من أهل مصرنا

من ذكرنا من الاجيال الخالية ومنهم من رأى انهم من ولد المحض بن جندل بن يعصب بن مدين ابن ابراهيم وأن شعيبا أخوهم فى النسب وقد كانوا عدة ملوك تفرقوا فى ممالك متصلة فمنهم المسمى بالى جاد وهوز وحطى وكلمن وسمفص وقرشت وهم على ما ذكر ابنو المحض ابن جندل وأحرف الجمل هى أسماء هؤلاء الملوك وهى التسعة والعشرون حرفا التى عليها حساب الجمل وقد قيل فى هذه الاحرف غير ما ذكرنا من الوجوه على حسب ما قدمنا فى هذا الكتاب وليس كتابنا هذا موضعا لما قاله الناس فيها ونزاعوا فى تأويلها والمراد بها وكان أبجد ملك مكة وما يليها من الحجاز وكان هوز وحطى ملكين ببلاد وج وهى أرض الطائف وما اتصل بذلك من أرض نجد وكلمن وسعفص وقرشت ملوكا بمدين وقيل ببلاد مصر وكان كلمن على ملك جميع من سميا مشتاعا متصلا على ما ذكرنا وان عذاب يوم الظلة كان فى ملك كلمن منهم وان شعيبا دعاهم فكذبوه ووعدهم بعذاب يوم الظلة ففتح عليهم باب من السماء من

فاما ان يكن اصبنا أو اخطأنا فاقتتلنا بيننا كما اقتتل اهل الشام بينهم ثم اجتمعوا كما اقتتل أهل البصرة واصلحوا واجتمعوا وقد لمكتم فاسمعوا وقد قدرتم فاعفوا فازال بهذا القول حتى رق لهم الناس ومصعب وأراد ان يخلى سبيلهم فقام عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فقال اتخلى سبيلهم اخترنا أو اخترهم وقام محمد بن عبد الرحمن بن سعيد الهمدانى فقال مثله وقام اشراف الكوفة فقالوا مثلهما فامر بقتلهم فقالوا له يا ابن الزبير لا تقتلنا واجعلنا على مقدمتك الى أهل الشام غدا فنكون عنا غنى فان قتلنا لم نقتل حتى نفضفهم لكم وان ظفرنا بهم كان ذلك لكم فابى عليهم فقال بحير المسكى لا تخلط دمى بدمائهم اذ عصونى فقتلهم وقال مسافر بن سعيد بن نمران الماعطى ماتقول يا ابن الزبير لرجل غدا وقد قتلت أمة من المسلمين حكموك فى أنفسهم صبرا قتلوا منا بعدة من قتلنا منكم ففينا رجال لم يشهدوا موطنا من حربنا يوما واحدا كانوا فى السواد وجباية الخراج وحفظ الطرق فلم يسمع منه وأمر بقتله ولما أراد قتلهم استشار مصعب الاحنف بن قيس فقال أرى ان تعفو فان العفو أقرب للتقوى فقال اشراف اهل الكوفة اقتلهم وضجوا فقتلوهم فلما قتلوا قال الاحنف ما ادركتم بقتلهم ثارا فليتنه لا يكون فى الآخرة وبالا وبعثت عائشة بنت طلحة امرأة مصعب اليه فى اطلاقهم فوجدهم الرسول قد قتلوا وأمر مصعب بكف المختار بن أبى عبيدة فقطعت وسمرت بمسمار الى جانب المسجد فبقيت حتى قدم الحجاج فنظر اليها وسأل عنها فقيل هذا كف المختار فامر بنزعها وبعث مصعب عماله على الجبال والسواد وكتب الى ابراهيم ابن الاشتر يدعوه الى طاعته ويقول له ان أطعتنى فلك الشام وأعنة الخيل وما غلبت عليه من أرض المغرب مادام لآل الزبير سلطان وأعطاه عهد الله على ذلك وكتب عبد الملك بن مروان الى ابن الاشتر يدعوه الى طاعته ويقول ان أنت اجبتنى فلك العراق فاستشار ابراهيم أصحابه فاختلفوا فقال ابراهيم لو لم أكن اصبت ابن زياد واشراف الشام لاجبت عبد الملك مع انى لا اختار على اهل مصرى وعشيرتى غيرهم فكتب الى مصعب بالدخول معه فكتب اليه مصعب أن أقبل فاقبل اليه بالطاعة فلما بلغ مصعبا اقباله اليه بعث المهلب على عمله بالموصل والجزيرة وارمينية واذربيجان ثم ان مصعبا دسا لام ثابت بنت سمرة بن جندب امرأة المختار وعمرة بنت النعمان بن بشير الانصارية امرأته الاخرى فاحضرهما وسألهما عن المختار فقالت أم ثابت نقول فيه بقولك أنت فاطلقها وقالت عمرة رحمه الله كان عبد الله صالحا فحبسها وكتب الى أخيه عبد الله ابن الزبير انه زعم انه نبى فامره بقتله فقتلت ليلا بين الكوفة والحيرة قتلها بعض الشرط بنشر بها ثلاث ضربات بالسيف وهى تقول يا ابتاه يا عمرتاه فرفع رجل يده فلطم القاتل وقال يا بن الرايبة عذبتها ثم تشحطت فماتت فتعلق الشرطى بالرجل وحمله الى مصعب فقال خلوه فقد رأى امرا فظيعا فقال عمرو بن أبى ربيعة المخزومى فى ذلك

ان من أعجب العجائب عندى * قتل بيضاء حرة عطبول
قتلت هكذا على غير جرم * ان لله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا * وعلى المحصنات جر الذيول

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصارى فى ذلك أيضا

أنى راكب بالامر ذى النبأ العجب * بقتل ابنة النعمان ذى الدين والحسب
بقتل فتاة ذات دل ستيرة * مهذبة الاخلاق فى الخيم والنسب
مطهرة من نسل قوم أكارم * من المؤثرين الخير فى سالف الحقب

نار ونجا شعيب بمن آمن معه الى الموضع المعروف بالايكة وهى غيضة نخو مدين فلما أحس القوم بالملاء واشتد عليهم الحر وأيقنوا بالهلاك طلبوا شعيبا ومن آمن معه وقد أظلتهم سحابة سوداء طيبة النسيم والهواء لا يجدون فيها ألم العذاب فاخرجوا شعيبا ومن آمن معه من موضعهم وأراهم عن أماكنهم ونوهوا أن ذلك يجيئهم مما نزل بهم فجعلها الله عليهم نارا فاتت عليهم فرثت حارثة بنت كلمن أباها فقالت وكانت بالخمار كلمن هدم ركنى هلكه وسط المحله سيد القوم أتاه الـ حتف نار اتحت ظله كونت نارا وأضحت دار قومى مضمحله وفى ذلك يقول المنتصر ابن المنذر المدينى ألا يا شعيب قد نطقت مقاله أتيت بها عمرا وحى بنى عمرو وهم ملكوا أرض الحجاز وأوجها كمثل شعاع الشمس فى صورة البدر ملوك بنى حطى وسمفص ذى الندى وهو زأرباب الثنية والحجر هم وطئوا البيت الحرام

حليل النبي المصطفى ونصيره * وصاحبه في الحرب والضرب والكرب
أتاني بأن الملحدين توافقوا * على قتلها الا أحسنوا القتل والسلب
فلاهما آل الزبير معيشة * وذاقوا لباس الذل والخوف والحرب
كأنهم اذ أزروها وقطعت * بأسيافهم فاروا عمد العرب
ألم تحجب الاقوام من قتل حرة * من المحصنات الدين محمودة الادب
من العاقلات المؤمنات بربها * من الدم والبهتان والشك والكذب
عليها ذيول القتل والبأس واحب * وهن العفاف في الحال وفي الحجب
على دين أحداد لها وأبوة * كرام مضت لم تحزأهلا ولم ترب
من الحسرات لا حروج ربه * ولا دمعة تبقى على حارها الحدب
ولا لحاردى القرنى ولم تدر ما الحيا * ولم تردلف يوما نسوه ولم تحب
تحبت لها اذ كنت وهي حبيبة * الا ان هذا الحطب من أعجب العجب

وقيل ان المختار انما أظهر الخلاف لابن الزبير عند قدوم مصعب البصرة وان مصعبا لما سار اليه وعلم مسيره أرسل اليه أحمر بن شميط وأمره ان يواقعه بالمدار وقال ان الفتح بالمدار لانه يعلم ان رجلا من ثقيف يفتح عليه بالمدار ففتح عليه هو وانما كان ذلك للحجاج في قتال عبد الرحمن بن الاشعث وأمر مصعب عباد الحطمي بالمسير الى جمع المختار فتقدم وتقدم معه عبيد الله بن علي بن أبي طالب وبقي مصعب على نهر لصريين وخرج المختار في عشرين ألفا وزحف مصعب ومن معه فواقوه مع الليل فقال المختار لاصحابه لا يبرحن أحد منكم حتى يسمع منادينا ينادي يا محمد فاذا سمعتموه فاحملوا فلما طلع القمر اذا منادي ينادي يا محمد فحملوا على أصحاب مصعب فهزموهم وأدخلوهم عسكرهم فلم يزالوا يقاتلونهم حتى أصبحوا وأصبح المختار وليس عنده أحد وأصحابه قد وغلوا في أصحاب مصعب فانصرف المختار منهزما حتى دخل قصر الكوفة ومن معه من أصحابه حين أصبحوا فوقفوا عليا فلم يروا المختار فقالوا قد قتل فهرب منهم من أطاق الهرب ودخلوا دور الكوفة ووجههم بحوا لصر غلمانه آلاف فوجدوا المختار في القصر قد حاصروا عليه وكانوا قد قتلوا تلك الليلة من أصحاب مصعب خلقا كثيرا منهم محمد بن الاشعث وأقبل مصعب فأحاط بالقصر وحاصرهم أربعة أشهر يخرج المختار كل يوم فيقاتلهم في سوق الكوفة فلما قتل المختار بعث من في القصر يطلب الامان فاتى مصعب فنزلوا على حكمه فقتل من العرب سبعمائة أو نحو ذلك وسائرهم من العجم وكان عدد القتلى ستة آلاف رجل ولما قتل المختار كان عمره سبعا وستين سنة وكان قتله لاربع عشرة خلت من رمضان سنة سبع وستين قيل ان مصعبا لقي ابن عمر فسلم عليه وقال له أبا ان احيث مصعب فقال له ابن عمر أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة غير مأثم ذلك فقال مصعب انهم كانوا كفرة فجرة فقال والله لو قتلت عدتهم غنما من تراث أبيك لكان ذلك سرفا وقال ابن الزبير لعبد الله بن عباس ألم يبلغك قول الكذاب قال ومن الكذاب قال ابن أبي عبيد قال قد بلغني قول المختار قال كانك بكرت تسميته كذابا ومتوجع له قال ذاك رجل قتل قتلنا وطلب ثارنا وشفى غليل صدورنا وليس جزاؤه عندنا الشتم والشماتة وقال عروة بن الزبير لابن عباس قد قتل الكذاب المختار وهدأ رأسه فقال ابن عباس قد بقيت لكم عجيبة كؤود فان صعدتموها فانتم أنتم والا فلا يعني عبد الملك بن مروان وكانت هدايا المختار تأتي ابن عمر وابن الحنفية فيقبلانها وقيل رد ابن عمر هديته

ورموا
طيرا و اموافى الاكارم
وانحر
(وهؤلاء الموالي) أخبار
عجيبة من حروب وسير
وكيفية تغلبهم على هذه
الممالك وتملكهم عليها
واستيلائهم من كان قبلهم
وعليها من الامم قد أتينا
على ذكرها فيما تقدم من
كتابنا في هذا المعنى مما
كتبنا هذا مبنيا عليها
وباعثا على درسها (وأما
وحصورا) وكانت أمة
عظيمة ذات بطش وشدة
غلبت على كثير من
الارض و الممالك وقد
تنازع الناس فيهم فمنهم من
الحقهم بمن ذكرنا من العرب
لانه ممن سمينا ومنهم
من زعم انهم من ولد يافث
ابن نوح وقيل في اسمائهم
غير ما ذكرنا من نوحوه
وقد كان بعث الله عز وجل
اليهم شعيب بن ذي مهدم
ان حصورا بن عدي فيما
ذهبوا عما كانوا عليه وهذا
غير شعيب بن نوفل بن
رعيل بن مرين عيفاء بن
مدين بن ابراهيم الخليل
صاحب مدين المتزوج
اليه موسى بن عمران المتقدم
ذكره وبينهما مئون من
السنين وقد كان بين موسى
ابن عمران وبين المسيح ألف
سنة وما بعث الى حصورا

﴿ذكر عزل مصعب بن الزبير وولاية حمزة بن عبد الله بن الزبير﴾

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير أخاه مصعبا عن العراق بعد ان قتل المختار وولى مكانه ابنه حمزة بن عبد الله وكان حمزة جوادا مخلطا يجود احيانا حتى لا يدع شيأ يملكه ويمنع احيانا ما لا يمنع مثله وظهر منه بالبصرة خفة وضعف فيقال انه ركب يوما فرأى فيض البصرة فقال ان هذا الغدير ان رفقوا به ليكفينهم ضيعتهم فلما كان بعد ذلك رآه جارا فقال قد قلت لو رفقوا به لكفاهم وظهر منه غير ذلك فكتب الاحنف الى أبيه وسأله ان يعزله عنهم ويعيد مصعبا عليهم فاحتمل مالا كثيرا من مال البصرة فعرض له مالك بن مسمع فقال له لا ندعك تخرج بعطايانا فضمن له عبيد الله بن عبد الله العطاء فكف عنه وشخص حمزة بالمال وأتى المدينة فاودعه رجالا فجحدوه الا رجلا واحدا فوفى له وبلغ ذلك اباه فقال أبعده الله اردت ان أباهى به بني مروان فنكس وقيل ان مصعبا أقام بالكوفة سنة بعد قتل المختار معزولا عن البصرة عزله أخوه عبد الله واستعمل عليها ابنه حمزة ثم ان مصعبا وفد على أخيه عبد الله فرده على البصرة وقيل بل انصرف مصعب الى البصرة بعد قتل المختار واستعمل على الكوفة الحرث بن ابي ربيعة وكانت في عمله فعزله أخوه عن البصرة واستعمل ابنه حمزة ثم عزل حمزة بكتاب الاحنف وأهل البصرة وردّ مصعبا

﴿ذكر عدة حوادث﴾

حج بالناس عبد الله بن الزبير وكان عامله على الكوفة والبصرة من تقدم ذكره وكان على قضاء الكوفة عبد الله بن عتبة بن مسعود وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وبالشام عبد الملك بن مروان وبخراسان عبد الله بن خازم وفي هذه السنة مات الاحنف بن قيس بالكوفة مع مصعب وقيل مات سنة احدى وسبعين بالكوفة لما سار مصعب الى قتال عبد الملك بن مروان وقتل هبيرة ابن مريم مولى الحسين بن علي بالخازرو هو من أصحاب المختار وثقات المحدثين وفيها توفي جماده ابن أبي أمية وادرك الجاهلية وليست له صحبة وقتل مصعب عبد الرحمن وعبد الرب ابني حجر بن عدي وعمران بن حذيفة بن اليمان قتلهم صبرا بعد قتل المختار وبعد قتل أصحابه

﴿ثم دخلت سنة ثمان وستين﴾

﴿ذكر عزل حمزة وولاية مصعب البصرة﴾

وفي هذه السنة ردّ عبد الله بن الزبير أخاه مصعبا الى العراق وسببه ان الاحنف رأى من حمزة بن عبد الله اختلاطا وحمقا فكتب الى أبيه فعزله وردّ مصعبا واستعمل على الكوفة الحرث بن أبي ربيعة وقيل كان سبب عزله حمزة انه قصر بالاشراف وبسط يده فنزعوا الى مالك بن مسمع فضرب خيمته على الجسر ثم أرسل الى حمزة الحق بابيك واخرجه عن البصرة فقال العديل العجلي

اذا ما خشيت اميرا من أمير ظلامة * دعونا أبا سفيان يوما فسكرا

﴿ذكر حروب الخوارج بفارس والعراق﴾

في هذه السنة استعمل مصعب عمر بن عبيد الله بن معمر على فارس وولاه حرب الازارقة وكان المهلب على حربهم ايام مصعب الاولى وايام حمزة بن عبد الله بن الزبير فلما عاد مصعب أراد ان يولي المهلب بلاد الموصل والجزيرة وارمينية ليكون بينه وبين عبد الله بن مروان فكتب اليه وهو بفارس في القدوم عليه فقدم واستخلف على عمله ابنه المغيرة ووصاه بالاحتياط وقدم البصرة فعزله مصعب عن حرب الخوارج وبلاد فارس واستعمل عليهم اعمر بن عبيد الله بن معمر فلما سمع الخوارج به قال قطري بن الفجاءة قد جاءكم شجاع وهو شجاع وبطل وجاءه يقاتل لدينه وملكه واشد كفرهم جدّ نبيهم شعيب ابن ذي مهدم في دعائهم وخوفهم وتوعدهم فقتلوه من بعد ظهور معجزات كانت له ودلائل أظهرها الله على يديه تدل على صدقه وثبوت حجته على قومه فلم يضع الله دمه ولم يكذب وعيده فارجى الله تعالى الى نبي كان في عصره وهو برخيا بن أحبيا ابن روبايل بن شالتيال وكان من سبط يهودا بن اسرائيل بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام أن ياتي بختنصر وكان بالشام وقيل غيره من الملوك فيأمره أن يغزو العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم فلما أتى برخيا ذلك الملك قال له الملك صدقت لي سبع ليال أو مر في نومي بما دكرت وأنادي مجيئك الى وأبشر ويقال لي ما أمرتني به وأنا انتصر للنبي المقتول المظلوم الفريد فسار اليهم في جنوده وغشي ديارهم في عساكره وصاح بهم صائح من السماء وقد استعدوا لحربه من حيث عم الصوت جميعهم وهو يقول سيغلب قوم غالبوا الله جهرة وان كايدوه كان أقوى وأكيدا

طبيعة لم أر مثلها لاحد ما حضر حربا الا كان أول فارس يقتل قرنه وكان الخوارج قد استعملوا
عليهم عبيد الله بن الماحوز الزبير بن الماحوز على ما ذكرناه سنة خمس وستين فجاءت
الخوارج الى المصطخر فقدم اليهم عمر ابنه عبيد الله في خيل فاقتتلوا فقتل عبيد الله بن عمر وأراد
الزبير بن الماحوز قتال عمر فقال له قطري ان عمر موتور فلا تقاتله فابى فقاتله فقتل من فرسان
الخوارج تسعون رجلا وطعن عمر صالح بن مخارق فشترمه وضرب قطريا على جبينه فشقه
وانهزمت الخوارج وساروا الى سابور فعاد عمر ولقيهم بها ومعه مجاعة بن سعر فقتل مجاعة بعمود
كان معه أربعة عشر رجلا من الخوارج وكاد عمر يهلك في هذه الوقعة فدافع عنه مجاعة فوهب
له عمر سبعمائة ألف درهم فقيل في ذلك

قد ذدت عادية الكتيبة عن فتى * قد كاد يترك لحمه اقطاعا

وظهر عليهم فساروا وقطعوا قنطرة بينهما يمتنع من طلبهم وقصدوا نحو اصبهان فاقاموا عندها
حتى قووا واستعدوا ثم اقبلوا حتى مروا بنارس وبها عمر فقطعوها في غير الموضع الذي هم به أخذوا
على سابور ثم على أرجان حتى أتوا لاهوز فقال مصعب العجب لعمر قطع هذا العدو الذي هو بصدد
محاربته أرض فارس ثم يقاتلهم ولو قاتلهم وفر كان اعذر له وكتب اليه يا ابن معمر ما اصفتني تجبى
الي وتحيد عن العدو فاكفني أمرهم فسار عمر من فارس في أثرهم مجدا يرجو ان يلحقهم قبل ان
يدخلوا العراق وخرج مصعب فعسكر عند الجسر الاكبر وعسكر الناس معه وبلغ الخوارج وهم
بلاهوز اقبال عمر اليهم وان مصعبا قد خرج من البصرة اليهم فقال لهم الزبير بن الماحوز من
سوء الرأي وقوعكم بين هاتين الشوكتين انهضوا بنا الى عدونا لقيهم من وجه واحد فسار بهم
فقطع بهم أرض حوخى والنهروانات فاتى المدائن وبها كردم بن مرثد القرادي فشنوا الغارة على
أهل المدائن يقتلون الرجال والنساء والولدان ويشتون أجواف الحبالى فهرب كردم وأقبلوا الى
ساباط ووضعوا السيف في الناس يقتلون وارسلوا جماعة الى الكرج فلقوا أبا بكر بن مخنف فقاتلهم
قتالا شديدا فقتل أبو بكر وانهزم أصحابه وافسد الخوارج في الارض فاتى اهل الكوفة اميرهم
وهو الحرث بن ابي ربيعة ولقبه القباع فصاحوا به وقالوا اخرج فان العدو قد ابطلنا ليست له
بقية فخرج حتى نزل النخيلة فاقام اياما فوثب اليه ابراهيم بن الاشتر فحثه على المسير فسار حتى
نزل دير عبد الرحمن فاقام به حتى دخل اليه شبث بن ربعي فامره بالمسير فلما راى الناس بطء
مسيره رحلوا به فقالوا

سار بنا القباع سيرا نكرا * يسير يوما ويقيم شهرا

فسار من ذلك لمكان فكان كلما نزل منزلا اقام به حتى يصيح به الناس فبلغ الفرات في بضعة
عشر يوما فاتاها وقد انتهى اليها الخوارج فقطعوا الجسر بينهم وبينه واخذوا رجلا اسمه
سماك بن يزيد ومعه بنت له فاخذوها ليقتلوها فقالت لهم يا اهل الاسلام ان ابي مصاب فلا
تقتلوه واما انا فجزية والله ما اتيت فاحشة قط ولا آذيت جارة لي ولا تطلعت ولا تشرفت قط فلما
ارادوا قتلها سقطت ميتة فقطعوها باسيافهم وبقي سماك معهم حتى اشرفوا على الصراة
فاستقبل أهل الكوفة فناداهم اعبروا اليهم فانهم قليل خبيث فضربوا عنقه وصلبوه فقال ابراهيم
بن الاشتر للحرث اندب معي الناس حتى أعبر الى هؤلاء الكلاب فاجيئك برؤسهم فقال شبث
واسماء بن خارجة ويزيد بن الحرث ومحمد بن عمير وغيرهم أصلح الله الامير دعهم وليذهبوا وكانهم
حسدوا ابراهيم فلما رأى الخوارج كثرة الناس قطعوا الجسر واغتم ذلك الحرث فحبس ثم

كذلك يصل الله من زين قلبه
مريضا ومن ولى النفاق وأهله
فلما سمعوا ذلك علموا أن
الامر قد نزل بهم فانفضت
جنودهم وتفرقت جموعهم
وولت كتائبهم وأخذهم
السيف فحصدوا أجمعين
(وقد ذكر) أن في قصة
هلاكهم قال الله عز وجل
من قبل فلما أحسوا بسنا
أسنا هم منها يركضون وقد
توزع في ديارهم والموضع
الذي كانوا فيه فمن الناس
من رأى انهم كانوا ارض
السماوة وانها كانت عمرت
متصلة ذات جنان وديار
متدفقة ودنث بين العراق
والشام الى حد الحجاز وهي
الآن ديار خراب برارى
وقفار ومنهم من راى
ان ديارهم كانت من بلاد
سورية وهذه المدن في
هذا الوقت مضافة الى
اعمال حلب من بلاد
قنسرين من ارض الشام
(قال المسعودي) وقد اتينا
على جمل من اخبار العرب
الماضية والباقية وقد كان
قبل ظهور الاسلام للباقي
منهم مذاهب وآراء في
النوس ويقول الغيلان
من الهواتف والجن سنورد
جملا منها مفردة على
حسب ما يقتضيه شرط

جلس للناس فقال أما بعد فان أول القتال الرمية بالنبل واشراع الرماح والطعن ثم الطعن شزرا ثم السلة آخر ذلك كله فقال له رجل قد أحسن الامير الصفة ولكن متى نصنع هذا وهذا البحر بيننا وبينهم فر بهذا الجسر فليعقد ثم عبرنا اليهم فان الله سيريك ما تحب فعقد الجسر وعبر الناس فطارد الخوارج حتى أتوا المدائن وطاردت بعض خيلهم عند الجسر طرادا ضعيفا فرجعوا فاتبعهم الحرث عبد الرحمن بن مخنف في ستة آلاف ليخرجهم من أرض الكوفة وقال له اذا وقعوا في أرض البصرة فاتركهم فسار عبد الرحمن يتبعهم حتى وقعوا في أرض أصبهان فرجع عنهم ولم يقاتلهم وقصدوا الري وعليها يزيد بن الحرث بن رويم الشيباني فقاتلهم فاقتتلوا فهزم أهل الري الخوارج فقتل يزيد وهرب ابنه حوشب ودعاه أبوه ليدفع عنه فلم يرجع فقال بعضهم

فلو كان حر احوشب داحنبظة * رأى ما رأى في الموت عيسى بن مصعب

يعني ان عيسى بن مصعب لم يفر عن أبيه بل قاتل عنه معه حتى قتل وقال بشر بن مروان يوما وعنده حوشب هذا وعكرمة بن ربعي من يدلي على فرس جواد فقال عكرمة فرس حوشب فانه نجاء اليه يوم الري وقال بشر أيضا يوما من يدلي على بغلة قوية الظهر فقال حوشب بغلة واصل بن مسافر كان عكرمة يتهم بامرأة واصل فتبسم بشر وقال لقد انتصفت ولما فرغ الخوارج من الري انحطوا الى أصبهان فحاصروها وبها عتاب بن ورقاء الصريمي وكان يقاتلهم على باب المدينة ويرمون من السور بالنبل والحجارة وكان مع عتاب رجل من حضرموت يقال له أبو هريرة فكان يحمل عليهم ويقول

كيف ترون يا كلاب النار * شد أبي هريرة الهرار
بهركم بالليل والنهار * يا ابن أبي ماحوز والاشرار
* كيف ترى حربي على المضمار *

فلما طال ذلك على الخوارج كمن له رجل منهم ذات يوم فضربه بالسيف على حبال عاتقه فصرعه فاحتمله أصحابه وداووه حتى برأ وخرج اليهم على عادته ثم ان الخوارج أقامت عليهم أشهرا حتى نفدت أطعمتهم واشتد عليهم الحصار وأصابهم الجهد الشديد فقال لهم عتاب أيها الناس قد نزل بكم من الجهد ما ترون وما بقي الا أن يموت أحدكم على فراشه فيدفنه أخوه ان استطاع ثم يموت هو فلا يجد من يدفنه ولا يصلي عليه والله ما أنتم بالقليل وانكم الفرسان الصلحاء فاخرجوا بنا الى هؤلاء وبكم قوة وحياة قل ان نصعوا عن الحركة من الجهد فوالله اني لارجو ان صدقتموهم أن تظفروا بهم فاجابوه الى ذلك

﴿ذكر قتل ابن الماحوز وامارة قطري بن الفجاءة﴾

لما أمر عتاب أصحابه بقتال الخوارج وأجابوه الى ذلك جمع الناس وأمر لهم بطعام كثير ثم خرج حين أصبح فاتى الخوارج وهم آمنون فحملوا عليهم فقاتلوهم حتى أخرجوهم من عسكرهم وانتهوا الى الزبير بن الماحوز فنزل في عصابة من أصحابه فقاتل حتى قتل وانهارت الازارقة الى قطري ابن الفجاءة المازني وكنيته أبو نعامة فبايعوه وأصاب عتاب وأصحابه من عسكره ما شاؤا وجاء قطري فنزل في عسكر الزبير ثم سار عن أصبهان وتركها وأتى ناحية كرمان وأقام بها حتى اجتمعت اليه جموع كثيرة وجبى المال وقوي ثم أقبل الى أصبهان ثم أتى الى ارض الاهواز فاقام بها والحرث بن ابي ربيعة عامل مصعب على البصرة فكتب الى مصعب يخبره بالخوارج وانهم ليس لهم الا المهلب فبعث الى المهلب وهو على الموصل والجزيرة فامره بقتال الخوارج وبعث الى الموصل

الاختصار في هذا الكتاب على حسب ما نمى الينا من أخبارهم واتصل بنا من آثارهم وذكره الناس من آرائهم عن الفاني والباقي ان شاء الله تعالى

﴿ذكر ما ذهب اليه العرب في النفوس والهام والصدى وغير ذلك من مذاهب الجاهلية في النفوس والمرى﴾

تنازع الناس في كيفيتها فمنهم من زعم أن النفوس في الدم لا غير وان الروح الهواء الذي في باطن جسم المرى ومنه نفسه ولذلك سموا المرأ نفساء لما خرج منها من الدم ومن أجل ذلك تنازع فقهاء الامصار فيما له نفس سائلة اذا سقط في الماء هل ينجسه أم لا قال تأبط شرا الجاهلي الشعري الاكبر وكان من قصته أنه قال لجثته عضبا فسالت نفسه سكبا وقالوا ان الميت لا ينبعث منه الدم ولا يوجد فيه ولكن في حال الحياة والنماء مع الحرارة والرطوبة لان كل حي فيه حرارة ورطوبة فاذا مات بقي اليبس والبرد ونفيت الحرارة قال ابن براق من كلمة

وكم لاقيت ذا حنب شديد * يسيل به النفوس على الصدور

اذا الحرب العوان به
اسهامه
وحل قد الكوم بطير
(وطعنة صعبة) ترم
أن العين طائر بسط فى
جسم الانسان وقد مت
أوقتل لم يزل مطيفا به
متصورا اليه فى صوره
طائر يصرح على قبر
ومستوحشا وفى ذلك يقول
بعض الشعراء وذكر
أصحاب الفيل
بسط الطير والحوت عليهم
وهم فى صدى القليب رهام
لان هذا الطائر يحوم به
الهام ولو احدة هامة
وجه الاسلام وهم على دين
حتى قال النبى صلى الله
عليه وسلم لا هام ولا صفر
ويزعمون أن هذا الطائر
يكون صغيرا ثم يكبر حتى
يصير كضرب من البوم
وهى أبدا توحش وصدى
ووحد أبدا فى الديار
المعطلة والمواضع
وحيث مصارع الموتى
ويزعمون أن الهامة لا تزال
عند ولد الميت فى محنته
بمائهم لتعلم ما يكون بعده
فصبره به حتى قال الصلت
ابن أمية لبنيه
هامتى تخبرنى عادة تشعروا
فحسوا الشنعاء والمكروها
(وفى ذلك يقول فى الاسلام
نوبة فى ليلى الاخيلية)
ولو أن ليلى الاخيلية سلمت
على ودونى جندل وصفاخ

براهيم بن الاشتر وجاء الهلب الى البصرة واتحد الناس وسارهم نحو الخوارج ثم أقبلوا اليه حتى التقوا بسولاف فاقتتلوا بها ثمانية أشهر اشد قتال رآه الناس

﴿ذكر حصار الرى﴾

وفيها أمر مصعب عتاب بن ورقاء الرياحى على اصبهان بالمسير الى الرى وقتال أهلها لمساعدتهم الخوارج على يزيد بن الحرث رويم واعتصابهم من مدينتهم فسار اليهم عتاب فحاربهم وقاتلهم وعليهم السوس والحرب عليهم عتاب بالقتال ففتحها عنوة وغنم ما فيها وافتتح سائر قلاع تلك الجهات وفيها كان بالشام قحط شديد حتى انهم لم يقدروا من شدته على العرو وفيها عسكر عبد الملك بن مروان بسطاس وهو قريب قنسرين وشتى بها ثم رجع الى دمشق

﴿ذكر خبر عبيد الله بن الحر ومقتله﴾

فى هذه السنة قتل عبيد الله بن الحر الجعفى وكان من خيار قومه صلاحا وفضلا واجتهادا فلما قتل عثمان ووقعت الحرب بين على ومعاوية قصد معاوية فكان معه لمحبته عثمان وشهد معه صفين هو ومائتان من قومه وأقام عبيد الله عند معاوية وكان له زوجة بالكوفة فلما طالت غيبته زوجها قومها رجلا يقال له عكرمة بن الحمق وبلغ ذلك عبيد الله فاقبل من الشام فلما سمع عكرمة بن الحمق بقدوم عبيد الله على قال لامرأته ما ظاهرت علينا عدوا ما فعلت فقالت له ايسعنى ذلك من عدل قال لا فقص عليه قصته فرد عليه مهرها وكانت حملى فوضعها عند من يثق اليه حتى وضعت فالحق الولد بعكرمة ودفع المرأة الى عبيد الله وعاد الى الشام وقدم به حتى قتل على فلما قتل اقبل الى الكوفة فأتى اخوانه فقال ما أرى احدا يسعه غير له كما بالشام فكان من أمر معاوية كيت وكيت وقال وكان من أمر على كيت وكيت وكانوا يعدون ذلك فلما مات معاوية وقتل الحسين بن على لم يكن عبيد الله فيمن حصر فلم يعب عن ذلك بعمد فلما قتل جعل ابن زياد يتعقد الاشراف من اهل الكوفة فلم يرعبيد الله بن الحر ثم به بعد يام حتى دخل عليه فقال له أين كنت يا ابن الحر قال كنت مريضا قال مريض لقد أتم مرض المذنب فقال اما على فلم يمرض وأما بدنى فقد من الله على بالعافية فقال ابن زياد كذبت ولكنك كنت مع عدو نا فقال لو كنت معه لرؤى مكانى وغفل عنه ابن زياد فخرج فركب فرسه ثم طلبه ابن زياد فقالوا ركب الساعة فقال على به فاحضر الشرط خلفه فقالوا أحب الامير فقال لا عوه على انى لا آتيه طائعا ابدا ثم اجرى فرسه وأتى منزل احمد بن زياد الطائى وجمع اليه اصحابه ثم خرج حتى أتى كربلاء فسار الى مصارع الحسين ومن قتل معه فاستغفر لهم ثم مضى الى المدائن وقال فى ذلك

يقول امير غادر وابن غادر * الا كنت قاتلت الحسين بن فاطمه
ونصى على حد لابه واعتراله * وبيعة هذا الناكث العهد لا ذمه
فيا ندمى ان لا اكون نصرته * الا كل نفس لا تسدد نادمه
والى لانى لم أكن من حمائه * لذو حسرة ان لا تفارق لازمه
سقى الله أرواح الذين تبادروا * الى نصره سحا من العيث دائمه
وقفت على اجدا ثهم ومحالهم * فكاد الحشا ينقض والعين ساجمه
لعمرى لقد كانوا مصاليت فى الوغى * سراعا الى الهيجا حماة حصارمه
تأسوا على نصر ابن بنت نبيهم * باسيافهم آساد غيل ضراغمه
فان يقتلوا فى كل نصر بقيمة * على الارض قد أضحت لذلك واجمه

وما ان رأى الراؤن أفضل منهم * لدى الموت سادات وزهر قاقه
بقتلهم ظلما ورجو ودادنا * فدع خطة ليست لنا بملائمه
لعمري لقد راغمتمونا بقتلهم * فكم ناقم منا عليكم وناقمه
أهم مرارا أن أسير بجحفل * الى فئة زاغت عن الحق ظالمه
فكفوا والا زدتكم بكتائب * أشد عليكم من زحوف الديالمه

وأقام ابن الحر بمنزلة على شاطئ الفرات الى ان مات يزيد ووقعت الفتنة فقال ما أرى قرشيا ينصف أين ابناء الحرائر فاتاه كل خليع ثم خرج الى المدائن فلم يدع ما لا قدم به للسلطان الا أخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه ويكتب اصاحب المال بذلك ثم جعل ينقص الكور على مثل ذلك الا انه لم يتعرض لمال احد ولا ذمة فلم يزل كذلك حتى ظهر المختار وسمع ما يعمل في السواد فاخذ امرأته فخدرها فاقبل عبيد الله في أصحابه الى الكوفة فكسر باب السجن واخرجها واخرج كل امرأة فيه وقال في ذلك

* ألم تعلمي يا أم وبة انني * انا الفارس الحامي حقائق مذحج
واني صبحت السجن في سورة الضحى * بكل فتى حامي الذمار مدجج
فما ان برحنا السجن حتى بدا لنا * جبين كغرن الشمس غير مشنج
وخد اسيل عن فتاة حبيبة * الينا سقاها كل دان مثجج
فما العيش الا أن أزورك آمنا * كعادتنا من قبل حربي ومخرجي
وما زلت محبوسا لحبسك واجما * واني بما تلقين من بعده شجي

وهي طويلة وجعل يعيث بعمال المختار وأصحابه فاحرقت بهمدان داره ونهبوا ضيعته فسار عبيد الله الى ضياع همدان فنهبها جميعها وكان يأتي المدائن فيمر بعمال حوخى فيأخذ ما معهم من المال ثم يميل الى الجبل فلم يزل على ذلك حتى قتل المختار وقيل انه بايع المختار بعد امتناع وأراد المختار ان يسطو به فامتنع لاحل ابراهيم بن الاشتر ثم سار مع ابن الاشتر الى الموصل ولم يشهد معه قتال ابن زياد أظهر المرض ثم فارق ابن الاشتر وأقبل في ثلثمائة الى الانبار فاغار عليها وأخذ ما في بيت مالها فلما فعل ذلك أمر المختار بهدم داره وأخذ امرأته ففعل ما تقدم ذكره وحضر مع مصعب قتال المختار وقتله فلما قتل المختار قال الناس لمصعب في ولايته الثانية انا لا نأمن ان يثب ابن الحر بالسواد كما كان يفعل بابن زياد والمختار فحبسه فقال

* فمن مبلغ الفتيان أنا هم * اني دونه باب شديد وحاجبه
بمنزلة ما كان يرضى بمثلها * اذا قام عنه كبول تجاذبه
على الساق فوق الكعب أسود صامت * شديد يداني خطوه ويقاربه
وما كان ذا من عظم جرم جرمته * ولكن سعى الساعي بما هو كاذبه
وقد كان في الارض العريضة مسلك * وأي مرئ ضاقت عليه مذاهبه

وقال

باي بلاء ام بأية نعمة * تقدم قبلي مسلم والمهاب

يعني مسلم بن عمرو والدقيمة والمهلب بن ابي صفرة وكلم عبيد الله قوما من وجوه مذحج ليشفعوا له الى مصعب وارسل الى فتيان مذحج وقال البسوا السلاح واستروه فان شفعهم مصعب فلا تعترضوا لاحد وان خرجوا ولم يشفعهم فاقصدوا السجن فاني سآمينكم من داخل فلما شفع أولئك النفر فيه شفعهم مصعب واطلقه وأتى منزله وأتاه الناس يهنونه فقال لهم ان هذا الامر لا يصلح الا بمثل

لسلمت تسليم البشاشة اوزقا
اليها صدى من جانب القبر صائح

وهذا من قولهم يدل لي ان الصدى ينزل الى قبورهم ويصعد ومن ذلك ما روى عن حاتم طيئ مما سنورد خبره في هذا الكتاب

أتيت لصحبك تبغي القرى
لدى حفرة صدحت هامها

وسنذكر هذا الشعر في أخبار الحجاج بن يوسف مع ليلى الاخيلية من هذا الكتاب وقد قيل ان هذه الابيات لغير توبة وهذا كثير في أشعارهم ومنثور كلامهم وسجعهم وخطبهم وغير ذلك من محاوراتهم وللعرب وغيرهم من أهل الملل ممن سلف وخلف كلام كثير في تنقل الارواح قد أتينا على مبسوط ذلك في كتابنا المترجم بسر الحياة وكتاب الدعاوى وبالله التوفيق

ذكر أقاويل العرب في الغيلان والغول وما لحق بهذا الباب

للعرب في الغيلان وتغولها أحيار طريفة العرب يزعمون ان الغول يتغول لهم في الخلوات ويظهر لحواسهم في أنواع من الصور فيخاطبونها وربما ضيفوها وقد أكثروا من ذلك في أشعارهم فمنها قول

الخلفاء الماضين الاربعة ولم نر لهم فينا شبيها فنلتقي اليه أزمتنا فان كان من عزيز فعلام نعقد في اعناقنا بيعة وليسوا باشجع منا لقاء ولا اعظم صناعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى وكلهم عاص مخالف قوي الدنيا ضعيف الآخرة فعلام نستحل حرمتنا ونحن اصحاب الخيلة والقادسية وجلولاء ونهاوند نلقى الاسنة بنحورنا والسيوف بجباهنا ثم لا نعرف حقنا وفضلنا فقالوا لعن حريكم فوالله قد قلبت لكم ظهر المجن واظهرت لهم العداوة ولا قوة الا بالله وخرج عن الكوفة وجارهم واغار فارسل اليه مصعب سيف بن هانئ المرادي فعرض عليه خراج بادرويا وغيرها ويدخل في الطاعة فلم يجب الى ذلك فبعث اليه مصعب الابرد بن قرة الرياحي فقاتله فهزمه عبيد الله وضربه على وجهه فبعث اليه أيضا حريث بن يزيد فقتله عبيد الله فبعث اليه مصعب الحجاج بن جارية الخثعمي ومسلم بن عمرو فلقياه بنهر صرصر فقاتلهما فهزمهما فارسل اليه مصعب يدعوه الى الامان والصلة وأن يوليه أي بلد شاء فلم يقبل وأتى نرسي فنزل دهقانها بجمال الفلوجة فبعث ابن الحر حتى مر بهيت فر وعليها سطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني فالتجأ اليهم الدهقان فخرجوا الى عبيد الله فقاتلوه ووافاهم الحجاج بن جارية الخثعمي فحمل على عبيد الله فأسره عبيد الله وأسر أيضا سطام بن مصقلة وناسا كثيرا وبعث ناسا من أصحابه فأخذوا ما كان لدى مع الدهقان واطلق الاسرى ثم ان عبيد الله أتى تكريت فاقام بحتى الخراج فبعث اليه مصعب الابرد بن قرة الرياحي والجون بن كعب الهمداني في الف وامدهم المهلب بيزيد بن المغفل في خمسمائة فقال لعبد الله رجل من أصحابه قد أتاك جمع كثير ولا تقاتلهم فقال

يخوفني بالقتل قومي وانما * أموت اذا جاء الكتاب المؤجل
لعل الفتى تدلى باطرافها العنى * فيجدى كراما نجتدى ونؤمل
ألم تران الفقر يزري باهله * وان الغنى فيه العلى والتجمل
وانك لا تركب الهول لا تنل * من المال ما يرضى الصديق ويفضل

وقاتلهم عبيد الله يومين وهو في ثلثمائة ولما كان عند المساء تحاجزوا وخرج عبيد الله من تكريت وقال لاصحابه اني سأريكم الى عبد الملك بن مروان فتجهزوا وقال اني خائف ان أموت ولم أذعر مصعبا واصحابه وسار نحو الكوفة فبلغ كسكر فاحتبيت ما لها ثم أتى الكوفة ونزل بحمام جرير وبعث اليه مصعب عمر بن عبيد الله بن معمر فقاتله فخرج الى دير الاعور فبعث اليه مصعب حجار بن الحر فهزم حجارا فشيعه مصعب وضم اليه الجون بن كعب الهمداني وعمر بن عبيد الله بن معمر فقاتلوه باجمعهم وكثرت الجراحات في عسكر عبيد الله بن الحر وعقرت خيولهم وانهزم حجار ثم رجع فاقتتلوا قتالا شديدا حتى امسوا وخرج ابن الحر من الكوفة وكتب مصعب الى يزيد بن الحارث بن رويم الشيباني وهو بالمدائن يأمره بقتال ابن الحر فقدم ابنه حوشبا فلقيه بباجسرى فهزمه عبيد الله وقتل فيهم واقبل ابن الحر الى المدائن فتحصنوا منه فخرج عبيد الله فوجه اليه الجون بن كعب الهمداني وبشر بن عبد الله الاسدي فنزل الجون بحولايا وقدم بشر الى تامرا فلقي ابن الحر فقتله ابن الحر وهزم اصحابه ثم لقي الجون بن كعب بحولايا فخرج اليه عبد الرحمن بن عبد الله فقتله ابن الحر وهزم أصحابه وخرج اليه بشير بن عبد الرحمن بن بشير البجلي فقاتله بسوراء قتالا شديدا فرجع عنه بشير وأقام ابن الحر بالسواد يغير ويجبي الخراج ثم لحق بعبد الملك بن مروان فلما صار اليه أكرمه واجلسه معه على السرير وأعطاه مائة ألف درهم وأعطى أصحابه مالا فقال له ابن الحر لتوجهني في جند أقاتل بهم مصعبا فقال له سر باصحابك وادع من قدرت عليه وانا امدك

بالرجال

تأبط شرا
وأدهم قد جبت جلبابه
كما اجتابت الكاعب الظليما
فاصحت والغول لي جارة
فيا جارتي أنت مأهولا
وطالبتها بعضها فالتوت
بوجه مقول فاستغولا
فمن كان يسأل عن جارتي
فان لها بالنوى مهملا
ويزعمون ان رجلا مر بها رجلا عريا وكواد اعترضتهم الغول في النيافي يرتحرون ويقولون
يا رجل عرا هق نهيقا
لعل يرى السبيل والطريقا
وذلك انها كانت تتراءى لهم في الليالي واوقات النهار فيتوهمون انها انسان فيتبعونها وتريائهم عن الطريق التي هم عليها وسبيلهم وكان ذلك قد اشتهر عندهم وعرفوه فلم يكونوا يزولون عما كانوا عليه من القصد واذا صيح بها على ما وصفنا شردت عنهم في بطون الاودية ورؤس الجبال (وقد ذكر جماعة) من الصحابة منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه شاهد ذلك في بعض أسفاره الى الشام وان الغول كانت تغول له وانه ضربها بسيفه وذلك قبل ظهور الاسلام وهذا مشهور عندهم في اخبارهم

بالرجال فسار بأصحابه نحو الكوفة ونزل بقرية الى جانب الانبار فاستأذنه أصحابه فى اتيان الكوفة فاذن لهم وأمرهم ان يخبروا أصحابه بقدومه ليخرجوا اليه فبلغ ذلك القيسية فاتوا الحرث بن أبى ربيعة عامل ابن الزبير بالكوفة فسألوه ان يرسل معهم جيشا يقاتلون عبيد الله ويغتنمون الفرصة فيه بتفرق أصحابه فبعث معهم جيشا كثيفا فسار وا فلقوا ابن الحر فقال لابن الحر أصحابه نحن نفر يسير وهذا الجيش لا طاقة لنا به فقال ما كنت لادعهم وحمل عليهم وهو يقول

يالك يوما فات فيه نهبى * وغاب عنى ثقتى وحجبى

ثم عطفوا عليه وكشفوا أصحابه وحاولوا أن يأسروه فلم يقدروا على ذلك وأذن لاصحابه فى الذهاب فذهبوا فلم يعرض لهم أحد وجعل يقاتل وحده فحمل عليه رجل من باهلة يكنى أبا كدية فطعنه وحملوا يرمونه ويكتبون عليه ولا يدنون منه وهو يقول أهذه نبل ام مغازل فلما اثخنته الجراح حاص الى معبر هناك فدخله ولم يدخل فرسه فركب السفينة ومضى به الملاح حتى توسط الفرات فاشرفت عليه الخيل وكان معه فى السفينة نمط فقالوا لهم ان فى السفينة طليبة امير المؤمنين فان فاتكم قتلناكم فوثب ابن الحر ليرمى نفسه فى الماء فوثب اليه رجل عظيم الخلق فقبض على يديه وجراحاته تجرى دما وضربه الباقون بالحاذيف فلما رأى انه يقصد به نحو القيسية قبض على الذى معه وألقى نفسه معه فى الماء فغرقا وقيل فى قتله انه كان يغشى مصعب بن الزبير بالكوفة فرآه يتقدم عليه غيره فكتب الى عبد الله بن الزبير قصيدة يعاتب فيها مصعبا ويخوفه مسيره الى ابن مروان يقول فيها

أبلغ امير المؤمنين رسالة * فلست على رأى قبيح اواربه
افى الحق ان اجفى ويجعل مصعب * وزيراله من كنت فيه احاربه
فكيف وقد آتيتكم حق بيعتى * وحقى بلوى عندكم وأطالبه
وأبليتكم مالا يضيع مثله * وآسيتكم والامر صعب مراتبه
فلما استمار الملك وانقادت العدى * وادرك من ملك العراق رغائبه
جفا مصعب عنى ولو كان غيره * لاصبح فيما بيننا لا اعاتبه
لقد رابنى من مصعب ان مصعبا * ارى كل ذى غش لناهو صاحبه
وما انا ان خليتمونى بوارد * على كدر قد غص بالماء شاربه
وما لامرئ لا الدى الله سائق * اليه وما قد خط فى الزبر كاتبه
اذا قمت عند الباب ادخل مسلما * فيمنعنى ان أدخل الباب حاجبه

فحبسه مصعب وله معه معاتبات من الحبس ثم انه قال قصيدة يهجو فيها قيس عيلان منها

ألم تر قيسا قيس عيلان برقعت * لحاها وباعت نبلها بالمغازل

فارسل زفر بن الحرث الكلابى الى مصعب انى قد كفيتك قتال ابن الزرقاء يعنى عبد الملك بن مروان وابن الحر يهجو قيسا ثم ان نفرا من بنى سليم أسروا ابن الحر فقال اغاقلت

ألم تر قيسا قيس عيلان اقبلت * وسارت اليمانى القنا والقبائل

فقتله رجل منهم يقال له عياش

﴿ذكر عدة حوادث﴾

قيل فى هذه السنة وافى عرفات أربعة ألوية لواء لابن الحنفية وأصحابه ولواء لابن الزبير وأصحابه ولواء لبنى امية ولواء لنجدة الحرورى ولم يجر بينهم حرب ولا فتنة وكان اصحاب ابن الحنفية اسلم

(وقد حكى) عن بعض المتفلسفين أن الغول حيوان شاذ من جنس الحيوان لم تحكمه الطبيعة وانه لما خرج منفردا فى نفسه وهيئته توحش من مسكنه فطلب القفار وهو يناسب الانسان والحيوان البهيمى فى الشكل وقد ذهبت طوائف من الهند الى ان ذلك انما يظهر من فعل ما كان غائبا من الكواكب عند طلوعها مثل طلوع الكوكب المعروف بكلب الجبار وهى الشعرى العبور وان ذلك يحدث داء فى الكلاب وسهيل فى الحمل والذئب فى الدب وحامل رأس الغول يحدث عند طلوعه تماثيل وأشخاص تظهر فى العصارى وغيرها من المعالم فتسميه عوام الناس غولا وهى ثمانية وأربعون كوكبا وقد ذكرها بطليموس وغيره ممن تقدم وتأخر وقد وصف ذلك أبو معشر فى كتابه المعروف بالمدخل الكبير فى النجوم وذكر كيفية صورة كل كوكب عند ظهوره فى أنواع مختلفة (وزعمت طائفة) من الناس أن الغول شئ يعرض للسفار ويتمثل فى ضروب من الصور ذكرا

الجماعة وكان العامل لابن الزبير على المدينة هذه السنة جابر بن الاسود بن عوف الزهري وعلى البصرة والكوفة مصعب اخوه وعلى قضاء الكوفة عبد الله بن عتبة بن مسعود وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وعلى خراسان عبد الله بن خازم وكان عبد الملك بن مروان بالشام مشاقفا لابن الزبير ومات عبد الله بن عباس سنة ثمان وستين وعمره اربع وسبعون سنة وقيل غير ذلك وفيها مات عدي بن حاتم الطائي وقيل سنة ست وستين وعمره مائة وعشرون سنة ومات ابو واقد الليثي واسمه الحرث بن مالك وفيها توفي ابو شريح الخزاعي واسمه خويلد بن عمرو وهو الكعبي (شريح بالشين المعجمة) وعبد الرحمن بن حاطب بن ابي بلتعة وقيل انه ولد زمن النبي صلى الله عليه وسلم (حاطب بالحاء المهملة وبلتعة بالباء الموحدة والتاء المثناة من فوق والعين المهملة المفتوحات)

﴿ثم دخلت سنة تسع وستين﴾

﴿ذكر قتل عمرو بن سعيد الاشدق﴾

في هذه السنة حارب عمرو بن سعيد عبد الملك بن مروان وغلب على دمشق فقتله وقيل كانت هذه الحادثة سنة سبعين وكان السبب في ذلك أن عبد الملك بن مروان اقام بدمشق بعد رجوعه من قسرين مشاء الله ان يقيم ثم سار يريد قرقيسيا وبها زفر بن الحرث الكلابي وكان عمرو بن سعيد مع عبد الملك فلما بلغ بطن حاب رجع عمرو ايلا ومعه حميد بن حريث الكلبي وزهير بن الابرد الكلبي فاتى دمشق وعليها عبد الرحمن بن ام الحكم الثقفي قد استخلفه عبد الملك فلما بلغه رجوع عمرو بن سعيد هرب عنها ودخلها عمرو وغلب عليها وعلى حرائمه وهدم دار ابن ام الحكم وجمع الناس اليه فخطبهم ومناهم ووعدهم واصبح عبد الملك وقد فقد عمرا فسأل عنه فاخبر خبره فرجع الى دمشق فقاتله اياما وكان عمرو اذا أحرج حميد بن حريث على الخيل احرج اليه عبد الملك سفيان بن الابرد الكلبي واذا أحرج عمرو زهير بن الابرد أحرج اليه عبد الملك حسان بن مالك بن بحدل ثم ان عبد الملك وعمرا اصطلحا وكتبا بينهما كتابا واسمه عبد الملك فخرج عمرو في الخيل الى عبد الملك فاقبل حتى اوطأ فرسه أطناب عبد الملك فانقطعت وسقط السرادق ثم دخل على عبد الملك فاجتمعا ودخل عبد الملك دمشق يوم الخميس فلما كان بعد دخول عبد الملك باربعة أيام ارسل الى عمرو ان ائتني وقد كان عبد الملك استشار كرنب بن ارهة الحميري في قتل عمرو فقال لا ناقة لي في هذا ولا جمل في مثل هذا هلكت حمير فلما اتى الرسول عمرا يدعوه صادف عنده عبد الله بن يزيد بن معاوية فقال لعمرو يا ابا أمية ايت احب الي من سمعي ومن بصري واري لك ان لا تأتيه فقال عمرو لم قال لان تبيعا ابن امرأة كعب الاحبار قال ان عظيما من ولد اسمعيل يرجع فيغلق أبواب دمشق ثم يخرج منها فلا يلبث ان يقتل فقال عمرو والله لو كنت ناعسا ما انتهى ابن الزرقاء ولا اجترأ علي أما اني رأيت عثمان المبارحة في المنام فالبسني قميصه وكان عبد الله بن يزيد زوج ابنة عمرو ثم قال عمرو للرسول انا رائح العشية فلما كان العشاء لبس عمرو درعا ولبس عليها القباء وتقلد سيفه وعنده حميد بن حريث الكلبي فلما نهض متوجها نثر البساط فقال له حميد والله لو أطعتني لم تاته وقالت له امرأته الكلبية كذلك فلم يلتفت ومضى في مائة من مواليه وقد جمع عبد الملك عنده بني مروان فلما بلغ الباب اذن له فدخل فلم يزل أصحابه يحبسون عند كل باب حتى بلغ قارعة الدار وما معه الا وصيف له فنظر عمرو الى عبد الملك واذا حوله بنو مروان وحسان بن بحدل الكلبي وقبيصة بن ذؤيب الخزاعي فلما رأى جماعتهم أحس بالشر فالتفت الى وصيفه وقال انطلق الى أخي يحيى فقل له يأتيني فلم يفهم الوصيف فقال له ابيك فقال عمرو اعزب عني في حرق الله ونارة واذن عبد الملك لحسان

وقبيصة

كان أوفى الاأن أكثر
كلامهم على انه أتى وقد
قال أبو المطراب
وراعى الوحوش على
الوفاء
ونحث عهودهن وبالعهاد
وعول فمرتد كرا وأتى
كان عليهما قطع الجواد
وقال آخر وهو كعب بن
زهير الصحابي
فتقوم على حال تكون
بها
كالتوت في أنوابها العول
وقد تقدم ذكرنا فيما
سلف من هذا الكتاب
في هذا المعنى ومن كل
كوكب يطلع في صورة
محالفة لما تقدمه من
الصور يحدث في هذا
العالم نوع من الافعال
يتفرد بفعله عن غيره من
الكواكب (وكانت العرب)
قبل الاسلام تزعم أن
الغيلان تتوقد بالليل النيران
لتضيء لها السبيل واختلال
السابلة قال أبو المطراب
فلله در العول أي رفيقة
لصاحب قفر حالف وهو
معسر
أرنت بلحن بعد لحن
وأوقدت
حوالي نيرانا تلوح وترهر
وقد فرقوا بين السعلاة
والعول قال عبيد

وقبيصة فقاما فاقتتلا عمر في الدار فقال عمر ولوصيفه انطلق الى يحيى فره ان يأتيني فقال لبيك فقال عمرو اهرب عني فلما خرج حسان وقبيصة أغلقت الابواب ودخل عمرو فرحب به عبد الملك وقال ههنا هو ذا يا أبا أمية فاجلسه معه على السرير وجعل يحادثه طويلا ثم قال يا غلام خذ السيف عنه فقال عمرو انا لله يا أمير المؤمنين فقال عبد الملك اتطمع ان تجلس معي متقلدا بسيفك فاخذ السيف عنه ثم تحدثا ثم قال له عبد الملك يا أبا أمية انك حيث خلعتني آليت بيمين ان انا ملأت عيني منك وانا مالك لك ان أجعلك في جامعة فقال له بنو مروان ثم نطلقه يا أمير المؤمنين قال نعم وما عسيت ان أصنع بابي أمية فقال بنو مروان ابر قسم أمير المؤمنين فقال عمرو قد ابر الله قسمك يا أمير المؤمنين فاخرج من تحت فراشه جامعة وقال يا غلام قم فاجمعه فيها فقام الغلام فجمعه فيها فقال عمرو اذكرك الله يا أمير المؤمنين ان تخرجني فيها على رؤس الناس فقال عبد الملك امكر يا ابا أمية عند الموت لا والله ما كنا لنخرجك في جامعة على رؤس الناس ثم جذبه جذبة أصاب فيه السرير فكسر ثنيته فقال عمرو اذكرك الله يا أمير المؤمنين كسر عظم مني فلا تركب ما هو أعظم من ذلك فقال له عبد الملك والله لو اعلم انك تبقى علي اذا أبقيت عليك وتصلح قريش لا طلقتك ولكن ما اجتمع رجلان في بلدة قط على ما نحن عليه الا أخرج احدهما صاحبه فلما رأى عمرو انه يريد قتله قال أغدر يا ابن الزرقاء وقيل ان عمرا لما سقطت ثنيتاه جعل يمسهما فقال عبد الملك يا عمرو أرى ثنيتيك قد وقعتا صلك موقعا لا تطيب نفسك لي بعدها وأذن المؤذن العصر فخرج عبد الملك يصلي بالناس وأمر أخاه عبد العزيز ان يقتله فقام اليه عبد العزيز بالسيف فقال عمرو أذكرك الله والرحم ان تلي قتلي ليقتلني من هو أبعد رحما منك فالقى السيف وجلس وصلى عبد الملك صلاة خفيفة ودخل وغلقت الابواب ورأى الناس عبد الملك حين خرج وليس معه عمرو فذكروا ذلك ليحيى بن سعيد فاقبل في الناس ومعه ألف عبد لعمرو وناس من اصحابه كثير فجعلوا يصيحون بباب عبد الملك اسمع صوتك يا ابا أمية فاقبل مع يحيى حميد بن حريث وزهير بن الابرد فكسروا باب المقصورة ونشروا الناس بالسيوف وضرب الوليد بن عبد الملك على رأسه واستقبله ابراهيم بن عربي صاحب الديوان فادخله بيت القراطيس ودخل عبد الملك حين صلى فرأى عمرا بالحياة فقال لعبد العزيز ما منعك ان تقتله فقال انه ناشدني الله والرحم فرققت له فقال له اخزى الله امك البوالة على عقبيها فانك لم تشبه غيرها ثم اخذ عبد الملك الحربة فطعن بها عمرا فلم تجز ثم ثنى فلم تجز فضرب بيده على عضده فرأى الدرع فقال ودرع ايضا ان كنت لمعدا فاخذ الصمصامة وامر بعمرو فصرع وجلس على صدره فذبحه وهو يقول

يا عمرو ان لا تدع شتمي ومنقصتي * اضربك حيث تقول الهامة اسقوني

وانتفض عبد الملك رعدة فحمل عن صدره فوضع على سريره وقال ما رأيت مثل هذا قط قتيل صاحب دنيا ولا طالب آخرة ودخل يحيى ومن معه على بني مروان ومن كان من موالهم فقاتلوا يحيى واصحابه وجاء عبد الرحمن بن ام الحكم الثقفي فدفع اليه الرأس فالقاه الى الناس وقام عبد العزيز بن مروان واخذ المال في البدر فجعل يلقيها الى الناس فلما رأى الناس الرأس والاموال تفرقوا وانتهبوا ثم امر عبد الملك بتلك الاموال فجبيت حتى عادت الى بيت المال وقيل ان عبد الملك انما امر بقتل عمرو حين خرج الى الصلاة غلامه بن الزعيرية فقتله وألقى رأسه الى الناس ورمى يحيى بصخرة في رأسه وأخرج عبد الملك سريره الى المسجد وخرج وجلس عليه وفقد الوليد ابنه فقال والله ان كانوا قتلوه لقد ادركوا ثارهم فاتاه ابراهيم بن عربي الكناني فقال الوليد

وساخرة مني ولو أن عينها
رأت مارأت عيني من الهول جنت
أبيت بسعلاة وغول بقفرة
اذا الليل وارى اللحن فيه أرنت

(وقد وصفها بعضهم فقال)

وحافر العنز في ساق مدملجة
وجفن عين خلاف الانس بالطول

(وللناس) كلام كثير في الغيلان والشياطين والمردة والجن والقسرب والقدار وهو نوع من الانواع المشيطنة يعرف بهذا الاسم يظهر في أكناف اليمن والتهائم وأعالي صعيد مصر وأنه ربما يلحق الانسان فينكحه فيتدود بره فيموت وربما يتوارى للانسان فيذعره فاذا أصاب الانسان ذلك منه يقول له أهل تلك النواحي التي سمينا أمنكوح هو أم مذعور فان قالوا منكوح يئس منه وان كان مذعورا أسكن روعه وشجع مما ناله وذلك ان الانسان اذا عاين ذلك سقط مغشيا عليه ومنهم من يظهر له ذلك فلا يكترث به لشهامة قلبه وشجاعة نفسه وماذكرناه مشهور في البلاد التي سمينا ويمكن جمع ما قلنا مما حكيناه عما ذكرنا من

عندى وقد حرج وليس عليه بأس وانى عبد الملك بيحيى بن سعيد وامر به ان يقتل فقام اليه عبد العزيز بن مروان فقال جعلت فداك يا امير المؤمنين أتراك قاتلا بنى امية فى يوم واحد فامر بحبى فحبس واراد قتل عنبسة بن سعيد فشفع فيه عبد العزيز ايضا واراد قتل عامر بن الاسود الكلابى فشفع فيه عبد العزيز وامر ببنى عمرو بن سعيد فحبسوا ثم اخرجوهم مع عمهم يحيى فالحقهم بمصعب ابن الزبير ثم بعث عبد الملك الى امرأة عمر والكلبية ابعثى الى كتاب الصلح الذى كتبته لعمرو فقالت لرسوله ارجع فاعلمه ان ذلك الصلح معه فى اكفانه ليخاصمك عند ربه وكان عبد الملك وعمرو يلتقيان فى النسب فى امية هذا عبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابى العاص بن امية وذاك عمرو ابن سعيد بن العاص بن امية وكانت ام عمرو ام البنين بنت الحكم عمة عبد الملك فلما قتل عبد الملك مصعبا واجتمع الناس عليه دخل اولاد عمرو على عبد الملك وهم اربعة امية وسعيد واسمعيل ومحمد فنظر اليهم فقال لهم انكم اهل بيت لم تزالوا تزدادون لكم على جميع قومكم فضلا لم يجعله الله لكم وان الذى كان بينى وبين بيكم لم يكن حديثا ولكن كان قديما فى انفس اوليائكم على اوليائنا فى الجاهلية فقطع بامية وكان اكبرهم فلم يقدروا ان يتكلم فقام سعيد بن عمرو وكان الاوسط فقال يا امير المؤمنين ما تدعى عليها امرا كان فى الجاهلية وقد جاء الله بالاسلام فهدم ذلك ووعد جنة وحد نارا واما الذى كان بينك وبين عمرو فانه كان ابن عمك وانت اعلم بما صنعت وقد وصل عمرو الى الله وكفى بالله حسيبا واما عمرى لئن اخذتنا بما كان بينك وبينه لبطن الارض خير لنا من ظهرها فرق لهم عبد الملك وقال ان اباكم خيرنى بين ان يقتلنى او اقتله فاخترت قتله على قتلى واما انتم فما ارغبنى فيكم واوصلنى لقرابتكم واحسن جائزتهم ووصلهم وقربهم وقيل ان خالد بن يزيد قال لعبد الملك ذات يوم عجبت كيف اصبت غرة عمرو فقال عبد الملك

ادنيته منى ليسكن روعه * واصول صولة حازم متمكن

غصبا ومحميه لدينى انه * ليس المسئ سبيله كالمحسن

وقيل انه خلع عمرو وقتله حين سار عبد الملك نحو العراق لقتال مصعب فقال له عمر وانك تخرج الى العراق وقد كان ابوك جعل لى هذا الامر بعده وعلى دلك قاتلت معه فاجعل هذا الامر لى بعدك فلم يجبه عبد الملك فرجع الى دمشق وكان من قتله ما تقدم وقيل بل كان عبد الملك قد استخلف عمرا على دمشق فخالفه وتحصن بها والله اعلم ولما سمع عبد الله بن الزبير بقتل عمرو قال ان بن الزرقاء قتل لطيم الشيطان وكذلك تولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وبلغ ذلك ابن الحنفية فقال ومن نكث فانما ينكث على نفسه يرفع له يوم القيامة لواء على قدر غدرته

﴿ذكر عصيان الجراجمة بالشام﴾

لما امتنع عمرو بن سعيد على عبد الملك خرج ايضا قائد من قواد الضواحى فى جبل اللكام واتبعه خلق كثير من الجراجمة والانباط واباق عبيد المسلمين وغيرهم ثم سار الى البيان فلما فرغ عبد الملك من عمرو ارسل الى هذا الخارج عليه فبذل له كل جمعة الف دينار فركن الى ذلك ولم يفسد فى البلاد ثم وضع عليه عبد الملك صخيم بن المهاجر فتلطف حتى وصل اليه متنكرا فاظهر له مما لا تمه وذم عبد الملك وشتمه ووعده ان يدله على عوراته وما هو وخير له من الصلح فوثق اليه ثم ان صخيما عطف عليه وعلى اصحابه وهم غارون غافلون بجيش مع موالى عبد الملك وبنى امية وجند من ثقات جنده وشجعانهم كان اعدهم بمكان خفى قريب وامر فنودى من اتانا من العبيد يعنى الذين كانوا معه فهو حر ويثبت فى الديوان فانفض اليه خلق كثير منهم فكانوا ممن قاتل معه فقتل الخارج ومن

اعانه

هذه التى يكون فيها ضروب من السواعل النفاسدة والخواطر الرديئة أو غير ذلك من الآفات والادواء المعترضة بحضر الحيوان من الطفيلى والله أعلم بكيفية ذلك (ولم يذكر فى هذا الكتاب) مذكره أهل الشرائع ومذكره أهل التواريخ والمصنفون الكتب المدونة وهب بن منبه وابن سحق وغيرهما ان الله تعالى لما خلق الجان من نار السموم وخلق معه زوجته كما خلق حواء من آدم وأن الجان حين ركبها فحملت منه وأنها باضت احدى وثلاثين بيضة وان بيضة تخلفت من تلك البيض عن قطرنة وهى ام قطارب وأن القطرنة على صورة الهرة وأن الابالس من بيضة أخرى منهم الحرث ابو مرة وأن مسكنهم الجزائر وأن العيلان من بيضة أخرى مسكنهم الخرابات والعلوات وأن السعالى من بيضة أخرى سكنوا الحمامات والمزابل وان الهوام من بيضة أخرى سكنوا الهواء فى صورة الحيات ذوات أجنحة يطيرون هنالك وان من بيضة أخرى الحماميص لانا قد ذكرنا

اعنانه من الروم وقتل نفر من الجراجمة والانباط ونادى المنادى بالامان فيمن بقى منهم فتفرقوا فى قراهم وسد الخلل وعاد الى عبد الملك ووفى للعبيد

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة قتل زهير بن قيس امير افريقية وقد ذكرنا ذلك سنة اثنتين وستين وفيها حكم رجل من الخوارج بنى وسل سيفه وكانوا جماعة فامسك الله ايديهم فقتل ذلك الرجل عند الجمرة وحج بالناس فى هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان على البصرة والكوفة له اخوه مصعب وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وعلى خراسان عبد الله بن حازم وفيها توفى ابو الاسود الدؤلى وله خمس وثمانون سنة

﴿ثم دخلت سنة سبعين﴾

فى هذه السنة اجتمعت الروم واد تجاشوا على من بالشام فصالح عبد الملك ملكهم على ان يؤدى اليه كل جمعة الف دينار خوفا منه على المسلمين وفيها شخص مصعب الى مكة فى قول بعضهم ومعه اموال كثيرة ودواب كثيرة قسمها فى قومه وغيرهم ونهض فحرب دنا كثيرة وحج بالناس هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عماله فيها من تقدم ذكرهم

﴿ذكر يوم الجفرة﴾

وفى هذه السنة سار عبد الملك بن مروان يريد مصعبا فعال له خالد بن عبد الله بن خالد بن اسيد ان وجهتنى الى البصرة واتبعتنى خيلا يسيرة رجوت ان اغلب لك عليها فوجهه عبد الملك فقدمها مستخفيا فى خاصته حتى نزل على عمرو بن أصمع وقيل نزل على على بن اصمع الباهلى فارسل عمرو الى عباد بن الحصين وهو على شرطة ابن معمر وكان مصعب قد استخلفه على البصرة ورجا ابن اصمع ان يبايعه عباد بن الحصين وقال له انى قد احرزت خالدا واحببت ان تعلم ذلك لتكون ظهرا لى فوافاه الرسول حين نزل عن فرسه فقال عباد قل له والله لا اضع لبد فرسى حتى آتيك فى الخيل فقال ابن اصمع لخالد ان عبادا يأتينا الساعة ولا اقدر ان امنعك عنه فعليك بمالك بن مسمع فخرج خالد يركض قد احرج رجليه من الركابين حتى اتى مالكا فقال اجرنى فاجاره وارسل الى بكر بن وائل والازد فكان أول راية انتهت راية بنى يشكر وأقبل عباد فى الخيل فتواقفوا ولم يكن بينهم قتال فلما كان الغد عدوا الى جفرة نافع بن الحرث ومع خالد رجال من تميم منهم صعصعة بن معاوية وعبد العزيز ابن بشر ومرة بن محكان وغيرهم وكان اصحاب خالد جفرية ينتسبون الى الجفرة واصحاب بن معمر زبيرية وكان من أصحاب خالد عبيد الله بن أبى بكرة وحمران بن أبان والمغيرة بن المهلب ومن الزبيرية قيس بن الهيثم السلمى ووجه مصعب زحر بن قيس الجعفى مدد الابن معمر فى ألف ووجه عبد الملك عبيد الله بن زياد بن ظبيان مدد الخالد فارسل عبيد الله الى البصرة من يأتيه بالخبر فعاد اليه فاخبره بتفرق القوم فرجع الى عبد الملك فاقاموا أربعة وعشرين يوما وأصيبت عين مالك بن مسمع وضجر من الحرب ومشت بينهم السفراء فاصطلحوا على ان يخرج خالد من البصرة فاخرجه مالك ثم لحق مالك بالنباج وكان عبد الملك قد رجع الى دمشق فلم يكن لمصعب همة الا البصرة وطمع أن يدرك بها خالدا فوجده قد خرج فسخط مصعب على ابن معمر وأحضر أصحاب خالد فشتمهم وسبهم فقال لعبيد الله بن أبى بكرة يا ابن مسروح انما أنت ابن كلبة تعاورها الكلاب فجاءت باحمر وأصفر وأسود من كل كلب بما يشبهه وانما كان أبوك عبدا نزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ثم ادعيتم ان أبا سفيان زنى بامكم ووالله لئن

ذلك فيما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا وأتينا على ذكر أنسابهم والمشهور من أسمائهم ومساكنهم من الارض والبحار وان كان ماذكره أهل الشرع مما وصفنا ممكنا غير ممتنع ولا واجب وان كان أهل النظر والبحث والمستعملون لقضية العقل والحس يمتنعون مما ذكرنا ويأبون ماوصفنا والمصنف حاطب ليل فاوردنا ما قاله الناس من أهل الشرائع وغيرهم اذ الواجب على كل ذى تصنيف أن يورد جميع ماقاله أهل الفرق فى معنى ماذكر ناه وأتينا أيضا على سائر ماخبرنا من الاشخاص التى هى مرئية من الجن والشياطين وما قالوه فى سلوك الجن فى كتابنا المترجم بكتاب المقالات فى أصول الديانات وبالله التوفيق

﴿ذكر قول العرب فى الهواتف والجان﴾

فاما الهواتف فقد كثرت فى العرب وانصات بديارهم وكان أكثرها أيام مولد النبى صلى الله عليه وسلم وفى أولية مبعثه من حكم الهواتف أن تهتف بصوت مسموع وجسم

بقيت لاحقنكم بنسمكم ثم دعا حمران فقال له انما أنت ابن يهودية عجل نبطى سبيت من عين التمر وقال للحكم بن المنذر بن الجارود ولعبد الله بن فضالة الزهرانى ولعلى بن أصمع ولعبد العزيز بن بشر وغيرهم نحو هذا من التوبيخ والتقريع وضربهم مائة مائة وحلق رؤسهم ولحاهم وهدم دورهم وسحرهم فى الشمس ثلاثا وحملهم على طلاق نسائهم وجز أولادهم فى البيوت وطاف بهم فى أقطار البصرة وأحلفهم ان لا ينكحوا الحرائر وهدم دار مالك بن مسمع وأخذ ما فيها فكان مما أخذ جارية ولدت له عمرو بن مصعب وأقام مصعب بالبصرة ثم شخص الى الكوفة ولم يزل بها حتى خرج الى حرب عبد الملك بن مروان (المغيرة بضم الميم وبالغين والراء خالد بن أسيد بفتح الهمزة وكسر السين والجفر بضم الجيم وسكون الفاء) وفى هذه السنة مات عاصم بن عمر بن الخطاب وهو جد عمر بن عبد العزيز لامه وولد قبل موت النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين

﴿ ذكر مقتل عمير بن الحباب بن جعدة السلمى ﴾

فى هذه السنة قتل عمير بن الحباب بن جعدة السلمى ونحن نذكر سبب الحرب بين قيس وتغلب حتى آل الامر الى قتل عمير وكان سبب ذلك انه لما انقضى أمر مرج راهط وسار زفر بن الحرث الكلابى الى قرقيسيا على ما ذكرناه وبايع عمير مروان بن الحكم وفى نفسه ما فيها بسبب قتل قيس بالمرج فلما سير مروان بن الحكم عبيد الله بن زياد الى الجزيرة والعراق كان عمير معه فلقوا سليمان بن صرد بعين الوردة وسار عبيد الله الى قرقيسيا للقتال زفر فثبطه عمير واشار عليه بالمسير الى الموصل قبل وصول جيش المختار اليها فسار اليها ولقى ابراهيم بن الاشتر بالخازر فقال عمير معه فانهزم جيش عبيد الله وقتل هو وأبو عمير فرقيسيا وصار مع زفر فجمع ملا يطابان كلبا واليمانية بعين فقتلوا من قيس وكان معهما قوم من تغلب يقاتلون معهما ويدلونهما وشغل عبد الملك عنهما بمصعب وتغلب عمير على نصيبين ثم انه مل المقام بقرقيسيا فاستأمن الى عبد الملك فأمنه ثم غدر به فحبسه عند مولاه الريان فسقاه عمير ومن معه من الحرس خمرا حتى أسكرهم وتسلق فى السلم من حمال وخرج من الحبس وعاد الى الجزيرة ونزل على نهر البليخ بين حران والرقة فاجتمعت اليه قيس فكان يغير بهم على كلب واليمانية وكان من معه يستاوون جوارى تغلب ويحضرون مشايخهم من النصارى فهاج ذلك بينهم شرا لم يبلغ الحرب وذلك قبل مسير عبد الملك الى مصعب وفرغ ان عميرا أغار على كلب ثم رجع فمر على الخابور وكانت منازل تغلب بين الخابور والفرات ودحلة وكانت تحيث نزل عمير امرأة من تميم ناكحة فى تغلب يقال لها أم دويل فاخذ غلام من بنى الحريش اصحاب عمير عيرا من غنمها فشكت الى عمير فلم يمنع عنها فاخذوا الباقى فمانعهم قوم من تغلب فقتل رجل منهم يقال له مجاشع التغلبى وجاء دويل فشكت أمه اليه وكان فارسا من فرسان تغلب فسار فى قومه وجعل يذكرهم ما صنع بهم قيس ويشكو اليهم ما أخذ من غنم أمه فاجتمع منهم جماعة وأمروا عليهم شعيث بن مليك التغلبى وأغاروا على بنى الحريش ومعهم قوم من غير تغلب فقتل فيهم التغلبيون واستاقوا ذود الامرأة منهم يقال لها أم الهيثم فمانعهم القيسيون فلم يقدروا على منعهم فقال الاخطل

فان تسألونا يا لحريش فاننا * منينا بنوك منهم وفجور
غداة تحاماتنا الحريش كانها * كلاب بدت أنيابها لهرير
وجاؤا بجمع ناصرى أم هيثم * فارجعوا من ذودها ببعير

غير مرئى (قال المسعودى) وقد تنازع الناس فى الهواتف والجان فذكر فريق منهم وقال ان ما تذكره العرب وتتحدث به من ذلك انما يعرض لها من قبل التوحد فى القفار والتعرد فى الاودية والسلوك فى المهامه والمرورة الموحشة لان الانسان اذا صار فى مثل هذه الاماكن وجد له تفكر ووحل وجبن وادا هو جبن داخته الظنون الكاذبة والاوهام المؤذية والسوداوية الفاسدة فصورت له الاصوات ومثلت له الاشخاص وأوهمته المحال بحسب ما يعرض لذوى الوسواس وقط ذلك وأسه سوء التفكير وخروجه على غير نظام قوى أو طريق مستقيم سليم لان المتعرد فى القفار والمتوحد فى المرورات مستشعر للمخاوف منوهم لمخالف متوقع للتوقف لقوة الظنون الفاسدة على فكره وانفراسها فى نفسه فتوهم ما يحكيه من هتف الهواتف به واعتراض الجان وقد كانت العرب قبل ظهور الاسلام تقول ان مر الجن من هو على صورة نصف

﴿يوم ماكسين﴾

ولما استحكم الشر بين قيس وتغلب وعلى قيس عمير وعلى تغلب شعيث نزا عمير بنى تغلب وجماعتهم بماكسين من الخابور فاقتتلوا قتالا شديدا وهى أول وقعة لهم فقتل من بنى تغلب خمسمائة وقتل شعيث وكانت رجله قطعت بقتال حتى قتل وهو يقول

قد علمت قيس ونحن نعلم * ان التى يقتل وهو أجذم

﴿يوم الثرثار الاول﴾

والثرثار نهر أصله من نهر شرقى مدينة سنجار وبالقرب من قرية يقال لها سرف ويفرغ فى دجلة بين الكحيل ورأس الايل من عمل الفرج لما قتل بماكسين من ذكرنا استمدت تغلب وحشدت واجتمعت اليها النمر بن قاسط وأتاها المشجر بن الحرث الشيبانى وكان من ساداتهم بالجزيرة وأتاها عبيد الله بن زياد بن ظبيان منجدا لهم على قيس فلذلك حقد عليه مصعب بن الزبير حتى قتل أخاه النابى بن زياد واستنجد عمير عمارا وأسدا فلم ينجده منهم أحد فالتقوا على الثرثار وقد جعلت تغلب عليها بعد شعيث زياد بن هوبر ويقال يزيد بن هوبر النغابى فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت قيس وثبتت تغلب ومن معها منهم مقتلة عظيمة وبقر وا بطون ثلاثين امرأة من بنى سليم وقالت ليلى بنت الحرث التغلبية وقيل هى للاخطل

لما رأونا والصليب طالعا * ومارس جيش وسمانا قعا
والخيل لا تحمل الادارعا * والبيض فى أيمانها قواطعا
خلوا لنا الثرثار والمزارعا * وحنطة طيسا وكرمايانعا

﴿يوم الثرثار الثانى﴾

ثم ان قيسا تجمعت واستمدت واستعدت وعليها عمير بن الحباب وأتاهم رفر بن الحرث من قرقيسيا وكان رئيس بنى تغلب والنمر ومن معهما ابن هوبر فالتقوا بالثرثار واقتتلوا أشد قتال فقتله الناس وانهزمت بنو عامر وكانت على مجنبة قيس وصبرت سليم وأعصرت حتى انهزمت تغلب ومن معها وقتل ابنا عبد يشوع وغيرهما من أشراف تغلب فقال عمير بن الحباب

قد الفوارس الثرثار نفسى * وما جمعت من أهل ومال
وولت عامر عنا فاجات * وحولى من ربيعة كالجبال
أكافحهم بدهم من سليم * وأعصر كالمصاعيب النهال

وقال رفر بن الحرث

ألا من مبلغ عنى عميرا * رسالة ناصح وعليه زارى
اتترك حى ذى يمن وكلبا * ونجعل جدنا بك فى نزار
كمعتمد على احدى يديه * فخانته يوهن وانكسار

﴿يوم الفدين﴾

وأغار عمير بن الحباب على الفدين وهى قرية على الخابور وقتل من بها من بنى تغلب فهزمهم فقال نفيع بن صفار المحاربى

لو تسأل الارض الفضاء عليكم * شهد الفدين بها لكم والصور

والصور قرية من الفدين

الانسان وانه كان يظهر لها فى أستارها فى حين خلواتها وتسميه شقا (وذكر) عن علقمة بن صفوان بن أمية بن محدث الكنانى جد مروان بن الحكم لامه أنه خرج فى بعض الليالى يريد مالا له بمكة فانتهى الى الموضع المعروف بخط عريان فاذا هو بشق قد ظهر له فى أوصاف ذكرها فقال

علقم انى مقتول
وان لحمى مأكول
أضربهم بالمدلول
ضرب علام مشمول
رحب الذراع بهلول

فقال علقمة

شق مالى ولك
اعمد عنى منصلك
تقتل من لا يقتلك
فضرب كل منهما صاحبه ضربة فخر ميتين وهذا مشهور عندهم وأن علقمة بن صفوان قتلته الجن وذكروا عن الجن بيتين من الشعر قالتهما فى حرب بن أمية حين قتلته الجن وهما

وقبر حرب بمكان قفر
وليس قرب قبر حرب قبر

واستدلوا على أن هذا من قول الجن بان أحدا من الناس لم يتأت له أن ينشد هذين البيتين ثلاث مرات متواليات لا يتتعتع فى انشادها الان الناس قد

﴿يوم السكير﴾

وهو على الخابور ويسمى سكير العباس ثم اجتمعوا والتقوا بالسكير وعلى قيس عمير بن الحباب وعلى تغلب والنمر يزيد بن هوبر فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت تغلب والنمر وهرب عمير بن جندل وهو من فرسان تغلب فقال عمير بن الحباب

وأفلتنا يوم السكير ابن جندل * على ساعج عوح اللبان مثابر
ونحن كررنا الخيل قد ماشوا ذبا * دقاق الهوادى داميات الدوائر

﴿وقال ابن صفار﴾

صبحناكم هن على سكير * ولا فيتم هنالك الا فوريا

﴿يوم المعارك﴾

والمعارك بين الحصر والعتيق من أرض الموصل اجتمعت تغلب بهذا المكان فالتقوا هم وقيس فاقتتلوا به واشتد قتالهم فانهزمت تغلب وقال ابن صفار

ولقد تركنا بالمعارك منكم * والحضر والثرثار اجسادا جثا

فيقال ان يوم المعارك والحضر واحد هزموهم الى الحضر وقتلوا منهم بشرا كثيرا وقال بعضهم عماس وماس كانا لقيس والله أعلم والتقوا أيضا بلبى فوق تكريت من أرض الموصل فتناصفوا فقيس تقول كان الفضل لنا وتغلب تقول كان الفضل لنا

﴿يوم الشرعبية﴾

ثم التقوا بالشرعبية وعلى قيس عمير بن الحباب وعلى تغلب وألفافها ابن هوبر فكان بينهم قتال شديد قتل يومئذ عمار بن المهزم السلمى وكان لتغلب على قيس قال الاخطل

ولقد بكر الحاف لما أوقعت * بالشرعبية اذ رأى الاهوالا

يعنى أوقعت الخيل والشرعبية من بلاد تغلب والشرعبية أيضا ببلاد منبج فبعضهم يقول ان هذه الوقعة كانت ببلاد منبج وذلك خطأ

﴿يوم البليخ﴾

واجتمعت تغلب وسارت الى البليخ وهناك عمير فى قيس والبليخ نهر بين حران والرقة فالتقوا وانهزمت تغلب وكثر القتل فيها وبقرت بطون النساء كما فعلوا يوم الثرثار فقال ابن صفار

رزق الرماح ووقع كل مهند * زلزال قلبك بالبليخ فزالا

﴿يوم الحشاك ومقتل عمير بن الحباب السلمى وابن هوبر التغلبى﴾

لما رأت تغلب الحاح عمير بن الحباب عليها اجتمعت حاضرتها وباديتها وساروا الى الحشاك وهو تل قريب من الشرعبية والى جنبه براق وداف اليه عمير فى قيس ومعه زفر بن الحرث الكلابى وابنه الهذيل بن زفر وعلى تغلب ابن هوبر واقتتلوا عند تل الحشاك أشد قتال وابرحه حتى جن عليهم الليل ثم تفرقوا واقتتلوا من الغد الى الليل ثم تحاجزوا وأصبحت تغلب فى اليوم الثالث فتعاقدوا أن لا يفروا فلما رأى عمير جدهم وان نساءهم معهم قال لقيس يا قوم أرى لكم ان تنصرفوا عن هؤلاء فانهم مستقتلون فاذا اطمأنوا وساروا الى سرحهم وجهنا الى كل قوم منهم من يغير عليهم فقال له عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلى قتلت فرسان قيس أمس وأول أمس ثم ملى محرك وجبنت ويقال ان عيينة بن اسماء بن خارجة الفزارى قال له ذلك وكان أتاه

يفشه دون العشرين بيننا
والاكثر والاقل أشد من
هذا الشعر وأثقل منه ولا
ينتفعون فيه (وممن قتلته)
الحسن مرداس السلمى
وهو أبو عباس بن مرداس
السلمى ومنهم الفريض
المغنى بعد أن ظهر غناؤه
وقد كانت الحسن نهته أن
يغنى بأبيات من الشعر
فغناها فقتلته (وحدث)
يحيى بن عناب عن على بن
حرب عن أبى عبيدة معمر
ابن المثنى عن منصور بن
زيد الطائى قال رأيت قبر
حاتم طيئ ببيعة وهو أعلى
جبل له واسمه قال له الحامل
واذا قدر عظيمة من بنايا
قدوره مكعبة ناحية من
القبر من القدور التى كان
يطعم فيها الناس وعن يمين قبره
أربع جوار من حجارة وعلى
يساره أربع جوار من حجارة
كلهن صاحبة شعر منشور
محنجرات على قبره كالنائحات
عليه لم ير مثل بياض
أجسامهن وجمال
وجوههن مثلهن الجن
على قبره ولم يكن قبل ذلك
والجوارى بالنهار تاوصفنا
فاذا هدأت العيون
ارتفعت أصوات الجن
بالنياحة عليه ونحن فى
منارلنا نسمع ذلك الى أن
يطلع الفجر سكتن وهدأن
وربما مر المار فيراهن
فيفتتن بهن فيميل اليهن

منهبا فغضب عمير وقال كانى بك وقد حمى الوغى أول فار فنزل عمير وجعل يقاتل رجلا وهو يقول

أنا عمير وأبو المغاس * قد أحبس القوم يضنك فاحبس

وانهزم زفر يومئذ وهو اليوم الثالث فلحق بقرقيسيا وذلك انه بلغه ان عبد الملك بن مروان قد عزم على الحركة اليه بقرقيسيا فبادر للذاهب وقيل انه ادعى ذلك حين فر اعتذارا وانهزمت قيس وركبت تغلب ومن معها اكتافهم وهم يقولون أما تعلمون ان تغلب تغلب وشد على عمير جميل بن قيس من بنى كعب بن زهير فقتله وقيل بل تقاوى على عمير غلامان من بنى تغلب فرمياه بالحجارة وقد أعمياه فاثخناه وكر عليه ابن هوبر فقتله وأصابت ابن هوبر يومئذ جراحة فلما انقضت الحرب اوصى بنى تغلب بان يولوا أمرهم مرادا بن علقمة الزهيرى وقيل خرج ابن هوبر فى اليوم الثانى من أيامهم هذه الثلاثة وأوصى انهم يولون أمرهم مرادا ومات من ليلته وكان مراد رئيسهم فى اليوم الثالث فعباهم على راياتهم وأمر كل بنى أب ان يجعلوا نساءهم خلفهم فلما أبصرهم عمير قال ما تقدم ذكره قال الشاعر

أرقت بأثناء الفرات وشفنى * نوائح أبكاها قتيل ابن هوبر

ولم يطلبى ان نحت أم مغاس * قتيل النصارى فى نوائح حسر

وقال بعض الشعراء ينكر قتل ابن هوبر عميرا

وان عميرا يوم لاقته تغلب * قتيل جميل لا قتيل ابن هوبر

وكثر القتل يومئذ فى بنى سليم وغنى خاصة وقتل من قيس أيضا يومئذ بشر كثير وبعثت بنو تغلب رأس عمير بن الحباب الى عبد الملك بن مروان بدمشق فاعطى الوفد وكساهم فلما صالح عبد الملك زفر بن الحرث واجتمع الناس عليه قال الاخطل

بنى أمية قد نالت دونكم * أبناء قوم هم آووا وهم نصروا

وقيس عيلان حتى اقبلوا ارقصا * فبايعوا لك قسرا بعد ما قهروا

ضجوا من الحرب اذ عضت غواربهم * وقيس عيلان من اخلافها ضجروا

فى أبيات كثيرة فلما قتل عمير بن الحباب وقف رجل على أسماء بن خارجة الفزارى بالكوفة فقال قتلت بنو تغلب عمير بن الحباب فقال لا بأس انما قتل الرجل فى ديار القوم مقبلا غير مدبر ثم قال

يدى رهن على سليم بغارة * تشيب لها أصداغ بكر بن وائل

وتترك أولاد الفدوكس عالة * يتامى ايامى نهـــرة للقبائل

﴿يوم الكحيل﴾

وهو من أرض الموصل فى جانب دجلة الغربى وسببه أنه لما قتل عمير بن الحباب السلمى أتى تميم ابن عمير زفر بن الحرث فسأله أن يطلب له بثاره فامتنع فقال الهذيل بن زفر لابيه والله ان طفرت بهم تغلب ان ذلك لعار عليك ولئن طفروا بتغلب وقد خذلتهم ان ذلك لاشد فاستخلف زفر على قرقيسيا أخاه أوس بن الحرث وعزم على ان يغير على بنى تغلب ويغزوهم فوجه خيلا الى بنى فدوكس بطن من تغلب فقتل رجالهم واستبيحت أموالهم ونساؤهم حتى لم يبق غير امرأة واحدة استجارت فاجارها يزيد بن حمران ووجه زفر بن الحرث ابنه الهذيل فى جيش الى بنى كعب ابن زهير فقتل فيهم قتلا ذريعا وبعث زفر أيضا مسلم بن ربيعة العقيلى الى قوم تغلب مجتمعين فاكثر فيهم القتل ثم قصد زفر لبنى تغلب وقد اجتمعوا بالعقيق من أرض الموصل فلما احست به ارتحلت تريد عبور دجلة فلما صارت بالكحيل لحقهم زفر فى القيسية فاقتتلوا قتالا شديدا وترجل أصحاب

عجبا بهن فاذا دنا منهـــن

وجدهن حجارة (وحدث)

يحيى بن عتاب الجوهرى

قال حدثنا على قال أنبأنى

عبد الرحمن بن يحيى المنذرى

عن أبى المنذر هشام الكلبى

قال حدثنا أبو مسكين بن

جعفر بن محرز بن الوليد

عن أبيه وكان مولى لابى

هريرة يحدث قال كان

رجل يكنى أبا البحترى من

فى نفر من قومه بقبر حاتم

طيء فنزلوا قريبا منه فبات

أبو البحترى ينادى يا أبا

الجعد افرباقال قومه له

مهلا ما تكلم من رمة بالية

قال ان طيئا تزعم أنه لم ينزل

به أحد قط الا قراه وناموا

فانتبه صائحا وارا حلتاه

فقال له أصحابه ما بدا لك قال

خرج حاتم من قبره بالسيف

وأنا أنظر حتى عقر ناقتى

قالوا له كذبت ثم نظروا الى

ناقته بين بوقهم مضجدلة

لا تنبعث فقالوا له والله

قراك فطلوا يأكلون من

لحمها شواء وطبيخا حتى

أصبحوا ثم أردفوه وانطلقوا

سائرين فاذا راكب بعير

يقود آخر قد لحقهم فقال

أدركوا أبا البحترى فقال أبو

البحترى أنا ذلك قال أنا

عدى بن حاتم وان حاتما

جاءنى الليلة فى النوم ونحن

نزول وراء هذا الجبل

وذكر شتمك اياه وانه قرأ

زفر أجمعون وبقى زفر على بغل له فقتلوهم ليلتهم وبقروا بطون نسائهم منهم وغرق فى دجلة أكثر ممن قتل بالسيف فاتى فلهم ابى فوجه زفر ابنه الهذيل فاوقع بهم الامن عبر فيجا وأسر زفر منهم مائتين فقتلهم صبرا فقال زفر

ألا يا عين بكى بانسكاب * وبكى عاصما وابن الحباب
فان تك تغلب قتلت عميرا * ورهطا من غنى فى الحراب
فقد أفنى بنى جشم بن بكر * وغرهم فوارس من كلاب
قتلنا منهم مائتين صبرا * وما عدلوا عميرا بن الحباب

وقال ابن صفار المحاربى

ألم ترحربنا تركت حبيبا * محالفها المذلة والصغار
وقد كانوا أولى عز وأضحوا * وليس لهم من الذل انتصار

وأسر القطامى التغلبى فى يوم من أيامهم وأخذ ماله فقام زفر بامره حتى رد عليه ماله ووصله فقال فيه

انى وان كان قومى ليس بينهم * وبين قومك الا ضربة الهادى
مثن عليك بما أوليت من حسن * وقد تعرض لى من مقتل بادى

(حبيب الذى فى الشعر هو بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وهو فى نسب بنى تغلب)

﴿يوم البشر﴾

لما استقر الامر لعبد الملك واجتمع المسلمون عليه قدم عليه الاخطل الشاعر التغلبى وعنده الجحاف بن حكيم السلمى فقال له عبد الملك أتعرف هذا يا اخطل قال نعم هذا الذى أقول فيه

الا سائل الجحاف هل هو ثائر * بقتلى أصيبت من سليم وعامر

وانشد القصيدة حتى فرغ منها وكان الجحاف يأكل رطبا فجعل النوى يتساقط من يده غيظا وأجابه وقال

بلى سوف نكميهم بكل مهند * وننمى عميرا بالرماح الشواجر

ثم قال يا ابن النصرانية ما كنت أظن ان تجترئ على بمثل هذا فارعد الاخطل من خوفه ثم قام الى عبد الملك وامسك ذيله وقال هذا مقام العائذ بك وانا لك جار ثم قام الجحاف ومشى وهو يجر ثوبه ولا يعقل به فتلطف لبعض كتاب الديوان حتى اختلق له عهدا على صدقات تغلب وبكر بالجزيرة وقال لاصحابه ان أمير المؤمنين قد ولانى هذه الصدقات فمن أراد اللحاق بى فليفعل ثم سار حتى أتى رصافة هشام فاعلم أصحابه ما كان من الاخطل اليه وانه افتعل كتابا وانه ليس بوال فمن كان أحب ان يغسل عنى العار وعن نفسى فليصحبنى فانى قد أقسمت ان لا اغسل رأسى حتى أوقع فى بنى تغلب فرجعوا عنه غير ثلثمائة فقالوا له نموت معك ونحيا بحياتك فسار اليلتقيه حتى صبح الرحوب وهو ماء لبنى جشم بن بكر من تغلب فصادف عليه جماعة عظيمة منهم فقتل فيهم مقتلة عظيمة وأسر الاخطل وعليه عباءة وقطنة قطنه الذى أسره عبدا فسأله من هو فقال عبد فاطلقه فرمى بنفسه فى جب وخاف ان رآه من يعرفه ان يقتله فلما انصرف الجحاف خرج من الجب وأسرف الجحاف فى القتل وبقر البطون عن الاجنة وفعل أمرا عظيما فلما عاد عنهم قدم الاخطل على عبد الملك فانشده قوله

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة * الى الله منها المشتكى والمعول

فهرب الجحاف فطلبه عبد الملك فلحق ببلاد الروم وقال بعد وقعة البشر يخاطب الاخطل

أبا مالك هل لمتنى أو حضضتنى * على القتل أم هل لامنى كل لائم

أصحابك برا حلتك وأنشد
أبا البحترى لا أنت آمرو
ظلوم العشيرة شتامها
أتيت بصحبك تبغى القرى
لدى حفرة صدحت هامها
أتبغى لدى الروم عند المليت
وحولك طى وأعمامها
فانا سنشبع اضيافنا
ونأتى المطى فنعتامها
وقد أمرتنى أن أحملك على
بعير مكان راحلتك فدونكه
وقد ذكر هذا سالم بن زرارة
الغطفانى فى مدحه عدى بن
حاتم حيث يقول
أبوك أبو سفانة الخير لم يزل
لدن شب حتى مات فى
الخير راغبا
به تضرب الامثال فى الشعر
ميتا
وكان له اذ ذاك حيا مصاحبا
قرى قبره الاضياف ادر لوابه
ولم يقر قبر قبله الدهر راكبا
(وحدث) أبو محمد بن الحسن
بن دريد عن أبى حاتم
السجستانى عن أبى عبيدة
معمر بن المثنى قال سمعت
شيخا من العرب قد أناف
على المائة يقول انه خرج
وافدا على بعض ملوك بنى
أمية قال فسرت فى ليلة
صحاكيه حالكة كأن
السماء قد برقعت نجومها
بطرائق السحاب وضلت
الطريق فتوجلت واديا
لا اعرفه وأهمتنى نفسى
بطرحها حتى الصباح فلم

ألم أفنكم قتلا واجدع انوفكم * بفتيان قيس والسيوف الصوارم
بكل فتى ينمى عمير ابسينه * اذا اعتصمت ايمانهم بالقوائم
فان تطردونى تطردونى وقد جرى * بى الورد يوما فى دماء الاراقم
نكحت بسيفى فى زهير ومالك * نكاح اغتصاب لا نكاح دراهم

فى أبيات ولم يزل الجحاف يتردد فى بلاد الروم من طرابزندة الى قالينقلا وبعث الى بطانه عبد الملك من قيس حتى أخذوا له الامان فامنه عبد الملك فقدم عليه فالزمه ديات من قتل وأخذ منه الكفلاء وسمى فيها فاتى الحجاج من الشام فطلب منه فقال له متى عهدتنى خائنا فقال له ولكنك سيد قومك ولك عمالة واسعة فقال لقد ألهمت الصدق فاعطاه مائة الف درهم وجمع الديات فاوصلها ثم تنسك بعد وصلح ومضى حاجا فتعلق باستار الكعبة وجعل ينادى اللهم اغفر لى وما أظنك تفعل فسمعه محمد بن الحنفية فقال يا سيخ قد وطئك شر من دنياك وقيل ان سبب عوده كان ان الجحاف أكرمه ملك الروم وقربه وعرض عليه النصرانية ويعطيه ماشاء فقال ما أتيتك رغبة عن الاسلام ولقى الروم تلك السنة عساكر المسلمين صائفة فانهزم المسلمون واخبروا عبد الملك انهم هزمهم الجحاف فارسل اليه عبد الملك يؤمنه فسار وقصد البشمرو به حى من بشمر وقد لبس اكفانه وقال قد جئت اليكم اعطى القود من نفسى وأراد شبابهم قتله فنهاهم شيوخهم ففقر عنه وحج وسمعه عبد الله بن عمر وهو يطوف ويقول اللهم اغفر لى وما أظنك تفعل فقال ابن عمر لو كنت الجحاف ما زدت على هذا قال فانا الجحاف

﴿ثم دخلت سنة احدى وسبعين﴾
﴿ذكر مقتل مصعب وملك عبد الملك العراق﴾

فى هذه السنة قتل مصعب بن الزبير فى جمادى الآخرة واستولى عبد الملك بن مروان على العراق وسبب ذلك ان عبد الملك بن مروان لما قتل عمرو بن سعيد بن العاص كما تقدم ذكره وضع السيف فقتل من خالفه فصفا له الشام فلم يبق له مخالف فيه أجمع المسير الى مصعب بن الزبير بالعراق فاستشار أصحابه فى ذلك فاشار يحيى بن الحكم بن أبى العاص عمه بان يقنع بالشام ويترك ابن الزبير والعراق وكان يقول عبد الملك من اراد صواب الرأى فليخالف يحيى وقال بعضهم ان العام جدب وقد غزوت سنتين فلم تظفر فاقم عامك هذا فقال عبد الملك الشام بلد قليل المال ولا آمن نفاده وقد كتب كثير من أشراف العراق يدعونى اليهم وقال أخوه محمد بن مروان الرأى ان تطلب حقك وتسير الى العراق فانى أرجو ان الله ينصرك وقال بعضهم الرأى ان تقيم وتبعث بعض أهلك وتمده بالجنود فقال عبد الملك انه لا يقوم بهذا الامر الا فرسى له رأى ولعلى أبعث من له شجاعة ولا رأى له وابى بصير بالحرب شجاع بالسيف ان احوجت اليه ومصعب شجاع من بيت شجاعة ولكنه لا علم له بالحرب يخفض ومعه من يخالفه ومعى من ينصح لى فلما عزم على المسير ودع زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية فبكت وبكى جواريها لبكائها فقال قاتل الله كثير عزة لكانه يشاهدنا حين يقول

اذا ما أراد الغزو لم يثن همه * حصان عليها عقد درين نهتـه فلما لم تر النهى عاقه * بكت وبكى مما عناها فطينها

وسار عبد الملك الى العراق فلما بلغ مصعبا مسيره وهو بالبصرة أرسل الى المهلب وهو يقاتل الخوارج يستشيره وقيل بل أحضره عنده فقال لمصعب اعلم أن أهل العراق قد كاتبوا عبد الملك

آمن غريف الجن فقلت أعوذ برب هذا الوادى من شره واستجيره فى طريقى هذا واسترشده فسمعت قائلا يقول من بطن الوادى تياس تجاهك تلق الكلاء تسير وتأمن فى المسالك قال فتوجهت حيث أشار الى وقد أمنت بعض الامن فاذا أنا بأقباس نار تلمع أمامى فى حللها كالوجوه على قامات كالنخل السحيقة فسرت وأصبحت بأوساط وهو ماء لكلب يقارب بريه دمشق وقد ذكر الله عز وجل ذلك من فعلهم وقال وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا

﴿ذكر ما ذهب اليه العرب من القيافة والزجر والسانح والبارح وغير ذلك﴾

تنازع الناس فى القيافة وغيرها مما ذكر فذهبت طائفة الى تحقيق القيافة والاخذ بها لان الاشباه تنزع وغير جائز أن يكون ولد غير مشبه لابيه أو أحد من أهله من جهة من الجهات ومنهم من ذهب الى أن فى الولد مواضع تلحقها القيافة دون غيرها من الاعضاء مما لم يجعلها الشبه ولا توافق بينها بحد مشترك وأبى آخرون ما وصفنا اذ كان الناس قد يتشابهون

وكاتبهم فلا تبعد عنك فقال له مصعب ان أهل البصرة قد أبوا أن يسيروا حتى أجعلك على قتال الخوارج وهم قد بلغوا سوق الاهواز وانا أكره اذسار عبد الملك الى ان لا أسير اليه فاكفنى هذا الثغر فعاد اليهم وسار مصعب الى الكوفة ومعه الاحنف فتوفى بالكوفة وأحضر مصعب ابراهيم بن الاشتر وكان على الموصل والجزيرة فلما حضر عنده جعله على مقدمته وسار حتى نزل باخمرا وهى قريب من وانا وهى من مسكن فعسكر هناك وسار عبد الملك وعلى مقدمته أخوه محمد بن مروان وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فنزلوا بقرقيسيا وحصروا زفر بن الحرث الكلابى ثم صالحهم على ما ذكره ان شاء الله تعالى وسيأتى خبر زفر اثنا الدليل مع عبد الملك وكان معه ثم لحق بمصعب بن الزبير فلما اصطلحا سار عبد الملك ومن معه فنزلوا بمسكن قريبا من عسكر مصعب بين العسكرين ثلاثة فراسخ ويقال فرسخان وكتب عبد الملك الى أهل العراق من كاتبه ومن لم يكاتبه وبذل لجميعهم أصبهان طعمة وقيل ان كل من كاتبه طلب منه امرة أصبهان فقال أى شئ أصبهان هذه حتى كلهم يطلبها وكل منهم أخفى كتابه الا ابراهيم بن الاشتر فانه أحضر كتابه عند مصعب مختوما فقرأه مصعب فاذا هو يدعوه الى نفسه ويجعل له ولاية العراق فقال له مصعب أتدرى ما فيه قال لا قال يعرض عليك كذا وكذا وان هذا لما يرغب فيه فقال ابراهيم ما كنت لاتقلد العار والخيانة ووالله ما عند عبد الملك من أحد من الناس بأياس منه منى ولقد كتب الى وأصحابك كلهم مثل الذى كتب الى فاطعنى واضرب أعناقهم قال اذا لا يناصحنى عشائرهم قال فاوفرهم حديدا وابعث بهم الى أبيض كسرى واحبسهم هنالك ووكل بهم من ان عابت وتعرفت عشائرهم عنك ضرب رقابهم وان ظهرت صنيت على عشائرهم باطلاقهم فقال انى لفى شغل عن ذلك فرحم الله أبا بحر يعنى الاحنف بن قيس ان كان ليحذرنى غدر أهل العراق ويقول هم كلموسة تريد كل يوم بعلا وهم يريدون كل يوم أميرا فلما رأى قيس بن الهيثم ما عزم أهل العراق عليه من الغدر بمصعب قال لهم ويحكم لا تدخلوا أهل الشام عليكم ووالله ان يطعموا بعيشكم ليضيقن عليكم مطاركم والله لقد رأيت سيد أهل الشام على باب الخليفة يفرح ان أرسله فى حاجة ولقد رأيتنا فى الصوائف وان زاد احدنا على عدة اجمال وان الرجل من وجوههم ليغرو على فرسه وزاده خلفه فلم يسمعوا منه فلما تدانى العسكران أرسل عبد الملك الى مصعب رجلا من كلب وقال له اقرئ ابن أخيك السلام وكانت أم مصعب كلبية وقل له يدع دعاءه الى أخيه وادع دعائى الى نفسى ويجعل الامر شورى فقال له مصعب قل له السيف بيننا فقدم عبد الملك أخاه محمدا وقدم مصعب ابراهيم بن الاشتر فالتقيا فتناوش الفريقان فقتل صاحب لواء محمد وجعل مصعب يحمد ابراهيم فمال محمد عن موقفه فوجه عبد الملك عبد الله بن يزيد الى أخيه محمد فاشتد القتال فقتل مسلم بن عمرو الباهلى والد قتيبة وهو من أصحاب مصعب وأمد مصعب ابراهيم بعتاب ابن ورقاء فساء ذلك ابراهيم وقال قد قلت له لا تمدنى بعتاب وضربائه وانا لله وانا اليه راجعون فانهزم عتاب بالناس وكان قد كاتب عبد الملك وبايعه فلما انهزم صبر ابن الاشتر فقتل قتله عبيد بن ميسرة مولى بنى عذرة وحمل رأسه الى عبد الملك وتقدم أهل الشام فقاتلهم مصعب وقال القطن ابن عبد الحارثى قدم خيلك أبا عثمان فقال اكره ان تقتل مذحج فى غير شئ فقال لحجار بن أبجر يا أبا أسيد قدم خيلك قال الى هؤلاء الاتان قال ما تتأخر اليه أنتن فقال لمحمد بن عبد الرحمن بن سعيد مثل ذلك فقال ما فعل أحد هذا فافعله فقال مصعب يا ابراهيم ولا ابراهيم لى اليوم ثم التفت فرأى عروة بن المغيرة بن شعبة فاستدناه فقال له اخبرنى عن الحسين بن على كيف صنع بامتناعه عن

فى حد الانسانية وغير ذلك من الحدود ويفترقون فى غير هامن الصور وليس وجود الاغلب من الاشياء مما يوجب الحاق الشبه بشبهه ودون أن يخالف من حيث أوجبت قضية الاحلاف بالتدين وهذه المعانى من خواص ما للعرب وما انفردت به دون سائر الامم فى الاغلب منها وان كانت لكونية قد وجدت فى غيرها فان القيافة والزجر والتفاؤل والتطير ليس لغير هافى الاغلب من الامور وليس هو موجودا فى سائر العرب وهو الخاص منه القطن والمتدرب الطير وان وجد ذلك فى بعض الامم وجود ذلك فى الافرنجة وما حسها من هالك من الامم فيمكن أن يكون ذلك موروثا عن العرب وما أخوذا منها فى سالف الدهر لان العرب قد تنقلت فى البلاد وتغيرت لغاتها فسبب ذلك الى الحبس الذى قطعت بينهم العرب ويمكن أن تكون الافرنجة ومن وجد فيها ذلك من الامم أخذت بعد ظهور الاسلام عمن جاورهم من أمم العرب ممن سكن بلاد الاندلس من الارض الكبيرة وان كان ذلك قبل ظهور الاسلام فهو ما ذكرنا أنفا

المرول على حكم ابن زياد وعرضه على الحرب فاخبره فقال

ألا ان لي بالطف من آل هاشم * تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

قال عروة فعلمت انه لا يبرح حتى يقتل ثم دنا محمد بن مروان من مصعب وناداه أتاك عمك محمد بن مروان فاقبل أمان أمير المؤمنين فقال أمير المؤمنين بمكة يعني أخاه عبد الله بن الزبير قال فان القوم خاذلوك فابى ما عرض عليه فنادى محمد عيسى بن مصعب بن الزبير له وقال له مصعب انظر ما يريد منك فدنا منه فقال له اني لك ولابيك ناصح ولكما الامان فرجع الى أبيه فاخبره فقال اني أظن القوم يفون لك فان أحببت ان تأتيهم فافعل فقال لا تتحدث نساء قريش اني خذلتك ورغبت بنفسي عنك قال فاذهب أنت ومن معك الى عمك بمكة فاخبره بما صنع أهل العراق ودعني فاني مقتول فقال لا أخبرك قريش أبدا ولكن يا أبت الحق بالبصرة فانهم على الطاعة أو الحق بأمير المؤمنين فقال مصعب لا تتحدث قريش أني فررت وقال لابنه عيسى تقدم ادن احتسبك فتقدم ومعه ناس فقتل وقتلوا وجاء رجل من أهل الشام ليحتز رأس عيسى فحمل عليه مصعب فقتله وشد على الناس فانهزموا له وعاد ثم حمل ثانية فانهزموا له وبذل عبد الملك الامان وقال انه يعز علي أن تقتل فاقبل أماني ولك حكمك في المال والعمل فابى وجعل يضارب فقال عبد الملك هذا والله كما قال القائل

ومدجج كره الكماة نزاله * لا ممعن هربا ولا مستسلما

ودخل مصعب سرادقه فتحنط ورمى السرادق وخرج فقاتل فاتاه عبيد الله بن زياد بن ظبيان فدعاه الى المبارزة فقال له يا كلب اعرب مثلي يبارز مثلك وحمل عليه مصعب فضربه على البيضة فهشمها وجرحه فرجع وعصب رأسه وترك الناس مصعبا وخدلوه حتى بقي في سبعة أنفس وأثخن مصعب بالرمي وكثرت الجراحات فيه فعاد الى عبيد الله بن زياد بن ظبيان فضربه مصعب فلم يصنع شيأ لضعفه بكثرة الجراحات وضربه ابن ظبيان فقتله وقيل بل نظر اليه رائده بن قدامة الثقفي فحمل عليه فطعنه وقال يا لثارات المختار فصرعه وأخذ عبيد الله بن زياد رأسه وحمله الى عبد الملك فالقاه بين يديه وأنشد

يعاطي الملوك الحق ما قسطوا لنا * وليس عليما قتلهم بمحرم

فلما رأى عبد الملك الرأس سجد قال ابن ظبيان لقد هممت ان أقتل عبد الملك وهو ساجد فأكون قد قتلت ملكي العرب وأرحت الناس منهما وقال عبد الملك لقد هممت ان أقتل ابن ظبيان فأكون قد قتلت أفتك الناس بأشجع الناس وأمر عبد الملك لابن ظبيان بألف دينار فقال لم أقتله على طاعتك وانما قتلته على قتل أخي النابئ بن زياد ولم يأخذ منها شيأ وكان قتل مصعب بدير الحاليق عند نهر دجيل فأمر عبد الملك به وبابنه عيسى فقدما وقال كانت الحرمة بيننا قديمة ولكن الملك عقيم وكان سبب قتل النابئ أنه قطع الطريق هو ورجل من بني نمير فأحضرا عند مطرف بن سيدان الباهلي صاحب شرطة مصعب فقتل النابئ وضرب النميري وأطلقه فجمع عبيد الله جمعا وقصد مطرفا بعد أن عزله مصعب عن سرطته وولاه الاهواز وسار عبيد الله الى المطرف فقتله فبعث مصعب مكرم بن مطرف في طلب عبيد الله فسار حتى بلغ عسكر مكرم فنسب اليه ولم يلق عبيد الله كان قد لحق بعبد الملك وقيل في قتله غير ذلك فلما بلغ عبد الملك أمر مصعب نظر اليه وقال متى تعذو قرشية مثلك وكانا يتحدثان الى حبي وهما بالمدينة فقيل له اقتل مصعب فقالت نفس قاتله فقيل قتله عبد الملك بن مروان فقالت وأبي القاتل والمقتول ثم دعا عبد الملك بن مروان

وبمكن أن يكون الله عز وجل خص بذلك أمما غير العرب كما خص العرب به اذ كان ذلك داخلا في الامكان خارجا عن باب الممتنع فيكون الرجز والنثال شاملا لبعض العرب وغيرهم من خواص الامم كوجود المعط للعرب والسلوى للكتف وغير ذلك مما خص به كل جنس من الناس (وقد ذهبت) طائفة ممن سلف من أهل البحث والتعبير الى ان القيافة اسم مشتق من القفو وهو معنى استدلالي وأصل ذلك أن الاشكال انفصلت في صورة أسبابها بأشياء تخص الانواع بالتشكيل وخواص وجدت لسببه تضرب الخواص أضرابها في وحيدات الاشخاص وكان التناسل على وساعه وقدر من الغير لما توجبه الطبيعة من اتناق كل شيء في حورته وصرفه الى وجهه كما خصت الطبيعة كل نوع من الجنس بفصل أبانته من أغياره وفرقت بينه وبين اشكاله فلذلك أيضا خصت أوحاد الاشخاص المنفصلة في الهيئة وغير العسير من أغياره وكذلك لا تكاد. وهون الصور يتراءى في المرائي لغير من أغياره وكذلك لا تكاد وان ضمها النوع

جند العراق الى بيعته فبايعوه وسار حتى دخل الكوفة فاقام بالنخيلة أربعين يوما وخطب الناس بالكوفة فوعد المحسن وتوعد المسيء فقال ان الجامعة التي وضعت في عنق عمرو بن سعيد عندي والله لا أضعها في عنق رجل فانتزعوا الاصعدا لا افكها عنه فكافلا يبقين امرؤ الا على نفسه ولا يولغن دمه والسلام ودعا الناس الى البيعة فبايعوه فحضرت قضاعة فقال لهم كيف سلمتم وأنتم قليل مع مضر فقال عبد الله بن يعلى النهدي نحن أعز منهم وامنع بك وبمن معك منا ثم جاءت مذحج فقال ما أرى لاحد معهؤلاء بالكوفة شيأ ثم جاءت جعفي فقال ائتوني بابن أختكم يعني يحيى بن سعيد وكانت أمه مذحجية فقالوا هو آمن فقال وتشترطون أيضا فقال رجل منهم انا ما نشترط جهلا بحقك ولكنا نتسحب عليك تسحب الولد على الوالد فقال نعم أنتم الحي ان كنتم لفرسانا في الجاهلية ليحضرفهو آمن فأتوه به فبايعه ثم أتته عدوان فقدموا بين أيديهم رجلا جميلا وسيما فقال عبد الملك

عذير الحي من عدوا * ن كانوا حية الارض
بغى بعضهم بعضا * فلم يرعواعلى بعض
ومنهم كانت السادا * ت والموفون بالقرض

ثم أقبل على ذلك الرجل الجميل فقال ايه فقال لا أدري فقال معبد بن خالد الحدلي وكان خلفه

ومنهم حكم يقضى * فلا ينقض ما يقضى
ومنهم من يجير الجا * ر بالسنة والفرض
وهم من ولد واسنوا * لسير النسب المحض

فقبل عبد الملك على ذلك الجميل فقال من هو فقال لا أدري فقال معبد من ورائه هو ذو الاصبع فاقبل على الجميل فقال لم تسمى ذا الاصبع فقال لا أدري فقال معبد لان حية نهشت اصبعه فقطعتها فاقبل على الجميل فقال ما كان اسمه قال لا أدري فقال معبد حرثان بن الحرث فقال للجميل من أيكم هو قال لا أدري فقال معبد من بني ناج ثم قال للجميل كم عطاؤك قال سبعمائة قال لمعبد كم عطاؤك قال ثلثمائة فقال لكاتبه اجعل معبدا في سبعمائة وانقص من عطاء هذا أربعمائة وعجل ثم جاءت كندة فنظر الى عبد الله بن اسحق بن الاشعث فاوصى به أخاه بشر بن مروان وأقبل دواد بن قحدم في جمع كثير من بكر بن وائل عليهم الاقبية الداودية وبه سميت فجاس مع عبد الملك على سريره فاقبل عليه عبد الملك ثم نهض ونهضوا معه فقال عبد الملك هؤلاء الفساق لولا أن صاحبهم جاءني ما اعطاني أحد منهم طاعة ثم ولى قطن بن عبد الله الحارثي الكوفة ثم عزله فاستعمل أخاه بشر بن مروان ثم استعمل محمد بن عمير الهمداني على همذان ويزيد بن رويم على الري ولم يف لاحد شرط له اصبهان وقال لي بهؤلاء الفساق الذين احملوا الشام وأفسدوا العراق فقيل قد أجارهم رؤساء عشائرهم فقتل وهل بجير على أحد وكان عبد الله بن يزيد بن أسد والد خالد القسري قد لجأ الى علي بن عبد الله بن عباس ولجأ اليه أيضا يحيى بن معيوف الهمداني ولجأ الهذيل ابن زفر بن الحرث وكان مع عبد الملك على مذكره عمرو بن يزيد الحكمي الى خالد بن يزيد فأمنهم عبد الملك فظهروا فصنع عمرو بن حريث لعبد الملك طعاما كثيرا وأمر به الى الخورنق وأذن اذنا عاما فدخل الناس وأخذوا مجالسهم فدخل عمرو بن حريث فاجلسه معه على سريره ثم جاءت الموائد فأكلوا فقال عبد الملك ما لذ عيشنا والدام ولكنا كما قال الاول

وكل جديد يا أميم الى بلى * وكل امرئ يوما يصير الى كان

فلما فرغوا من الطعام طاف عبد الملك في القصر وعمرو بن حريث معه وهو يسأله عن هذا البيت

وسمها المادة فالقائف يقارب بين الهيآت فيحكم بالاقرب صورة لان تشبيه الفصل أقرب من تشبيه النوع وكذلك تشبيه الشخص الى النوع أقرب منه الى الجنس لان النوع والشخص قد ضمهما حد ان مشتركان وما ضمه ضرب من ضروب البحث والجنس حد واحد وهو أصل القيافة عند الطائفة وهو ضرب من ضروب البحث والحاق الطير في لاغلب بغيره من حيث تساويهما من حيث ذكرنا في قصية العقل وهو القياس بعينه وليس هذا الاستدلال من كلام أحد من فقهاء القائسين ولا غيرهم من المسلمين وانما هذا ترجمان من كلام طائفة من العلاسنة المتقدمين فيجب أن يكون نظر القائف على قول هذه الطائفة الى القدم لانها نهاية الاشكال وغاية الهيئة والولد لو خالف صورة أبيه في كمه أفعاله ولابسه في سائر شكله في الاغلب لوافقه في القدم لان النسل لابد له من تخصيص قوته بشيء يميزه من غيره ينسبه من سواه ولذلك وجدوا الطول في اردشنواة وكذلك صار الحفاة لاجسام والغلظ في

ومن بنى هذا البيت وعمر ويخبره فقال عبد الملك

اعمل على مهل فانك ميت * واكدح لنفسك أيها الانسان
فكأن ماقد كان لم يك اذ مضى * وكأن ماهو كائن قد كان

ولما بلغ عبد الله بن خازم مسير مصعب لقتال عبد الملك قال أمعه عمر بن عبيد الله بن معمر قيل لا استعمله على فارس قال امعه المهلب قيل لا استعمله على الخوارج قال أمعه عباد بن الحصين قيل استخلفه على البصرة قال وأنا بخراسان

خذيني فجرّيني جعار وأبشري * بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره

ولما قتل مصعب بعث عبد الملك برأسه الى الكوفة أو حمله معه الهيثم بعث به الى أخيه عبد العزيز ابن مروان بمصر فلما رآه وقد قطع السيف أنفه قال رحمك الله اما والله لقد كنت من أحسنهم حلقا وأشدهم بأسا وأسخاهم نفسا ثم سيره الى الشام فنصب بدمشق وارادوا أن يطوفوا به فى نواحى الشام فأخذته عاتكة بنت يزيد بن معاوية زوجة عبد الملك بن مروان وهى أم يزيد بن عبد الملك فغسلته ودفنته وقالت اما رصيتم بما صنعتم حتى تطوفوا به فى المدن هذا بنى وكان عمر مصعب حين قتل ستا وثلاثين سنة قال يوما عبد الملك لجلسائه من اشد الناس قالوا أمير المؤمنين قال اسلكوا غير هذا الطريق قالوا عمير بن الحباب قال قبح الله عمير الص ثوب ينازع عليه أعز عنده من نفسه ودينه قالوا فشبيب قال ان للحرورية لطريقا قالوا فمن قال مصعب كان عنده عقيلتا قريش سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة ثم هو أكثر الناس مالا جعلت له الامان وولاية العراق وعلم انى سأفى له للمرأة التى كانت بيننا فخيرنى أنعاو أبى وقاتل حتى قتل فقال رجل كان مصعب يشرب النبيذ قال كان ذلك قبل ان يطلب المروءة فاما مذ طلبها فلو علم ان الماء ينقص مروءته ماذاقه قال الاقشر الاسدى

حمى أنفه ان يقبل الضيم مصعب * فمات كريما لم تذم خلائقه
ولو شاء أعطى الضيم من رام هضمه * فعاش ملوما مثل ما عاش طارقه
ولكن مضى والبرق يبرق حاله * يشاوره مرا ومرا يعانقه
فولى كريما لم تنله مذمة * ولم يك رغدا طيبه غارقه

وقال عرجدة بن شريك

مالا بن مروان أعمى الله ناظره * ولا أصاب رغيبات ولا نفلا
يرجو الفلاح ابن مروان وقد قتلت * خيل ابن مروان حرفا ماجدا بطلا
يا ابن الحوارى كم من نعمة لكم * لو رام غيركم أمثالها شغلا
حملتم حملتم كل معضلة * ان الكريم اذا حملته حملا

وقال عبد الله بن الزبير الاسدى فى ابراهيم بن الاشتر (هذا الزبير بفتح الزاى وكسر الباء)

سأبكى وان لم تبك فتيان مذحج * فتاها اذا الليل التمام تأوبا
فتى لم يكن فى مرة الحرب جاهلا * ولا بطليع فى الوغى من تهيبا
ابان انوف الحى قحطان قتله * وانف نزار قد ابان فأوعبا
فمن يك أمسى خائنا لاميره * فجاءان ابراهيم فى الموت مصعبا

وحين قتل مصعب كان المهلب يحارب الازارقة بسولاف بلد بفارس على شاطئ البحر ثمانية

الروم وأصحاب الجمال والاكثر من أهل الشأم وأوباش مصر واللوم فى الحرر وأهل حران من بلاد ديار بكر والشيح بفارس واللوم على الطعام بأصفهان وصار تفرطح الرجلين وفطس الانوف فى السودان والطرب فى الزنج خاصة وهذا الذى وصفناه عند هذه الطائفة من أسرار الطبيعة وخواص تأثير الاشخاص العلوية والاجسام السماوية وقد تقصينا هذا الشأن على كماله فى كتبنا فى الاسرار الطبيعية العلوية والغرائب النفسية فى كتبنا فى الصور السبعة فى أنواع السياسات المدنية على من زعم أن العالم متغير جوهره الى الظلمة وان النور فيه غريب مختار وان ستة أنفس كانوا نورا بلا أجساد شيث بن آدم وزرادشت والمسيح ويونس وانسان لا يمكن ذكرهما وأن النور والظلمة قديمان وأنهما لا يريان الا غير ممتزجين وأن الاشياء لا تعمل الا فى جوهرهما ثم امتزاجا من تلقاء أنفسهما من غير داخل عليهما ولا مكره أكرههما وهذا الخلف من الكلام والفاسد من المقال وأعجب من هذا القول قول زرادشت نبى

أشهر ابلغ قتله الازارقة قبل المهلب فصاحوا بأصحاب المهلب ماقولكم فى مصعب قالوا أمير هدى وهو وليه فى الدنيا والآخرة ونحن أولياؤه قولوا فما قولكم فى عبد الملك قالوا لد الله ان اللعين نحن نبرأ الى الله منه وهو أحل دمائنا منكم قالوا فان عبد الملك قتل مصعبا وتجعلون غدا عبد الملك امامكم فلما كان الغد سمع المهلب وأصحابه قتل مصعب فبايع المهلب الناس لعبد الملك بن مروان فصاح بهم الخوارج ياأعداء الله ماتقولون فى مصعب قالوا ياأعداء الله لانخبركم وكرهوا أن يكذبوا أنفسهم قالوا وماقولكم فى عبد الملك قالوا - لبيقتلوا ولم يجدوا بدا ادبايعوه ان يقولوا ذلك قالوا ياأعداء الله أنتم بالامس تبرؤن منه فى الدنيا والآخرة وهو اليوم امامكم وقد قتل أميركم الذى كنتم تولونه فيهما المهدى وأيهما المبطل قالوا ياأعداء الله رضينا بذلك اذ كان يتولى أمرنا ويرضى هداه لنا والله لكم احوال الشياطين وعبيد الدنيا وأما عبد الله بن الزبير فلما انتهى اليه قتل أخيه مصعب قام فى الناس فحطبهم فقال الحمد لله الذى له الخلق والامر يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ألا وانه لم يذل الله من كان الحق معه وان كان فرد ولم يعز من كان وليه الشيطان وان كان الناس معه طرا ألا وانه قد أتانا من العراق خبر أحزننا وأفرحنا أما قتل مصعب رحمه الله وأما الذى أفرحنا فعلمنا أن قتله شهادة وأما الذى أحزننا من العراق الجيم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة يرعوى بعدها ذو الرأى الجميل الى الصبر وكريم العزاء وما مصعب الا عبد من عبيد الله وعون من أعوانى ألا وان أهل العراق أهل الغدر والله قد آسلموه وباعوه أقل الثمن فان يقتل فوالله ماعوت على مضاجعنا كما يموت سوائى العاص والله ماقتل رجل منهم فى زحف فى الجاهلية ولا فى الاسلام ولا عوت الا قعصا برماح وتحت ظلال السيوف أما ان الدنيا عارية من الملك الاعلى الذى لا يزول سلطانه ولا يبيد ملكه فان تقبل لآخذها أخذ البطر وان تدبر لم أبك عليها بكاء الصرع المهين أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم (حجار بن أبجر بفتح الحاء المهملة وتشديد الجيم وكنيته أبو أسيد بضم الهمزة وفتح السين وحبى بضم الحاء المهملة وبالباء الموحدة المشددة المماله وآخره ياء مثناة من تحتها وعبد الله بن حازم بالحاء المعجمة والزاى)

﴿(ذكر ولاية خالد بن عبد الله البصرة)﴾

وفى هذه السنة تنازع ولاية البصرة حمران بن أبان وعبيد الله بن أبى بكرة وقال ابن أبى بكرة أنا اعلم منك كنت ألحق على أصحاب خالد يوم الحفر فقيل لحمران انك لا تقوى على ابن أبى بكرة فاستعن بعبد الله بن الاهيم فاستعان به فغلب على البصرة وعبد الله على شرطها وكان لحمران مع ذلك عمد بنى أمية وكانت هذه الامارة بعد قتل مصعب فلما استولى عبد الملك على العراق بعد قتله استعمل على البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فوجه خالد عبيد الله بن أبى بكرة اليها خليفة له فلما قدم على حمران قال قد جئت لاجثث فكان عبيد الله عليها حتى قدم خالد ولما فرغ عبد الملك من أمر العراق عاد الى الشام

﴿(ذكر أمر عبد الملك وزفر بن الحرث)﴾

قد ذكرنا فى وقعة راهط مسير زفر الى قرقيسيا واجتماع قيس عليه والسبب فى استيلائه عليها وما كان منه مدة ذلك وكان على بيعة ابن الزبير وفى طاعته فلما مات مروان بن الحكم وولى ابنه عبد الملك كتب الى أبان بن عقبة بن أبى معيط وهو على حمص يأمره ان يسير الى زفر فسار اليه وعلى مقدمته عبد الله بن رميث الطائى فراسع عبد الله فر قبل وصول أبان وكثر فى أصحابه القتل

المحوس ان اعديم تعالى ذكره طالت وحدته فطالت وحدته فلما أن طالت وحدته واشتدت وحشته توالد الهم منه وهو الشيطان من تلك الوحشة التى ولدتها تلك الوحدة وأن الله عز وجل لو كان قادرا على افناء الهم منه لما ضرب له أجلا ولا أجل له أمر يسعى عباده ويفسد بلاده وهذا هو المحال بعينه والتناقض بعينه ويجب آخر من الآراء من قول ولص بن المسيح عيسى السلام هو الذى أرسله وأن المسيح سام وانه لانه انه صار انسانا وانسان صار لها وقد تنبهنا على حمل من هذه فصلات أهل الآراء فى أثناء ما تقدم من كتبنا وانما شعب بنا لكلام الى هذا النوع ونعلل بما نقول انى هذا المعنى لانه من جنس ما كنا فيه لكن عهد كرنا لك أودعناه كتاب لا سرجع ولا بد ان عرض فيه فسرجع الآن الى ما كنا فيه من هذا الكتاب (وحدث) المنقرى عن العتبى قال وقف عبيد الراعى دات يوم مع ركب من تغلب على بشر وكانوا يريدون استنقاصه رجل من عجم اذ

قتل منهم ثلثمائة فلامه أبان على عجلته وأقبل أبان فواقع زفر فقتل ابنه وكيع بن زفر وادركت طيئ ثقل زفر ونساءه فاستوهب محمد بن حصين بن غير النساء وألحقهن بزفر بقرقيسيا فقال زفر

علقن بجبل من حصين لوأنه * تغير حالات دهرهن المصائر

أبوكم أبونا في القديم وانني * لغاركم في آخر الدهر شاكر

وكان يقال لزفر انه من كندة ثم ان عبد الملك لما أراد المسير الى مصعب سار الى قرقيسيا لحصر زفر فيها ونصب عليها المجانيق فأمر زفر أن ينادي في عسكر عبد الملك لم نصبتم علينا المجانيق قال لنتلم ثلمة نقاتلكم عليها فقال زفر قولوا لهم فانا لا نقاتلكم من وراء الحيطان ولكنا نخرج اليكم وثلمت المجنيق من المدينة برعاء ما يلي حريث بن بحدل فقال زفر

لقد تركتني مجنيق ابن بحدل * أحيد عن العصنوحين يطير

وكان خالد بن يزيد بن معاوية يحدث في قتالهم فقال رجل من أصحاب زفر من بني كلاب لا قولن لخالد كلاما يعود عما يصنع فلما كان الغد خرج خالد للمحاربة قال له الكلابي

ماذا ابتغاء خالد وهمه * اذ سلب الملك ونيكت أمه

فاستحيا وعاد ولم يرجع يقاتلهم وقالت كلب لعبد الملك انا اذا لقينا زفر انهزمت القيسية الذين معك فلا تخلطهم معنا ففعل وكتبت القيسية على نبلها انه ليس يقاتلكم غدا مضري ورموا النبل الى قرقيسيا فلما أصبح زفر دعا ابنه الهذيل وبه كان يكنى وقيل كان يكنى أبا الكوثر فقال اخرج اليهم فشد عليهم شدة لا ترجع حتى تضرب فسطاط عبد الملك والله ان رجعت دون ان تطأ أطناب فسطاطه لا قتلنك فجمع الهذيل خيله وحمل عليهم فصبروا قليلا ثم انكشفوا واتبعهم الهذيل بخيله حتى وطئوا اطناب الفسطاط وقطعوا بعضها ثم رجعوا فقيل زفر رأس الهذيل وقال لا يزال عبد الملك يحبك بعدها أبدا فقال الهذيل والله لو شئت ان ادخل الفسطاط لفعلت فقال زفر

ألا ابالي من أتاه حمامه * اذا ما المنايا عن هذيل تجلت

تراه أمام الخيل أول فارس * ويضرب في أعجازها ان تولت

ولما ثلم برج قرقيسيا قال لعبد الملك بعض أهله لو قاتلتهم بقضاعة لملكتهم ففعل وقاتلهم فلما كان عند المساء انكشفت قضاعة وكثر القتل فيهم وأقبل روح بن زنباع الجذامي الى برج منها فسأل اهله وقال نشدتكم الله كم قتلنا منكم قالوا والله لم يقتل منا أحد ولم يجرح الا رجل واحد ولا بأس عليه ثم قالوا نشدناك الله كم قتل منكم قال عدة فرسان وجرحتم ما لا يحصى فلعن الله ابن بحدل ورجع روح الى عبد الملك وقال ان ابن بحدل يمنيك الباطل فاعرض عن هذا الرجل وكان رجل من كلب يقال له الدبال يخرج فيسب زفر فيكثر فقال زفر للهذيل ابنه أو لبعض أصحابه اما تكفيني هذا قال انا أجيئك به فدخل عسكر عبد الملك ليلا فجعل ينادي من يعرف بغلا من صفته كذا وكذا حتى انتهى الى خباء الرجل وقد عرفه فقال الرجل ردّ الله عليك ضالتك فقال يا عبد الله اني قد عييت فلو أذنت لي فاسترحت قليلا قال ادخل فدخل والرجل وحده في خبائه فرمى بنفسه ونام صاحب الخباء فقام اليه فأيقظه وقال والله لئن تكلمت لأقتلنك قتلت أو سلمت فاذا ينفعك قتلي اذ قتلت أنت ولئن سكت وجئت معي الى زفر فلك عهد الله وميثاقه ان اردك الى عسكرك بعد ان يصلك زفر ويحسن اليك فخرجا وهو ينادي من دل على بغل من صفته كذا وكذا حتى أتى زفر والرجل معه فاعلمه انه قد أمنه فوهب له زفر دنانير وحمله على رحالة النساء وألبسه ثيابهن وبعث معه رجلا حتى دنوا من عسكر عبد الملك فنادوا هذه جارية قد بعث بها زفر الى عبد الملك وانصرفوا فلما نظر اليه

سنحت ظباء سود منكرة ثم اعترضت الركب مقصرة في حضرها واقفة على شأنها وأنكر ذلك عبيد الراعي ولم يعقبه له أصحابه فقال عبيد ألم تدر ما قال الظباء السوانح أطفى أمام الركب والركب رائح

فكبر من لم يعرف الزجر منهم وأيقن قلبي أنهن نوائح

ثم شاروا مقصدهم فألفوا الرئيس قد نهشته افعى فأتت عليه قال أبو عبيدة معمر بن المثنى وهذا من غريب الزجر وذلك أن السانح مرجو عند العرب والبارح هو المخوف وأظن عبيدا انما زجر الظباء في حالة رجوعها ووصف الحال الاول في شعره كما ان من شرط الواصف أن يبدأ بهوادي الاسباب فيوضح عنها فهذا وجه زجر عبيد الراعي في شعره (ويقال) ان الكهانة لليمن والزجر لبني أسد والقيافة لبني مدلج وأحياء مضر بن نزار بن معد لما كان من فعل بني نزار الاربعة في مسيرهم نحو الافعى الجرهمي ووصفهم الجمل الشارد لي ما ذكرنا وذلك منهم قيافة حين هنالك تفرقت القيافة في أحياء مضر على حسب ما تفعل في العروق ونزع وأهل العروق أكهن وأهل

هل العسكر عرفوه واخبروا عبد الملك الخبر فضحك وقال لا يبعد الله رجلا نصر والله ان قتلهم لذل وان تركهم لحسرة وكف الرجل فلم يعد يسب زفر وقيل انه هرب من العسكر ثم ان عبد الملك أمر أخاه محمدا ان يعرض على زفر وابنه الهذيل الامان على أنفسهما ومن معهما وما لهم وان يعطيا ما أحبا ففعل محمد ذلك فاجاب الهذيل وكلم أباه وقال له لو صالحت هذا الرجل فقد أطاعه الناس وهو خير لك من ابن الزبير فاجاب على ان له الخيار في بيعته سنة وان ينزل حيث شاء ولا يعين عبد الملك على قتال ابن الزبير فبينما الرسل تختلف بينهما اذ جاءه رجل من كلب فقال قد هدم من المدينة أربعة ابراج فقال عبد الملك لا أصالحهم وزحف اليهم فهزموا أصحابه حتى ادخلوهم عسكرهم فقال اعطوهم ما أرادوا فقال زفر لو كان قبل هذا الكان أحسن واستقر الصلح على أمان الجميع ووضع الدماء والاموال وان لا يبايع عبد الملك حتى يموت ابن الزبير للبيعة له في عنقه وان يعطى مالا يقسمه في أصحابه وخاف زفر ان يغدر به عبد الملك كما غدر بعمرو بن سعيد فلم ينزل اليه فأرسل اليه بقضيب النبي صلى الله عليه وسلم أمانا له فنزل اليه فلما دخل عليه أجلسه معه على سريره فقال ابن عضاة الاشعري أنا كنت احق بهذا المجلس منه فقال زفر كذبت هناك انى عاديت فصررت واليت فنفعت ولما رأى عبد الملك قلة من مع زفر قال لو علمت انه في هذه القلة لحاصرته أبدا حتى نزل على حكمي فبلغ قوله زفر فقال ان شئت رجعنا ورجعت فقال بل نفى لك يا أبا الهذيل وقال له عبد الملك يوما بلغني انك من كندة فقال وما خير من لا يبغي حسدا ولا يدعى رغبة وتزوج مسلمة بن عبد الملك الرباب بنت زفر فكان يؤذن لاخويها الهذيل والكوثر في أول الناس وأمر زفر ابنه الهذيل ان يسير مع عبد الملك الى قتال مصعب وقال له أنت لا عهد عليك فسار معه فلما قارب مصعبا هرب اليه وقاتل مع ابن الاشتر فلما قتل ابن الاشتر اختفى الهذيل بالكوفة حتى استؤمن له من عبد الملك فأمنه كما تقدم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفي هذه السنة افتتح عبد الملك قيسارية في قول الواقدي وفيها نزع ابن الزبير جابر بن الاسود بن عوف عن المدينة واستعمل عليها طلحة بن عبيد الله بن عوف وهو آخر وال كان له على المدينة حتى أتاه طارق بن عمرو مولى عثمان فهرب طلحة وأقام طارق بها حتى سار الى مكة لقتال ابن الزبير وفي امارة مصعب مات براء بن عازب بالكوفة ويزيد بن مفرغ الحميري الشاعر بها أيضا وعبد الله بن أبي حدرد الاسلمي شهد الحديبية وخيبر وفي أيامه مات شتير بن شكل القيسي الكوفي وهو من أصحاب علي وابن مسعود (شتير بضم الشين المعجمة وفتح التاء فوقها نقطتان وبعدها ياء تحتها نقطتان وشكل بفتح الشين المعجمة والكاف وآخره لام)

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين﴾

﴿ذكر أمر الخوارج﴾

لما استقر عبد الملك بالكوفة بعد قتل مصعب استعمل خالد بن عبد الله على البصرة فلما قدمها خالد كان المهلب يحارب الازارقة فجعله على خراج الاهواز ومعونتها وسير أخاه عبد العزيز بن عبد الله الى قتال الخوارج وسير معه مقاتل بن مسمع نفر حا يطلبان الازارقة فاتت الخوارج من ناحية كرمان الى دارابجرد وأرسل قطري بن الفجاءة المازني مع صالح بن مخارق تسعمائة فارس فاقبل يسير بهم حتى استقبل عبد العزيز وهو يسيرهم لا على غير تعبية فانهزم بالناس ونزل مقاتل بن مسمع حتى قتل وانهزم عبد العزيز وأخذت امرأته ابنة المنذر بن الجارود فأقيمت

فيمن

الجمال أقوف وبارض الحفاء وهي بلاد الرمل من بلاد مضر وأرض الشأم في تلك الاراضي يتناول الانسان من تمر نخلهم فيغيب عنهم السنين ولم يروه ولا شاهدوه فان رأوه بعد مدة علموا انه الآخذ لتمرهم ولا يكادون يخطؤن وهذا من فعلهم مشهور ولا يكاد تخفى عليهم أقدام أي الناس هم (ورأيت) بهذه الارض أناسا قد رتبهم ولاة المنازل يطوفون في هذا الرمل يعرفون بالقصاص يقصون آثار الناس وغيرهم فيخبرون ولاة المنازل أي الناس هم ممن طرق البلاد وهم لم يروهم بل رأوا آثار أقدامهم وهذا معنى لطيف وحس دقيق (وقد قفت) القافة بقريش حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار حتى أتت باب الغار على حجر صلد وصخر صم وجبال لا رمل عليها ولا طين ولا تراب يتبين عليه الاقدام فحجبهم الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم بما كان من نسج العنكبوت وما سفت عليه الرياح وما لحق القائف من الحيرة وقوله الى ههنا انتهت الاقدام ومعه الجماعة من قريش لا يرون على الصلد ما يرى على الصوان وما يشاهد

فعين يزيد فبلغت قيمتها مائة ألف فجاء رجل من قومها من رؤس الخوارج فقال تحواهكذا ما أرى هذه المشركة الا قد فتنتكم وضرب عنقها ولحق بالبصرة فرآه آل المنذر فقالوا والله ماندري انحمدك أم نذمك وكان يقول ما فعلته الا غيرة وحمية وانتهى عبد العزيز الى رامهرمز وأتى المهلب خبره فارسل اليه شيخا من الازد وقال له ان كان منهزما فعزه فاتاه الرجل فرآه نازلا في نحو ثلاثين فارسا كثيبا حزينا فابلغه الرسالة وعاد الى المهلب بالخبر فارسل المهلب الى أخيه خالد بن عبد الله يخبره بهزيمته فقال للرسول كذبت فقال والله ما كذبت فان كنت كاذبا فاضرب عنقي وان كنت صادقا فاعطني جبتك ومطرفك قال قد رضيت من الخطر العظيم بالخطر اليسير وحبسه وأحسن اليه حتى سمع خبر الهزيمة قال ابن قيس الرقيات في هزيمة عبد العزيز وفراره عن امرأته

عبد العزيز فضحت جيشك كلهم * وتركتهم صرعى بكل سبيل
من بين ذي عطش يجود بنفسه * وملحب بين الرجال قتيل
هلا صبرت مع الشهيد مقاتلا * اذ رحت منتكث القرى باصيل
وتركت جيشك لا أمير عليهم * فارجع بعار في الحياة طويل
ونسيت عرسك اذ تقاد سبية * تبكي العيون بربة وعويل

فكتب خالد الى عبد الملك يخبره بذلك فكتب اليه عبد الملك قد عرفت ذلك وسألت رسولك عن المهلب فاخبرني انه عامل الاهواز فقبح الله رأيك حين تبعث أخاك اعرابيا من أهل مكة على القتال وتدع المهلب يجبي الخراج وهو الميمون النقيبة القاسي للحرب ابنها وابن أبنائها أرسل الى المهلب يستقدمهم وقد بعثت الى بشر بالكوفة ليمدك بجيش فسر معهم ولا تعمل في عدوك برأي حتى يحضره المهلب والسلام وكتب عبد الملك الى بشر أخيه بالكوفة يأمره بانفاذ خمسة آلاف مع رجل يرضاه لقتال الخوارج فاذا قضوا غزوتهم ساروا الى الري فقاتلوا عدوهم وكانوا مسلحة فبعث بشر خمسة آلاف وعلمهم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فكتب له عهدا على الري عند الفراغ من قتاله وخرج خالد بأهل البصرة حتى قدم الاهواز وقدمها عبد الرحمن بن محمد في أهل الكوفة وجاءت الازارقة حتى دنوا من الاهواز فقال المهلب لخالد اني أرى ههنا سفنا كثيرة فضمها اليك فانهم سيحرقونها فلم يمض الا ساعة حتى ارسلوا اليها فاحرقوها وجعل خالد المهلب على ميمنته وعلى ميسرته داود بن قحذم من بني قيس بن ثعلبة ومر المهلب على عبد الرحمن بن محمد ولم يخندق عليه فقال ما يمنعك من الخندق فقال هم أهون علي من ضرط الحمل قال لا يهونوا عليك فانهم سباع العرب ولم يبرح المهلب حتى خندق عبد الرحمن عليه وأقاموا نحوا من عشرين ليلة ثم زحف خالد اليهم بالناس فرأوا أمرا هالهم من كثرة الناس فكثرت عليهم الخيل وزحفت اليهم فانصرفوا كأنهم على حامية وهم مولون لا يرون طاقة بقتال جماعة الناس فارسل خالد داود بن قحذم في آثارهم وانصرف خالد الى البصرة وسار عبد الرحمن الى الري وأقام المهلب بالاهواز وكتب خالد الى عبد الملك بذلك فلما وصل كتابه الى عبد الملك كتب الى أخيه بشر يأمره ان يبعث أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة مع رجل بصير بالحرب الى فارس في طلب الازارقة ويأمر صاحبه بموافقة داود بن قحذم ان اجتمعا فبعث بشر عتاب بن ورقاء في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة فسار واحتى لحقوا داود فاجتمعوا ثم اتبعوا الخوارج حتى هلكت خيول عامتهم وأصابهم الجوع والجهد ورجع عامة الجيشين مشاة الى الاهواز وفي

وأبصارهم سليمة والآفات عنهم مرتفعة والموانع زائلة ولولا أن هنالك لطيفة لا يتساوى الناس في علمها ولا يتقنون بالابصار احصاءها ادراكها لما استأثر بذلك طائفة دون أخرى وأهل الجبال والقفار والرهاش أزجر وأعرف (وقد ذهب) قوم من أهل الشريعة من فقهاء الامصار وغيرهم ممن سلف الى الحكم بالقيافة استدلالا على شرف القيافة وعظم خطرها وكبر محلها وتحقيق فضلها لتعجب النبي صلى الله عليه وسلم منها وتصديقه محرزا المدلجي وقد أنكر جماعة من فقهاء الامصار ممن سلف وخلف الحكم بالقيافة والدليل على فساد الحكم بها الحاق النبي صلى الله عليه وسلم الولد بأبيه حين شك فيه لعدم التشابه فقال يا رسول الله ان امرأتي وضعت غلاما وانه لاسود فقال النبي صلى الله عليه وسلم مقربا الى فهمه وقصد امنه لفساد علته التي قصدها وشك فهل لك من ابل قال نعم قال فما ألوانها قال حمر قال فهل فيها أورق قال نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم فمن أين ذلك لعل عرقا نزع وقوله صلى الله عليه وسلم في قصة شريك بن سحماء ان جاءت

به على النعت المكروه وهو الذى رميت به فلما جاءت به على النعت المكروه ووجد التشابه بينه وبين من رميت به فقال النبى صلى الله عليه وسلم لولا حكم الله لكان لى ولك شأن فألحق الولد مع عدم الشبه هنالك ولم يلحق بالشبه ههنا ولم يجعله حكما وقضى بوجود الفراش وثبوت النسب على فساد الحكم بالتشابه (وهذا) قصدنا فيه هذا الكلام وانما ذكرنا هذا الفصل لذكر الحكم بضده من القيافة وهذا باب يطول فيه الخطب ويكثر فى معانيه الشرح لعموضه ولطفه وقد ذكرنا وجه الكلام فى ذلك وما ذهبت اليه كل فرقة من الناس ممن سلف وخلف فى كتابنا المترجم بكتاب الرؤس السبعة فى الاحاطة بسياسة العالم وأسراره وهو كتاب مشهور مستوعب

﴿ذكر الكهانة وما قيل فى ذلك وما اتصل بهذا الباب مما يراه الناس وحد النفس الناطقة﴾

تنازع الناس فى الكهانة فذهبت طائفة من حكماء اليونانيين والروم الى التكهن وكانوا يدعون العلوم من الغيوب فادعى صنف منهم أن نفوسهم قد

هذه السنة كان خروج أبى فديك الخارجى وهو من بنى قيس بن ثعلبة فغلب على البحرين وقتل نجدة بن عامر الحنفى فاجتمع على خالد بن عبد الله نزول قطرى الاهواز وأمر أبى فديك فبعث أخاه أمية بن عبد الله فى جند كثيف الى أبى فديك فهزمه أبو فديك وأخذ جارية له فاتخذها لنفسه فكتب خالد الى عبد الملك بذلك

﴿ذكر قتل عبد الله بن خازم﴾

ولما قتل مصعب كان ابن خازم يقاتل بحير بن ورقاء الصريمى التميمى بنيسابور فكتب عبد الملك الى ابن خازم يدعوه الى البيعة له ويطمعه خراسان سبع سنين وأرسل الكتاب مع سوادة بن اشتم النميرى وقيل مع مكمل العنوى فقال ابن خازم لولا ان اضرب بين سليم وعامر لقتلتك ولكن كل كتابك فاكله وقيل بل كان الكتاب مع سوادة بن عبيد الله النميرى وقيل مع مكمل العنوى فقال له ابن خازم انما بعثك أبو الذبان لانك من غنى وقد علم انى لا أقتل رجلا من قيس ولكن كل كتابه وكتب عبد الملك الى بكير بن وشاح وكان خليفة ابن خازم على مرو يعهده على خراسان ووعده ومناه فخلع بكير عبد الله بن الزبير ودعا الى عبد الملك فاجابه أهل مرو وبلغ ابن خازم فخاف ان يأتيه بكير فيجتمع عليه أهل مرو وأهل نيسابور فترك بحيرا وأقبل الى مرو ويريد ابنه بترمذ وتبعه بحير فلحقه بقرية على ثمانية فراسخ من مرو فقاتله ابن خازم فقتل ابن خازم وكان الذى قتله وكيع بن عمرو القريعى أعثره وكيع وبحير بن ورقاء وعمار بن عبد العزيز فطعنوه فصرعوه وقعد وكيع على صدره فقال له بعض الولاة لو كيع كيف قتلته قال غلبته بنصل القناة فلما سرع قعدت على صدره فلم يقدر أن يقوم وقاتل بالشارات دوبلة وهو أخو وكيع لامه قتل فى بعض تلك الحروب قال وكيع فتنخم فى وجهى وقال لعمرك الله أتقتل كبش مضر يا خبيث وهو لا يساوى كفاس نوى أو قال من تراب قال فما رأيت أكثر رقا منه على تلك الحال عند الموت وبعث بحير ساعة قتل ابن حازم الى عبد الملك يخبره بقتله ولم يبعث برأسه وبعث بحير بكير بن وشاح فى أهل مرو فوافاهم حين قتل ابن حازم فاراد أخذ الرأس وانفاذه الى عبد الملك فمنعه بحير فضربه بكير بعمود وحبسه وسير الرأس الى عبد الملك وكتب اليه يخبره انه هو الذى قتله فلما قدم الرأس دعا عبد الملك برسول بحير وقال ما هذا قال لا أدرى وما فارقت القوم حتى قتل ابن خازم وقيل ان ابن خازم انما قتل بعد قتل عبد الله بن الزبير وان عبد الملك أنفذ اليه رأس ابن الزبير ودعاه الى نفسه فغسل الرأس وكفنه وبعثه الى أهله بالمدينة واطعم الرسول الكتاب وقال لولا انك رسول لقتلتك وقيل بل قطع يديه ورجليه وقتله وحلف أن لا يطيع عبد الملك أبدا (بحير بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة)

﴿ذكر عدة حوادث﴾

كان العامل على المدينة طارقا لعبد الملك وعلى الكوفة بشر بن مروان وعلى قضائها عبيد الله بن عبد الله بن عتبة وعلى البصرة خالد بن عبد الله وعلى قضائها هشام بن هبيرة وعلى خراسان فى قول بعضهم بكير بن وشاح وفى قول بعضهم عبد الله بن خازم وفى هذه السنة مات عبيدة السلمانى وهو من أصحاب على (عبيد بفتح العين وكسر الباء الموحدة)

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين﴾

﴿ذكر قتل عبد الله بن الزبير﴾

لما بلغه بيع عبد الملك بالشام بعث الى المدينة عروة بن أنيف فى ستة آلاف من أهل الشام وأمره ان لا يدخل المدينة وأن يعسكر بالعرصة وكان عامل عبد الله بن الزبير على المدينة الحرث بن خالد ابن الحرث بن سمرة الجمحى فهرب الحرث وكان ابن أنيف يدخل و يصلى بالناس الجمعة ثم يعود الى معسكره فاقام شهرا ولم يبعث اليهم ابن الزبير أحدا وكتب اليه عبد الملك بالعود اليه فعاد هو ومن معه وكان يصلى بالناس بعده عبد الرحمن بن سعد القرظى ثم عاد الحرث الى المدينة و بعث ابن الزبير سليمان بن خالد الزرقى الانصارى وكان رجلا صالحا عاملا على خيبر وفدك فنزل فى عمله فبعث عبد الملك عبد الواحد بن الحرث بن الحكم وقيل اسمه عبد الملك وهو أصح فى أربعة آلاف فسار حتى نزل وادى القرى وسير سرية عليها أبو القمقام فى خمسمائة الى سليمان فوجدوه قد هرب فطلبوه فادركوه فقتلوه ومن معه فاغتم عبد الملك بن مروان بقتله وقال قتلوا رجلا مسلما صالحا بغير ذنب وعزل ابن الزبير الحرث واستعمل مكانه جابر بن الاسود بن عوف الزهرى فوجه جابر أبا بكر بن أبى قيس فى ستمائة فارس وأربعين فارسا الى خيبر فوجدوا أبا القمقام ومن معه مقيمين بفدك يعسفون الناس فقاتلوهم فانهزم اصحاب أبى القمقام وأسر منهم ثلاثون رجلا فقتلوا صبرا وقيل بل قتل الخمسمائة أو أكثرهم و وجه عبد الملك طارق بن عمرو مولى عثمان وأمره ان ينزل بين أيلة و وادى القرى و يمنع عمال ابن الزبير من الانتشار و يسد خلال ان ظهر له فوجه طارق الى أبى بكر خيلا فاقتتلوا فأصيب أبو بكر فى المعركة وأصيب من أصحابه أكثر من مائتى رجل وكان ابن الزبير قد كتب الى القباع أيام كان عامله على البصرة يأمره ان يرسل اليه ألفى فارس ليعينوا عامله على المدينة فوجه اليه ألفى رجل فلما قتل أبو بكر أمر ابن الزبير جابر بن الاسود ان يسير جيش البصرة الى قتال طارق فسار البصريون عن المدينة و بلغ طارقا الخبر فسار نحوه فالتقيا فقتل مقدم البصريين وقتل أصحابه قتلا ذريعا وطلب طارق مدبرهم وأجهز على جريحهم ولم يتبع أسيرهم و رجع طارق الى وادى القرى وكان عامل ابن الزبير بالمدينة جابر بن الاسود وعزل ابن الزبير جابرا واستعمل طلحة بن عبيد الله بن عوف الذى يعرف بطلحة الندى سنة سبعين فلم يزل على المدينة حتى أخرج طارق فلما قتل عبد الملك مصعبا وأتى الكوفة وجه منها الحجاج بن يوسف الثقفى فى ألفين وقيل فى ثلاثة آلاف من أهل الشام لقتال عبد الله بن الزبير وكان السبب فى تسييره دون غيره انه قال لعبد الملك قد رأيت فى المنام انى أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته فابعثنى اليه وولنى قتاله فبعثه وكتب معه أمانا لابن الزبير ومن معه ان أطاعوا فسار فى جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين ولم يعرض للمدينة ونزل الطائف وكان يبعث الخيل الى عرفة و يبعث ابن الزبير أيضا فيقتتلون بعرفة فتنهزم خيل ابن الزبير فى كل ذلك وتعود خيل الحجاج بالظفر ثم كتب الحجاج الى عبد الملك يستأذنه فى دخول الحرم وحصر ابن الزبير و يخبره بضعفه وتفرق أصحابه و يستمده فكتب عبد الملك الى طارق يأمره باللحاق بالحجاج فقدم المدينة فى ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين وأخرج عامل ابن الزبير عنها وجعل عليها رجلا من أهل الشام اسمه ثعلبة فكان ثعلبة يخرج المنبر وهو على منبر النبى صلى الله عليه وسلم ثم يأكله و يأكل عليه التمر ليغيظ أهل المدينة وكان مع ذلك شديدا على أهل الزبير وقدم طارق على الحجاج بمكة فى سلخ ذى الحجة فى خمسة آلاف وأما الحجاج فانه قدم مكة فى ذى القعدة وقد أحرم بحجه فنزل بئر ميمون وحج بالناس تلك السنة الحجاج الا انه لم يطف بالكعبة ولا سعى بين الصفا والمروة منعه ابن الزبير من ذلك فكان يلبس السلاح ولا يقرب النساء ولا الطيب الى ان قتل ابن الزبير ولم يحج ابن الزبير ولا أصحابه لانهم لم يقفوا بعرفة ولم يرموا الجمار

صفت فهى مطلعة على أسرار الطبيعة وعلى ما تريد أن يكون منها الان صور الاشياء عندهم فى النفس الكلية وصنف منهم ادعى أن الارواح المنفردة وهى الجن تخبرهم بالاشياء قبل كونها وأن أرواحهم كانت قد صفت حتى صارت لتلك الارواح من الجن متعلقة (وذهب) قوم من النصارى أن السيد المسيح انما كان يعلم الغائبات من الامور ويخبر عن الاشياء قبل كونها لانها كانت فيه نفس عالمة بالغيب ولو كانت تلك النفس فى غيره من أشخاص الناطقين لكان يعلم الغيب ولا أعمه خلت الاكان فيها كهانة ولم يكن الاوائل من الفلاسفة اليونانية يدعون الكهانات وشهر فيهم أن فيثاغورس كان يعلم علوما من الغيب وسمر وا من الوحى لصفاء نفسه وتجردها من أران هذا العالم والصابئة تذهب الى أن ازرياسيس وأوايس وأوبس الثانى وهما هرمس وأغاثيمون كانوا يعلمون الغيب ولذلك كانوا أنبياء عندالصابئة ومنعوا أن تكون الجن أخبرت من ذكرنا بشئ من ضروب الغيب لكن صفت

ونحر ابن الزبير بدنه بمكة ولما حصر الحجاج ابن الزبير نصب المنجنيق على أبي قبيس ورمى به الكعبة وكان عبد الملك ينكر ذلك أيام يزيد بن معاوية ثم أمر به فكان الناس يقولون خذل في دينه وحج ابن عمر تلك السنة فارسل الى الحجاج ان اتق الله واكفف هذه الحجارة عن الناس فانك في شهر حرام وبلد حرام وقد قدمت وفود الله من أقطار الارض ليؤدوا فريضة الله ويزدادوا خيرا وان المنجنيق قد منعهم عن الطواف فاكفف عن الرمي حتى يقضوا ما يجب عليهم بمكة فبطل الرمي حتى عاد الناس من عرفات وطافوا وسعوا ولم يمنع ابن الزبير الحاج من الطواف والسعي فلما فرغوا من طواف الزيارة نادى منادي الحجاج انصرفوا الى بلادكم فانا نعود بالحجارة على ابن الزبير الملحد وأول ما رمى بالمنجنيق الى الكعبة أرعدت السماء وأبرقت وعلا صوت الرعد على الحجارة فاعظم ذلك أهل الشام وأمسكوا أيديهم فاخذ الحجاج حجارة المنجنيق بيده ووضعها فيه ورمى بها معهم فلما أصبحوا جاءت الصواعق فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلا فانكسر أهل الشام فقال الحجاج يا أهل الشام لا تنكروا هذا فاني ابن تهامة وهذه صواعقها وهذا الفتح قد حضر فابشروا فلما كان الغد جاءت الصاعقة فاصابت من أصحاب الزبير عدة فقال الحجاج ألا ترون أنهم يصابون وأنتم على الطاعة وهم على خلافها وكانت الحجارة تقع بين يدي ابن الزبير وهو يصلي فلا ينصرف وكان أهل الشام يقولون

يا ابن الزبير طالما عصيكا * وطالما عنيتنا اليكا * لتحزين بلدي أتيكا

يعنون عصيت وأتيت وقدم عليه قوم من الاعراب فقالوا قد منعنا القتال معك فنظر فاذا مع كل امرئ منهم سيف كأنه شفرة وقد خرج من عنده فقال يا معشر الاعراب لا قربكم الله فوالله ان سلاحكم لرث وان حديثكم لغث واركم لقتال في الجدب أعداء في الخصب فتفرقوا ولم يزل القتال بينهم دائما فغلت الاسعار عند ابن الزبير وأصاب الناس مجاعة شديدة حتى ذبح فرسه وقسم لحمها في أصحابه وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم والمد الدرة بعشرين درهما وان بيوت ابن الزبير لمملوءة قمحا وشعيرا وذرة وغيرا وكان أهل الشام ينتظرون فناء ما عنده وكان يحفظ ذلك ولا ينفق منه الا ما يمسك الرمق ويقول أنفس أصحابي قوية ما لم يفن فلما كان قبل مقتله تفرق الناس عنده وخرجوا الى الحج بالامان خرج من عنده نحو عشرة آلاف وكان ممن فارقه ابناه حمزة وحبيب أخذ الامان لانفسهما أمانا فقال عبد الله لابيه الزبير خذ لنفسك أمانا كما فعل أخواك فوالله اني لاحب بقاءكم فقال ما كنت لارغب بنفسي عنك فصبر معه فقتل ولما تفرق أصحابه عنه خطب الحجاج الناس وقال قد ترون قلة من مع ابن الزبير وما هم عليه من الجهد والضيق ففرحوا واستبشروا وتقدموا فقاتلوا ما بين الحجون الى الابواء فدخل على أمه فقال يا أماه قد خذلني الناس حتى ولدي وأهلي ولم يبق معي الا اليسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك فقالت أنت أعلم بنفسك ان كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكن من رقبتك يتلعب بها غلمان بني امية وان كنت انما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك ومن قتل معك وان قلت كنت على حق فلما وهن أصحابي ضعفت فهذا ليس فعل الاحرار ولا أهل الدين كم خلودك في الدنيا القتل أحسن فقال يا أماه أخاف ان قتلني أهل الشام أن يمثلوا بي ويصلبوني فقالت يا بني ان الشاة لا تتألم بالسلخ فامض على بصيرتك واستعن بالله فقبل رأسها وقال هذا رأيي والذي خرجت به داعيا الى يومي هذا ما ركنت الى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها وما دعاني الى الخروج الا الغضب لله وان تستحل حرماته ولكني أحببت

نفوسهم حتى اطلعوا على ما لم تر عين غيرهم من جنسهم (وطائفة) ذهبت الى أن التكهن سبب تنسأني لطيف يتولد من صفاء مزاج الدماغ وقوة الحس ولطافة الحس (وذكر) كثير من الناس أن الكهانة تكون من فعل شيطان يكون مع الكاهن يخبره بغائب عنه وأن الشياطين كانت تسترق السمع وتلقيه على ألسنة الكهان فيؤدون الى الناس الاخبار بحسب ما يرد اليهم وقد أخبر الله عز وجل بذلك في كتابه فقال وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا الى آخر القصة وقوله تعالى يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم الآية والشياطين والجن لا يعلم الغيب وانما ذلك لاسترقها السمع مما يسمع من الملائكة بظاهر قوله عز وجل فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين (وطائفة) ذهبت الى أن وجه سبب الكهانة من الوحي الفلكي وأن ذلك في المولد عند ثبوت

ان اعلم رأيك فقد زدتني بصيرة فانظري يا أماه فاني مقتول في يومي هذا فلا يشتد حزنك وسلمي الامر الى الله فان ابنك لم يتعمد اثما ولا منكرا ولا عملا بفاحشة ولم يجر في حكم الله ولم يغدر في أمان ولم يتعمد ظلم مسلم أو معاهد ولم يبلغني ظلم عن عمالي فرضيت به بل أنكرته ولم يكن شيء آثر عندي من رضا ربي اللهم لا أقول هذا تزكية لنفسي ولكني أقوله تعزية لامي حتى تسلو عني فقالت أمه لارجو ان يكون عزائي فيك جميلا ان تقدمتني احتسبتك وان ظفرت سررت بظفرك اخرج حتى أنظر الى ما يصير أمرك فقال جزاك الله خيرا فلا تدعي الدعاء لي قالت لا أدعه لك أبدا فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق ثم قالت اللهم ارحم طول ذاك القيام في الليل الطويل وذلك النحيب والظمأ في هواجر مكة والمدينة وبره بابيه وبي اللهم قد سلمته لامرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبني فيه ثواب الصابرين الشاكرين فتناول يديها ليقبلهما فقالت هذا وداع فلا تبعد فقال لها جئت مودعا اني أرى هذا آخر أيامي من الدنيا قالت امض على بصيرتك وادن مني حتى أودعك فدنا منها فاعتنقها وقبلها فوقعت يدها على الدرع فقالت ما هذا صنيع من يريد ما تريد فقال ما لبسته الا لاشد متنك قالت فانه لا يشد متني فنزعها ثم درج كميه وشد أسفل قميصه وجبة خز تحت أثناء السراويل وأدخل أسفلها تحت المنطقة وأمه تقول له البس ثيابك مشمرة فخرج وهو يقول

انى اذا أعرف يومي اصبر * واغا يعرف يومه الحر * اذ بعضهم يعرف ثم ينكر

فسمعته فقالت تصبر ان شاء الله أبواك أبو بكر والزبير وأمك صفية بنت عبد المطلب فحمل على أهل الشام حملة منكرة فقتل منهم ثم انكشف هو وأصحابه وقال له بعض أصحابه لو لحقت بموضع كذا قال بئس الشيخ انا اذا في الاسلام لئن أوقعت قوما فقتلوا ثم فررت عن مثل مصارعهم ودنا أهل الشام حتى اصلات منهم الابواب وكانوا يصيحون به يا ابن ذات النطاقين فيقول

* وتلك شكاة ظاهر عنك عارها * وجعل أهل الشام على أبواب المسجد رجلا من أهل كل بلد فكان لاهل حمص الباب الذي يواجه باب الكعبة ولاهل دمشق باب بني شيبة ولاهل الاردن باب الصفا ولاهل فلسطين باب بني جمح ولاهل قنسرين باب بني تيم وكان الحجاج وطارق من ناحية الابطح الى المروة فمرة يحمل ابن الزبير في هذه الناحية ومرة في هذه الناحية فكأنه أسد في أجمة ما يقدم عليه الرجال يعدو في أثر القوم حتى يخرجهم ثم يصيح أبا صفوان ويل أمه فتحالفوا وكان له رجال أو كان قربي واحدا كفيته فيقول أبو صفوان عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف اي والله وألف فلما رأى الحجاج ان الناس لا يقدمون على ابن الزبير غضب وترجل وأقبل يسوق الناس ويصمد بهم صمد صاحب علم ابن الزبير وهو بين يديه فتقدم ابن الزبير على صاحب علم وضاربهم فانكشفوا وعرج وصلى ركعتين عند المقام فحملوا على صاحب علمه فقتلوه عند باب بني شيبة وصار العلم بايدي أصحاب الحجاج فلما فرغ من صلاته تقدم فقاتل بغير علم فضرب رجلا من أهل الشام وقال خذها وأنا ابن الحواري وضرب آخر وكان حبشيا فقطع يده وقال اصبرا باحمة اصبر ابن حام وقاتل معه عبد الله بن مطيع وهو يقول

انا الذي فررت يوم الحره * والحر لا يفر الا مره * واليوم أحزى فرة بكره

وقاتل حتى قتل وقيل انه أصابته جراحات منها بعد أيام وقال ابن الزبير لاصحابه وأهله يوم قتل بعد صلاة الصبح اكشفوا وجوهكم حتى أنظر اليكم وعليهم المغافر ففعلوا فقال يا آل الزبير لو طيتم بي نفسا عن أنفسكم كنا أهل بيت من العرب اصطلحنا في الله فلا يرعكم وقع السيوف فان ألم الدواء

عطار دعلى شرفه وأما ما عداه من الكواكب المدبرات من النيرين والخمسة اذا كانت في عقد متساوية وارباع متكافئة ومناظرة متوازية وجب لصاحب المولد التكهن والاخبار بالكائنات قبل حدوثها الاشراف هذه الاشراف الـ وكبية (ومن هؤلاء) من أوجب كون ذلك في القرانات الكبار (وذهب) كثير من تقدم وتأخر أن علة ذلك علل نفسانية فإن النفس اذا قويت وزادت قهرت الطبيعة وأبانت للانسان كل سر لطيف وخبرته بكل معنى شريف وغاصت بلطافتها في انتخاب المعاني اللطيفة البديعة فاقتنصتها وأبرزتها عن الكمال وكشفت هذه الطائفة وجه اعتلالها فيما ذكرنا فانهم قالوا رأينا الانسان ينسب الى قسمين وهما النفس والجسد ووجدنا الجسد مواتا لا حركة ولا حس الا بالنفس وكان الميت لا يعلم شيأ ولا يؤديه فوجب أن يكون العلم للنفس والنفوس طبقات منها الصافي وهي النفس الحسية والنفس البراعية والنفس الجلية ومنها ما قوته في الانسان أزيد منه فلما كانت

للجراح أشد من ألم وقعها صونوا سيوفكم كما تصونوا وجوهكم غضوا أبصاركم من البارقة وليشغل كل أمرئ قرنه ولا تسألوا عني فمن كان سائلا عني فاني في الرعيل الاول احملوا على بركة الله ثم حمل عليهم حتى بلغ بهم الحجون فرمي بآخره رماه رجل من السكون فاصابته في وجهه فأرعش لها ودمى وجهه فلما وجد الدم على وجهه قال

فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا تقطر الدما

وقاتلهم قتالا شديدا فتعاودوا عليه فقتلوه يوم الثلاثاء من جمادى الآخرة وله ثلاث وسبعون سنة وتولى قتله رجل من مراد وحمل رأسه الى الحجاج فسجد ووفد السكوني والمرادي الى عبد الملك بالخبر فاعطى كل واحد منهما خمسمائة دينار وسار الحجاج وطارق حتى وقفا عليه فقال طارق ما ولدت النساء اذكر من هذا فقال الحجاج أتمدح مخالف أمير المؤمنين قال نعم هو أعذرنا ولولا هذا لما كان لنا عذر انا حاصرناه منذ سبعة أشهر وهو في غير جند ولا حصن ولا منعة فيقتصف منا بل يفضل علينا فبلغ كلامهما عبد الملك فصوب طارقا ولما قتل ابن الزبير كبر أهل الشام فرحا بقتله فقال ابن عمر انظروا الى هؤلاء ولقد كبر المسلمون فرحا بولادته وهؤلاء يكبرون فرحا بقتله وبعث الحجاج برأسه ورأس عبد الله بن صفوان ورأس عمارة بن عمرو بن حزم الى المدينة ثم ذهب بها الى عبد الملك بن مروان وأخذ جثته فصلبها على الثنية اليمنى بالحجون فارسلت اليه أسماء فاتاك الله على ماذا صلبته قال استبقت اباه والى هذه الخشبة وكانت له فاستأذنته في تكفينه ودفنه فأبى ووكل بالخشبة من يحرسها وكتب الى عبد الملك يخبره بصلبه فكتب اليه يلومه ويقول ألا خليت بينه وبين أمه فاذن لها الحجاج فدفنته بالحجون فمر به عبد الله بن عمر فقال السلام عليك يا أبا خبيب أما والله لقد كنت انهاك عن هذا ولقد كنت صواما قواما وصولا للرحم أما والله ان قوما أنت شرهم لنعم القوم وكان ابن الزبير قبل قتله بقي أياما يستعمل الصبر والمسك لثلاثين فلما صلب طهرت منه رائحة المسك فقيل ان الحجاج صلب معه كلبا ميتا فغلب على ريح المسك وقيل بل صلب معه سنورا ولما قتل عبد الله ركب أخوه عروة ناقة لم ير مثلها فسار الى عبد الملك فقدم الشام قبل وصول رسل الحجاج بقتل عبد الله فاتى باب عبد الملك فاستأذن عليه وأذن له فلما دخل سلم عليه بالخلافة فرد عليه عبد الملك ورحب به وعانقه وأجلسه على السرير فقال عروة

منت ارحام اليك قريبة * ولا قرب للارحام ما لم تقرب

ثم تحدثا حتى جرى ذكر عبد الله فقال عروة انه كان فقال عبد الملك وما فعل قال قتل فخر ساجدا فقال عروة ان الحجاج صلبه فهب جثته لامه قال نعم وكتب الى الحجاج يعلمه صلبه وكان الحجاج لما فقد عروة كتب الى عبد الملك يقول له ان عروة كان مع أخيه فلما قتل عبد الله أخذ مالا من مال الله فهرب فكتب اليه عبد الملك انه لم يهرب ولكنه أتاني مبايعا وقد أمنته وحللته مما كان وهو قادم عليك فاياك وعروة وعاد عروة الى م وكانت غيبته عنها ثلاثين يوما فانزل الحجاج جثة عبد الله عن الخشبة وبعث به الى أمه فغسلته فلما أصابه الماء تقطع فغسلته عضوا عضوا فاستمسك وصلى عليه عروة ودفنته وقيل ان عروة لما كان غائبا عند عبد الملك كتب اليه الحجاج وعاوده في انفاذ عروة اليه فهم عبد الملك بانفاذه فقال عروة ليس الذليل من قتلتموه ولكن الذليل من ملكتموه وليس بملوم من صبر فات ولكن الملوم من فر من الموت فسمع منه هذا الكلام فقال عبد الملك يا أبا عبد الله لن تسمع مني شيأ تكرهه وان عبد الله لم يصل عليه أحد منعه الحجاج

من

النسمة النورية لذة نسان الى النفس كانت تهدى الانسان الى استخراج الغيب وعلم الآلة وكانت فطنته وظنونه أبعث وأعم فاذا كانت النفس في غاية البروز ونهاية الخلوص وكانت تامة النور وكاملة الشعاع كان تولها في دراية الغائب بحسب ما عليه نفوس الكهنة وبهذا وجد الكهان على هذه السبيل من نقصان الاجسام ونشويه الخلق كما اتصل باعين شق وسطيح وسمعة وزومة وسديف بن هرماس وطريفة الكاهنة وعمران أخي عمرو من يقياه وحارثة بن بيت جهينة وكاهنة بهلة واشباههم من الكهان (واما العراف) وهو دون الكاهن فمثل الابلق الاسدي والاجلح الزهري وعروة بن زيد الاسدي ورباح بن كحلة عراف اليمامة الذي قال فيه عروة

جعلت لعراف اليمامة حكمه

وعراف نجدان هما شفياني

وكهند صاحب المستير وكان في نهاية التقدم في العرافة (والكهانة) أصلها نفسي لاطيفة باقية ومقارنة لاعجاز باهرة وهي تكون في العرب على

من الصلاة عليه وقال انما أمر أمير المؤمنين بدفنه وقيل صلى عليه غير عروة والذى ذكره مسلم فى صحيحه ان عبد الله بن الزبير أتى فى مقابر اليهود وعاشت أمه بعده قليلا وماتت وكانت قد أضرت وهى أم عروة أيضا فلما فرغ الحجاج من أمر ابن الزبير دخل مكة فبايعه أهلها لعبد الملك بن مروان وأمر بكنس المسجد الحرام من الحجارة ولدم وسار الى المدينة وكان عبد الملك قد استعمله على مكة والمدينة فلما قدم المدينة أقام بها شهرا أو شهرين فاساء الى أهلها واستخلف بهم وقال أنتم قتلة أمير المؤمنين عثمان وختم أيدى جماعة من الصحابة بالرصاص استخفافا بهم كما يفعل باهل الذمة منهم جابر بن عبد الله وأنس بن مالك وسهل بن سعد ثم عاد الى مكة فقال حين خرج منها الحمد لله الذى أخرجنى من أم نتن أهلها أخبث بلد وأغشه لامير المؤمنين وأحسدهم له على نعمة الله والله لولا ما كانت تأتينى كتب أمير المؤمنين فيهم لجعلتها مثل جوف الحمار أعوادا يعوذون بها ورمة قد بليت يقولون منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ جابر بن عبد الله قوله فقال ان وراءه ما يسوءه قد قال فرعون ما قال ثم أخذه الله بعد ان أنظره وقيل ولاية الحجاج المدينة وما فعله بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سنة أربع وسبعين فى صفر (خبيب بن عبد الله بن الزبير بضم الخاء المعجمة وبباءين موحدتين بينهما ياء مثناة من تحت وكان عبد الله يكنى به وبأبى بكر أيضا)

﴿(ذكر عمر ابن الزبير وسيرته)﴾

كان له من العمر حين قتل اثنتان وسبعون سنة وكانت خلافته تسع سنين لانه بويع له سنة أربع وستين وكانت له جمة مفروقة طويلة قال يحيى بن وثاب كان ابن الزبير اذا سجد وقعت العصافير على ظهره تظنه حائطا لسكونه وطول سجوده وقال غيره قسم عبد الله الدهر ثلاث حالات فليلة قائم حتى الصباح وليلة راكع حتى الصباح وليلة ساجد حتى الصباح وقيل أول ما علم من همة ابن الزبير انه كان ذات يوم يلعب مع الصبيان وهو صبى فمر به رجل فصاح عليهم ففروا ومشى ابن الزبير القهقرى وقال ياصبيان اجعلونى أميركم وشدوا بنا عليه ففعلوا ومر به عمر بن الخطاب وهو يلعب ففر الصبيان ووقف هو فقال له عمر مالك لم تفر معهم فقال لم أجرم فاخافك ولم تكن الطريق ضيقة فاوسع لك وقال قطن بن عبد الله كان ابن الزبير يواصل من الجمعة الى الجمعة قال خالد بن أبى عمران كان ابن الزبير يفطر فى الشهر ثلاثة أيام ومكث أربعين سنة لم ينزع نيابه عن ظهره وقال مجاهد لم يكن باب من أبواب العبادة يعجز عنه الناس الا تكلفه ابن الزبير ولقد جاء سيل طبق البيت فجعل ابن الزبير يطوف سباحة قال هشام بن عروة كان أول ما أفصح به عمى عبد الله بن الزبير وهو صغير السيف فكان لا يضعه من يده فكان الزبير يقول والله ليكونن لك منه يوم وأيام قال ابن سيرين قال ابن الزبير ماشئ كان يحدثنا به كعب الا وقد جاء على ما قال الا قوله فتى ثقيف يقتلنى وهذا رأسه بين يدى يعنى المختار قال ابن سيرين ولا يشعر ابن الزبير ان الحجاج قد خبئ له وقال عبد العزيز بن أبى جميلة الانصارى ان ابن عمر مر بابن الزبير وهو مصلوب بعد قتله فقال رحمك الله أبا خبيب انك كنت صواما قواما ولقد أفلحت قريش ان كنت شرها وكان الحجاج قد صلبه ثم ألقاه فى مقابر اليهود وأرسل الى أمه يستحضرها فلم تحضر فارسل اليها لتأتينى أولا بعثن اليك من يسحبك بقرونك فلم تأته فقام اليها فلما حضر قال لها كيف رأيتنى صنعت بعبد الله قالت رأيتك افسدت على ابنى دنياه وأفسد عليك آخرتك أما ان رسول الله صلى الله عليه

الاكثر وفى غيرهم على وجه الندرة لانه شئ يتولد على صفاء المزاج الطبيعى وفوة مادة نور النفس واذا أنت اعتبرت أوطانها رأيتها متعلقة بعقبة النفس وقع شرها بكثرة الوحدة وادمان التفرد وشدة الوحشة من الناس وقلة الانس بهم وذلك أن النفس اذا هى انفردت فكرت واذا هى فكرت بعدت واذا بعدت هطل عليها سحب العلم النفسى فنظرت بالعين النورية ولحظت بالنور الثاقب ومضت على الشريعة المستوية فأخبرت عن الاشياء على ما هى به وعليه وربما قويت النفس فى الانسان فأشرفت على دراية الغائبات قبل ورودها وكان كبراء اليونانيين ينعتون هذه الطائفة بالروحانية ويقولون ان النفس اذا هى أدت وكانت أكبر جزء فى الانسان تهذبت الى استخراج البدائع والاخبار المستترات واستدلوا على ذلك أن الانسان اذا قوى فكره وزادت مواد نفسه وخاطره فكر فى الطارئ قبل وروده بعلم صورته وكيف وروده الى ما على تصوره وهكذا النفس أيضا اذا تهذبت

وسلم حدثنا ان فى ثقيف كذابا ومبيرا فأما الكذاب فقد رأيناه تعنى المختار وأما المبير فانت هو وهذا حديث صحيح أخرجه مسلم فى صحيحه وقال ابن الزبير لعبد الله بن جعفر أتذكر يوم لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأنت فاخذنى فاطمة فقال نعم فحملنا وتركك ولو علم انه يقول له هذا ما سأله

﴿ذكر ولاية محمد بن مروان الجزيرة وارمينية﴾

وفى هذه السنة استعمل عبد الملك أخاه محمدا على الجزيرة وأرمينية فغزا منها وأثخن العدو وكانت بحيرة الطريخ التى بارمينية مباحة لم يعرض لها أحد بل يأخذ منها من شاء فمنع من صيدها وجعل عليها من يأخذ ويبيعه ويأخذ ثمنه ثم صارت بعده لابنه مروان ثم أخذت منه لما انتقلت الدولة عنهم وهى الى الآن على هذه الحال من الجور ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من غير ان ينقص من أوزارهم شئ وهذا الطريخ من عجائب الدنيا الان سمكه صغير له كل سنة موسم يخرج من هذه البحيرة فى نهر يصب اليها كثيرا يؤخذ بالايدى والآلات المصنوعة له فاذا انقضى موسمه لا يوجد منه شئ

﴿ذكر قتل أبى فديك الخارجى﴾

قد ذكرنا سنة اثنتين وسبعين قتل نجدة بن عامر الخارجى وطاعة أصحابه أبا فديك وثبت قدم أبى فديك الى الآن فامر عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر أن يندب الناس من أهل الكوفة والبصرة ويسير الى قتاله فندبهم وانتدب معه عشرة آلاف فاخرج لهم أرزاقهم ثم سار بهم وجعل أهل الكوفة على الميمنة وعليهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله وأهل البصرة على الميسرة وعليهم عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر وهو ابن أخى عمر وجعل خيله فى القلب وساروا حتى انتهوا الى البحرين فالتقوا واصطفوا للقتال فحمل أبو فديك وأصحابه حملة رجل واحد فكشفوا ميسرة عمر حتى أبعدوا الى المغيرة بن المهلب ومجاعة بن عبد الرحمن وفرسان الناس فانهم مالوا الى صف أهل الكوفة بالميمنة وجرح عمر بن موسى فلما رأى أهل الميسرة أهل الميمنة لم ينهزموا رجعوا رقا نلوا وما عليهم أمير لان أميرهم عمر بن موسى كان جريحا فحملوه معهم واشتد قتالهم حتى دخلوا عسكر الخوارج وحمل أهل الكوفة من الميمنة ومن معهم من أهل الميسرة حتى استباحوا عسكرهم وقتلوا أبا فديك وحصروا أصحابه بالمسقر فنزلوا على الحكم فقتل منهم نحو ستة آلاف وأسر ثمانمائة ووجدوا جارية عبد الله بن أمية حبلى من أبى فديك وعادوا الى البصرة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة عزل عبد الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وولاها أخاه بشرا فى قول بعضهم فاجتمع له المصران الكوفة والبصرة فسار بشر الى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث وفيها غزا محمد بن مروان الروم صائفة فهزمهم وفيها كانت وقعة عثمان بن الوليد بالروم من ناحية ارمينية فى أربعة آلاف والروم فى ستين ألفا فهزمهم وأكثر القتل فيهم وحج بالناس هذه السنة الحجاج وكان على مكة واليمن واليمامة وكان على الكوفة والبصرة فى قول بعضهم بشر بن مروان وقيل كان على الكوفة بشر وعلى البصرة خالد بن عبد الله وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحرث وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وعلى خراسان بكير بن وشاح وفى هذه السنة مات عبد الله بن عمر بمكة ودفن بذى طوى وقيل بفخ وكان سبب موته أن الحجاج أمر بعض أصحابه فضرب ظهر قدمه بزج

كانت الرؤيا النوم صادقة وفى الزمان موجودة (وقد تنازع الناس) فى الرؤيا والسبب الموقع لها وماهيتها وكيفية وقوعها فقال فريق ان النوم هو اشتغال النفس عن الامور الظاهرة بملاقاة حوادث باطنة فيها وذلك على وجهين أحدهما معروف بالعين قائم الصفة يحدث النفس على معان تعبرها وتفرق بينها فتشتغل به عن استعمال الظاهر والباطن الذى ألهى الحواس عن الادراك الى الحماس أعنى الروح لاشتغال الروح عن استعمالها واذا وجب بطلانها سمى نوما عرضيا لانه ليس النوم الكلى الذى يعم الاطفال والعجائز والشيوخ الذين خرجوا من مواقع ومخالفة السحر وكذلك نوم الليل على ما وصفنا والوجه الآخر وهو النوم الكلى الذى يعم الاطفال والعجائز والطبقات الحيوانية ذوات الفكر وغيرها وهى طبيعة توجبها الخلقة فى وقت ضرورة كما يوجب الجوع فى وقته ضرورة لان الجوع عند صناعة أهل الطب علة وهى الموجبة تحديد الكبد من الفراغ والاغذية ومنهم من رأى أن النفس

رمح مسموم فمات منها وعاده الحجاج فى مرضه فقال من فعل بك هذا قال أنت لانك أمرت بحمل السلاح فى بلد لا يحل حمله فيه وكان موته بعد ابن الزبير بثلاثة أشهر وقيل غير ذلك وكان عمره سبعا وثمانين سنة وفيها مات سلمة بن الاكوع وأبو سعيد الخدرى ورافع بن خديج ومالك بن صعصعة أبو غسان البكرى وقيل مات سنة أربع وستين وولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفى سلم بن زياد بن أبيه قبل بشر بن مروان واسمه بنت أبى بكر بعد ابنها بقليل وكانت قد عميت وكانت مطلقة من الزبير قيل ان ابنها عبد الله قال له مشى لا توطأ امه فطلقها وفيها مات عوف بن مالك الاشجعى وكان أول مشاهده خيبر ومعاوية بن حديج قبل ابن عمر بيسير وفيها مات معبد بن خالد الجهنى وهو ابن ثمانين سنة وله صحبة وفيها قتل عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله مع ابن الزبير وهو ابن أخى طلحة بن عبيد الله وله صحبة (رافع بن خديج بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة ومعاوية بن حديج بضم الحاء وفتح الدالين المهملتين وآخره جيم)

(ثم دخلت سنة أربع وسبعين)

فى هذه السنة عزل عبد الملك طارقا عن المدينة واستعمل عليها الحجاج فاقام بها شهرا وفعل بالصحابة ما تقدم ذكره وخرج عنها معتمرا وفيها هدم الحجاج بناء الكعبة الذى كان ابن الزبير بناه وأعادها الى البناء الاول وأخرج الحجر منها وكان عبد الملك يقول كذب ابن الزبير على عائشة فى أن الحجر من البيت فلما قيل له قال غير ابن الزبير انها روت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وددت انى تركته وما يحمل وفيها استقضى عبد الملك أبا ادريس الخولانى

(ذكر ولاية المهلب حرب الازارقة)

لما استعمل عبد الملك اخاه بشرا على البصرة سار اليها فاتاه كتاب عبد الملك يأمره أن يبعث المهلب الى حرب الازارقة فى أهل البصرة ووجوههم وكان ينتخب منهم من أراد أن يتركه وراءه فى الحرب وأمره ان يبعث من أهل الكوفة رجلا شريفا معروفا بالبأس والنجدة والتجربة فى جيش كثيف الى المهلب وأمرهم ان يتبعوا الخوارج أين كانوا حتى يهلكوهم فارسل المهلب جديع بن سعيد بن قبيصة وأمره أن ينتخب الناس من الديوان وشق على بشر ان امره المهلب جاءت من عبد الملك فاوغرت صدره عليه حتى كانه اذنب اليه فدعا عبد الرحمن بن مخنف فقال له قد عرفت منزلك عندى وقد رأيت ان أوليك هذا الجيش الذى أسيره من الكوفة للذى عرفته منك فكن عند أحسن ظنى بك وانظر الى هذا كذا كذا يقع فى المهلب فاستبد عليه بالامر ولا تقبلن له مشورة ولا رأيا وتنقصه قال عبد الرحمن فترك أن يوصينى بالجيش وقتال العدو والنظر لاهل الاسلام وأقبل يغرينى بابن عمى كانى من السفهاء ما رأيت شخصا مثلى طمع منه فى مثل هذا قال فلما رأى انى لست بنشيط الى جوابه قال لى مالك قلت أصلحك الله وهل يسعنى الا انفاذ أمرك فيما أحببت وكرهت وسار المهلب حتى نزل رامهرمز فالقى بها الخوارج فخندق عليه وأقبل عبد الرحمن فى أهل الكوفة ومعه بشر بن جرير ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس واسحق بن محمد بن الاشعث وزحر بن قيس فسار حتى نزل على ميل من المهلب حيث يتراءى العسكران برامهرمز فلم يلبث العسكر حتى أتاهم نعى بشر بن مروان توفى بالبصرة فتفرق ناس كثير من أهل البصرة وأهل الكوفة واستخلف بشر على البصرة خالد بن عبد الله بن خالد وكان خليفته على الكوفة عمرو ابن حريث وكان الذين انصرفوا من أهل الكوفة زحر بن قيس واسحق بن محمد بن الاشعث ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد فاتوا الاهواز فاجتمع بها ناس كثير فبلغ ذلك خالد بن عبد الله فكتب اليهم

تدرك صورة الاشياء على ضربين أحدهما حس والآخر فكر فالصورة المحسوسة لا تدركها الا فى هيئتها فاذا تخلص علمها عندنا كان ادراكها مفردا من طبعها فيكون فكر الانسان ما لم ينم مانعا للحس حتى اذا نام فعدمت النفس الحواس كلها كانت تلك الصورة التى أخذتها من أعيان الاشياء فيها فائمة كانها محسوسة لان الحس بها فى أعيانها كان قبيل استيلائها بالفكر ضعيفا فلما ارتفع الحس قوى الفكر فصار يصور الاشياء كانها محسوسة فخطر على بال النائم منها ما يخطر على باله اذا كان يقظان للشئ الذى قد كان أشبه وليس لذلك نظام وانما هو ما اتفق فلذلك يرى الانسان كانه يطير وليس بطائر وانما صورة الطيران مفردة كما تعلمها اذا غابت ولكن فكرته فيها تقوى حتى كانها معاينة له فاما ما يراه من الاشياء التى تدل على ما يريد فانما ذلك لان النفس عالمة بالصور فاذا خلصت فى المنام من شوائب الاجسام أشرفت على ما ينالها وهى عالمة أيضا فى حال اليقظة لا يمكنها معرفة ذلك فتتخيل

بأمرهم بالرجوع الى المهلب وتهددهم ان لم يفعلوا بالضرب والقتل ويحذرهم عقوبة عبد الملك فلما قرأ الرسول من الكتاب عليهم سطرا أو سطرين قال زحر أو جز فلما فرغ من قراءته لم يلتفت الناس اليه وأقبل زحر ومن معه حتى نزلوا الى جانب الكوفة وأرسلوا الى عمرو بن حريث ان النفر لما بلغهم وفاة الامير تفرقوا فاقبلنا الى مصرنا وأحببنا أن لا ندخل الا باذن الامير فكتب اليهم ينكر عليهم عودهم ويأمرهم بالرجوع الى المهلب ولم يأذن لهم في دخول الكوفة فانتظروا الليل ثم دخلوا الى بيوتهم فاقاموا حتى قدم الحجاج أميرا

﴿ذكر عزل بكير عن خراسان وولاية أمية بن عبد الله بن خالد﴾

في هذه السنة عزل عبد الملك بكير بن وساج عن خراسان وولاها أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكانت ولاية بكير سنتين وكان سبب عزله ان تميما اختلفت بها فصارت مقاعس والبطون يتعصبون لبحير ويطلبون بكيرا وصارت أوف والابناء يتعصبون لبكير وكل هذه بطون من بني تميم فخاف أهل خراسان أن تعود الحرب وتفسد البلاد ويقهرهم المشركون فكتبوا الى عبد الملك بذلك وانهم لا تصلح الا على رجل من قريش لا يحسدونه ولا يتعصبون عليه فاستشار عبد الملك فيمن يوليه فقال أمية يا أمير المؤمنين تداركهم برجل منك قال لولا انهزامك عن أبي فديك كنت لها قال يا أمير المؤمنين والله ما انهزمت حتى خذلني الناس ولم أجد مقاتلا فرأيت ان انحيازي الى فئة أفضل من تعرض عصبة بقيت من المسلمين للهلكة وقد كتب اليك خالد بن عبد الله بعذري وقد علم الناس ذلك فولاه خراسان وكان عبد الملك يحبه فقال الناس ما رأينا أحدا عوض من هزيمة ما عوض أمية فلما سمع بكير بمسيره أرسل الى بحير وهو في حبسه وقد تقدم ذكر ذلك في مقتل ابن خازم يطلب منه الصلح فامتنع بحير وقال ظن بكير أن خراسان تبقى له في الجماعة ومشت السفراء بينهم فأبى ذلك بحير فدخل عليه ضرار بن حصين الضبي فقال أراك أحمق يرسل اليك ابن عمك يعتذر اليك وأنت أسيره والسيف بيده ولو قتلك ما حبقت فلا تقبل منه اقبل الصلح واخرج وأنت على رأس مرك فقبل منه وصالح بكيرا فارسل اليه بكير باربعين ألفا وأخذ عليه ان لا يقاتله وخرج بحير فأقام يسأل عن مسير أمية فلما بلغه انه قد قارب نيسابور سار اليه ولقيه بها فأخبره عن خراسان وما يحسن به طاعة أهلها ورفع على بكير أمورا لا أخذها وحذره غدره وسار معه حتى قدم مرو وكان أمية كريما ولا يعرض لبكير ولا لماله وعرض عليه شرطته فابى فولاها بحير بن ورقاء فلام بكير رجال من قومه وقال كنت بالامس أميرا تحمل الحراب بين يدي فاصير اليوم أحمل الحربة ثم خير أمية بكيرا أن يوليه ما شاء من خراسان فاختار طخارستان قال فتجهز لها فانفق مالا كثيرا فقال بحير لامية ان اتى طخارستان خلعك وحذره فلم يوله (أسيد بفتح الهمزة وكسر السين وبحير بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء)

﴿ذكر ولاية عبد الله بن أمية سجستان﴾

لما وصل أمية بن عبد الله الى كرمان استعمل ابنه عبد الله على سجستان فلما قدمها غزا رتبيل لذي ملك بعد المقتول الاول وكان رتبيل هائبا للمسلمين فلما وصل عبد الله الى بست أرسل رتبيل يطلب الصلح ويبذل ألف ألف وبعث اليه بهدايا ورقيق فابى عبد الله قبول ذلك وقال ان ملأ لي هذا الرواق ذهبا ولا فلا صلح وكان غرّ الخلق له رتبيل البلاد حتى أوغل فيها وأخذ عليه الشعاب والمضايق فطلب أن يخلي عنه وعن المسلمين ولا يأخذ منه شيأ فابى رتبيل وقال بل يأخذ ثلثمائة ألف درهم صلحا ويكتب لنا به كتابا ولا يغزو بلادنا ما كنت أميرا ولا يحرق ولا يخرب ففعل وبلغ

خيالات تدل بها على تلك الاشياء التي تريد ان تكون حتى اذا تذكرت تلك الخيالات وتلك الاشياء فمن كانت نفسه صافية لم تكدر رؤياه تكذب كثيرا ثم ما بين الكدرة والصافية وسائط على حسب مراتبها من الصفاء والكدر يكون صدق ما تخيله وكذبه (وقال فريق آخر) اذا بطل استعمال النفس للحواس ظاهرا لم يبطل استعمالها في نفسها ولم يبطل استعمال قواها فتنتقل في الاماكن وتشاهد الاشخاص بالقوة الروحانية التي ليست بجسم لا بالقوة الجسمانية الغيظية وذلك أن القوة الجسدانية لا تدرك الا بمشاركة وملامسة الاشياء اما باتصال كاتصال اللون واما بانفصال الجسم من الاماكن والروح تدرك المتصل والمنفصل جميعا لا بمشاركة الجسد الذي يوجب الحاجة الى قرب المدرك (ومنهم) من رأى أن النوم هو اجتماع الدم وجريانه الى الكبد (ومنهم) من رأى أن ذلك هو سكون النفس وهدو الروح (ومنهم) من زعم أن ما يجده الانسان في نومه من الخواطر انما هو بعمل الاغذية والاطعمة

ذلك عبد الملك فعزله

﴿ذكر ولاية حسان بن النعمان افريقية﴾

قد ذكرنا ولاية زهير بن قيس سنة اثنتين وستين وكان قتله سنة تسع وستين فلما علم عبد الملك قتله عظم عليه وعلى المسلمين وأهمه ذلك وشغله عن افريقية ما كان بينه وبين ابن الزبير فلما قتل ابن الزبير واجتمع المسلمون عليه جهز جيشا كثيرا واستعمل عليهم وعلى افريقية حسان بن النعمان الغساني وسيرهم اليها في هذه السنة فلم يدخل افريقية قط جيش مثله فلما ورد القيروان تجهز منها وسار الى قرطاجنة وكان صاحبها أعظم ملوك افريقية ولم يكن المسلمون قط حاربوها فلما وصل اليها رأى بها من الروم والبربر ما لا يحصى كثرة فقاتلهم وحصرهم وقتل منهم كثيرا فلما رأوا ذلك اجتمع رأيهم على الهرب فركبوا في مراكبهم وسار بعضهم الى صقلية وبعضهم الى الاندلس ودخلها حسان بالسيف فسبى ونهب وقتلهم قتلا ذريعا وأرسل الجيوش فيما حولها فاسرعوا اليه خوفا فامرهم فهدموا من قرطاجنة ما قدروا عليه ثم بلغه ان الروم والبربر قد اجتمعوا له في صطفورة وبنزرت وهما مدينتان فسار اليهم وقاتلهم ولقي منهم شدة وقوة فصبر لهم المسلمون فانهزمت الروم وكثر القتل فيهم واستولوا على بلادهم ولم يترك حسان موضعا من بلادهم الا وطئه وخافه أهل افريقية خوفا شديدا ولجأ المهزمون من الروم الى مدينة باجة فتحصنوا بها وتحصن البربر بمدينة بونة فعاد حسان الى القيروان لان الجراح قد كثرت في أصحابه فاقام بها حتى صحوا

﴿ذكر تخريب افريقية﴾

لما صلح الناس قال حسان دلوني على أعظم من بقي من ملوك افريقية فدلوه على امرأة ملك البربر تعرف بالكاهنة وكانت تخبرهم باشياء من الغيب ولهذا سميت الكاهنة وكانت بربرية وهي بجبل أوراس وقد اجتمع حولها البربر بعد قتل كسيلة فسأل أهل افريقية عنها فعظموا محلها وقالوا له ان قتلتها لم تختلف البربر بعدها عليك فسار اليها فلما قاربها هدمت حصنا كانت ظنا منها انه يريد الحصون فلم يعرج حسان على ذلك وسار اليها فالتقوا على نهر نيني واقتتلوا أشد قتال رآه الناس فانهزم المسلمون وقتل منهم خلق كثير وانهزم حسان وأسر جماعة كثيرة أطلقتهم الكاهنة سوى خالد بن يزيد القيسي وكان شريفا شجاعا فاتخذته ولدا وسار حسان حتى فارق افريقية وأقام وكتب الى عبد الملك يعلمه الحال فامره عبد الملك بالمقام الى أن يأتيه أمره فاقام يعمل برقة خمس سنين فسمي ذلك المكان قصور حسان الى الآن وملكت الكاهنة افريقية كلها وأساءت السيرة في أهلها وعسفتهم وظلمتهم ثم سير اليه عبد الملك الجنود والاموال وأمره بالمسير الى افريقية وقتال الكاهنة فارسل حسان رسولا سرا الى خالد بن يزيد وهو عند الكاهنة بكتاب يستعلم منه الامور فكتب اليه خالد جوابه في رقعة يعرفه تفرق البربر ويأمره بالسرعة وجعل الرقعة في خبزة وعاد الرسول فخرجت الكاهنة ناشرة شعرها تقول ذهب ملكهم فيما يأكل الناس فطلب الرسول فلم يوجد فوصل الى حسان وقد احترق الكتاب بالنار فعاد الى خالد وكتب اليه بما كتب أولا وأودعه قربوس السرج فسار حسان فلما علمت الكاهنة بمسيره اليها قالت ان العرب يريدون البلاد والذهب والفضة ونحن انما نريد المزارع والمراعي ولا أرى الا ان أخرب افريقية حتى ييأسوا منها وفرقت أصحابها ليخربوا البلاد فخربوها وهدموا الحصون ونهبوا

والطبائع (ومنهم) من رأى ان بعض الرؤيا من الملك وبعضها من الشيطان واعتل هؤلاء بقوله تعالى انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا (ومنهم) من رأى أنها جزء من احدى وستين جزأ من النبوة وتنازع هؤلاء في كيفية الجزء وماهيته (ومنهم) من ذهب الى أن الانسان الحساس هو غير هذا الجسم وأنه يخرج عن البدن في حال النوم فيشاهد العالم ويرى الملكوت على حسب صفائه واعتل هؤلاء وغيرهم ممن ذهب الى نحو هذا المعنى بقوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الى قوله الى أجل مسمى (وذهب) الجمهور من المتطببين في ذلك أن الاحلام بالاخلاط وترى بقدر مزاج كل واحد منها وقوته وذلك أن الذين تشتغل أجسادهم من المرة الصفراء يرون في منامهم النيران ونحو ذلك وما أشبهه والغالب على من كان مزاجه البلغم أن يرى بحورا وأنهارا وعيونا وأحواضا وغدرانا ومياها كثيرة وأمواجا ويرى

لاموال وهذا هو الباب الاول لافريقية فلما قرب حسان من البلاد لقيه جمع من أهلها من الروم يستغيثون من الكاهنة ويشكون اليه منها فسره ذلك وسار الى قابس فلقيه أهلها بالاموال والطاعة وكانوا قبل ذلك يتحصنون من الاعراب وجعل فيها عاملا وسار الى قفصة لينقرب الطريق فاطاعه من بها واستولى عليها وعلى قسطيلية ونفزاوة وبلغ الكاهنة قدومه فاحضرت ولدين لها وخالد بن يزيد وقالت لهم انتى مقتولة فامضوا الى حسان وخذوا لانفسكم منه أمانا فساروا اليه وبقوا معه وسار حسان نحوها فالتقوا واقتتلوا واشتد القتال وكثر القتل حتى ظن الناس انه الفناء ثم نصر الله المسلمين وانهزم البربر وقتلوا قتلا ذريعا وانهزمت الكاهنة ثم أدركت فقتلت ثم ان البربر استأمنوا الى حسان فأمنهم وشرط عليهم ان يكون منهم عسكر مع المسلمين عدتهم اثنا عشر الفا يجاهدون العدو فاجابوه الى ذلك فجعل على هذا العسكر ابنى الكاهنة ثم فشا الاسلام فى البربر وعاد حسان الى القيروان فى رمضان من تلك السنة وأقام لا ينازعه أحد الى ان توفى عبد الملك فلما ولى الوليد بن عبد الملك ولى افريقية عمه عبد الله ابن مروان وعزل عنها حسانا واستعمل موسى بن نصير سنة تسع وثمانين على ما نذكره ان شاء الله وقد ذكر الواقدى أن الكاهنة خرجت غضبا لقتل كسيلة وملكت افريقية جميعها وعملت باهلها الافاعيل القبيحة وظلمتهم الظلم الشنيع ونال من بالقيروان من المسلمين أذى شديد بعد قتل زهير بن قيس سنة سبع وستين فاستعمل عبد الملك على افريقية حسان بن النعمان فسار فى جيوش كثيرة وقصد الكاهنة فاقتتلوا فانهزم المسلمون وقتل منهم جماعة كثيرة وعاد حسان مهزما الى برقة فاقام بها الى سنة أربع وسبعين فسير اليه عبد الملك جيشا كثيفا وأمره بقصد الكاهنة فسار اليها وقاتلها وهزمها وقتلها وقتل أولادها وعاد الى القيروان وقيل انه لما قتل الكاهنة عاد من فوره الى عبد الملك واستخلف على افريقية رجلا اسمه أبو صالح اليه ينسب خص صالح

﴿ذكر عدة حوادث﴾

ج بالناس هذه السنة الحجاج بن يوسف وكان على قضاء المدينة عبد الله بن قيس بن مخرمة وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وقيل ان عبد الملك اعتمر هذه السنة ولا يصح وفيها غزا محمد بن مروان الروم صائفة فبلغ اندولية وفيها مات جابر بن سمرة السوائى فى امارة بشر بن مروان بالكوفة وفى امارته أيضا مات أبو جحيفة بالكوفة وفيها مات عمرو بن ميمون الاودى وقيل سنة خمس وسبعين وكان قد أدرك الجاهلية وهو من المعمرين وفيها مات عبد الله ابن عتبة بن مسعود وكان من عمال عمر وقيل مات سنة ثلاث وسبعين وفيها مات عبد الرحمن بن عثمان التيمى وله صحبة وفيها مات محمد بن حاطب بن الحرث الجمحى وكان مولده بارض الحبشة وأتى به النبى صلى الله عليه وسلم وفيها مات أبو سعيد بن معلى الانصارى وفيها مات أوس بن ضمعج الكوفى (ضمعج بالصاد المعجمة والجيم)

﴿ثم دخلت سنة خمس وسبعين﴾

فى هذه السنة غزا محمد بن مروان الصائفة حين خرجت الروم من قبل مرعش

﴿ذكر ولاية الحجاج بن يوسف العراق﴾

فى هذه السنة ولى عبد الملك الحجاج بن يوسف العراق دون خراسان وسجستان فارسل اليه عبد

الملك

كأنه يسبح أو يصيد سمكا ونحو ذلك وما قاربه والغالب على من كان مزاجه السوداء أن يرى فى منامه أجداثا وقبورا وأمواتا مكفنين بسواد وبكاء ونوحا ورنينا وصراخا وأشياء مفزعة وأمورا مفظعة وفيلة وأسودا والغالب على من كان مزاجه الدم أن يرى خمرا وثيابا ورياحين ولعبا وصفاء وعزفا وأنواع الملاهى والرقص والسكر والفرح والسرور والثياب المصبغات من الحمرة وغيرها وما لحق بهذا الباب مما وصفنا من أنواع السرور ولا خلاف بين المتطببين فى أن الضحك واللعب وأنواع السرور من الدم وأن كل حزن وخوف وان اختلفت معانيه فان ذلك من المرة السوداء واحتجوا بضروب من الاحتجاجات فهذه جملتها وقد أوضحنا هذا فى كتابنا الرؤيا والكمال وفى كتاب طب النفوس فلا وجه لاطنابنا فى هذا الموضع من كتابنا هذا اذ كان هذا الكتاب كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر وانما تغلغل بنا الكلام لما تشعب من

الملك بعهده على العراق وهو بالمدينة وأمره بالمسير الى العراق فسار في اثني عشر راكبا على النجائب حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار فجأة وقد كان بشر بمجيء المهلب الى الخوارج فبدأ الحجاج بالمسجد فصعد المنبر وهو متلثم بعمامة خز حمراء فقال علي بالناس فحسبوه وأصحابه خارجية فهموا به وهو جالس على المنبر ينظر اجتماعهم فاجتمع الناس وهو ساكت قد أطال السكوت فتناول محمد بن عمير حصباء وأراد أن يحصبه بها وقال قاتله الله ما أغباه وأذمه والله اني لا أحسب خبره كرواية فلما تكلم الحجاج جعلت الحصباء تتناثر من يده وهو لا يعقل به قال ثم كشف الحجاج عن وجهه وقال

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفوني

أما والله اني لاحمل الشر بحمله وآخذه بفعله وأجزيه بمثله واني لارى رؤسا قد أينعت وقد حان قطافها واني لانظر الى الدماء بين العمائم واللحى قد شمرت عن ساقها تشميرا

هذا أوان الحرب فاشتدي زيم * قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعي ابل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم

ثم قال

قد لفها الليل بعصلبي * اروع خراج من الدوي * مهاجر ليس باعرابي

ليس أوان بكرة الخلاط * جاءت به والقلص الاعلاط * تهوي هوي سائق العطاط

اني والله يا اهل العراق ما اغمز بتغماز التين ولا يتعقع لي بالشنان ولقد فررت عن ذكا وجربت الى الغاية القصوى ثم قرأ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وأنتم أولئك واشباه اولئك ان أمير المؤمنين عبد الملك نثر كنانته فعجم عيدانها فوجدني امرها عودا واصلبها مكسرا فوجهني اليكم ورماني في نحوركم فانكم اهل بغي وخلاف وشقاق ونفاق فانكم طالما أوضعتم في الشر وسننتم سنن الغي فاستوثقوا واستقيموا فوالله لاذيقنكم الهوان ولامرينكم به حتى تدروا ولاحوننكم لحو العود ولاعصبنكم عصب السلمة حتى تذلوا ولاضربنكم ضرب غرائب الابل حتى تذروا العصيان وتنقادوا ولاقرعنكم قرع المروة حتى تلينوا اني والله ما أعد الا وفيت ولا اخلق الا فريت فاياي وهذه الجمعيات فلاير كبن رجل الا وحده اقسم بالله لتقبلن على الانصاف ولتدعن الارجاف وقيلا وقالا وما تقول وما يقول واخبرني فلان اولا دعن لكل رجل منكم شغلا في جسده فيم انتم وذاك والله لتستقيمن على الحق أولاضربنكم بالسيف ضربا يدع النساء ايامى والولدان يتامى حتى تذروا السمهى وتقلعوا عن هواها ألا انه لوساغ لاهل المعصية معصيتهم ما جبى في ولا قوتل عدو ولعطلت الثغور ولولا انهم يغزون كرها ما غزوا طوعا وقد بلغني رفضكم المهلب واقبالكم على مصركم عاصين مخالفين واني اقسم بالله لا اجد احدا من عسكره بعد ثلاثة الا ضربت عنقه وانهبت داره ثم امر بكتاب عبد الملك فقرئ على اهل الكوفة فلما قال القارئ اما بعد سلام عليكم فاني احمد الله اليكم قال له اقطع ثم قال يا عبيد العصا يسلم عليكم امير المؤمنين فلا يرد رادمنكم السلام اما والله لاؤدبنكم غير هذا الادب ثم قال للقارئ اقرأ فلما قرأ سلام عليكم قالوا بأجمعهم سلام الله على امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ثم دخل منزله لم يزد على ذلك ثم دعا العرفاء وقال الحقوا الناس بالمهلب واتوني بالبراءة بموافاتهم ولا تغلقن ابواب الجسر ليلا ولا

مذاهبهم في اخبارنا عنهم ولم نعرض في هذا الكتاب لما ذهبت اليه الناس في تحديد النفس وما قاله افلاطون في تحديده للنفس ان النفس جوهر ليس بمحرك للبدن وما حده صاحب المنطق أن حد النفس كمال الجسم الطبيعي وحدها من وجه آخر أنه حي بالقوة ولا للفرق بين النفس والروح لان الفرق بينهما أن الروح جسم والنفس لا جسم وان الروح محروبة البدن والنفس تبطل أفعالها في البدن ولا تبطل هي في ذاتها والنفس تحيل البدن وتنيله الحس وذكره افلاطون في كتاب السياسة المدينة نهر البستان وما يلحق الانسان من صفات النفس الداخلة على النفس الناطقة وذكره افلاطون في كتابه الى طيماويس وفي كتاب قارون وكيفية سقراط الحكيم وما يتكلم في ذلك في النفس والصورة (وقد تكلم) الناس في طبقات النفوس وصفاتها من أصحاب الالسن وغيرهم من الفلاسفة ثم تنازع أهل الاسلام في هيئة الانسان الحساس الدراك المأمور المنهي وما قالت المتصوفة وأصحاب المعارف والدعاوى في طبقات النفوس من النفس المطمئنة والنفس

نهارا حتى تنقضي هذه المدة (تفسير هذه الخابية) قوله انا ابن حلافا بن جلا هو الصحيح لانه يجلو الظلمة وقوله فاشندى زيم هو اسم للحرب والحطم الذي يحطم كل ما مر به والوضم ما وقى به اللحم عن الارض والعصلبي الشديد والاعلاط من الابل التي لا ارسان عليها وقوله فجم عيدانها أي عضها واختبرها وقوله لا عصبنكم عصب السلمة فالعصب القطع والسلم شجر من العضاه وقوله لا أخلق الا فريت فالخلق التقدير ويقال فريت الاديم اذا أصلحته والسمهى الباطل وأصله ما تسميه العامة مخاط الشيطان والعطاط بضم العين وقيل بفتحها ضرب من الطير فلما كان اليوم الثالث سمع تكبيرا في السوق فخرج حتى جلس على المنبر فقال يا أهل العراق وأهل الشقاق والنفاق ومساوى الاخلاق انى سمعت تكبيرا ليس بالتكبير الذي يراد به وجه الله ولكنه التكبير الذي يراد به الترهيب وقد عرفت انها عجاجة تحتها قصف يابني اللكيعة وعبيد العصا وابناء الايامى ألا يربع رجل منكم على ظلفه ويحس حقن دمه ويعرف موضع قدمه فاقسم بالله لاوشكن ان أوقع بكم وقعة تكون نكالا لما قبلها وادبا لما بعدها فقام عمير بن ضابئ الحنظلي التميمي فقال أصلح الله الامير انا في هذا البعث وانا شيخ كبير عليل وابني هذا أشب مني فقال الحجاج هذا خير لنا من أبيه ثم قال ومن أنت قال انا عمير بن ضابئ قال أسمعت كلامنا بالامس قال نعم قال أنت الذي غر اعثمان بن عفان قال بلى قال يا عدو الله أفلا الى عثمان بعثت بدلا وما حملك على ذلك قال ابن حبس أبي وكان شيخا كبيرا قال أولست القائل

همت ولم أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي حلائله

اني لاحسب ان في قتلك صلاح المصرين وأمر به فضربت رقبته وأنهب ماله وقيل ان عنبسة بن سعيد بن العاص قال للحجاج أتعرف هذا قال لا قال هذا أحد قتلة عثمان فقال الحجاج أي عدو الله أولا الى أمير المؤمنين بعثت بديلا ثم أمر به فضربت عنقه وأمر منادا فنادى ألا ان عمير بن ضابئ أتى بعد ثلاثة وكان سمع النداء فأمر نا بقتله ألا ان ذمة الله بريئة ممن لم يبت الليلة الى جند المهلب فخرج الناس فازدحموا على الجسر وخرج العرفاء الى المهلب وهو يرامهرمز فاخذوا كتبه بالموافاة فقال المهلب قدم العراق اليوم رجل ذكر اليوم قوتل العدو فلما قتل الحجاج عميرا لقي ابراهيم بن عامر الاسدي عبد الله بن الزبير فسأله عن الخبر فقال

أقول لابراهيم لما لقيته * أرى الامر أضحى منصبا متشعبا
تجهز وأسرع فالحق الجيش لا أرى * سوى الجيش الا في المهالك مذهبا
تخير فاما أن تزور ابن ضابئ * عميرا واما أن تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاؤك منهما * ركوبك حوليا من البلج أشهبا
فقال ولو كانت خراسان دونه * رآها مكان السوق أو هي أقربا
فكائن ترى من مكره الغز مسمرا * تحمحم حنو السرج حتى تحنبا

تحمحم أي لزمه حتى صار كالحميم وتحنب اعوج والزبير ههنا بفتح الزاي وكسر الباء قيل وكان قدوم الحجاج في شهر رمضان فوجه الحكم بن أيوب الثقفي على البصرة اميرا وامره ان يشتد على خالد بن عبد الله فبلغ خالدا الخبر فخرج عن البصرة فنزل الجلحاء وشيعه اهل البصرة فقسم فيهم الف الف وكان الحجاج اول من عاقب بالقتل على التخلف عن الوجه الذي يكتب اليه قال الشعبي كان الرجل اذا اخل بوجه الذي يكتب اليه زمن عمر وعثمان وعلي نزعت عمامته

ويقام

اللوامة النفس الامارة بالسوء وغير ذلك مما ذهب اليه اليهود والمجوس والصابئة وغير ذلك مما قد أتينا على ايضاحه في كتاب سر الحياة وغيره من كتبنا (وقد كان سطيح) الكاهن وهو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن ابن دئب بن عدي بن مازن ابن غسان يدرج سائر جسده كما يدرج الثوب لا عظم فيه الا جمجمة الرأس وكانت اذا لمست باليدين عظمها وكان شق بن مصعب بن شكران بن أترك بن قيس بن عنفر بن انمار بن ربيعة بن نزار معه في عصر واحد وكان فيهما حمزة الكهانة وكذلك سمقلة وزوبعة كانا في عصر واحد والله أعلم

﴿ذكر جمل من أخبار الكهان وسيل العرم وتفرق الازد في البلدان﴾

قال المسعودي قد ذكرنا جملا من الكهانة والقيافة والزجر والبارح والسانح فلنذكر الآن لمعا من أخبار الكهان وتفرق ولد سبا في البلدان ولم يزل ولد قحطان في اطيب عيش الى أن هلك سبا وكان القوم بعد مضي سبا تداولتهم الاعصار قرنا بعد قرن الى أن أرسل الله عليهم سيل

ويقال للناس ويشهر امره فلما ولى مصعب قال ما هذا بشئ واضاف اليه حلق الرؤس واللحى فلما ولى بشر بن مروان زاد فيه فصار يرفع الرجل عن الارض ويسمر فى يديه مسماران فى حائط فربما مات وربما خرق المسمار كفه فسلم فقال شاعر

لولا مخافة بشر أو عقوبته * وان يثبوط فى كفى مسمار
اذا لعطلت ثغرى ثم زرتكم * ان المحب لمن يهواه زوار

فلما كان الحجاج قال هذا لعب أضرب عنق من يخل مكانه فى الثغر

﴿ذكر ولاية سعيد بن أسلم السند وقتله﴾

فى هذه السنة استعمل عبد الملك على السند سعيد بن أسلم بن زرعة فخرج عليه معاوية ومحمد ابنا الحرث العلافيان فقتلاه وغلبا على البلاد فارسل الحجاج مجاعة بن سعر التميمى الى السند فغلب على ذلك الثغر وغزا وفتح أماكن من فنابيل ومات مجاعة بعد سنة بكران فقيل فيه

ما من مشاهدك التى شاهدتها * الا يزيدك ذكرها مجاعا

﴿ذكر وثوب أهل البصرة بالحجاج﴾

فى هذه السنة خرج الحجاج من الكوفة الى البصرة واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة فلما قدم البصرة خطبهم بمثل خطبته بالكوفة وتوعدهم رآه منهم بعد ثلاثة ولم يلحق بالمهلب فاتاه شريك بن عمرو اليشكرى وكان به فتق وكان أعور يضع على عينه قطعة كرسنة فلقب ذا الكرسفة فقال أصلح الله الامير ان بى فتقا وقد رآه بشر بن مروان فعذرنى وهذا عطائى مردود فى بيت المال فامر به فضربت عنقه فلم يبق بالبصرة أحد من عسكر المهلب الا لحق به فقال المهلب لقد أتى العراق رجل ذكر وتتابع الناس مرددين اليه حتى كثر جمعه ثم سار الحجاج الى رستقاباذ وبينها وبين المهلب ثمانية عشر فرسخا وانما أراد ان يشد ظهر المهلب وأصحابه بمكانه فقام برستقاباذ خطيبا حين نزلها فقال يا أهل المصرين هذا المكان والله مكانكم شهرا بعد شهر وسنة بعد سنة حتى يهلك الله عدوكم هؤلاء الخوارج المطلين عليكم ثم انه خطب يوما فقال ان الزيادة التى زادكم اياها ابن الزبير انما هى زيادة مخسر باطل ملحد فاسق منافق ولسنا نجيزها وكان مصعب قد زاد الناس فى العطاء مائة مائة فقال عبد الله بن الجارود انها ليست بزيادة ابن الزبير انما هى زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أنفذها وأجازها على يد أخيه بشر فقال له الحجاج ما أنت والكلام لتحسن حمل رأسك أولا سلبنك اياه فقال ولم انى لك لنصح وان هذا القول من ورائى ونزل الحجاج وسكت أشهرا لا يذكر الزيادة ثم أعاد القول فيها فرد عليه ابن الجارود مثل رده الاول وقام مصقلة بن كرب العبدى أبو رقبة بن مصقلة المحدث عنه فقال انه ليس للرعية ان ترد على راعيها وقد سمعنا ما قال الامير فسمعا وطاعة فيما أحببنا وكرهنا فقال له عبد الله بن الجارود يا ابن الجرمقانية ما أنت وهذا ومتى كان مثلك يتكلم وينطق فى مثل هذا وأتى الوجوه عبد الله بن الجارود فصوبوا رأيه وقوله وقال الهذيل بن عمران البرجمى وعبد الله بن حكيم بن زياد المجاشعى وغيرهما نحن معك واعوانك ان هذا الرجل غير كاف حتى ينقصنا هذه الزيادة فهلم نبايعك على اخراجه من العراق ثم نكتب الى عبد الملك نسأله ان يولى علينا غيره فان أبى خلعناه فانه هائب انما ما دامت الخوارج فبايعه الناس سرا واعطوه المواثيق على الوفاء وأخذ بعضهم على بعض العهود وبلغ الحجاج ما هم فيه فاحرز بيت المال واحتاط فيه فلما تم لهم أمرهم أظهروه وذلك فى ربيع الآخر سنة ست وسبعين واخرج عبد الله بن الجارود عبد القيس على راياتهم وخرج

العرم وذلك أن الرياسة انتهت فيهم الى عمرو بن عمرو من بقياء وهو عمرو بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن ثعلبة ابن امرئ القيس بن مازن ابن الازد بن الغوث بن كهلان بن سبا وذلك ببلاد مازن من أرض اليمن وهى بلاد سبا التى ذكرها الله فى القرآن أنه أرسل على أهلها سيل العرم وهو السد وكان فرسخا فى فرسخ بناه لقمان الاكبر العادى وهو لقمان بن عاد بن عاديا وقد ذكرنا خبره وخبر غيره ممن كان عمر منهم عمرا النسور وهذا السد هو الذى كان يرد عنهم السيل فيما سلف من الدهر اذا حان أن يغشى أموالهم فرقهم الله كل ممزق وباعد بين أسفارهم والناس فى قصة هلكهم يختلفون وفى سياقة أخبارهم يتباينون (وذكر) أصحاب التاريخ القديم أن أرض سبا كانت من أخصب أرض اليمن وأثراها وأغدقها وأكثرها جنانا وغيضانا وأفسحها مروجا مع بنيان حسن وشجر مصفوف ومساكب للماء متكافئة وأنهار وأزهار متفرقة وكانت مسيرة أكثر من شهر

الناس معه حتى اتى الحجاج وليس معه الا خاصته واهل بيته فخرجوا قبل الظهر وقطع ابن الجارود ومن معه الجسر وكانت خزائن الحجاج والسلاح من ورائه فارسل الحجاج اعين صاحب حمام اعين بالكوفة الى ابن الجارود يستدعيه اليه فقال ابن الجارود ومن الامير لا ولا كرامة لابن ابى رغال ولكن ليجرح عما مذموما مدحورا والا قاتلناه فقال اعين فانه يقول لك اتطيب نفسا بقتالك وقتل اهل بيتك وعشيرتك والذى نفسى بيده لئن لم تأتنى لادعن قومك عامة واهلك خاصة حديثا للعابرين وكان الحجاج قد حمل اعين هذه الرسالة فقال ابن الجارود لولا انك رسول لقتلتك يا ابن الخبيثة وامر فوجئ فى عنقه واخرج واجتمع الناس لابن الجارود فاقبل بهم زحفا نحو الحجاج وكان رأيهم ان يخرجوه عنهم ولا يقاتلوه فلما صاروا اليه نهبوه فى فسطاطه واخذوا ما قدروا عليه من متاعه ودوابه وجاء اهل اليمن فاخذوا امرأته ابنة النعمان بن بشير وجاءت مضر فاخذوا امرأته الاخرى ام سلمة بنت عبد الرحمن بن عمر واخى سهيل بن عمرو نخافه السفهاء ثم ان القوم انصرفوا عن الحجاج وتركوه فاتاه قوم من أهل البصرة فصاروا معه ثمانين من محاربة الخليفة فجعل الغضبان بن القبعثرى الشيبانى يقول لابن الجارود رويدا بالحدى قبل أن يتغدى بك أما ترى من قد أتاه منكم ولئن أصبح ليكثرن ناسره وليضعفن عمرو العتكى وكان زياد على شرطة البصرة فقال لهما ما ترياان آخذ لك من القوم أمانا ونخرج حتى نلحق بامير المؤمنين فقد ارفض أكثر الناس عنك ولا أرى لك أن تقاتل عن معك فقال عثمان بن قطن الحارثى لكنى لا أرى ذلك ان أمير المؤمنين قد شركك فى أمره وخلطك بنفسه واستنصحك وسلطك فسرت الى ابن الزبير وهو أعظم الناس خطرا فقتلته وولاك الله شرف ذلك وسناه وولاك أمير المؤمنين الحجاز ثم رفعت فولاك العراقين فحيث جريت الى المدى وأصبت الغرض الاقصى تخرج على قعود الى الشام والله لئن فعلت لانلت من عبد الملك مثل الذى أنت فيه من سلطان ابدا وليتضعضن شأنك ولكنى أرى أن تمشى بسيوفنا معك فنقاتل حتى نلقى ظفرا أو نموت كراما فقال له الحجاج الرأى ما رأيت وحفظ هذا العثمان وحقدها على زياد بن عمرو وجاء عامل بن مسمع الى الحجاج فقال انى قد اخذت لك أمانا من الناس فجعل الحجاج يرفع صوته ليسمع الناس ويقول والله لا أؤمنهم أبدا حتى يأتوا بالهذيل وعبد الله بن حكيم وأرسل الى عبيد بن كعب النميرى يقول هلم الى فامنعنى فقال قل له ان اتيتنى منعتك فقال لا ولا كرامة وبعث الى محمد بن عمير بن عطارد كذلك فاجابه مثل الجواب الاول فقال لا ناقتى فى هذا ولا جملى وأرسل الى عبد الله بن حكيم المجاشعى فاجابه كذلك أيضا وامر عباد بن الحصين الحبطى بابن الجارود وابن الهذيل وعبد الله بن حكيم وهم يتناجون فقال أشركونا فى نجواكم فقالوا هيهات ان يدخل فى نجوانا أحد من بنى الحبط فغضب وصار الى الحجاج فى مائة رجل فقال له الحجاج ما ابالى من تخلف بعدك وسعى قتيبة بن مسلم فى قومه فى يحيى أعصر وقال لا والله لا ندع قيسا يقتل ولا ينهب ماله يعنى الحجاج واقبل الى الحجاج وكان الحجاج قد يئس من الحياة فلما جاءه هؤلاء اطمأن ثم جاءه مسهر بن على الكلابى وسعيد بن اسلم بن زرعة الكلابى فسلم فأدناه منه وأتاه جعفر بن عبد الرحمن بن محنف الازدى وارسل اليه مسمع بن مالك بن مسمع ان شئت أتيتك بمثلهم خرج فعبى أصحابه وتلاحق الناس به فلما أصبح اذ حوله نحو ستة آلاف وقيل غير ذلك

فقال

للراكب المجد لى هذه
اله وفى العرض مثل
ذلك وان الراكب والمار
كان يسير فى تلك الجبال من
اولها الى ان ينتهى الى آخرها
لا تواجهه الشمس ولا
يعارضه لاستتار الارض
بالعمارة النجدية
واستيلاء اعلامها واحاطتها
بها وكان أهلها فى أطيب
عيش وأرفعه وأهنأ حال
وأرغد قرى وفى نهاية
الخصب وطيب الهواء
وصفاء الماء وتدفق
الماء وقوة الشوكة
واجتماع الكلمة ونهاية
المملكة وكانت بلادهم
فى الارض مثلا وكانوا
على طريقة حسنة من
اتباع شرف الاخلاق
وطلاب الافضال على
القاصد والسفر بحسب
الامكان وما توجبه القدرة
من الحال فكنوا على ذلك
ماشاء الله من الاعصار
لا يعاندهم ملك الا قصموه
ولا ينافيهم جبار فى جيش
الا كسروه فذلت لهم
البلاد وأذعن لطاعتهم
العباد فصار واتاج الارض
وكانت المياه التى هى
اكثر ما يرد الى أرض سبا
تظهر من مخراق من الجبل
الصلد والحديد من السد
والجبال طول المخراق فيما
وصفنا فرسخ وكان وراء
السد والجبال أنهار عظام

فقال ابن الجارود لعبيد الله بن زياد بن ظبيان ما الرأى قال ترك الرأى امس حين قال لك الغضبان تعش بالجدى قبل أن يتغدى بك وقد ذهب الرأى وبقى الصبر فدعا ابن الجارود بدرع فلبسها وتلوبة فتطير وحرض الحجاج أصحابه وقال لا يهولنكم ما ترون من كثرتهم وتزاحف القوم وعلى ميمنة ابن الجارود الهذيل بن عمران وعلى ميسرته عبد الله بن زياد بن ظبيان وعلى ميمنة الحجاج قتيبة بن مسلم ويقال عباد بن الحصين وعلى ميسرته سعيد بن أسلم فحمل ابن الجارود فى أصحابه حتى جاز أصحاب الحجاج فعطف الحجاج عليه ثم اقتتلوا ساعة وكاد ابن الجارود يظفر فأتاهم غرب فاصابه فوقع ميتا ونادى منادى الحجاج بامان الناس الا الهذيل وعبد الله بن حكيم وأمر ان لا يتبع المنهزمون وقال الاتباع من سوء الغلبة فانهزم عبيد الله بن زياد بن ظبيان وأتى سعيد بن عباذ بن الجلندى الازدى بعمان فقيل لسعيد انه رجل فاتك فاحذره فلما جاءه البطيخ بعث اليه بنصف بطيخة مسمومة وقال هذا أول شئ جاءنا من البطيخ وقد اكلت نصف بطيخة وبعثت بنصفها فاكلها عبيد الله فاحس بالشر فقال أردت أن أقتله فقتلنى وحمل رأس ابن الجارود وثمانية عشر رأسا من وجوه اصحابه الى المهلب فنصبت ليراها الخوارج ويتأسوا الاختلاف وحبس الحجاج عبيد بن كعب ومحمد بن عمير حيث قالوا للحجاج يأتينا لنمنعك وحبس الغضبان بن القبعثرى وقال له أنت القائل تعش بالجدى قبل ان يتغدى بك فقال ما نفعت من قيلت له ولا ضرت من قيلت فيه فكتب عبد الملك الى الحجاج باطلاقه وقتل مع ابن الجارود عبد الله بن انس بن مالك الانصارى فقال الحجاج ولا أرى انسا يمين على فلما دخل البصرة اخذ ماله فجيء دخل عليه انس قال لا مرحبا ولا اهلا بك يا ابن خميشة شيخ ضلالة جوال فى الفتن مرة مع ابى تراب ومرة مع ابن الزبير ومرة مع ابن الجارود أما والله لاجردنك جرد القضيب ولاعصينك عصب السلمة ولاقلعنك قلع الصمغة فقال انس بن يعنى الامير قال اياك اعنى اسم الله صداك فرجع انس فكتب الى عبد الملك كتابا يشكو فيه الحجاج وما صنع به فكتب عبد الملك الى الحجاج اما بعد يا ابن ام الحجاج فانك عبد طمت بك الامور فعلوت فيها حتى عدوت طورك وجاوزت قدرك يا ابن المستقرية بحم الزبيب لا غمزنك غمزة كبعض غمرات الليوث الثعالب ولاخبطنك خبطة تود لها انك رجعت فى محرجك من بطن امك اما تذكر حال آبائك فى الطائف حيث كانوا ينقلون الحجارة على ظهورهم ويحتفرون الآبار بايديهم فى أودية هم ومياههم أنسيت حال آبائك فى اللؤم والدناءة فى المروأة والخلق وقد بلغ أمير المؤمنين الذى كان منك الى انس بن مالك جرأة واقداما وأظنك اردت أن تسبر ما عند أمير المؤمنين فى امره فتعلم انكاره ذلك واغضاءه عنك فان سوغك ما كان منك مضيت عليه قدما فعليك لعنة الله يمن عبد أخفش العينين أصك الرجلين ممسوح الجاعرتين ولولا ان أمير المؤمنين يظن ان الكاتب كثر فى الكتابة عن الشيخ الى أمير المؤمنين فيك لارسل من يسحبك ظهرا لبطن حتى يأتى بك انسا فيحكم فيك فأكرم أنسا وأهل بيته واعرف له حقه وخدمته رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تقصرن فى شئ من حوائجه ولا يبلغن امير المومنين عنك خلاف ما تقدم فيه اليك من أمر انس وبره واكرامه فيبعث اليك من يضرب ظهرك ويهتك سترك ويشمت بك عدوك والقه فى منزله متنصلا اليه وليكتب الى أمير المومنين برضاه عنك ان شاء الله والسلام وبعث بالكتاب مع اسمعيل بن عبد الله مولى بنى مخزوم فأتى اسمعيل انسا بكتاب أمير المؤمنين اليه فقرأه وأتى الحجاج بالكتاب اليه فجعل يقرؤه ووجهه يتغير ويتغير وجبينه يرشح عرقا ويقول يغفر الله لامير المؤمنين ثم اجتمع بانس فرحب به الحجاج واعتذر اليه وقال اردت أن يعلم اهل

وكان فى هذا المخراق الآخذ من تلك الانهار ثلاثون نقبا مستديرة فى استدارة الذراع طولا وعرضا مدورة على أحسن هندسة وأكمل تقرير وكانت المياه تخرج من تلك الانقاب فى مجاريها حتى تأتى الجبال فترويها سقيا وتعم شرب القوم وقد كانت أرض سبا قبل ما وصفنا من العمارة والخصب يركبها السيل من تلك المياه وكان ملك القوم فى ذلك الزمان يقرب الحكماء ويدنيهم ويؤثرهم ويحسن اليهم فجمعهم من أقطار الارض للالتجاء الى رأيهم والاخذ من محض عقولهم فشاورهم فى دفع ذلك السيل وحصره وذلك أنه كان ينحدر من أعالى الجبل هابطا على رأسه يهلك الزرع ويسوق من حمله البناء فاجمع القوم رأيهم على عمل مصارف الى برارى تقذف به الى البحر وأخبروا الملك أن الماء اذا حفرت المصارف الهابطة طلبها وانحدر فيها ولم يتراكم حتى يعلو الجبال لان فى طباع الماء طلاب الخفض فحفر الملك المصارف حتى انحدر الماء وانصرف وتدافع الى تلك الجهة وانحدر السيل فى

العراق اذ كان من أمرك ما كان اذ بلغت منك ما بلغت اني اليهم بالعقوبة أسرع فقال أنس مشكوت حتى بلغ مني الجهد وحتى زعمت أنا لاشرار وقد سمانا الله الانصار وزعمت انا أهل نفاق ونحن الذين تبوؤا الدار والايمان وسيحكم الله بيننا وبينك فهو أقدر على التغيير لا يشبه الحق عنده الباطل ولا الصدق الكذب وزعمت أنك اتخذتني ذريعة وسلما الى مساءة أهل العراق باستحلال ما حرم الله عليك مني ولم يكن لي عليك قوة فوكلتك الى الله ثم الى أمير المؤمنين فحفظ من حقي ما لم تحفظ فوالله لو أن النصارى على كفرهم رأوا رجلا خدم عيسى بن مريم يوما واحدا لعرفوا من حقه ما لم تعرف أنت من حقي وقد خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وبعد فان رأينا خيرا حمدنا الله عليه وان رأينا غير ذلك صبرنا والله المستعان وردّ عليه الحجاج ما كان أخذ منه

﴿ ذكر شيرزنجي والزنج معه ﴾

اجتمع الزنج بفرات البصرة في آخر أيام مصعب بن الزبير ولم يكونوا بالكثير فافسدوا وتناولوا الثمار وولي خالد بن عبد الله بن خالد البصرة وقد كثروا فشكا الناس اليه ما نالهم منهم فجمع لهم جيشا فلما بلغهم ذلك تفرقوا وأخذ بعضهم فقتلهم وصلبهم فلما كان من أمر ابن الجارود ما ذكرنا خرج الزنج أيضا فاجتمع منهم خلق كثير بالفرات وجعلوا عليهم رجلا اسمه رياح ويلقب شيرزنجي يعني أسد الزنج فافسدوا فلما فرغ الحجاج من ابن الجارود أمر زياد بن عمرو وهو على شرطة البصرة أن يرسل اليهم جيشا يقاتلهم ففعل وسير اليهم جيشا عليه ابنه حفص بن زياد فقاتلهم فقتلوه وهزموا أصحابه ثم أرسل اليهم جيشا آخر فهزم الزنج وقتلهم واستقامت البصرة

﴿ ذكر اجلاء الخوارج عن رامهرمز وقتل ابن مخنف ﴾

لما أتى كتاب الحجاج الى المهلب وابن مخنف يأمرهما بغناهضة الخوارج زحفوا اليهم وقاتلوهم شيئا من قتال فانهزمت الخوارج كأنهم على حامية ولم يكن منهم قتال وسار الخوارج حتى نزلوا كارزون وسار المهلب وابن مخنف حتى نزلوا بهم وخندق المهلب على نفسه وقال لابن مخنف ان رأيت أن تخندق عليك فافعل فقال لاصحابه نحن خندقنا سيوفنا فاتى الخوارج المهلب ليبيتوه فوجدوه قد تحرز فلما لم يجدوا ابن مخنف فوجدوه لم يخندق فقاتلوه فانهزم عنه أصحابه ونزل فتانز في أناس من أصحابه فقتل وقتلوا فقال شاعرهم

لمن العسكر المكلل بالصبر * ى فهم بين ميت وقتيل
وتراهم بسفي الرياح عليهم * حاصب الرمل بعد حر الذيول

هذا قول اهل البصرة فاما أهل الكوفة فانهم ذكروا أنه لما وصل كتاب الحجاج بغناهضة الخوارج ناهضهم المهلب وعبد الرحمن فاقتتلوا قتالا شديدا وما لت الخوارج الى المهلب فاضطروه الى عسكره فارسل الى عبد الرحمن يستمده فامده عبد الرحمن بالخيل والرجال وكان ذلك بعد الظهر لعشر بقين من رمضان فلما كان بعد العصر ورأت الخوارج ما يجيء من عسكر عبد الرحمن من الرجال ظنوا أنه قد خف اصحابه فجعلوا يازاء المهلب من يشغله وانصرفوا بجندهم الى عبد الرحمن فلما رآهم قد قصدوه نزل ونزل معه القراء منهم أبو الاحوص صاحب ابن مسعود وخزيمة بن نصر أبو نصر بن خزيمة العبسي الذي قتل مع زيد بن علي وصلب معه بالكوفة ونزل معه من قومه أحد وسبعون رجلا وحملت عليهم الخوارج فقاتلهم قتالا شديدا وانكشف الناس عنه وبقي في عصابة

الموضع الذي كان فيه بدء جريان الماء من الجبل الى الجبل وجعلوا فيه المخراق على ما وصفنا آنفا ثم اجتذبوا من تلك المياه نهرا مرسلا مقدارا معلوما ينتهي في جريه الى المخراق ثم يتبعث الماء منه الى تلك الانقاب وهي الثلاثون مخرافا الصغار التي قدمنا ذكرها وكانت البلاد عامرة على ما وصفنا آنفا ثم ان تلك الامم بادت ومرت عليها السنون وضربها الدهر بضرباته وطحنها بكلكله وعمل الماء في أصول دنث المخراق وأصعنه فمر السيل عليه وتدافع الماء حوله وقد قيل في المثل ادا أثر تواتر الماء على الحجر الصلد فما ظنك بسيل يتدافع على حديد وحجر مصنوع فلما سكنت ايدي القطان على ما وصفنا من هذه الديار وتعلبت على من كان فيها من القطان لم تعلم الا قليلا من انحطام السد والمخراق والبنيان فتقذف به في جريه ورمى به في تياره وذلك لكثرة زيادة الماء واستيلاء الماء على تلك الديار والجبال والعمائر والبنيان حتى انقرض سكان تلك الارض وزالوا عن تلك المواطن فهذه جملة من أخبار سيل العرم وبلاد سبا والاحلاف بين

من أهل الصبر ثبتوا معه وكان ابنه جعفر بن عبد الرحمن فيمن بعثه الى المهلب فنادى فى الناس ليتبعوه الى أبيه فلم يتبعه الا ناس قليل فجاء حتى دنا من أبيه فحالت الخوارج بينهما فقاتل حتى جرح وقاتل عبد الرحمن ومن معه على تل مشرف حتى ذهب نحو من ثلثى الليل ثم قتل فى تلك العصابة فلما اصبحوا جاء المهلب فدفنه فصلى عليه وكتب بذلك الى الحجاج فكتب الحجاج الى عبد الملك بذلك فترحم عليه وذم أهل الكوفة وبعث الحجاج الى عسكر عبد الرحمن عتاب بن ورقاء وأمره ان يسمع للمهلب فساءه ذلك ولم يجد بدا من طاعته فجاء الى العسكر وقاتل الخوارج وأمره الى المهلب وهو يقضى أموره ولا يكاد يستشير المهلب فوضع عليه المهلب رجالا اصطنعهم وأغراهم به منهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة وجرى بين عتاب والمهلب ذات يوم كلام أغلظ كل منهما لصاحبه ورفع المهلب القضيب على عتاب فوثب اليه ابنه المغيرة بن المهلب فقبض القضيب وقال أصلح الله الامير شيخ من أشياخ العرب وشريف من أشرافهم ان سمعت بعض ما تكره فاحتمله فانه لذلك أهل ففعل فافترقا فارسل عتاب الى الحجاج يشكو المهلب ويسأله أن يأمره بالعود اليه فوافق ذلك حاجة من الحجاج اليه فيما لقى اشراف الكوفة من سببه فاستقدمه وامره أن يترك ذلك الجيش مع المهلب فجعل المهلب عليهم ابنه حبيبا وقال سراقة بن مرداس البارقى يرثى عبد الرحمن بن مخنف

ثوى سيد الازد ابن أزد شنوءة * وازد عمان رهن رمس بكازر
وضارب حتى مات اكرم ميتة * بابيض صاف كالعقيقة باتر
وصرع عن تل وتحت لوائه * كرام المساعى من كرام المعاشر
قضى نحبه يوم اللقاء ابن مخنف * وادبر عنه كل ألوث غادر
أمد ولم يمدد فراح مشمرا * الى الله لم يذهب باثواب غادر

وأقام المهلب بسابور يقاتلهم نحوا من سنة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة تحرك صالح بن مسرح أحد بنى امرئ القيس بن زيد مناة من تميم وكان يرى رأى الصفرية وهو أول من خرج فيهم وحج هذه السنة ومعه شبيب بن يزيد وسويد والبطين واشباههم وحج فى هذه السنة عبد الملك بن مروان وهم شبيب أن يفتك به فبلغه ذلك من خبرهم فكتب الى الحجاج بن يوسف بعد انصرافه يأمره بطلبهم وكان شيخا صالحا يأتى الكوفة فيقيم بها الشهر ونحوه فيلقى أصحابه ويعلمهم ما يحتاج اليه فلما طلبه الحجاج نبت به الكوفة فتركها وفيها غزا محمد بن مروان الصائفة عند خروج الروم الى الغنيق من ناحية مرعش وحج بالناس عبد الملك فخطب الناس بالمدينة فقال بعد حمد الله والثناء عليه أما بعد فانى است بالخليفة المستضعف يعنى عثمان ولا بالخليفة المداهن يعنى معاوية ولا بالخليفة المأفون يعنى يزيد الا وانى لا أداوى هذه الامة الا بالسيف حتى تستقيم لى قناتكم وانكم تحفظون أعمال المهاجرين الاولين ولا تعملون مثل اعمالهم وانكم تأمرونا بتقوى الله وتنسون ذلك من أنفسكم والله لا يأمرنى أحد بتقوى الله بعد مقامى هذا الا ضربت عنقه ثم نزل فى هذه السنة مات العرباض بن سارية السلمى وهو من اهل الصفة وقيل بل مات بالشام فى فتنة ابن الزبير وفيها توفى الاسود بن يزيد النخعى وهو ابن أخى علقمة ابن قيس

﴿ثم دخلت سنة ست وسبعين﴾

﴿ذكر خروج صالح بن مسرح﴾

ذوى الدراية منهم أن العرم هو المسناة التى قد أحكموا عملها لتكون حاجزا بين ضياعهم وبين السيل ففجرته فارة ليكون ذلك أطهر فى الاعجوبة كما أثار الله تعالى الطوفان من جوف تنور ليكون ذلك أثبت فى العبرة وأوعد فى الحجة ولا يتناكر أحلاف قحطان من أهل تلك الديار الى هذا الوقت ما كان من العرم لاستفاضته فيهم وشهرته عندهم (وقد فخر) بعض أولاد قحطان فى مجلس السفاح بمناقب قحطان من جمير وكهلان على ولد نزار وخالد بن صفوان وغيره من نزار بن معد يسطون بابهة السفاح لان احواله من قحطان فقال السفاح لخالد بن صفوان الا تنطق وقد غمرتكم قحطان بشرفها وعلت عليكم بقديم مناقبها فقال خالد ما ذا أقول لقوم ليس فيهم الا دابغ جلد أو ناسج برد أو سائس قرد او راكب عرد أغرقتهم فأرة وملكتهم امرأة ودل عليهم هدهد ثم مر فى ذمهم الى ان انتهى الى ما كان من قصتهم فى ملك الحبشة وما كان من استنقاذ الفرس اياهم على حسب ما قدمنا آنفا (وقد ذكروا) فى أشعارهم العرم وما كان لسبا وأرض مأرب وأن مأرب سمة للملك الذى يتملك على هذه البلدة وأن

كان صالح بن مسرح التميمي رجلا ناسكا مصفر الوجه صاحب عبادة وكان بدارا وأرض الموصل والجزيرة وله اصحاب يقرأهم القرآن والفقه و يقص عليهم فدعاهم الى الخروج وانكار الظلم وجهاد المخالفين لهم فأجابوه وحثهم عليهم فراسل اصحابه بذلك وتلاقوا بعينا هم في ذلك اذ قدم عليه كتاب شبيب يقول له انك كنت تريد الخروج فان كان ذلك من شأنك اليوم فانت شيخ المسلمين ولن نعدل بك أحدا وان أردت تأخير ذلك أعلمني فان الآجال غادية ورائحة ولا آمن أن تختر مني المنية ولم أجاهد الظالمين وكتب اليه صالح انه لم يمنعني من الخروج الا انتظارك فأقبل الينا فانك ممن لا يستغني عن رأيه ولا تقضى دونه الامور فلما قرأ شبيب كتابه دعا نفرا من صحابه منهم احوه مصاد بن يزيد بن نعيم الشيباني والمحلل بن وائل اليشكري وغيرهما وخرج بهم حتى قدم على صالح بدارا فلما لقيه قال اخرج بنا رحمك الله فوالله ما تزداد الا درو سا ولا يزداد المجرمون الا طغيانا فبث صالح رسله و واعد أصحابه بالخروج الى دلك هلال صفر سنة ست وسبعين فاجتمعوا عنده تلك الليلة فسأله بعضهم عن القتال قبل الدعاء أم بعده فقال بل ندعوهم فانه اقطع لحجتهم فقال له كيف ترى فيمن قاتلنا فظفرنا به ما تقول في دمائهم وأموالهم فقال لهم ان قتلنا وغنمنا فلنا وان عفونا فوسع علينا ثم وعظ أصحابه وامرهم بامره وقال لهم ان اكثركم رجالة وهذه دواب لمحمد بن مروان فابدؤا بها فاحملوا عليها رجالكم وتقووا بها على عدوكم فخرجوا تلك الليلة فاخذوا الدواب فاحتملوا عليها وأقاموا بارض دارا ثلاث عشرة ليلة وتحصن منهم اهلها وأهل نصيبين وسنجار وكان خروجه وهو في مائة وعشرين وقيل وعشرة و بلغ محمدا خروجهم وهو أمير الجزيرة فأرسل عدي بن عدي الكندي اليهم في الف فارس فسار من حران فنزل رعبان وكانوا أول جيش سار الى صالح وسار عدي وكأنه يساق الى الموت وأرسل الى صالح يسأله أن يخرج من هذه البلاد و يعلمه انه يكره قتاله وكان عدي ناسكا فاعاد صالح ان كنت ترى رأينا خرجنا عنك والا فنرى رأينا فارسل اليه عدي اني لا أرى رأيك ولكني اكره قتالك وقتال غيرك فقال صالح لاصحابه اركبوا فركبوا وحبس الرسول عنده ومضى باصحابه فاتى عديا وهو يصلي الضحى فلم يشعروا الا والخيل طالعة عليهم فلما رأوها تمادوا وجعل صالح شبيبا في ميمنته وسويد بن سليم في ميسرته ووقف في القلب فتاهم وهم على غير تعبية و بعضهم يجول في بعض فحمل عليهم شبيب وسويد فانهزموا وأتى عدي بن عدي بدابته فركبها وانهزم وجاء صالح ونزل في معسكره وأخذوا ما فيه ودخل اصحاب عدي على محمد بن مروان فغضب على عدي ثم دعا خالد بن حرة السلمي فبعثه في ألف وخمسمائة ودعا الحرث بن جمونة العامري فبعثه في الف وخمسمائة وقال اخرجا لي هذه المارقة وأغذا السير فاي كما سبق فهو الامير على صاحبه فخرجا متساندين يسالان عن صالح فقيل لهما انه نحو آمد فقصداه فوجه صالح شبيبا في شطر من أصحابه الى الحرث بن جمونة وتوجه هو ونحو خالد فاقتتلوا من وقت العصر أشد قتال فلم تثبت خيل محمد لخيل صالح فلما رأى امراؤهم ذلك ترجلوا وترجل معهما اكثر أصحابهما فلم يقدر اصحاب صالح حينئذ عليهم وكانوا اذا حملوا استقبلتهم الرجالة بالرماح ورماهم الرماة بالنبل وطاردهم حيالتهم فقاتلوهم الى المساء فكثرت الجراح في الفريقين وقتل من أصحاب صالح نحو ثلاثين رجلا ومن أصحاب محمد اكثر من سبعين فلما أمسوا تراجعوا فاستشار صالح أصحابه فقال شبيب ان القوم قد اعتصموا بخندقهم فلا أرى ان نقيم عليهم فقال صالح وأنا ارى ذلك فخرجوا من ليلتهم سائرين فقطعوا أرض الجزيرة وأرض الموصل وانتهوا الى الدسكرة فلما بلغ ذلك الحجاج

هذا الاسم وقع على هذا البلد فاشتهر به وصار سمة له وقال الشاعر

من سبا الحاضرين مأرب اذ
يبنون من دون سيله العرما

وقد قيل ان مأرب سمة لقصر هذا الملك في صدر الزمن قال أبو الطمحان في ذلك

ألم تروا مأربا ما كان حصنه
وما حواليه من سور وبنيان

طل العباد سيبقى فوق ثلته
ولم يهب ريب دهر حدثان

حتى تناوله من بعدما هجعوا
ضربا اليه الى أسباب كتار

وقد ذكر الاعشى ما وصفنا حيث يقول في كلمته

في ذلك المؤتسى اسوة
بمأرب عفى على اهلها العرم

وحام بناه لهم حمير
اذ جاءه ماؤهم لم يرم

فاغنى الحرث واغنى بها
على ساعة ماؤهم قد قدم

فطار الفيول وفيالها
بهاقي فيافي سراب الظلم

وكانوا بذلك كم وحقبة
فحال بهم جارف منهزم

فطاروا سراعا وما يقدمو
ن منه لشرب صبي فطم

(وقد ذكرنا) في كتابنا أخبار الزمان الملك الذي

سرح اليهم الحرث بن عميرة بن ذى العشار فى ثلاثة آلاف من أهل الكوفة فسار حتى دنا من الدسكرة وخرج صالح بن مسرح حتى أتى قرية يقال لها مدبج على تخوم ما بين الموصل وجوخى وصالح فى تسعين رجلا فلقيهم الحرث لثلاث عشرة بقين من جمادى فاقتتلوا فانهزم سويد بن سليم فى ميسرة صالح وثبت صالح فقتل وقاتل شبيب حتى صرع عن فرسه فحمل عليهم راجلا فانكشفوا عنه فجاء الى موقف صالح فأصاب فتيلا فنادى الى يا معشر المسلمين فلاذوا به فقال لاصحابه ليجعل كل واحد منكم ظهره الى ظهر صاحبه وليطاعن عدوه حتى يدخل هذا الحصين ونرى رأينا ففعلوا ذلك ودخلوا الحصين جميعهم وهم سبعون رجلا وأحاط بهم الحرث وأحرق عليهم الباب وقال انهم لا يقدرون على الخروج منه (مسرح بضم الميم وفتح السين المهملة وتشديد الراء وكسرها وبالحاء المهملة وجعونة بفتح الجيم وسكون العين المهملة وفتح الواو وآخره نون)

﴿ذكر بيعة شبيب الخارجى ومحاربة الحرث بن عميرة﴾

فلما أحرق الحرث الباب على شبيب ومن معه وقال انهم لا يقدرون على الخروج منه ونصبحهم غدا فنقتلهم وانصرف الى عسكره قال شبيب لاصحابه ما تنتظرون فوالله لئن صبحكم هؤلاء غدوة انه لهلاككم فقالوا مرنا بامرك فقال بايعونى أو من شئتم من أصحابكم واخرجوا بنا حتى نشد عليهم فى عسكرهم فانهم آمنون فبايعوا شبيبا وهو شبيب بن يزيد بن نعيم الشيبانى وأتوا بالنيران فأحرقوها وجعلوها على جمر الباب وخرجوا فلم يشعر الحرث الا وشبيب وأصحابه يضاربونهم بالسيوف فى جوف العسكر فصرع الحرث فاحتمله أصحابه وانهزموا نحو المدائن وحوى شبيب عسكرهم وكان ذلك الجيش أول جيش هزمه شبيب

﴿ذكر الحرب بين أصحاب شبيب وغيره﴾

ثم ان شبيبا لقى سلامة بن سنان التميمى نيم شيبان بارض الموصل فدعا الى الخروج معه فشرط عليه سلامة أن ينتخب ثلاثين فارسا ينطلق بهم نحو عنزة يمشى نفسه منهم فانهم كانوا قتلوا أخاه فضالة وذلك ان فضالة كان خرج فى ثمانية عشر رجلا حتى نزل ماء يقال له الشجرة عليه اثلة عظيمة وعليه عنزة نازلون فلما رأوه قالوا نقتل هؤلاء ونغدو على أميرنا فيعطينا شيأ فقال اخوله من بنى نصر لا نساعدكم على قتل ابن أخينا فنهضت عنزة فقتلوهم وأتوا برؤسهم عبد الملك بن مروان فلذلك أنزلهم بانقيا وفرض لهم ولم يكن لهم قبل ذلك فرائض الا قليلة فقال سلامة أخو فضالة يذكر قتل أخيه وخذلان أخواله اياه

وما خلت أخوال التى يسلمونه * لوقع السلاح قبل ما وعلت نصر

وكان خروج فضالة قبل خروج صالح فأجابه شبيب فخرج حتى انتهى الى عنزة فجعل يقتل محلة بعد محلة حتى انتهى الى فريق منهم فيهم خالته قد أكبت على ابن لها وهو غلام حين احتلم فاخرجت نديها وقالت أنشدك برحم هذا يا سلامة فقال والله ما رأيت فضالة مذ أناخ باصل الشجرة يعنى أخاه لتقومن عنه أولاجمعنكما بالرمح فقامت عنه فقتله

﴿ذكر مسير شبيب الى بنى شيبان وايقاعه بهم﴾

ثم أقبل شبيب فى خيله نحو راذان فهرب منه طائفة من بنى شيبان ومعهم ناس من غيرهم قليل حتى نزلوا دير ابا الى جنب حولايا وهم نحو ثلاثة آلاف وشبيب فى نحو سبعين رجلا أو يزيدون قليلا فنزل بهم فتحصنوا منه ثم ان شبيبا سرى فى اثنى عشر رجلا الى أمه وكانت فى سفح جبل ساتيذما فقال لا تبين بها تكون فى عسكرى لا تفارقنى حتى تموت أو أموت فسار بهم

طال عمره وحسنت سيرته وأنه بنى هذا السد الذى هو المسناة وأن عمره انتهى على عمر النسور عند ذكرنا لطول الاعمار وما أكثرت العرب فى صفة طول عمر النسور وضربت به الامثال وبلبد بصحة بدن الغراب فمن ذلك ما ذكره الخارجى فى شعره عند ذكره لطول عمر معاذ بن مسلم بن رجاه مولى القعقاع بن حكيم من قوله فيه عند ذكره سنه وهرمه وهو

ان معاذ بن مسلم رجل
قد صح فى طول عمره الابد
قد شاب رأس الزمان واحتضب الد
هر وأثواب عمره جدد
يا مسر لقمان كم تعيش وكم
تلبس ثوب الحياة يا لبد
قد أصبحت دار حمير خربت
وأنت فيها كأنك الوتد
تسأل عن بانيها اذا احتجلت
كيف يكون الصداع والرمد

(وقد قدمنا) فيما سلف فى مواضع من هذا الكتاب ما قالت الاوائل فى علة طول الاعمار وقصرها وعظم الاجسام فى بدء الامر وتناقصها على مر الاعصار ومضى الدهور وأن الله تبارك وتعالى لما بدأ الخلق كانت الطبيعة التى جعلها الله جبلة للاسلام فى تمام

ساعة واذا هو بجماعة من بني شيبان في أموالهم مقيمين لا يرون ان شيبانيا يغيرهم ولا يشعر بهم فحمل عليهم فقتل ثلاثين شيخا فيهم حوثرة بن أسد ومضى شيب الى أمه فحملها واشرف رجل من الدير على أصحاب شيب وكان قد استخلف شيب عليهم أخاه مصاد بن يزيد وهم قد حصروا من في الدير فقال ياقوم بيننا وبينكم القرآن قال الله تعالى وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه فكفوا عنا حتى نخرج اليكم على أمان وتعرضوا علينا أمركم فان قبلنا حرمت عليكم دماؤنا وأموالنا وان نحن لم نقبل له ترددونا الى مأمننا ثم رأيتم رأيكم فاجابوهم فخرجوا اليهم فعرض عليهم أصحاب شيب قولهم فقبلوه كله ثم خالطوه ونزلوا اليهم وجاء شيب فاخبروه بذلك فقال أصبتم ووفقتم

﴿ ذكر الوقعة بين شيب وسفيان الخثعمي ﴾

ثم ان شيبانيا رتحل فخرج معه طائفة وأقامت طائفة وسار شيب في أرض الموصل نحو اذربيجان وكتب الحجاج الى سفيان بن أبي العالية الخثعمي يأمره بالقفول وكان معه ألف فارس يريد أن يدخل بها طبرستان فلما أتاه كتاب الحجاج صالح صاحب طبرستان ورجع فامره الحجاج بنزول الدسكرة حتى يأتيه جيش الحرث بن عميرة الهمداني وهو الذي قتل صالحا حتى تأتيه خيل المناظر ثم يسير الى شيب فاقام بالدسكرة ونودي في جيش الحرث الحرب بالكوفة والمدائن فخرجوا حتى أتوا سفيان وأتته خيل المناظر عليهم سورة بن الحر التميمي فكتب اليه سورة بالتوقف حتى يلحقه فعجل سفيان في طلب شيب فلحقه بخانقين وارتفع شيب عنهم حتى كانه يكره قتالهم وأتمن اخاه مصادا في هرم من الارض في خمسين رجلا فارسا ومضى في سفح الجبل فقالوا هرب عدو الله فاتبعوه فقال لهم عدي بن عميرة الشيباني لا تعجلوا حتى نبصر الارض لئلا يكون قد اكمن فيها كمينا فلم ينتفتوا فاتبعوه فلما جاوزوا الكمين رجع عليهم شيب وخرج أخوه في الكمين فهزم الناس غير قليل وثبت سفيان في نحو من مائتي رجل وقاتلهم قتالا شديدا وحمل سويد بن سليم على سفيان فطاعنه ثم تضاربا بالسيوف واعتنق كل واحد منهما صاحبه فوقعا الى الارض ثم تحاجزا وحمل عليهم شيب فانكشفوا وأتى سفيان غلام له فنزل عن دابته وأركبه وقاتل دونه وقتل الغلام وتحاجز سفيان حتى انتهى الى بابل مهروذ وكتب الى الحجاج بالخبر ويعرفه وصول الجند الا سورة بن الحر فانه لم يشهد معي القتال فلما قرأ الحجاج الكتاب أنبى عليه

﴿ ذكر الوقعة بين شيب وسورة بن الحر ﴾

فلما وصل كتاب سفيان الى الحجاج كتب الى سورة بن الحر يلومه ويتهدده ويأمره أن ينتخب من المدائن خمسمائة فارس ويسيرهم ومعهم الى شيب ففعل ذلك سورة وسار نحو شيب وشيب يجول في جوخى وسورة في طلبه حتى انتهى الى المدائن فتحصنوا منه وأخذ منها دواب وقتل من ظهر له فاتى فقيل له هذا سورة قد أقبل فخرج حتى أتى النهروان فصلوا وترحموا على أصحابهم الذين قتلهم على وتبرؤا من علي وأصحابه وأخبرت سورة عيونه بمنزل شيب فدعا أصحابه فقال ان شيبا لا يريد على مائة رجل وقد رأيت ان انتخبكم فاسير في ثلثمائة رجل من شجعانكم فآتيه وهو آمن بياتكم فاني ارجو من الله أن يصرعهم فاجابوه الى ذلك فانتخب ثلثمائة وسار بهم نحو النهروان وبات شيب وقد أذكى الحرس فلما دنا أصحاب سورة علموا بهم فاستووا على خيولهم وتعبوا تعبيتهم للحرب فلما انتهى اليهم سورة رآهم قد حذروا فحمل عليهم فثبتوا له وضاربوهم وصاح شيب باصحابه فحملوا عليهم حتى تركوا العرضة وشيب يقول

الكثرة ونهاية القوة والكمال والطبيعة اذا كانت تامة القوة كانت الاعمار أطول والاجسام أقوى لان طرق الموت الطارئ يكون باعلال قوى الطبيعة فلما كانت القوى أتم كانت الاعمار أزيد وكان العالم في أولية نشأته تام العمر ثم لم يزل ينقص أولا أولا لنقصان المادة حتى يكون آخر مائية الطبيعة في تناهي النقص في الاجسام والاعمار (وقد أبى) ماذكرناه من عظم أجسام الناطقين في صدور الزمان كثير من أهل النظر والبحث ممن تأخروا زعموا أن تأثيرهم في بنيانهم وماظهر في الارض من أعمالهم يدل على صغر أجسامهم وانها كانت كاجسامنا لما شاهدوه من مساكنهم وأبوابهم وتماثيلهم فيما أحدوه من البنيان والمياكل والديار والمساكن في سائر الارض كديار ثمود ونحتها المساكن في الجبال وحفرها في الصخر الصلد بيوتا صغارا وأبوابا لطافا وكذلك أرض عاد ومصر والشام وسائر بقاع الارض في الشرق والغرب وهذا ان أكثرنا القول فيه طال وان أطنبنا في صفته كثر فلنرجع الآن

من ينك العير ينك نياكا * جندلتان اصطكا اصطكا كا

فرجع سورة الى عسكره وقد هزم الفرسان وأهل القوة فتحمل بهم وأقبل نحو المدائن واتبعه شبيب يرجو أن يدركه فيصيب عسكره فوصل اليهم وقد دخل الناس المدائن وخرج ابن أبي العصيفر أمير المدائن في أهل المدائن فرموا أصحاب شبيب بالنبل والحجارة فارتفع شبيب عن المدائن فمر على كلواذى فاصاب بها دواب كثيرة للحجاج فاخذها ومضى الى تكريت وأرجف الناس بالمدائن بوصول شبيب اليهم فهرب من بها من الجند نحو الكوفة وكان شبيب بتكريت ولام الحجاج سورة وحبسه ثم أطلقه

﴿ ذكر الحرب بين شبيب والجزل بن سعيد وقتل سعيد بن مجالد ﴾

فلما قدم الفل الكوفة سير الحجاج الجزل بن سعيد بن شرحبيل الكندي واسمه عثمان نحو شبيب وأوصاه بالاحتياط وترك العجلة وقال له لا تبعث معي من الجند المهزوم أحدا فانهم قد دخلهم الرعب ولا ينتفع بهم المسلمون قال فقد أحسنت فاخرج معه أربعة آلاف فسار واسمه فقدم الجزل بين يديه عياض بن أبي لبنة الكندي فسار وافى لقاء شبيب وجعل شبيب يريه الهيبة له فيخرج من رستاق الى رستاق ولا يقيم اراده أن يفرق الجزل أصحابه فيلقاه وهو على غير تعبية فجعل الجزل لا يسير الا على تعبية ولا ينزل الا خندق على نفسه فلما طال ذلك على شبيب دعا أصحابه وكانوا ثمانمائة وستين رجلا ففرقهم أربع فرق على كل أربعين رجلا من أصحابه فجعل أحاصادا في أربعين وسويد بن سليم في أربعين والمحال بن وائل في أربعين وبقي هو في أربعين وأتته عيونه فاخبروه ان الجزل بدير يزدجرد فامر شبيب أصحابه وعلقوا على دوابهم ثم سار بهم وأمر كل رأس من أصحابه ان يأتي الجزل من جهة ذكرها له وقال اني أريد ان ابيته وأمرهم بالجد في القتال فسار أخوه فانتهى الى دير الخرارة فرأى للجزل مسلحة مع ابن أبي لبنة فحمل عليهم مصادا في أربعين رجلا فقاتلوه ساعة ثم اندفعوا بين يديه وقد أدركهم شبيب فقال اركبوا آكتافهم لتدخلوا عليهم عسكرهم ان استطعتم واتبعوهم ملحين فانتهوا الى عسكرهم فمنعهم اصحابه من دخول خندقهم وكان للجزل مسالح أخرى فرجعت فمنعهم من دخول الخندق وقال انضحوا عنكم بالنبل وجعل شبيب يحمل على المسالح حتى اضطرهم الى الخندق ورشقهم أهل العسكر بالنبل فلما رأى شبيب انه لا يصل اليه قال لاصحابه سيروا ودوهم فمضى على الطريق ثم نزل هو وأصحابه فاستراحوا ثم أقبل بهم راجعا الى الجزل أيضا على التعبية الاولى وقال أطيفوا بعسكرهم فاقبلوا وقد دخل أهل العسكر مسالحهم اليهم وقد أمنوا فلما شعروا انه قد وقع حوافر الخيل فانتهوا اليهم قبل الصبح وأحاطوا بعسكرهم من جهاته الاربع فقاتلوهم ثم ان شيبان أرسل الى أخيه مصاد وهو يقاتلهم من نحو الكوفة أن اقبل الينا وخل لهم الطريق ففعل وقاتلوهم من الوجوه الثلاثة حتى أصبحوا فسار شبيب وتركهم ولم يتظرهم فنزل على ميل ونصف ثم صلى الغداة ثم سار الى جرجرايا واقبل الجزل في طلبهم على تعبية ولا ينزل الا في خندق وسار شبيب في أرض جوخى وغيرها يكسر الخراج فطال ذلك على الحجاج فكتب الى الجزل ينكر عليه ابطاءه ويأمره بمناهضتهم فجد في طلبهم وبعث الحجاج سعيد بن مجالد على جيش الجزل وأمره بالجد في قتال شبيب وترك المطاولة فوصل سعيد الى الجزل وهو بالنهروان قد خندق عليه وقام في العسكر ووبخهم وعجزهم ثم خرج وأخرج معه الناس ونهم اليه خيول

الى ما عنه عملنا ومن وصفه خرجنا من ذكر سبا ومأرب وما كان من الملك في ذلك الوقت وهو عمرو بن عامر وكان للملك عمرو بن عامر المقدم ذكره في هذا الباب أخ كاهن عقيم يقال له عمران وكان لعمرو كاهنة من اهل من حمير يقال لها طريفة الخير (وكان أول شئ وقع بمأرب) وعرف من سيل العرم ان عمران الكاهن أخا عمرو رأى في كهانته ان قومه سوف يمزقون كل ممزق ويباعد بين أسفارهم فذكر ذلك لاخيه عمرو وهو الملك من بقياه الذي كانت تحمة التبوم في أيام ملكه والله أعلم بكيفية ذلك وبينا طريفة الكاهنة ذات يوم نائمة اذ رأت فيما يرى النائم أن سحابة غشيت أرضها وأرعدت وابرقت ثم صعقت وأحرقت ما وقعت عليه ووقعت الى الارض فلم تقع على شئ الا أحرقته ففزعت طريفة لذلك وذعرت ذعرا شديدا وانتبهت وهي تقول ما رأيت مثل اليوم قد اذهب عني النوم رأيت غيما ابرق وارعد ثم اصعق فما وقع على شئ لا أحرقه فما بعد هذا الا العرق فلما رأى ما دا خلها من الرعب خفضوها وسكنوها

أهل العسكر ليسيروا بهم حريدة الى شبيب ويتركوا الباقين مكانهم فقال له الجرل ما تريد أن تصنع قال أقدم على شبيب في هذه الخيل فقال له الجرل أقم أنت في جماعة الناس فارسهم وراجلهم وابرزهم فوالله ليتقدمن عليك ولا تفرق أصحابك فقال قف أنت في الصف فقال الجرل يا سعيد ليس لي فيما صنعت رأي انابري منه ووقف الجرل فصف أهل الكوفة وقد أخرجهم من الخندق وتقدم سعيد بن مجالد ومعه الناس وقد أخذ شبيب الى قطيطيا فدخلها وأمر دهقانا أن يصلح لهم غداء ففعل وأغلق الباب فلم يمرغ ص الغداء حتى أتاه سعيد في ذلك العسكر فاقبل الدهقان فاعلم شبيبا بهم فقال لا بأس قرب الغداء وقربه فاكلوا وتوضأ وصلى ركعتين وركب بعلاله وخرج عليه وسعيد على باب المدينة فحمل عليهم فقال لا حكم الا لله أنا أبو دلفة اثبتوا ان شئتم وجعل سعيد يقول هؤلاء اعداهم اكلة رأس وحمل بجمع خيله ويرسلها في أثر شبيب فلما رأى شبيب تفرقهم جمع أصحابه وقال استعرضوهم فوالله لا قتلن أميرهم أو ليقتلني وحمل عليهم مستعرضا فهزمهم وثبت سعيد ونادى أصحابه فحمل عليه شبيب فضربه بالسيف وقتله وانهزم ذلك الجيش وقتلوا حتى انتهوا الى الجرل فناداهم أيها الناس انى أنا قاتل فقاتلا شديدا حتى حمل من بين القتلى جريحا وقدم المهرمون الكوفة وكتب الجرل الى الحجاج بالخبر ويخبره بقتل سعيد وأقام بالمدائن وكتب اليه الحجاج يثني عليه ويشكره وأرسل اليه حيان بن أبجر ليداوي جراحته وألفي درهم ليعقها وبعث اليه عبد الله بن عصيم بألف درهم وكان يعوده ويتعاهده بالهدية وسار شبيب نحو المدائن فعلم به لا سبيل الى أهلها مع المدافعة فاقبل حتى انتهى الى الكرخ فعبر جلة اليها فارسل الى سوق بغداد فاتاهم وكان يوم سوقهم وبلغه انهم يحافونه واشترى أصحابه دواب وأشياء يريدونها

﴿ذكر مسير شبيب الى الكوفة﴾

ثم سار شبيب الى الكوفة فنزل عند حمام عمير بن سعد فلما بلغ الحجاج مكانه بعث سويد بن عبد الرحمن السعدي في ألفي رجل اليه وقال له ان شبيبا ان استطرد لك فلا تتبعه فخرج وعسكر بالسجة فعلم أن شبيبا قد أقبل فسار نحوه وكانا يساقون الى الموت فامر الحجاج عثمان بن قطن فعسكر بالناس في السجة وسار سويد الى زرارة وهو يعبي أصحابه اذ قيل قد أتاك شبيب فنزل ونزل معه جل أصحابه فاخبر ان شبيبا قد ترك وعبر الفرات وهو يريد الكوفة من وجه آخر فنادى في أصحابه فركبوا في آثارهم وبلغ من بالسجة مع عثمان اقبال شبيب اليهم فصاح بعضهم ببعض وهموا أن يدخلوا الكوفة حتى قيل لهم ان سويدا في آثارهم قد لحقهم وهو يقاتلهم وحمل شبيب على سويد ومن معه حملة منكرة فلم يقدروا منهم على شئ وأخذ على بيوت الكوفة نحو الحيرة وذلك عند المساء وتبعه سويد الى الحيرة فرآه قد ترك الحيرة وذهب فتركه سويد وأقام حتى أصبح وأرسل الى الحجاج يعلمه بمسير شبيب

﴿ذكر محاربة شبيب أهل البادية﴾

وكتب الحجاج الى سويد يأمره باتباعه فاتبعه ومضى شبيب حتى أغار اسفل الفرات على من وجد من قومه وارتفع في البر وراء خنان فاصاب رجالا من بني الورثة فقتل منهم ثلاثة عشر رجلا منهم حنظلة بن مالك ومضى شبيب حتى أتى بني أمية على الدسف وعلى ذلك الماء الغزر بن الاسود وهو أحد بني الصلت وكان ينهى شبيبا عن رأيه وكان شبيب يقول لئن ملكت سبعة أعنة لاغزون الغزر فلما بلغهم خبر شبيب ركب الغزر فرسا وخرج من وراء البيوت وانهزم منه الرجال ورجع وقد خاف أهل البادية فاخذ على القطقطانة ثم على قصر بني مقاتل ثم على الحصاصة ثم على

من حائشها حتى سكنت ثم ان عمرو بن عامر دخل حديقة من حدائقه ومعه جاريتان له فبلغ ذلك ظريفة فاسرعت نحوه وأمرت وصيفا لها يقال له سنان أن يتبعها فلما برزت من باب بيتها عارضتها ثلاث مساجد منتصبات على أرجلهن واضعات أيديهن على أعينهن وهي دواب يشبهن البراسيع يكن بأرض اليمن فلما رأتهن طربة وضعت يدها على عينها وقعدت وقالت لوصيفها ادهمت هذه المساجد عنا فاعلمي فلما ذهبت أعلمها فانطلقت مسرعة فلما عارضتها حلج الحديقة التي فيها عمرو ونبعت من الماء سلحماة فوقعت على الطريق على ظهرها وجعلت تريد الانقلاب فلا تستطيع فتسفي بذنبها وتحثو التراب على بطنها وجنبها وتقذف بالبول فلما رأتها طربة جلست الى الارض فلما عادت السلحماة الى الماء مضت الى أن دخلت على عمرو والحديقة حين انتصف النهار في ساعة شديد حرها فاذا الشجر يتكفأ من غير ريح فغدت حتى دخلت على عمرو ومعه جاريتان على الفراش فلما رآها سخياما لها وأمر الجاريتين فرفعتا عن الفراش

الانبار ومضى حتى دخل دقوقا ثم ارتفع الى أدانى اذربيجان فلما أبعد سار الحجاج الى البصرة واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة فاشعر الناس الا وقد أتاهم كتاب دهقان بابل مهروذ الى عروة يذكر له ان بعض جباة الخراج أخبره ان شبيبا قد نزل خانيجار وهو على قصد الكوفة فارسل عروة الكتاب الى الحجاج بالبصرة فاقبل مجدا نحو الكوفة يسابق شبيبا اليها

﴿ ذكر دخول شبيب الكوفة ﴾

وأقبل شبيب الى قرية اسمها حربى فقال حرب يصلى به عدوكم ثم سار فنزل عقر قوف فقال له سويد بن سليم يا أمير المؤمنين اوتحولت من هذه القرية المشؤمة الاسم قال وقد تطيرت أيضا والله لا أسير الى عدوى الا منها انما شؤمها على عدونا والعقر لهم ان شاء الله ثم سار مبايادر الحجاج الى الكوفة وكانت كتب عروة ترد عليه أعنى الحجاج يحثه على العجل اليهم فطوى الحجاج المنازل فنزلها الحجاج صلاة العصر ورحل شبيب بالسبخة صلاة المغرب فاكلوا شيأ ثم ركبوا خيولهم فدخلوا الكوفة و بلغوا السوق وضرب شبيب باب القصر بعموده فاثر فيه أثرا عظيما ثم وقف عند المصطبة وقال

عبد دعى من ثمود أسلمه * لابل يقال أبوأبيهم يقدم

يعنى الحجاج فان بعض الناس يقول ان ثقفا بقايا ثمود و بعضهم يقول هم من نسل يقدم الايادى ثم اقتحموا المسجد الاعظم وكان لا يزال فيه قوم يصلون فقتلوا عقيل بن مصعب الوادعى وعدى ابن عمرو الثقفى وأبا الليث بن أبى سليم ومروا بدار حوشب وهو على الشرط فقالوا ان الامير يطلبه فاراد الركوب ثم أنكرهم فلم يخرج اليهم فقتلوا غلامه ثم أتى الحجاف بن نبيط الشيبانى فقال له انزل لنقضيك ثمن البكرة التى اشتريت منك بالبادية فقال الحجاف ماذكرتك امانيك الا والليل اطلم وأنت على فرسك يا سويد قبح الله دينا لا يصلح الا باراقة الدماء وقتل القرابة ثم مروا بمسجد ذهل فرأوا ذهل بن الحرث وكان يطيل الصلاة فيه فقتلوه ثم خرجوا من الكوفة فاستقبلهم النضر بن دعفاع بن شور الذهلى فقال له السلام عليك أيها الامير فقال له سويد أمير المؤمنين ويلك فقال أمير المؤمنين فقال له شبيب يا نصر لا حكم الا لله وأراد يلعنه فقال انا لله وانا اليه راجعون فشد أصحاب شبيب عليه فقتلوه وكان قد أقبل مع الحجاج من البصرة فتخلف عنه وكانت أم النضر ناجية بنت هانئ بن قبيصة الشيبانى فاحب شبيب نجاته ثم خرجوا نحو الردمة وأمر الحجاج منادیا فنادى ياخيل الله اركبى وهو فوق باب القصر وعنده مصباح فكان أول من أتاه عثمان بن قطن بن عبد الله بن الحصين ذى القصة فقال أعلموا الامير بمكانى فقال له غلام للحجاج قف بمكانك وجاء الناس من كل جانب ثم ان الحجاج بعث بشر بن غالب الاسدى فى ألفى رجل وزائدة بن قدامة الثقفى فى ألفى رجل وأبا الضريس مولى بنى تميم فى ألفى رجل وعبد الاعلى بن عبد الله بن عامر وزياد بن عمرو العتكى وكان عبد الملك بن مروان قد استعمل محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله على سجستان وكتب الى الحجاج ليجهزه و يسيره سريعا فى ألف رجل الى عمله فاقام يتجهز وحدث من امر شبيب ما حدث فقال له الحجاج تلقى شبيبا وهذه الخارجة فتجاهدهم ويكون الظفر لك و بطيرا سمك ثم تمضى الى عملك فسيره معهم وقال لهؤلاء الامراء ان كان حرب فاميركم زائدة بن قدامة فسار هؤلاء الامراء فنزلوا أسفل الفرات فترك شبيب الوجه الذى هم فيه وأخذ نحو القادسية

﴿ ذكر محاربة شبيب زحر بن قيس ﴾

ووجه الحجاج جريدة خيل نقاوة ألف وثمانمائة فارس مع زحر بن قيس وقال له اتبع شبيبا حتى

وقال لها هلمى باطريفة الى الفراش فتكهنت وقالت والنور والظلماء والارض والسماء ان الشجر لهالك وسيعود الماء لما كان فى الدهر السالف قال عمرو ومن خبرك بهذا قالت أخبرنى المناجد بسنين شداد يقطع فيها الوالد الواحد قال ماتقولين قالت أقول قول النسوان قال لها فقد رأيت سلحفا تجرف التراب جرفا وتقذف بالبول قذفا فدخلت الحديقة فاذا الشجر يتكفأ قال عمرو متى ترين ذلك قالت هى داهية كبيرة ومصائب عظيمة لامور جسيمة قال وماهى قالت أجل ان لى الويل ومالك فيها من نيل فلى ولك الويل مما يجىء به السيل فالقى عمرو نفسه عن الفراش وقال ماهذا ياطريفة قالت هو جبل جليل وحزن طويل وخلف قليل والقليل خير من تركه قال عمرو وما علامة ذلك قالت تذهب الى السد فاذا رأيت جرذا يكثر فى السد الحفر و يقلب برجليه من الجبل الصخر فاعلم أن النفر عقر وأنه قد وقع الامر قال وما هذا الامر الذى يقع قالت وعد الله نزل و باطل بطل ونكال بنا نزل فتعمده

نواقعه أين أدركه الا ان يكون ذاهبا فاتركه مالم يعطف عليك أو يقيم فخرج زحر حتى انتهى الى السيلحين وأقبل شبيب نحوه فالتقيا فجمع شبيب خيله ثم اعترضهم الصف حتى انتهى الى زحر فقاتل زحر حتى سرع وانهزم أصحابه وظنوا انهم قتلوه فلما كان السحر وأصابه البرد قام يمشي حتى دخل قرية فبات بها وحمل منها الى الكوفة وبوجهه ورأسه بضع عشرة جراحة فمكث أياما ثم قدم الحجاج فاجلسه معه على السرير وقال لمن حوله من أراد ان ينظر الى رجل من أهل الجنة يمشي بين الناس وهو شهيد فلينظر الى هذا

﴿ ذكر محاربة الامراء المقدم ذكرهم وقتل محمد بن موسى بن طلحة ﴾

فلما هزم أصحاب حرر قال أصحاب شبيب لشبيب قد هزمنا لهم جندا انصرف بنا الآن وافرين فقال لهم هذه الهزيمة قد ارعبت هؤلاء الامراء والجنود الذين في طلبكم فاقصدوا بنا نحوهم فوالله لئن قاتلناهم هادون الحاج مانع ونأخذ الكوفة ان شاء الله تعالى فقالوا نحن لرأيك تبع فسار وسأل عن الامراء فاخبر أنهم بروذبار على أربعة وعشرين فرسخا من الكوفة فقصدهم فارسل اليهم الحجاج يعلمهم مسيره ويقول لهم ان أمر الجماعة زائدة بن قدامة وانتهى اليهم شبيب وقد تعبوا للحرب وكان على ميمنة أهل الكوفة زياد بن عمرو العتكي وفي ميسرتهم بشر بن غالب الاسدي وكل أمير واقف في أصحابه واقبل شبيب على فرس كميت اغر في ثلاث كتائب كتيبة فيها سويد بن سليم ووقف بازاء الميمنة وكتيبة فيها مصاد أخو شبيب فوقف بازاء الميسرة ووقف شبيب مقابل القلب فخرج زائدة بن قدامة بسيره في الناس ويحثهم على الجهاد لعدوهم والقتال ويطمعهم في عدوهم لقلته وباطله وكثرتهم وانهم على الحق ثم انصرف الى موقفه فحمل سويد بن سليم على زياد بن عمرو فكشفوا واثبت زياد في نحو من نصف أصحابه ثم ارتفع عنهم سويد قليلا ثم حمل عليهم ثانية فتطاعنوا ساعة وصبر زياد ساعة وقاتل زياد قتالا شديدا وقاتل سويد أيضا قتالا شديدا وانه لاشجع العرب ثم ارتفع سويد عنهم فاذا أصحاب زياد ينفرقون فقال لسويد أصحابه ألا تراهم ينفرقون احمل عليهم فقال لهم شبيب خلوهم حتى يخفوا فتركوهم قليلا ثم حمل الثالثة فانهزموا وأخذت زياد بن عمرو السيوف من كل جانب فاستردفه منها شئ للبسته التي عليه ثم انه انهزم وقد جرح جراحة يسيرة وذلك عند المساء ثم حملوا على عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر فهزموه ولم يقاتل كثيرا ولحق زياد بن عمرو فمضيا منهزمين وحملت الخوارج حتى انتهت الى محمد بن موسى بن طلحة عند المغرب فقاتلوه قتالا شديدا وصبر لهم ثم ان مصادا أخا شبيب حمل على بشر بن غالب وهو في ميسرة أهل الكوفة فصبر بشر ورجل ورجل معه نحو خمسين رجلا فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم وانهزم أصحابه وحملت الخوارج على أبي الضريس مولى بني تميم وهو يلي بشر بن غالب فهزموه حتى انتهى الى موقف أعين فهزموهما حتى انتهوا بهما الى زائدة بن قدامة فلما انتهوا اليه نادى يا أهل الاسلام الارض الارض لا يكونوا على كفرهم أصبر منكم على ايمانكم فقاتلهم عامة الليل حتى كان السحر ثم ان شبيبا حمل عليه في جماعة من أصحابه فقتله وقتل أصحابه وتركهم ربضة حوله ولما قتل زائدة دخل أبو الضريس وأعين جوسقا عظيما وقال شبيب لاصحابه ارفعوا السيف وادعوهم الى البيعة فدعوهم الى البيعة عند الفجر فبايعوه وكان فيمن بايعه أبو بردة بن أبي موسى فقال شبيب لاصحابه هذا ابن أحد الحكمين فارادوا قتله فقال شبيب ماذنب هذا وتركه وسلموا على شبيب بامرة المؤمنين وخلى سبيلهم فبقوا كذلك حتى انفجر الفجر فلما ظهر الفجر أمر محمد بن موسى مؤذنه فاذن وكان لم ينهزم فسمع شبيب الاذان فقال

ماهنا فالوا محمد بن موسى بن طلحة لم يبرح فقال قد ظننت ان حمقه وخيلاءه يحمله على هذا ثم رل شبيب فاذن هو وصلى باصحابه الصبح ثم ركبوا فحملوا على محمد وأصحابه فانهزمت طائفة منهم وثبتت معه طائفة فقاتل حتى قتل وأخذت الخوارج ما كان في العسكر وانهزم الذين كانوا بايعوا شبيبا فلم يبق منهم أحد ثم أتى شبيب الجوسق الذي فيه أعين وأبو الضريس فتحصنوا منه فاقام عليهم ذلك اليوم وسار عنهم فقال أصحابه مادون الكوفة احد يمنع فنظر فاذا أصحابه قد جرحوا فقال لهم ما عليكم أكثر مما فعلتم فخرج بهم على نفر ثم على الصراة فاتى حانبجار فاقام بها فبلغ الحجاج مسيره نحو نفر فظن انه يريد المدائن وهي باب الكوفة ومن أخذها كان في يده من السواد أكثره فهال ذلك الحجاج فبعث عثمان بن قطن أميرا على المدائن وحوخى والانبار وعزل عنها عبد الله بن أبي عسيفر وكان بها الجزل يداوي جراحته فلم يتعهده عثمان كما كان ابن أبي عصيفر يفعل فقال الجزل اللهم زد ابن أبي عسيفر جودا وفضلا وزد عثمان بن قطن بخلا وشقاء وقد قيل في مقتل محمد بن موسى غير هذا والذي ذكر من ذلك أن محمد بن موسى كان قد شهد مع عمر بن عبيد الله بن معمر قتال أبي فديك وكان شجاعا ذا بأس فزوجه عمر ابنته وكانت أخته تحت عبد الملك بن مروان فولاه سجستان فربا بالكوفة وفيها الحجاج فقيل له ان صار هذا بسجستان مع صهره لعبد الملك جاءه اليد أحد ممن تطلب منعك منه فقال وما الحيلة قال تأتيه وتسلم عليه وتذكر نجدته وبأسه وان شبيبا في طريقه وانه قد أعيا الشرط وترجو ان يرجع الله منه على يده فيكون له ذكره وفخره ففعل الحجاج ذلك فاجابه محمد وعدل الى شبيب فارسل اليه شبيب انك مخدوع وان الحجاج قد اتقى بك وأنت جار لك حق فانطلق لما أمرت به ولك الله لا أوذيك فابى الا محاربته فواقفه شبيب وأشار اليه الرسول فابى وطلب البراز فبرز اليه البطين بن قعنب وسويد بن سليم فابى الا شبيبا فقالوا ذلك لشبيب فبرز شبيب اليه وقال له أنشدك الله في دمك فان لك جوارا فابى فحمل شبيب عليه فضربه بعمود حديد وزنه اثنا عشر رطلا بالشامي فهشم البيضة ورأسه فسقط ميتا ثم كفنه ودفنه وابتاع ما غنموا من عسكره فبعثه الى أهله واعتذر الى أصحابه وقال هو جاري ولي ان أهب ما غنمت لاهل الردة

﴿ذكر محاربة شبيب عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وقتل عثمان بن قطن﴾

ثم ان الحجاج دعا عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وأمره ان ينتخب من الناس ستة آلاف فارس ويسير في طلب شبيب أين كان ففعل ذلك وسار نحوه وكتب الحجاج اليه والى أصحابه يتهددهم بالقتل والتنكيد ان انهزموا فوصل عبد الرحمن الى المدائن فاتى الجزل يعوده من جراحته فأوصاه الجزل بالاحتياط وحذره من شبيب وأصحابه وأعطاه فرسا كانت له تسمى الفسيفسا وكانت لا تجارى ثم ودعه عبد الرحمن وسار الى شبيب فسار شبيب الى دقوقا وشهرزور فخرج عبد الرحمن في طلبه حتى اذا كان بالنخوم وقف وقال هذه أرض الموصل فليقاتلوا عنها وكتب اليه الحجاج اما بعد فاطلب شبيبا واسلك في أثره أين سلك حتى تدركه فتقتله أو تنفيه فانما السلطان سلطان أمير المؤمنين والجند جنده والسلام فخرج عبد الرحمن في أثر شبيب فكان شبيب يدعه حتى يدنو منه فيبيته فيجده قد خندق على نفسه وحذر فيتركه ويسير فيتبعه عبد الرحمن فاذا بلغ شبيبا مسيره أتاهم وهم سائرون فيجدهم على تعبية فلا يصيب منه غرة ثم جعل اذا دانا منه عبد الرحمن يسير عشرين فرسخا أو ما يقاربها فينزل في أرض خشنة غليظة ويتبعه عبد الرحمن فاذا دانا منه

السبعين سنة الا ظننت هلاكه في غدها أو في تلك الليلة ورأى عمرو في النوم سيل العرم وقيل له ان آية ذلك أن ترى الحصباء قد ظهرت في سعف النخل وذهب الى سرب النخل وسعفه فوجد الحصباء قد ظهرت فيها فعلم أن ذلك واقع بهم وأن بلادهم ستخرب فكتم ذلك وأخفاه وأجمع أن يبيع كل شئ له بأرض سبا ويخرج منها هو وولده ثم خشي أن يستنكر ذلك فصنع طعاما وأمر بابل فنحرت وبغنم فذبحت وصنع طعاما واسعا ثم بعث الى أهل مأرب أن عمرا صنع يوم مجد وذكر فاحضروا طعامه ثم دعا ابنا له يقال له مالك ويقال بل كان يتيما في حجره فقال اذا جلست أطعم الطعام الناس فاجلس عندي وتازعني الحديث واردد علي وافعل بي مثل ما أفعله بك وجاء أهل مأرب فلما جلسوا أطعم الناس وجلس عنده الذي أمره بفعل يتازعه الحديث ويرد عليه فضرب عمرو وجهه وشتمه فصنع الصبي بعمرو مثل ما صنع فقام عمرو وصاح واذلاه يوم نخر عمرو ومجده يضرب وجهه صبي وحلف ليقتلنه فلم يزالوا بعمرو حتى تركه في

فعل مثل ذلك حتى عذب ذلك الجيش وشق عليه وأحفى دوابهم ولقوا منه كل بلاء ولم يزل عبد الرحمن يتبعه حتى مر به على خانقين وحلولاء وسامرا ثم أقبل الى البث وهى من قرى الموصل ليس بينها وبين سواد الكوفة الا نهر حولايا وهو فى راذان الاعلى من ارض جوخى ونزل عبد الرحمن فى عواقيل من النهر لانها مثل الخندق فارسل شبيب الى عبد الرحمن يقول ان هذه الايام عيد لنا ولكم يعنى عيد النحر فهل لك فى الموادعة حتى تمضى هذه الايام فاجابه الى ذلك وكان يحب المطاولة وكتب عثمان بن قطن الى الحجاج اما بعد فان عبد الرحمن قد حفر جوخى كلها خندقا واحدا وكسر خراجها وخلى شبيبا يأكل أهلها والسلام فكتب اليه الحجاج يأمره بالمسير الى الجيش وجعله أميرهم وعزل عنهم عبد الرحمن وبعث الحجاج الى المدائن مطرف بن المغيرة بن شعبة وسار عثمان حتى قدم على عبد الرحمن وعسكر الكوفة فوصل عشية الثلاثاء يوم التروية فنادى الناس وهو على بلغة أيها الناس اخرجوا الى عدوكم فوثب اليه الناس وقالوا هذا المساء قد غشينا والناس لم يوطنوا أنفسهم على الحرب فبت الليلة ثم اخرج على تعبيئة وهو يقول لا ناجزنهم فلتكونن العرصة لى أولهم فاتاه عبد الرحمن فاراه وكان شبيب قد نزل ببيعة البث فاتاه أهلها فقالوا له أنت ترحم الضعفاء وأهل الذمة ويكلمك من تلى عليه ويشكون اليك فتنظر اليهم وان هؤلاء جبابرة لا يكلمون ولا يقبلون العذر والله لئن بلغهم انك مقيم فى بيعتنا ليقتلننا اذا ارتحلت عنا فان رأيت ان تنزل جانب القرية ولا تجعل علينا سبيلا ففعل فخرج عن البيعة فنزل جانب القرية وبات عثمان ليلته كلها يحرض أصحابه فلما أصبح يوم الاربعاء خرج بالناس كلهم فاستقبلهم ريح شديدة وغبرة شديدة فصاح الناس وقالوا له ننشدك الله ان لا تخرج بنا والريح علينا فاقام بهم ذلك اليوم ثم خرج بهم يوم الخميس وقد بنى الناس فجعل فى الميمنة خالد بن نهيك بن قيس وعلى الميسرة عقيل بن شداد السلولى ونزل هو فى الرجالة وعبر شبيب النهر اليهم وهو يومئذ فى مائة وأحد وثمانين رجلا فوقف هو فى الميمنة وجعل أخاه مصادا فى القلب وجعل سويد بن سليم فى الميسرة وزحف بعضهم الى بعض وقال شبيب لاصحابه انى حامل على ميسرتهم مما يلى النهر فاذا هزمتها فليحمل صاحب ميسرتى على ميمنتهم ولا يبرح صاحب القلب حتى يأتيه امرى وحمل على ميسرة عثمان فانهزموا ونزل عقيل بن شداد فقاتل حتى قتل وقتل أيضا مالك بن عبد الله الهمدانى عم عياش بن عبد الله المنتوف ودخل شبيب عسكرهم وحمل سويد على ميمنة عثمان فهزمها وعليها خالد بن نهيك فقاتله قتالا شديدا وحمل شبيب من ورائه فقتله وتقدم عثمان بن قطن وقد نزل معه العرفاء وأشراف الناس والفرسان نحو القلب وفيه مصاد أخو شبيب فى نحو من ستين رجلا فلما دانا منهم عثمان شد عليهم فيمن معه فضاربوهم حتى فرقوا بينهم وحمل شبيب بالخيل من ورائهم فاشعر عثمان ومن معه الاوالرماح فى أكتافهم تكبهم لوجوههم وعطف عليهم سويد بن سليم أيضا فى خيله ورجع مصاد وأصحابه فاضطربوا ساعة وقاتل عثمان بن قطن اخس قتال ثم انهم أحاطوا به وضربه مصاد أخو شبيب ضربة بالسيف استدار لها وقال وكان أمر الله مفعولا ثم ان الناس قتلوه ووقع عبد الرحمن فاتاه ابن أبى سبرة الجعفى وهو على بغلة فعرفه فاركبه معه ونادى فى الناس ألحقوا بدير أبى مريم ثم انطلقوا ذاهبين ورأى واصل السكونى فرس عبد الرحمن التى أعطاها له الجزل تجول فى العسكر فاخذها بعض أصحاب شبيب فظن انه قتل فطلبه فى القتلى فلم يجده فسأل عنه فأعطى خبره فاتبعه واصل على برذونه ومعه غلامه على بغل فلما دانا منهما نزل عبد الرحمن وابن أبى

سبرة

ذلك قال حاجر الازدى
يارب أطعمة غدر قد سفحت بها
بكف عمرو أتى بالغدر قد عرفت
ثم قال والله لا أقيم ببلدة
صنع هذا بى فيه ولا بيعن
عقارى فيه وأموالى فقال
الناس بعضهم لبعض
اغتنموا غصبة عمرو واشتروا
منه أمواله قبل ان يرضى
فابتاع الناس منه جميع
ماله بأرض مأرب وفشا
بعض حديثه فيما بلغه من
شأن سيل العرم فخرج
ناس من الازد وباعوا
أموالهم فلما أكثروا البيع
استنكر ذلك الناس
وأمسكوا ما بأيديهم فلما
اجتمعت الى عمرو بن عامر
أمواله أخبر الناس بشأن
سيل العرم فقال أخوه
عمران الكاهن قد رأيت
انكم ستمزقون كل ممزق
ويباعد بين أسفاركم وانى
أصف لكم البلدان فاختاروا
أيها شئتم فمن أعجبه منكم
صفة بلد فليصر اليها ومن
كان منكم ذا هم بعيد وحمل
شديد فليلحق بقصر عمان
المشيد قال ومن كان منكم
ذا هم بعيد وحمل غير شديد
فليلحق بالشعب من كرود
قال وهى أرض همدان
فلحق به وادعة بن عفر
فانتسبوا فيهم وقال الكاهن
ومن كان منكم ذا حاجة
وولد ونظر وصبر على

سبره رفقا فلما رآهما واصل عرفهما وقال انكما تركتما النزول فى موضعه فلا تنزلا الآن وحسر عمامته عن وجهه فعرفاه وقال لابن الاشعث قد اتيتك بهذا البرذون لتركبه فركبه وسار حتى نزل دير البقار وأمر شبيب أصحابه فرفعوا السيف عن الناس ودعاهم الى البيعة فبايعوه وقتل من كندة يومئذ مائة وعشرون وقتل معظم العرفاء وبات عبد الرحمن بدير البقار فاتاه فارسان فصعدا اليه فخلا أحدهما بعبد الرحمن طويلا ثم نزل فتبين ان ذلك الرجل كان شبيبا وقد كان بينه وبين عبد الرحمن مكاتبة وسار عبد الرحمن حتى أتى دير أبى مريم فاجتمع الناس اليه وقالوا له ان سمع شبيب بمكانك أتاك فكنت له غنيمة فخرج الى الكوفة واختفى من الحجاج حتى أخذ له الامان منه

﴿ذكر ضرب الدراهم والدنانير الاسلامية﴾

وفى هذه السنة ضرب عبد الملك بن مروان الدنانير والدراهم وهو أول من أحدث ضربها فى الاسلام فانتفع الناس بذلك وكان سبب ضربها انه كتب فى صدور الكتب الى الروم قل هو الله أحد وذكر النبى صلى الله عليه وسلم مع التاريخ فكتب اليه ملك الروم انكم قد أحدثتم كذا وكذا فاتركوه والا أتاكم فى دنانيرنا من ذكر نبيكم ما تكرهون فعظم ذلك عليه فاحضر خالد بن يزيد ابن معاوية فاستشاره فيه فقال حرم دنانيرهم واضرب للناس سكة فيها ذكر الله تعالى فضرب الدنانير والدراهم ثم ان الحجاج ضرب الدراهم ونقش فيها قل هو الله أحد فكره الناس ذلك لمكان القرآن لان الجنب والحائض يمسها ونهى ان يضرب أحد غيره فضرب سميرا اليهودى فاخذه ليقتله فقال له عيار دراهمى أجود من دراهمك فلم تقتلنى فلم يتركه فوضع للناس صنج الاوزان ليتركه فلم يفعل وكان الناس لا يعرفون الوزن انما يزنون بعضها ببعض فلما وضع لهم سمير الصنج كف بعضهم عن غبن بعض وأول من شدد فى أمر الوزن وخلص الفضة ابلغ من تخليص من قبله عمر بن هبيرة أيام يزيد بن عبد الملك وجود الدراهم وخلص العيار واشتد فيه ثم كان خالد بن عبد الله القسرى أيام هشام بن عبد الملك فاشتد أكثر من ابن هبيرة ثم ولى يوسف بن عمر فافرط فى الشدة فامتحن يوما العيار فوجد درهما ينقص حبة فضرب كل صانع ألف سوط وكانوا مائة صانع فضرب فى حبة مائة ألف سوط وكانت الهبيرية والخالدية واليوسفية أجود نقود بنى أمية ولم يكن المنصور يقبل فى الخراج غيرها فسميت الدراهم الاولى مكروهة وقيل ان المكروهة الدراهم التى ضربها الحجاج ونقش عليها قل هو الله أحد فكرهها العلماء لاجل مس الجنب والحائض وكانت دراهم الاعاجم مختلفة كبارا وصغارا وكانوا يضربون مثقالا وهو وزن عشرين قيراطا ومنها وزن اثنى عشر قيراطا ومنها وزن عشرة قراريط وهى أصناف المثاقيل فلما ضرب الدراهم فى الاسلام أخذوا عشرين قيراطا واثنى عشر قيراطا وعشرة قراريط فوجدوا ذلك اثنين وأربعين قيراطا فضربوا على الثلث من ذلك وهو أربعة عشر قيراطا فوزن الدرهم العربى أربعة عشر قيراطا فصار وزن كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل وقيل ان مصعب بن الزبير ضرب دراهم قليلة أيام أخيه عبد الله بن الزبير ثم كسرت بعد ذلك أيام عبد الملك والاول أصح فى ان عبد الملك أول من ضرب الدراهم والدنانير

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة وفد يحيى بن الحكم على عبد الملك وفيها ولى عبد الملك المدينة أبان بن عثمان وفيها ولد مروان بن محمد بن مروان وأقام الحج للناس هذه السنة أبان بن عثمان وهو أمير المدينة وكان

أزمان الدهر فليلحق ببطن مر وكان الذين سكنوه خزاعة لانخزاعهما فى ذلك الموضع عمن كان معهما من الناس وهم بنو عمرو بن لحى فتخزعت هنالك الى هذه الغاية وفى ذلك يقول حسان بن ثابت

ولما هبطنا بطن مر تخزعت
خزاعة منا فى ملوك كرا كر

فى شعر له طويل ومالك وأسلم وبنو قصى بن حارثة ابن عمرو بن مزيقياء وقال الكاهن ومن كان يريد الراسيات فى الرحل المطعمات فى المحل فليلحق بيثرب ذات النخل وهى المدينة وكان الذين سكنوها الاوس والخزرج ابنا حارثة ابن ثعلبة بن عمرو بن مزيقياء قال الكاهن ومن كان يريد منكم الخمر والخمير والديباج والحرير والامر والتدبير فليلحق ببصرى وحفير وهى أرض الشأم قال الكاهن ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق والكنوز والارزاق فليلحق بالعراق وكان الذين لحقوا بالعراق منهم مالك بن فهم الازدى وولده ومن كان بالحيرة من غسان على حسب ما قدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب (قال هشام بن

على العراق الحجاج وعلى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة زرارة بن أوفى وفيها غزا محمد بن مروان الروم من ناحية ملطية وفيها مات حبة بن جوين العرني صاحب علي (حبة بالحاء المهملة والباء الموحدة وهو منسوب الى عرنة بالعين المهملة المضمومة والراء المهملة والنون)

﴿(ثم دخلت سنة سبع وسبعين)﴾

﴿(ذكر محاربة شبيب عتاب بن ورقاء وزهرة بن حوية وقتلهما)﴾

وفي هذه السنة قتل شبيب عتاب بن ورقاء الرياحي وزهرة بن حوية وسبب ذلك ان شبيبا لما هزم الجيش الذي كان وجهه الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وقتل عثمان بن قطن كان ذلك في حر شديد وأتى شبيب ماهبهر اذان فصيف بها ثلاثة أشهر وأتاه ناس كثير ممن يطلب الدنيا وممن كان الحجاج يطلبهم بمال أو تبعات فلما ذهب الحر خرج شبيب في نحو ثمانمائة رجل فاقبل نحو المدائن وعليها مطرف بن المغيرة بن شعبة فجاءها حتى نزل قناطر حذيفة بن اليمان فكتب عظيم بابل مهرون الى الحجاج بذلك فلما قرأ الكتاب قام في الناس فقال أيها الناس لتقاتلن عن بلادكم وعن فيئكم أو لابعثن الى قوم هم اطوع واصبر على اللأواء والقيظ منكم فيقاتلون عدوكم ويأكلون فيأكم فقام اليه الناس من كل جانب وقالوا نحن نقاتلهم ونعين الامير فلتندب لامير اليهم فقام اليه زهرة بن حوية وهو شيخ كبير لا يستتم قائما حتى يؤخذ بيده فقال أصلح الله الامير انما تبعث اليهم الناس متقطعين فاستنفر الناس اليهم كافة وابعث اليهم رجلا شجاعا مجربا ممن يرى الفر عارها والصبر مجدا وكرما فقال الحجاج فانت ذلك الرجل فاخرج فقال زهرة أصلح الله الامير انما يصلح الرجل يحمل الدرع والرمح ويهز السيف ويثبت على الفرس وانا لا أطيق من هذا شيأ وقد ضعف بصري ولكن أخرجني مع الامير في الناس فاكون معه وأشير عليه برأيي فقال الحجاج جزاك الله خيرا عن الاسلام وأهله في أول أمرك وآخره فقد نصحت ثم قال أيها الناس سيروا بأجمعكم كافة فانصرف الناس يتجهزون ولا يدرون من أميرهم وكتب الحجاج الى عبد الملك يخبره ان شبيبا قد شارف المدائن وانه يريد الكوفة وقد عجز أهل الكوفة عن قتاله في مواطن كثيرة يقتل أمراءهم ويهزم جنودهم ويطلب اليه ان يبعث اليه جندا من الشام يقاتلون الخوارج ويأكلون البلاد فلما أتى الكتاب بعث اليه عبد الملك سفيان بن الابرد الكلبي في أربعة آلاف وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي في ألفين فبعث الحجاج الى عتاب بن ورقاء الرياحي وهو مع المهلب يستدعيه وكان عتاب قد كتب الى الحجاج يشكو من المهلب ويسأله ان يضمه اليه لان عتابا طلب من المهلب ان يرزق اهل الكوفة الذين معه من مال فارس فأبى عليه وحرت بينهما منافرة فكادت تؤدي الى الحرب فدخل المغيرة بن المهلب بينهما فاصلح الامر وألزم أباه برزق أهل الكوفة فاجابه الى ذلك وكتب يشكو منه فلما ورد كتابه سر الحجاج بذلك واستدعاه ثم جمع الحجاج أهل الكوفة واستشارهم فيمن يوليه أمر الجيش فقالوا رأيك أفضل فقال قد بعثت الى عتاب وهو قادم عليكم الليلة أو القابلة فقال زهرة أيها الامير رميتهم بحجرهم والله لا ترجع اليك حتى تظفر أو تقتل وقال له قبيصة بن والق ان الناس قد تحدثوا ان جيشا قد وصل اليك من الشأم وان أهل الكوفة قد هزموا وهان عليهم الفرار فلو بهم كانها ليست فيهم فان رأيت ان تبعث الى أهل الشأم ليأخذوا حذرهم ولا يثبتوا الا وهم محتاطون فانك تحارب حولا قلبا ظعانا

الكلبي) وأما أبي فكان يقول نمازل بالحيرة من غسان مع تبع يهدهذا بزمان ثم خرج عمرو بن عامر من بقياء فكنوا همدان وتخالف مالك بن الهميسان بن جهم بن عدي ابن عمرو بن مازن بن الازد وكان بعدهم بمأرب ملكا الى ان كان من أمرهم ما كان في الهلاك ثم سار وا حتى اذا كانوا بنجران تخالف أبو حارثة بن عمرو بن عامر من بقياء ورعيل بن كعب بن أبي حارثة فانتسبوا الى مذحج قال أبو المنذر ويقال ان أبا حارثة هو جد الحرث بن كعب بن أبي حذيفة الذي بنجران والله أعلم ثم سار عمرو بن عامر حتى اذا كان بادنى لمسماة ومكة قام هنالك أمس من بني نصر من الازد وأقام معهم عمران بن عامر الكاهن أخو عمرو بن عامر من بقياء وعدي بن حارثة ابن عمرو من بقياء وسار عمرو بن عامر وبنو مازن حتى نزلوا بين بلاد الاشعريين وعك على ماء يقال له غسان بين واديين يقال لهما زبيد ورمع وهما يليان صدورهما بين صعيد يقال له صعيد الحسك وبين الجبال التي تدعى به في زبيد ورمع

رجالا وقد جهزت اليهم أهل الكوفة ولست واثقا بهم كل الثقة وان شبيبا بيننا هو في أرض اذا هو في أخرى ولا آمن ان يأتي أهل الشام وهم آمنون فان يهلكوا نهلك ويهلك العراق فقال له الله أبوك ما أحسن ما آشرت به وأرسل الى أهل الشام يحذرهم ويأمرهم ان يأتوا على عين التمر فنعلوا وقدم عتاب بن ورقاء تلك الليلة فبعثه الحجاج على ذلك الجيش فعسكر بحمام أعين وأقبل شبيب حتى انتهى الى كلواذى فقطع فيها دجلة ثم سار حتى نزل مدينة بهرشير الدنيا فصار بينه وبين مطرف دجلة وقطع مطرف الجسر وبعث الى شبيب أن ابعث الي رجلا من وجوه أصحابك اداربهم القرآن وأنظر فيما يدعون اليه فبعث اليه قعنب بن سويد المحالي وغيرهما وأخذ منه رهائن الى ان يعودوا فاقاموا عنده أربعة أيام ثم لم يتفقوا على شئ فلما لم يتبعه مطرف تهيأ للمسير الى عتاب وقال لاصحابه اني كنت عازما ان آتي أهل الشام حريدا وألقاهم على غرة قبل ان يتصلوا بامير مثل الحجاج ومصر مثل الكوفة فثبطني عنهم مطرف وقد جاءتني عيوني فاخبروني ان أوائلهم قد دخلوا عين التمر فهم الآن قد شارفوا الكوفة وقد اخبروني أن تاباوه معه بالبصرة فما أقرب ما بينما وبينه فتيسروا للمسير الى عتاب وخاف مطرف بن المغيرة ان يبلغ خبره مع شبيب الى الحجاج فخرج نحو الجبال فارسل شبيب أخاه مصادا الى المدائن وعقد الجسر وأقبل عتاب اليه حتى نزل بسوق حكمة وقد خرج معه من المقاتلة أربعون الفا من الشباب والاتباع عشرة آلاف فكانوا خمسين الفا وكان الحجاج قد قال لهم حين سار وان للسائر المجتهد الكرامة والاثرة وللهارب الهوان والجفوة والذي لا اله غيره لئن فعلتم في هذه المواطن كفعلكم في المواطن الاخر لا ولينكم كنفا خشنا ولاعركنكم بكلكل ثقيل فلما بلغ عتاب سوق حكمة أتاه شبيب وكان أصحابه بالمدائن ألف رجل فحثهم على القتال وسار بهم فتخلف عنه بعضهم ثم صلى الظهر بساباط وصلى العصر وسار حتى أشرف على عتاب وعسكره فلما رآهم نزل فصلى المغرب وكان عتاب قد جعل أصحابه فجعل في الميمنة محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس وقال يا ابن أخي انك شريف صابر فقال والله لاصبرن ما ثبت معي انسان وقال لقبيصة بن والق الثعلبي اكفني الميسرة فقال أنا شيخ كبير لا استطيع القيام الا أن أقام فجعل عليها نعيم بن عليم وبعث حنظلة بن الحرث اليربوعي وهو ابن عمه وشيخ أهل بيته على الرجالة وصفهم ثلاث صفوف صف فيهم أصحاب السيوف وصف فيهم أصحاب الرماح وصف فيهم الرماة ثم سار في الناس يحرضهم على القتال ويقص عليهم ثم قال أين القصاص فلم يجبه أحد ثم قال أين من يروي شعر عنترة فلم يجبه أحد فقال انا لله كانى بكم قد فررتم عن عتاب بن ورقاء وتركتموه تسفي في سته الريح ثم أقبل حتى جاس في القلب رمعه زهرة بن حوية جاس وعبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وأبو بكر بن محمد بن أبي جهم العدوي وأقبل شبيب وهو في ستمائة وقد تخلف عنه من أصحابه أربعمائة فقال لقد تخلف عنا من لا أحب ان يرى فينا فجعل سويد بن سليم في مائتين في الميسرة وجعل المحلل بن وائل في مائتين في القلب ومضى هو في مائتين الى الميمنة بين المغرب والعشاء الآخرة حين اضاء القمر فناداهم لمن هذه الرايات فقالوا رايات لربيعة قال طالما نصرت الحق وطالما نصرت الباطل والله لاجاهدنكم محتسبا انا شبيب لاحكم الا لله للمحكم اثبتوا ان شئتم ثم حمل عليهم فضعضعهم فثبت أصحاب رايات قبيصة بن والق وعبيد بن الحليس ونعيم بن عليم فقتلوا وانهزمت الميسرة كلها ونادى الناس من بني ثعلبة قتل قبيصة وقال شبيب قتلتموه ومثله ما قال الله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ثم وقف عليه وقال ويحك لو ثبت على اسلامك

وأقاموا على غسان وشربوا منه فسموا غسان وغلب على أسمائهم فلا يعرفون الا به قال شاعرهم

اما سألت فانا معشر نجب
الازد نسبتنا والماء غسان

والذين سموا غسان من بني مازن الاوس والخزرج ابنا ثعلبة بن امرئ القيس ابن مازن الازدي (وللقوم أخبار) في تفرقهم ومن دخل منهم في معد بن عدنان وما كان بينهم من الحروب الى أن ظفرت بهم بنو معد فاخرجتهم الى أن لحقوا بالسراة والسراة جبل الازد الذين يقال لهم السراة ويقال له الحجاز وانما سمي السراة من هذا الجبل ظهر فيقال لظهره السراة كما يقال لظهر الدابة السراة فاقاموا به وكانوا في سهله وجبله وما قارب وهو جبل على تخوم الشأم وفرز بينه وبين الحجاز مما يلي أعمال دمشق والاردن وبلاد فلسطين وتلاحبل حرا (وقد كان) أهل مأرب يعبدون الشمس فبعث الله اليهم رسلا يدعونهم الى الله ويزجرونهم عما هم عليه ويذكرونهم آلاء الله ونعمته عليهم فجحدوا قولهم وردوا كلامهم وأنكروا أن الله

عليهم نعمة وقالوا لهم ان كنتم رسلا فادعوا الله أن يسلبنا ما أنعم به علينا ويذهب عنا ما أعطانا وفي ذلك تقول امرأة منهم

ان كان ما يصح في ضلاله
من ربكم فليسلق عياله
اليه عنا والى عياله

فاجابتها امرأة مؤمنة وقالت لولا الاله لم يكن عيالنا
ولم يسع عيالنا أموالنا
هو الذي يحيي بما سؤالنا
ويكشف الغم اذا ما هالنا

فارسل الله عليهم سيل العرم فهدم سدهم وغشى الماء أرضهم فاهلك شجرهم وأباده وازال أموالهم وأنعامهم فانوارسلهم فقالوا ادعوا لله أن يخلف علينا نعمتنا ويحصب بلادنا ويرد عينا ما شرد من أنعامنا ونعطيكم موثقا أن لا نشرك بالله شيأ فسألت الرسل ربها فاجابهم الى ذلك وأعطاهم ما سألوا فأخصبت بلادهم واتسعت عمائرهم الى أرض فلسطين والشام قرى ومنازل واسواقا فأتتهم رسلهم فقالوا موعدكم أن تؤمنوا فأبوا الا طغيانا وكفرا فمزقهم الله كل ممزق وباعد بين أسفارهم (قال

الاول سعدت وقال لاصحابه ان هذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم ثم جاء يقاتلكم مع الفسقة ثم ان شبيبا حمل من الميسرة على عتاب وحمل سويد بن سليم على الميمنة وعليها محمد ابن عبد الرحمن فقاتلهم في رجال من تميم وهمدان فغاروا كذلك حتى قيل لهم قتل عتاب فانفضوا ولم يزل عتاب جالسا على طنفسة في القلب ومعه زهرة بن حوية حتى غشيهم شبيب فقال عتاب يا زهرة هذا يوم كثر فيه العدد وقل فيه الغناء والهفي على خمسمائة فارس من تميم من جميع الناس الا صابر لعدوه الا مواس بنفسه فانفضوا عنه وتركوه فقال زهرة أحسنت يا عتاب فعلت فعلا لا يفعله مثلك أبشر فاني أرجو أن يكون الله جل ثناؤه قد أهدى الينا الشهادة عند فناء أعمارنا فلما دنا منه شبيب وثب في عصابة قليلة صبرت معه وقد ذهب الناس فقيل له ان عبد الرحمن بن الاشعث قد هرب وتبعه ناس كثير فقال ما رأيت ذلك الفتى يبالي ما صنع ثم قاتلهم ساعة فرآه رجل من أصحاب شبيب يقال له عامر بن عمر التغلبي فحمل عليه فطعنه ووطئت الخيل زهرة بن حوية فاخذ يذب بسيفه لا يستطيع ان يقوم فجاءه الفضل بن عامر الشيباني فقتله فانتهى اليه شبيب فرآه صريعا فعرفه فقال هذا زهرة بن حوية أما والله لئن كنت قتلت على ضلالة لرب يوم من أيام المسلمين قد حسن فيه بلاؤك وعظم فيه غناؤك ولرب خيل للمشركين هزمتها وقرية من قراهم حم أهلها وقد افتتحتها ثم كان في علم الله انك تقتل ناصر الظالمين وتوجع له فقال له رجل من أصحابه انك لتتوجع لرجل كافر فقال انك لست باعرف بضلالتهم مني ولكني أعرف من قديم أمرهم ما لا تعرف ما لو ثنوا عليه لكانوا اخواننا فامسك شبيب من أهل العسكر والناس فقال ارفعوا السيف ودعاهم الى البيعة فبايعه الناس وهربوا من تحت ليلتهم وحوى ما في العسكر وبعث الى أخيه فاتاه من المدائن وأقام شبيب بعد الوقعة بيت قرة يومين ثم سار نحو الكوفة فنزل بسورا وقتل عاملها وكان سفيان بن الابرد وعسكر الشام قد دخلوا الكوفة فشدوا ظهرا لحجاج واستغنى به وبعسكره عن أهل الكوفة فقام على المنبر فقال يا أهل الكوفة لا أعز الله من أرادبكم العز ولا نصر من أرادبكم النصر اخرجوا عنا لا تشهدوا معنا قتال عدونا انزلوا بالحيرة مع اليهود والنصارى ولا يقاتل معنا الا من لم يشهد قتال عتاب

﴿ذكر قدوم شبيب الكوفة أيضا وانهزامه عنها﴾

ثم سار شبيب من سورا فنزل حمام أعين فدعا الحجاج الحرث بن معاوية الثقفي فوجهه في ناس من الشرط لم يشهدوا يوم عتاب وغيرهم فخرج في نحو ألف فنزل زرارة فبلغ ذلك شبيبا فعجل الى الحرث بن معاوية فلما انتهى اليه حمل عليه فقتله وانهزم أصحابه وجاء المهزمون فدخلوا الكوفة وجاء شبيب فعسكر بناحية الكوفة واقام ثلاثا فلم يكن في اليوم الاول غير قتل الحرث فلما كان اليوم الثاني أخرج الحجاج مواليه فاخذوا بافواه السكك وجاء شبيب فنزل السبخة وابتنى بها مسجدا فلما كان اليوم الثالث أخرج الحجاج أبا الورد مولاه عليه تجفاف ومعه غلمان له وقالوا هذا الحجاج فحمل عليه شبيب فقتله وقال ان كان هذا الحجاج فقد أرحتكم منه ثم أخرج الحجاج غلامه طهمان في مثل تلك العدة والحالة فقتله شبيب وقال ان كان هذا الحجاج فقد أرحتكم منه ثم ان الحجاج خرج ارتفاع النهار من القصر فطلب بغلا يركبها الى السبخة فاتي ببغل فركبه ومعه أهل الشام فخرج فلما رأى الحجاج شبيبا وأصحابه نزل وكان شبيب في ستمائة فارس فاقبل نحو الحجاج وجعل الحجاج سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف على أفواه السكك في جماعة الناس ودعا الحجاج بكرسي

فقعد عليه ثم نادى أهل الشام أنتم أهل السمع والطاعة واليقين فلا يغلبن باطل هؤلاء الارجاس حقكم غضوا الابصار واجثوا على الركب واستقبلوهم باطراف الاسنة ففعلوا وأشرعوا الرماح وكانهم حرة سوداء واقبل شبيب فى ثلاثة كراديس كتيبة معه وكتيبة مع سويد بن سليم وكتيبة مع المحال بن وائل وقال لسويد احمل عليهم فى خيلك فحمل عليهم فثبتوا له وثبتوا فى وجهه باطراف الرماح فطعنوه حتى انصرف هو وأصحابه وصاح الحجاج هكذا فافعلوا وأمر بكرسيه فقدم وأمر شبيب المحال فحمل عليهم ففعلوا به كذلك فناداهم الحجاج هكذا فافعلوا وأمر بكرسيه فقدم ثم ان شبيبا حمل عليهم فى كتيبته فثبتوا له وصنعوا به كذلك فقاتلهم طويلا ثم ان أهل الشام طاعنوه حتى ألحقوه باصحابه فلما رأى صبرهم نادى يا سويد احمل عليهم باصحابك على أهل هذه السكة لعلك تزيل أهلها ونأتى الحجاج من ورائه ونحمل نحن عليه من امامه فحمل سويد فرمى من فوق البيوت وافواه السكك فرجع وكان الحجاج قد جعل عروة بن المغيرة بن شعبة فى ثلاثمائة رجل من أهل الشام ردأ له لئلا يؤتوا من خلفهم فجمع شبيب أصحابه ليحمل بهم فقال الحجاج اصبروا لهذه الشدة الواحدة ثم هو الفتح فجثوا على الركب وحمل عليهم شبيب بجميع اصحابه فوثبوا فى وجهه ومازالوا يطاعنونه ويضاربونه قدما ويدفعونه وأصحابه حتى أجازوهم مكانهم وامر شبيب أصحابه بالنزول فنزل يصفهم وجاء الحجاج حتى انتهى الى مسجد شبيب ثم قال يا أهل الشام هذا أول الفتح وصعد المسجد ومعه جماعة معهم النبل ليرموهم ان دنوا منه فاقتتلوا عامة النهار أشد قتال رآه الناس حتى أفرك كل واحد من الفريقين لصاحبه ثم ان خالد بن عتاب قال للحجاج ائذن لى فى قتالهم فانى موتور فاذن له فخرج ومعه جماعة من أهل الكوفة وقصد عسكرهم من ورائهم فقتل مصادا اخا شبيب وقتل امرأته غزالة وحرق فى عسكره وأتى الخبر الحجاج وشبيبا فكبر الحجاج وأصحابه واما شبيب فركب هو وأصحابه وقال الحجاج لاهل الشام احملوا عليهم فانهم قد أتاهم ما أرعبهم فشدوا عليهم فهزموهم وتخلف شبيب فى حامية الناس فبعث الحجاج الى خيله ان دعوه فتركوه ورجعوا ودخل الحجاج الكوفة فصعد المنبر ثم قال والله ما قوتل شبيب قبلها ولى هار باو نرك امر أته يكسر فى استها القصب ثم دعا حبيب بن عبد الرحمن الحكمى فبعثه فى ثلاثة آلاف فارس من أهل الشام فى أثر شبيب وقال له احذر بياته وحيث لقيته فانزل له فان الله تعالى قد فل حده وقصم نابه فخرج فى أثره حتى نزل الانبار وكان الحجاج قد نادى عند انهزامهم من جاء بامنكم فهو آمن فتفرق عن شبيب ناس كثير من أصحابه فلما نزل حبيب الانبار أتاهم شبيب فلما دنا منهم نزل فصلى المغرب وكان حبيب قد جعل أصحابه أرباعا وقال لكل ربع منهم ليمنع كل ربع منكم جانبه فان قاتل هذا الربع فلا يمنهم الربع الآخر فان الخوارج قريب منكم فوطنوا انفسكم على انكم مبيتون ومقاتلون فاتاهم شبيب وهم على تعبية فحمل على ربع فقاتلهم طويلا فما زالت قدم انسان عن موضعها ثم تركهم واقبل الى ربع آخر فكانوا كذلك ثم أتى ربعا آخر فكانوا كذلك ثم الربع الرابع فما برح يقاتلهم حتى ذهب ثلاثة أرباع الليل ثم نازلهم راجلا فسقطت منهم الايدى وكثرت القتلى وفقئت الاعين وقتل من أصحاب شبيب نحو ثلاثين رجلا ومن أهل الشام نحو مائة واستولى التعب والاعياء على الطائفتين حتى ان الرجل ليضرب بسيفه فلا يصنع شيأ وحتى ان الرجل ليقاتل جالسا فما يستطيع ان يقوم من التعب فلما يئس شبيب منهم تركهم وانصرف عنهم ثم قطع دجلة وأخذ فى أرض جوخى ثم قطع دجلة مرة أخرى عند

المسعودى) واذ قد ذكرنا جملا من أخبار السدو بلاد مأرب وعمرو بن عامر وغير ذلك مما تقدم ذكره فى هذا الباب فلنرجع الان الى أخبار الكهان وكان أول ما تكهن به سطيح الغسانى انه كان نائما فى ليلة سماكية مظلمة مع حرمته فى الحاف والحى حلوف اذ زعق من بينهم ورن وتأوه وقال والضياه والشفق والظلام والغسق ليطرقنكم ما طرق قالوا ما طرق يا سطيح قال ما طرق الا الاجلح حين سرى الليل البهيم الافلح وولاهم فيه دح قالوا وما علامة ذلك يا سطيح قال أمر يسة النقرة ذو حبسة فى الوجرة وحرة بعد حرة فى ليلة قرة فانصرفوا عن قوله واستهانوا بأمره وتعاصفت مدود من أودية هنالك فجاءتهم فى ليلة باردة قرة كما ذكر فساقت الانعام والمواشى وكادت أن تذهب بعامتهم (ولسطيح الكاهن ولشق ابن مصعب أخبار كثيرة) منها رؤيا تبع الحميرى فى أن

واسط ثم أخذ نحو الاهواز ثم الى فارس ثم الى كرمان ليستريح هو ومن معه وقيل فى هزيمته غير ذلك وهو ان الحجاج كان قد بعث الى شبيب أميرا فقتله ثم أميرا فقتله أحدهما أعين صاحب حمام أعين ثم جاء شبيب حتى دخل الكوفة ومعه زوجته غزالة وكانت نذرت ان تصلى فى جامع الكوفة ركعتين تقرأ فيهما البقرة وآل عمران وتتخذ فى عسكره اخصاصا فجمع الحجاج ليلا بعد ان اتى من شبيب الناس مالقوا فاستشارهم فى أمر شبيب فاطرقوا وفصل قتيبة من الصف فقال أتأذن لى فى الكلام قال نعم قال ان الامير ما راقب الله ولا أمير المؤمنين ولا نصح الرعية قال وكيف ذلك قال لانك تبعث الرجل الشريف وتبعث معه رعاعا فينهزمون ويستحيى ان ينهزم فيقتل قال فما الرأى قال الرأى أن تخرج اليه فتحاكمه قال فانظر لى معسكرا فخرج الناس يلعنون عنبسة بن سعيد لانه هو الذى كلم الحجاج فيه حتى جعله من صحابته وصلى الحجاج من الغد الصبح واجتمع الناس واقبل قتيبة وقد رأى معسكرا حسنا فدخل الى الحجاج ثم خرج ومعه لواء منشور وخرج الحجاج يتبعه حتى خرج الى السبخة وهو شبيب وذلك يوم الاربعاء فتوافوا وقيل للحجاج لا نعرفه مكانك فاخف مكانه وشبه له أبا الورد مولاه فنظر اليه شبيب فحمل عليه فضربه بعمود فقتله وحمل شبيب على خالد بن عتاب ومن معه وهو على ميسرة الحجاج فبلغ بهم الرحبة وحمل على مطر بن ناجية وهو على ميمنة الحجاج فكشفه فبرز عبد الملك الحجاج ونزل أصحابه وجاس على عباءة ومعه عنبسة بن سعيد وهم على ذلك اذ تناول مصقلة بن مهلهل الضبى لجام شبيب وقال ما تقول فى صالح بن مصرح وبم تشهد عليه قول أعلى هذه الحالة قال نعم قال فبرئ من صالح فقال له مصقلة برئ الله منك وفارقه الا أربعين فارسا فقال الحجاج قد اختلفوا وأرسل الى خالد بن عتاب فاتى بهم فى عسكرهم فقاتلهم فقتلت غزالة ومر برأسها الى الحجاج مع فارس فعرفه شبيب فامر رجلا فحمل على الفارس فقتله وجاء بالرأس فامر به فغسل ثم دفنه ومضى القوم على حاميتهم ورجع خالد فاخبر الحجاج بانصرافهم فامر باتباعهم فاتبعهم فحمل عليهم فرجع اليه ثمانية نفر فقاتلوه حتى بلغوا به الرحبة واتى شبيب بخوط بن عمير السدوسى فقال يا خوط لا حكم الا لله فقال ان خوطا من أصحابكم ولكنه كان يخاف فطلقه رأتى بعمير بن القعقاع فقال يا عمير لا حكم الا لله فقال فى سبيل الله شبابى فرد عليه شبيب لا حكم الا لله فلم يفقه ما يريد فقتله وقتل مصادا أخو شبيب وجعل شبيب ينتظر الثمانية الذين اتبعوا خالدا فابطؤا ولم يقدم أصحاب الحجاج على شبيب هيبة له وأتى الى شبيب أصحابه الثمانية فساروا واتبعهم خالد وقد دخلوا الى دير بناحية المدائن فحصرهم فيه فخرجوا عليه فهزموه نحو فرحين فالقوا أنفسهم فى دجلة منهزمين وألقى خالد نفسه فيها بفرسه ولواؤه بيده فقال شبيب قاتله الله هذا أسد الناس فقيل هو خالد بن عتاب فقال يعرف فى الشجاعة ولو عرفته لاقتحمت خلفه ولو دخل النار ثم سار الى كرمان على ما تقدم ذكره وكتب الحجاج الى عبد الملك يستمده ويعرفه عجز أهل الكوفة عن قتال شبيب فسير سفيان بن الابرد فى جيش اليه

﴿ذكر مهلك شبيب﴾

وفى هذه السنة هلك شبيب وكان سبب ذلك ان الحجاج أنفق فى أصحاب سفيان بن الابرد مالا عظيما بعد ان عاد شبيب عن محاربتهم وقصد كرمان بشهرين وأمر سفيان وأصحابه بقصد شبيب فصار نحوه وكتب الحجاج الى الحكم بن أيوب زوج ابنته وهو عامله على البصرة يأمره ان يرسل

جمجمة خرجت من طلمة فوقعت بأرض تهامة وكانت منها كل دابة جمجمة وما فسره له فى ذلك وكذلك خبر سطيح وعبد المسيح فى رؤيا الموبذان وارتجاح لايوان وخبر علقمة وزوبعة وما كان من أمرهما وخبر شأن الدابة والسحرة وما كان بين عنترة وعساس من الحرب فى رقة نعيم وحلاونه ونخله ونزل غساس أعلى الوادى وعنترة فى أسفله وما كان فى ذلك من القيافة بينهم فى طول الشمس وغروبها على ابلهم وخبر السموأل بن حسان بن عاديا وما كان من أمره وأمر حزن الكاهن وما قاله حين طرقه ليلا وانتيذه الى دمنة وما كان من العير الاقمر والدليم الاحمر والفرس الاشقر والجمل الاورق والشيخ الاسدى وغير ذلك مما ذكرناه فيما سلف من كتبنا فى أخبار الزمان والكتاب الاوسط والله أعلم

أربعة آلاف فارس من أهل البصرة الى سفيان فسيرهم مع زياد بن عمرو العتكى فلم يصل الى سفيان حتى التقى سفيان مع شبيب وكان شبيب قد أقام بكرمان فاستراح هو وأصحابه ثم أقبل راجعا فالتقى مع سفيان بجسر دجيل الاهواز فعبر شبيب الجسر الى سفيان فوجد سفيان قد نزل فى الرجال وجعل مهاصر بن سيف على الخيل وأقبل شبيب فى ثلاثة كراديس فاقتتلوا أشد قتال ورجع شبيب الى المكان الذى كان فيه ثم حمل عليهم هو وأصحابه أكثر من ثلاثين حملة ولا يزول أهل الشام وقال لهم سفيان لا تتفرقوا وليزحف الرجال اليهم زحفا فمازالوا يضاربونهم ويطاعنونهم حتى اضطروهم الى الجسر فلما انتهى شبيب الى الجسر نزل ونزل معه نحو مائة فقاتلوهم حتى المساء وأوقعوا بأهل الشام من الضرب والطعن مالم يروا مثله فلما رأى سفيان عجزه عنهم وخاف ان ينتصروا عليه امر الرماة ان يرموهم وذلك عند المساء وكانوا ناحية فتقدموا ورموا شبيبا ساعة فحمل هو وأصحابه على الرماة فقتلوا منهم أكثر من ثلاثين رجلا ثم عطف على سفيان ومن معه فقاتلهم حتى اختلط الظلام ثم انصرف فقال سفيان لاصحابه لا تتبعوهم فلما انتهى شبيب الى الجسر قال لاصحابه اعبروا واذا أصبحنا باكرناهم ان شاء الله فعبروا أمامه وتخلف فى آخرهم وجاء ليعبر وهو على حصان وكانت بين يديه فرس أنثى فنزا فرسه عليها وهو على الجسر فاضطربت الحجر تحته ونزل حافر فرس شبيب على حرف السفينة فسقط فى الماء فلما سقط قال ليقضى الله أمرا كان مفعولا وانغمس فى الماء ثم ارتفع وقال ذلك تقدير العزيز العليم وغرق وقيل فى قتله غير ذلك وهو انه كان مع جماعة من عشيرته ولم تكن لهم تلك البصيرة النافذة وكان قد قتل من عشائرهم رجالا وكان قد أوجع قلوبهم وكان منهم رجل اسمه مقاتل من بنى تيم بن شيبان فلما قتل شبيب من بنى تيم أغار هو على بنى مرة بن همام رهط شبيب فقتل منهم فقال له شبيب ما حملك على قتلهم بغير أمرى فقال له قتلت كفار قومى فقتلت كفار قومك ومن ديننا قتل من كان على غير رأينا وما أصبت من رهطى أكثر مما أصبت من رهطك وما يحل لك يا أمير المؤمنين ان تجد على قتل الكافرين قال لا أجد وكان معه أيضا رجال كثير قد قتل من عشائرهم فلما تخلف فى آخر الناس قال بعضهم لبعض هل لكم ان نقطع به الجسر فندرك ثارنا فقطعوا الجسر فمالت به السفن فتعربه الفرس فوقع فى الماء فغرق والاول أصح وأشهر وكان أهل الشام يريدون الانصراف فاتاهم صاحب الجسر فقال لسفيان ان رجلا منهم وقع فى الماء فنادوا بينهم غرق أمير المؤمنين ثم انهم انصرفوا راجعين وتركوا عسكرهم ليس فيه أحد فكبر سفيان وكبر أصحابه وأقبل حتى انتهى الى الجسر وبعث الى العسكر واذا ليس فيه أحد واذا هو أكثر العساكر خيرا ثم استخرجوا شبيبا فشقوا جوفه وأخرجوا قلبه وكان صلبا كانه صخرة فكان يضرب به الصخرة فيشب عنها قامه الانسان قيل وكان شبيب ينعى الى أمه فيقال قتل فلا تقبل ذلك فلما قيل لها غرق صدقت ذلك وقالت انى رأيت حين ولدته انه خرج منى شهاب نار فعلمت أنه لا يطفئه الا الماء وكانت أمه جارية رومية قد اشتراها أبوه فاولدها شبيبا منه سنة خمس وعشرين يوم النحر وقالت انى رأيت فيما يرى النائم انه خرج من قلبى شهاب نار فذهب ساطعا فى السماء وبلغ الآفاق كلها فبينا هو كذلك اذ وقع فى ماء كثير فخمد وقد ولدته فى يوم كم هذا الذى تهريقون فيه الدماء وقد أولت ذلك ان ولدى يكون صاحب دماء وان أمره سيعلو فيعظم سريعا وكان أبوه يختلف به الى النصف أرض قومه وهو من بنى شيبان

﴿ذكر سنى العرب والعجم وشهورها وما اتفق منها وما اختلف﴾

(قال المسعودى) عدة الشهور عند العرب وسائر العجم اثنا عشر شهرا فلنذكر الآن سنى وشهور وأيام ما اشتهر أهله من جل الامم وهم العرب والفرس والروم والسريانيون والقبط اذ كان قول اليونانيين فى ذلك من حسابهم ومن تبعهم على ذلك من أهل الصين وكثير من الممالك والامم اذ كان فى ذلك خروج عما عليه الجمهور والمعهود بين الناس ونجعل المبتدأ بذكر سنى وشهور القبط لموافقتها السريانيين وموافقتها الشهور الروم ثم نعقب ذلك بذكر سنى العرب وشهورها وأيامها ولأية علة استحق عندها تسمية كل شهر منها وكل يوم وما قالته العرب فى تسمية الليالى وجمل من ذكر أفعال الشمس والقمر وتأثيرهما فى هذا العالم فى الجماد والنبات والحيوان وغير ذلك مما يقف عليه المتأمل عند قراءته ان شاء الله تعالى على ما يريد والله تعالى ولى التوفيق

﴿ذكر خروج مطرف بن المغيرة بن شعبة﴾

قيل ان بني المغيرة بن شعبة كانوا اصلحاء أشرافا بأنفسهم مع شرف أبيهم ومنزلتهم من قومهم فلما قدم الحجاج ورآهم علم انهم رجال قومهم فاستعمل عروة على الكوفة ومطرفا على المدائن وحمزة على همذان وكانوا في أعمالهم أحسن الناس سيرة وأشدهم على المريب وكان مطرف على المدائن عند خروج شبيب وقربه منها كما سبق فكتب الى الحجاج يستمده فامده بسبرة بن عبد الرحمن بن مخنف وغيره وأقبل شبيب حتى نزل بهرسير وكان مطرف بالمدينة العتيقة وهي التي فيها ايوان كسرى فقطع مطرف الجسر وبعث الى شبيب يطلب اليه ان يرسل بعض أصحابه لينظر فيما يدعون فبعث اليه عدة منهم فسألهم مطرف عما يدعون اليه فقالوا ندعوا الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأن الذي نقمنا من قومنا الاستئثار بالفيء وتعطيل الحدود والتساط بالجبرية فقال له مطرف ما دعوتم الا الى حق وما نقمتم الا جور ظاهر أنا لكم متابع فبايعوني على ما أدعوكم اليه ليجتمع أمري وأمركم فقالوا اذكره فان يكن حقا نجبك اليه قال أدعوكم الى ان تقاتلوا هؤلاء الطلمة على أحداثهم وتدعوهم الى كتاب الله وسنة نبيه وان يكون هذا الامر شورى بين المسلمين يؤمرون من يرتضون على مثل هذه الحال التي تركهم عليها عمر بن الخطاب فان العرب اذا علمت انما يراد بالشورى الرضا من قريش رضوا وكثر تبعكم وأعوانكم فقالوا هذا ما لا نجيبك اليه وقاموا من عنده وتراددوا بينهم أربعة أيام فلم تجتمع كلمتهم فسار وا من عنده وأحضر مطرف أصحابه وثقاته فذكر لهم ظلم الحجاج وعبد الملك وانه ما زال يؤثر مخالفتهم ومناهضتهم وانه يرى ذلك دينا لو وجد عليه أعوانا وذكر لهم ما جرى بينه وبين أصحاب شبيب وانهم لو تابعوه على رأيه يخلع عبد الملك والحجاج واستشارهم فيما يفعل فقالوا له اخف هذا الكلام ولا تظهره لاحد فقال له يزيد بن أبي زياد مولى أبيه المغيرة بن شعبة والله لا يخفى على الحجاج مما كان بينك وبينهم كلمة واحدة وليرادن على كل كلمة عشرة أمثالها ولو كنت في السحاب لالتمسك الحجاج حتى يهلكك فالصحاه الصحاه فوافقه أصحابه على ذلك فسار عن المدائن نحو الجبال فلقيه قبيصة بن عبد الرحمن الخثعمي بدير يزدجرد فاحسن اليه وأعطاه نفقة وكسوة فصحبه ثم عاد عنه ثم ذكر مطرف لاصحابه بالدسكرة ما عزم عليه ودعاهم اليه وكان رأيه خلع عبد الملك والحجاج والدعاء الى كتاب الله وسنة نبيه وان يكون الامر شورى بين المسلمين يرتضون لانفسهم من أحبوه فبايعه البعض على ذلك ورجع عنه البعض وكان ممن رجع عنه سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف فجاء الى الحجاج وقاتل شبيبا مع أهل الشام وسار مطرف نحو حلوان وكان بها سويد بن عبد الرحمن السعدي من قبل الحجاج فاراده ووالاكراد منعه ليعذر عند الحجاج فجازه مطرف بواطاة منه وأوقع مطرف بالاكراد فقتل منهم وسار فلما دنا من همذان وبها أخوه حمزة بن المغيرة تركها ذات اليسار وقصداه دينار وأرسل الى أخيه حمزة يستمده بالمال والسلاح فارسل اليه سرا ما طلب وسار مطرف حتى بلغ قم وقاشان وبعث عماله على تلك النواحي وأتاه الناس وكان ممن أتاه سويد بن سرحان الثقفي وبكير بن هرون النخعي من الري في نحو مائة رجل وكتب البراء بن قبيصة وهو عامل الحجاج على أصبهان اليه يعرفه حال مطرف ويستمده فأمده بالرجال بعد الرجال على دواب البريد وكتب الحجاج الى عدي بن زياد عامل الري يأمره بقصد مطرف وان يجتمع هو والبراء على محاربته فسار عدي من الري فاجتمع هو والبراء

﴿ذكر شهور القبط والسريانيين والخلاف في أسمائها من التاريخ﴾

أول شهور القبط توت وهو أيلول وبابه وهو تشرين الاول وهاتور وهو تشرين الثاني وكيهك وهو كانون الاول وطوبه وهو كانون الثاني وامشير وهو شباط وبرمهات وهو اذار وبرموده وهو نيسان وبشنس وهو ايار وبؤنة وهو حزيران وأبيب وهو تموز ومسرى وهو آب وللقبط بعد هذا خمسة أيام لواحق تدعى العمائر تزيدها على ما سميناه من شهورها وهي ثلثمائة يوم وستون يوما فتصير السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما وأول يوم من السنة عند القبط هو اليوم التاسع والعشرون من آب وعدة كل شهر منها ثلاثون يوما وكانت أيام السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما بعدد أيام سنة الفرس وكانت شهور القبط فيما مضى توافق أوائلها شهور الفرس وكان أول يوم أول آزرماه ثم كل شهر كذلك على هذا

ابن قبيصة وكان عدى هو الامير فاجتمعوا فى نحو ستة آلاف مقاتل وكان حمزة بن المغيرة قد ارسل الى الحجاج يعتذر فاظهر قبول عذره وأراد عزله وخاف ان يمتنع عليه فكتب الى قيس بن سعد العجلى وهو على شرطة حمزة بهمذان يعهده على همذان ويأمره ان يقبض على حمزة بن المغيرة وكان بهمذان من عجل وربيعة جمع كثير فسار قيس بن سعد الى حمزة فى جماعة من عشيرته فاقرأه العهد بولاية همذان وكتاب الحجاج بالقبض عليه فقال سمعا وطاعة فقبض قيس على حمزة وجعله فى السجن وتولى قيس همذان وتفرغ قلب الحجاج من هذه الناحية لقتال مطرف وكان يخاف مكان حمزة بهمذان لئلا يمده اخاه بالمال والسلاح ولعله يجده بالرجال فلما قبض عليه سكن قلبه وتفرغ باله ولما اجتمع عدى بن زياد الازدى والبراء بن قبيصة سار نحو مطرف فصدق عليه فلما دنوا منه اصطفوا للحرب واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم اصحاب مطرف وقتل مطرف وجماعة كثيرة من اصحابه قتله عمير بن هبيرة العزارى وحمل رأسه فتقدم بذلك عند بنى امية وقاتل ابن هبيرة ذلك اليوم وابلى بلاء حسنا وقتل يزيد بن ابى زياد مولى المغيرة وكان صاحب راية مطرف وقتل من أصحابه عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف الازدى وكان ناسكا صالحا وبعث عدى بن زياد الى الحجاج هول البلاء فاكرمهم واحسن اليهم وامن عدى بكير بن هرون وسويد بن سرحان وغيرهما وطلب منه الامان للحجاج بن حارثة الخثعمى فبعث اليهم كتاب الحجاج يأمرهم ارساله اليه ان كان حيا فاختفى ابن حارثة حتى عزل عدى ثم ظهر فى امارة خالد بن عتاب بن ورقاء وكان الحجاج يقول ان مطرفا ليس بولد للمغيرة بن شعبة انما هو ولد مصقلة بن سبرة الشيبانى وكان مصقلة والمغيرة يدعيانه فالحق بالمغيرة وجلده مصقلة الحد فلما اظهر رأى الخوارج قال الحجاج ذلك لان كثيرا من ربيعة كانوا من خوارج ولم يكن منهم أحد من قيس عيلان

﴿ ذكر الاختلاف بين الازارقة ﴾

قد ذكرنا مسير المهلب الى الازارقة ومحاربتهم الى ان فارقه عتاب بن ورقاء الرياحى ورجع الى الحجاج وأقام المهلب بعد مسير عتاب عنه يقاتل الخوارج فقاتلهم على سابور نحوسة قتالا شديدا ثم انه زاحفهم يوم البستان فقاتلوه أشد قتال وكانت كرمان بيد الخوارج وفارس بيد المهلب فضاق على الخوارج مكانهم لانه يأتيهم من فارس مادة فخرجوا حتى أتوا كرمان وتبعهم المهلب بالعساكر حتى نزل بجيرفت وهى مدينة كرمان فقاتلهم قتالا شديدا فلما صارت فارس كلها فى يد المهلب ارسل الحجاج العمال عليها فكتب اليه عبد الملك يأمره ان يترك بيد المهلب فسادا رابجرد وكورة اصطخر تكون له معونة على الحرب فتركها له وبعث الحجاج الى المهلب البراء بن قبيصة ليحثه على قتال الخوارج ويأمره بالجد وانه لا عذر له عنده فخرج المهلب بالعساكر فقاتل الخوارج من صلاة الغداة الى الظهر ثم انصرفوا والبراء على مكان عال يراهم فجاء الى المهلب فقال ما رأيت كتيبة ولا فرسانا اصبر ولا أشد من الفرسان الذين يقاتلونك ثم ان المهلب رجع العصر فقاتلهم كقتالهم أول مرة لا يصد كتيبة عن كتيبة وخرجت كتيبة من كتائب الخوارج لكتيبة من أصحاب المهلب فاشتد بينهم القتال الى ان حجز بينهم الليل وقالت احداهما للاخرى من أنتم فقال هؤلاء نحن من بنى تميم وقال هؤلاء نحن من بنى تميم وانصرفوا عند المساء فقال المهلب للبراء بن قبيصة كيف رأيت قوما ما يعينك عليهم الا الله جل ثناؤه فاحسن المهلب الى البراء وأمر له بعشرة آلاف درهم وانصرف البراء الى الحجاج وعرفه عذر المهلب ثم ان المهلب قاتلهم ثمانية عشر شهرا لا يقدر منهم على شئ ثم ان عاملا للقطرى على ناحية كرمان يدعى القعطر الضبى قتل رجلا

الوصف الى آخر سنة القبط آخر آذرماه وهذا الحساب بعينه موجود فى كتب الزيجات فى النجوم وأهل مصر وسائر القبط فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يستعملون فى حسابهم فى الشهور غير ما قدمنا وذلك انهم زادوا فى أيام السنة ربع يوم على مذهب اليونانيين والروم فصارت شهورهم مخالفة لشهور الفرس وموافقة لشهور السريانيين والروم فى عدد أيام السنة التى ملك فيها البختنصر وكان اولها يوم الاربعاء وأما تاريخ القبط فى كتاب زيج بطليموس فان أول سنة ملك فيلفوس وكان أولها يوم الاحد والذى بين تاريخ البختنصر وتاريخ يزدجرد ألف وثلثمائة وتسع وستون سنة فارسية وثلاثة أشهر والذى بين تاريخ فيلفوس وتاريخ يزدجرد تسعمائة واثنتان وأربعون سنة من سنى الروم ومائتين وتسعة وخمسون يوما وبين تاريخ يزدجرد وتاريخ الهجرة من الايام الف وستمائة وأربعة وعشرون يوما فأول هذه التواريخ تاريخ البختنصر ثم تاريخ فيلفوس ثم تاريخ يزدجرد

وتاريخ العرب من اول السنة التى هاجر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وكان اولها يوم الخميس وتاريخ الروم من اول السنة التى ملك فيها يزدجرد بن شهريار بن كسرى بن ابرويز وكان اولها يوم الثلاثاء وتاريخ الروم والسريانيين من اول السنة من ملك الاسكندر وكان اولها يوم الاثنين والله تعالى اعلم بحقيقة ذلك

﴿ذكر شهور السريانيين ووصف مواقفتها لشهور العرب وعدد ايام السنة ومعرفة الانواء﴾

قاول ذلك ان ايام السنة ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وهى مختلفة فى العدد فيسان ثلاثون يوما وايار احد وثلاثون يوما وحزيران ثلاثون يوما وتموز احد وثلاثون يوما واب احد وثلاثون يوما فاذا انسلخ دهب الحر قال محمد بن عبد الملك الزيات برد الماء وطال الـ ليل والنذ الشراب ومضى عنك حزيرا

مهم فوثبت الخوارج الى قطرى وطلبوا منه ان يقيدهم من المهلب فلم يفعل وقال انه تأول فاخطأ التأويل ما أرى ان تقتلوه وهو من ذوى السابقة فيكم فوقع بينهم الاختلاف وقيل كان سبب اختلافهم ان رجلا كان فى عسكرهم يعمل النصول المسمومة فيرمى بها أصحاب المهلب فشكا أصحابه منها فقال اكتبوا فوجه رجلا من أصحابه ومعه كتاب وأمره ان يلقيه فى عسكر قطرى ولا يراه أحد ففعل ذلك ووقع الكتاب الى قطرى فرأى فيه اما بعد فان نصالك وصلت وقد اتخذت الليث ألف درهم فاحضر الصانع فسأله فجحد فقتله قطرى فانكر عليه عبد ربه الكبير قتله واختلفوا ثم وضع المهلب رجلا نصرانيا وأمره ان يقصد قطريا ويسجد له ففعل ذلك فقال له الخوارج ان هذا قد اتخذك الها ووثب بعضهم الى النصرانى فقتله فراد اختلافهم وفارق بعضهم قطريا ثم ولوا عبد ربه الكبير وخلعوا قطريا وبقى مع قطرى منهم نحو من ربعهم أو خمسهم واقتتلوا فيما بينهم نحوا من أشهر وكتب المهلب الى الحجاج بذلك فكتب اليه الحجاج يأمره ان يقاتلهم على حال اختلافهم قبل ان يجتمعوا فكتب اليه المهلب انى لست ارى ان أقاتلهم مادام يقتل بعضهم بعضا فان تواعلى ذلك فهو الذى نريد وفيه هلاكهم وان اجتمعوا لم يجتمعوا الا وقد رقق بعضهم بعضا فناهضهم حينئذ وهم أهون ما كانوا وأضعفه شوكة ان شاء الله تعالى والسلام فسكت عنه الحجاج وتركهم المهلب يقتتلون شهرا لا يحركهم ثم ان قطريا خرج بمن اتبعه نحو طبرستان وبايع البربون عبد ربه الكبير

﴿ذكر مقتل عبد ربه الكبير﴾

لما سار قطرى الى طبرستان واقام عبد ربه الكبير بكرمان نهض اليهم المهلب فقاتلوه قتالا شديدا وحصرهم بجيرفت وكر رفقالهم وهو لا ينال منهم حاجته ثم ان الخوارج طال عليهم الحصار فخرجوا من جيرفت باموالهم وحرمهم فقاتلهم المهلب قتالا شديدا حتى عقرت الخيل وتكسرت السلاح وقتل الفرسان فتركهم فساروا ودخل المهلب جيرفت ثم سار يتبعهم الى ان لحقهم على اربعة فراسخ من جيرفت فقاتلهم من بكرة الى نصف النهار وكف عنهم وأقام عليهم ثم ان عبد ربه جمع اصحابه وقال يا معشر المهاجرين ان قطريا ومن معه هربوا طلب البقاء ولا سبيل اليه فالقوا عدوكم وهموا انفسكم لله ثم عاد للقتال فاقتتلوا قتالا شديدا اساهم ما قبله فبايع جماعة من اصحاب المهلب على الموت ثم ترجلت الخوارج وعقروا دوابهم واشتد القتال وعظم الخطب حتى قال المهلب ما صبر بى مثل هذا ثم ان الله تعالى انزل نصره على المهلب واصحابه وهزم الخوارج وكثر القتلى فيهم وكان فيمن قتل عبد ربه الكبير وكان عدد القتلى اربعة آلاف قتيل ولم ينج منهم الا قليل واخذ عسكرهم وما فيه وسموا لانهم كانوا يسبون نساء المسلمين وقال الطفيل بن عامر بن واثلة يذكر قتل عبد ربه الكبير وأصحابه

لقد مس منا عبد ربه وجمده * عقاب فامسى سربهم فى المقاسم
سمالهم بالجيش حتى أراحهم * بكرمان عن مثوى من الارض ناعم
وما قطرى الكفر الا عمامة * طريد يدوى ليله غير نائم
اذا فر منها هاربا كار وجهه * طريقا سوى قصد الهدى والمعالم
فليس بمنجيه الفرار وان جرت * به الفلك فى لج من البحر دائم

وهى اكثر من هذا تركناها للشهرتها واحس الحجاج الى اهل البلاد وزادهم وسير المهلب الى الحجاج مبشرا فلما دخل عليه أخبره عن الجيش وعن الخوارج وذكر حروبهم واخبره عن بنى

المهلب فقال المغيرة فارسهم وسيدهم وكفى بيزيد فارسا شجاعا وجوادهم وسخيهم قبيصة ولا يستحى الشجاع ان يفر من مدركه وعبد الملك سم ناقع وحبيب موت زعاف ومحمد ليث غاب وكذلك بالمفضل نجدة قال فايهم كان أنجد قال كانوا كالحاقة المفرغة لا يعرف طرفها فاستحسن قوله وكتب الى المهلب يشكره ويأمره ان يولى كرمان من يثق اليه ويجعل فيها من يحميها ويقدم اليه فاستعمل على كرمان يزيد ابنه وسار الى الحجاج فلما قدم عليه أكرمه واجلسه الى جانبه وقال ياأهل العراق أنتم عبيد المهلب ثم قال له أنت كما قال لقيط بن يعمر الايادى فى صفة امراء الجيوش

وقلدوا أمركم لله دركم * رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا
لا مترفا ان رخاء العيش ساعده * ولا اذا عض مكروه به خشعا
مسهد النوم تعنيه ثغوركم * يروم منها الى الاعداء مطلعا
انفك يحلب هذا الدهر اشطره * يكون متبعا طورا وتتسعا
وليس يشغله مال يثمره * عنكم ولا ولد يبغى له الرفعا
حتى استمرت على شزر مريرته * مستحكم السن لا خما ولا ضرعا

وهى قصيدة طويلة هذا هو الاجود منها

﴿ ذكر قتل قطرى بن الفجاءة وعبيدة بن هلال ﴾

قيل وفى هذه السنة كانت هلكة قطرى وعبيدة بن هلال ومن معهم من الازارقة وكان السبب فى ذلك ان أمرهم لما تشتت بالاختلاف الذى ذكرنا وسار قطرى نحو طبرستان وبلغ خبره الحجاج سير اليه سفيان بن الابرد فى جيش عظيم وسار سفيان واجتمع معه اسحق بن محمد بن الاشعث فى جيش لاهل الكوفة بطبرستان فاقبلا فى طلب قطرى فلحقوه فى شعب من شعاب طبرستان فقاتلوه فتفرق عنه أصحابه ووقع عن دابته فقعد على أسفل الشعب واتاه رجل من أهل البلد فقال له قطرى اسقنى الماء فقال العلج اعطنى شيأ فقال مامعى الا سلاحى وانا اعطيك اذا اتيتنى بالماء فانطلق العلج حتى اشرف على قطرى ثم حدر عليه حجرا من فوقه فاصاب وركه فأوهنه فصاح بالناس فاقبلوا نحوه ولم يعرفه العلج غير انه يظن انه من أشرافهم لكمال سلاحه وحسن هيئته فجاء اليه نفر من أهل الكوفة فقتلوه منهم سورة بن الحر التميمى وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف والصباح بن محمد بن الاشعث وباذان مولاهم وعمر بن أبى الصلت وكل هؤلاء ادعى قتله فجاء اليهم أبو الجهم بن كنانة وقال لهم ادفعوا رأسه الى حتى نصطلحوا فدفعوه اليه فاقبل به الى اسحق بن محمد وهو على الكوفة فارسله معه الى سفيان فسير سفيان الرأس مع ابى الجهم الى الحجاج فسيره الحجاج الى عبد الملك فجعل عطاءه فى الفيء ثم ان سفيان سار اليهم فاحاط بهم ثم امر مناديه فنادى من قتل صاحبه وجاء البنا فهو آمن فقال عبيدة بن هلال فى ذلك

لعمرى لقد قام الاصم بخطبة * لدى الشك منها فى الصدور وغليل
لعمرى لئن اعطيت سفيان بيعتى * وفارقت دينى انى لجهول
الى الله اشكو ما ترى بجيادنا * تساوك هزلى مخهن قليل
تعاورها القذاف من كل جانب * بقوم مس حتى صعبهن ذلول
فان يك افناها الحصار فربما * نشط فيما بينهن قتيل
وقد كن مما ان يقدن على الوجى * لهن بأبواب القباب صهيل

وحصرهم سفيان حتى أكلوا دوابهم ثم خرجوا اليه فقاتلوه فقتلهم وبعث برؤسهم الى الحجاج

ن وتموز وآب
وابلول ثلاثون يوما وخمس
منه عيد زكريا ولعشر منه
تطلع الصرفة فينصرف
الحر ولثلاث عشرة منه
عيد الصليب وهو اليوم
الرابع عشر منه وفى هذا
اليوم تفتح الترع بمصر على
حسب ماذكرنا فيما سلف
من هذا الكتاب ولتمام
عشرين منه يستوى الليل
والنهار قال أبو نواس
مضى ايلول وارتفع الحرور
وأدكن نارها الشعرى
العبور
وعشرين الاول أحد
وثلاثون يوما وفيه يكون
المهرجان وبين النيروز
والمهرجان مائة وتسعة
وستون يوما وعند الفرس
فى معنى المهرجان انه كان
لهم ملك فى قديم الزمان من
ملوك الفرس قد خص
طعمه خواص الناس
وعوامهم وكان يسمى مهر
وكانت الشهور تسمى
باسما الملوك فقيل مهرماه
ومعنى ماه هو الشهر وأن
ذلك الملك طال أمره
واشتدت وطأته فمات فى
النصف من هذا الشهر
وهو مهرماه فسمى ذلك
اليوم الذى مات فيه
مهرجان وتسميره نفس
مهر ذهبت لان الفرس
تقدم فى لغتها ما تؤخر العرب

ثم دخل سفيان دنباوند وطبرستان وكان هناك حتى عزله الحجاج قبل الجماجم وقال بعض العلماء انقرضت الازارقة بعد مقتل قطري وعبيدة انما كانوا دفعة متصلة أهل عسكر واحد وأول رؤسائهم نافع بن الازرق آخرهم قطري وعبيدة وانصل أمرهم بضعا وعشرين سنة الا اني أشك في صبيح المازني التميمي مولى سوار بن الاشعر الخارج أيام هشام قيل هو من الازارقة أو الصفرية الا انهم تطل أيامه بل قتل عقيب خروجه

﴿ذكر قتل بكير بن وشاح﴾

في هذه السنة قتل أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بكير بن وشاح وكان سبب ذلك ان أمية بن عبد الله وهو عامل عبد الملك بن مروان على خراسان أمر بكيرا بالتجهيز لغزو ماوراء النهر وقد كان قبل ذلك ولاه طخارستان فتجهز له فوشي به بحير بن ورقاء الى أمية فمنعه عنه فلما أمره بغزو ماوراء النهر تجهز وانفق نفقة كثيرة وادان فيها فقال بحير لامية ان صار بينك وبينه النهر خلع الخليفة فارسل اليه أمية ان أقم لعلي أغزو فتكون معي ففضب بكير وقال كانه يضارني وكان عقاب اللقوة الغدائي استدان ليخرج مع بكير فاخذه غرماؤه فحبس حتى أدى عنه بكير ثم ان أمية تجهز للغزو الى بخارا ثم يعود منها الى موسى بن عبد الله بن خازم بترمذ ونجهز الناس معه وفيهم بكير وسار وافلما بلغوا النهر وأرادوا قطعه قال أمية لبكير اني قد استخلفت ابني على خراسان وأخاف انه لا يضبطها لانه غلام حدث فارجع الى مرو فاكفنيها فاني قد وليتكها فاقم بامر ابني فانتخب بكير فرسانا كان عرفهم ووثق بهم ورجع ومضى أمية الى بخارا للغزاة فقال عقاب اللقوة لبكير انا طلبنا أميرا من قريش فجاءنا أمير يلعب بنا ويحولنا من سجن الى سجن واني أرى ان نحرق هذه السفن ونمضي الى مرو ونخلع أمية ونقيم بمرو ونأكلها الى يوم تموت وافقه الاحنف بن عبد الله العنبري على هذا قال بكير أخاف ان يهلك هؤلاء الفرسان الذين معي قال ان هلك هؤلاء فانا آتيك من أهل مرو بما شئت قال يهلك المسلمون قال انما يكفيك ان ينادي منادي من أسلم رفعنا عنه الخراج فيأتيك خمسون ألفا سمع من هؤلاء واطوع قال فيهلك أمية ومن معه قال ولم يهلكون ولهم عدد وعدة ونجدة وسلاح ظاهر ليقاتلون عن أنفسهم حتى يبلغوا الصين فحرق بكير السفن ورجع الى مرو فاخذ ابن أمية فحبسه وخلع أمية وبلغ أمية الخبر فصالح أهل بخارا على مدية قليلة ورجع وأمر باتخاذ السفن وعبر وذكر للناس احسانه الى بكير مرة بعد أخرى وانه كافأه بالعصيان وسار الى مرو وأتاه موسى بن عبد الله بن خازم وأرسل أمية شماس بن دثار في ثمانمائة فسار اليه بكير وبيته فهزمه وامر اصحابه ان لا يقتلوا منهم أحدا وكانوا يأخذون سلاحهم وبطاقوتهم وقدم أمية فتلقاه شماس فتقدم أمية ثابت بن قطبة فلقيه بكير فسر ثابتا وفرق جمعه ثم أطلقه ليد كانت لثابت عنده واقبل أمية وقاتله بكير فانكشف يوما أصحابه هما هم بكير ثم التقوا يوما آخر فاقتتلوا قتالا شديدا ثم التقوا يوما آخر فضرب بكير ثابت بن قطبة على رأسه فحمل حريث بن قطبة أخو ثابت على بكير فانحاز بكير وانكشف أصحابه واتبع حريث بكيرا حتى بلغ القنطرة وناداه الى أين يا بكير فرجع فضربه حريث على رأسه فقطع المغفر وعض السيف رأسه فصرع واحتمله أصحابه فادخلوه المدينة وكانوا يقاتلونهم فكان أصحاب بكير يعدون في الثياب المصبغة من أحمر وأصفر فيجلسون يتحدثون وينادي منادي من رمى بسهم رميناه اليه براس رجل من ولده واهله فلا يرمي احد وخاف بكير ان طال الحصار ان يخذله الناس فطلب الصلح واحب ذلك أيضا أصحاب أمية فاصطلحوا على ان يقضي أمية عنه أربعمائة الف

ويصلي

في كلامها وهذه اللغة الفهلوية وهي الفارسية الاولى وأهل المروآت بالعراق وغيرها من مدن أنهم يجعلون هذا اليوم اول يوم من الشتاء فتغير فيه الفرش والآلات وكثيرا من الملابس وتخص منه وهو نشرين الاول عيد كبيسة القمامة ببيت المقدس وفي هذا اليوم تجتمع النصارى من سائر الارض وتنزل عليهم نار من السماء فيسرج هناك الشمع ويجتمع فيه من المسلمين خلق عظيم للمطر الى العيد ويقتلع فيه ورق الزيتون ويكون للنصارى فيه أقاصيص ولهذه النار حيلة لطيفة وسر عظيم وقد ذكرنا وجه الحيلة في ذلك في كتابنا المترجم بكتاب القضايا والتجارب وتشرين الثاني ثلاثون يوما وكانون الاول احد وثلاثون يوما واسبع عشرة منه يكون النهار تسع ساعات وزيادة وهو منتهى قصره والليل أربع عشرة ساعة ونصف وزاد بعضهم وهو منتهى طوله وليله الخامس والعشرين منه ميلاد المسيح عليه السلام وكانون الثاني احد وثلاثون يوما واول يوم منه الغطاس فيكون فيه بالشام لاهله عيد يوقدون في ليلته النيران ويطهرون الافراح لاسيما

و يصل أصحابه ويوليه أي كور خراسان شاء ولا يسمع قول بحير فيه وان رابه ريب فهو آمن أربعين يوما ودخل أمية مدينة مرو ووفى لبكير وعاد الى ما كان من اكرامه واعطى أمية عقابا عشرين ألفا وقد قيل ان بكيرا لم يصحب أمية الى النهر بل كان أمية قد استخلفه على مرو فلما سار أمية وعبر النهر خلعه فجرى الامر بينهما على ما ذكرناه وكان أمية سهلا ليناً سخيا وكان مع ذلك ثقيلا على أهل خراسان وكان فيه زهو شديد وكان يقول ما تكفيني خراسان لمطبخي وعزل أمية بحيرا عن شرطته وولاها عطاء بن أبي السائب وطالب أمية الناس بالخراج واشتد عليهم وكان يوما بكير في المسجد وعنده الناس فذكر واشدة أمية وذموه وبحير وشراربن حصين وعبد الله بن جارية ابن قدامة في المسجد فنقل بحير ذلك الى أمية فكذبه فادعى شهادة هؤلاء فشهد مزاحم بن أبي الجشر السلمي انه كان يمرح فتركه أمية ثم ان بحيرا أتى أمية وقال له والله ان بكيرا قد دعاني الى خلعك وقال لو لا مكانك لقتلت هذا القرشي وأكلت خراسان فلم يصدقه أمية فاستشهد جماعة ذكر بكير انهم اعداؤه فقبض أمية على بكير وعلى بلال وثمر دل ابني أخيه ثم أمر أمية بعض رؤساء من معه بقتل بكير فامتنعوا فامر بحيرا بقتله فقتله وقتل أمية ابن أخي بكير

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة عبر أمية نهر بلخ للغزو فحوصر حتى جهد هو وأصحابه ثم نجوا بعد ما أشرفوا على الهلاك ورجعوا الى مرو وحج هذه السنة بالناس أبان بن عثمان وهو أمير المدينة وكان على الكوفة والبصرة الحجاج وعلى خراسان أمية وغزا هذه السنة الصائفة الوليد بن عبد الملك وفيها مات جابر بن عبد الله بن عمرو الانصاري

﴿ثم دخلت سنة ثمان وسبعين﴾

﴿ذكر عزل أمية بن عبد الله وولاية المهلب خراسان﴾

في هذه السنة عزل عبد الملك بن مروان أمية بن عبد الله بن خالد عن خراسان وسجستان وضمهما الى أعمال الحجاج بن يوسف فشرق عماله فيهما فبعث المهلب بن أبي صفرة على خراسان وقد فرغ من الازارقة ثم قدم على الحجاج وهو بالبصرة فاجلسه معه على السرير ودعا أصحاب البلاء من أصحاب المهلب فاحسن اليهم وزادهم وبعث عبيد الله بن أبي بكرة على سجستان وكان الحجاج قد استخلف على الكوفة عند مسيره الى البصرة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل فلما استعمل المهلب على خراسان سير ابنه حبيبا اليها فلما ودع الحجاج أعطاه بغلة خضراء فسار عليها وأصحابه على البريد فسار عشرين يوما حتى وصل خراسان فلما دخل باب مرو القيه حمل حطب فنفرت البغلة فحجموا من نفارها بعد ذلك التعب وشدة السير فلما وصل خراسان لم يعرض لامية ولا لعماله وأقام عشرة أشهر حتى قدم عليه المهلب سنة تسع وسبعين

﴿ذكر عدة حوادث﴾

حج بالناس هذه السنة أبان بن عثمان وكان أمير المدينة وكان أمير الكوفة والبصرة وخراسان وسجستان وكرمان الحجاج بن يوسف وكان نائبه بخراسان المهلب وبسجستان عبيد الله بن أبي بكرة وكان على قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس فيما قيل وفي هذه السنة مات عبد الرحمن بن عبد الله القاري وله ثمان وسبعون سنة وصح النبي صلى الله عليه وسلم برأسه (القاري بالياء المشددة) وفيها مات زيد بن خالد الجهني وقيل غير ذلك وتوفي عبد الرحمن بن غنم الاشعري ادرك الجاهلية وليست له صحبة

بمدينة انطاكية وما يكون في كنيسة القسيان بها من القداس عندهم وكذلك اساقفة الشام وبيت المقدس ومصر وأرض النصرانية كلها وما يظهر أهل دين النصرانية بانطاكية من الفرح والسرور وايقاد النيران والمآكل والمشارب وتساعدهم على ذلك عوام الناس وكثير من خواصهم وذلك أن مدينة انطاكية بها كرسي البطرك المعظم عندهم في ديانتها وأن النصرانية تسمي انطاكية مدينة الله ويسمونها أيضا مدينة الملك وأم المدن لان بدو ظهور النصرانية كان فيها (والبطارقة عند النصرانية أربعة) اولهم صاحب مدينة رومية ثم الثاني وهو صاحب مدينة قسطنطينية وهي أقدس واسمها القديم بورنطيا ثم الثالث وهو صاحب الاسكندرية من أرض مصر ثم الرابع وهو صاحب انطاكية ورومية وانطاكية لبيطرس فبدؤا برومية لانها لبيطرس ثم ختموا بانطاكية لانها له وتعظيما وقد أحدثوا كرسيا ببيت المقدس ولم يكن هذا متقدما وانما هو محدث وكان

﴿ثم دخلت سنة تسع وسبعين﴾

﴿(ذكر غزو عبيد الله بن ابى بكرة رتبيل)﴾

لما ولى الحجاج عبيد الله بن ابى بكرة سجستان وذلك سنة ثمان وسبعين مكث سنة لم يغز وكان رتبيل مصالحا وكان يؤدى الخراج وربما امتنع منه فبعث الحجاج الى عبيد الله بن أبى بكره يامره بمناجزته وان لا يرجع حتى يستبيح بلاده ويهدم قلاعه ويقيد رجاله فسار عبيد الله فى اهل البصرة واهل الكوفة وكان على اهل الكوفه شريح بن هانئ وكان من اصحاب على ومضى عبيد الله حتى دخل بلاد رتبيل فاصاب من الغنائم ماشاء وهدم حصونا وغلب على ارض من اراضيهم واصحاب رتبيل من الترك يتركون لهم ارضا بعد ارض حتى امعنوا فى بلادهم ودنوا من مدينتهم وكانوا منها على ثمانية عشر فرسخا فاخذوا على المسلمين العقاب والشعاب فسقط فى ايدى المسلمين فظنوا ان قد هلكوا فصالحهم عبيد الله على سبعمائة الف درهم يوصلها الى رتبيل ليمكن المسلمين من الخروج من ارضه فلقيه شريح وقال له انكم لا تصالحون على شئ الا حسبه السلطان من اعطياتكم وقد بلغت من العمر طويلا وقد كنت اطلب الشهادة منذ زمان وان فاتتنى اليوم الشهادة ما ادركها حتى أموت ثم قال شريح يا أهل الاسلام تعاونوا على عدوكم فقال له ابن أبى بكرة انك شيخ قد خرفت فقال له شريح انما حسبك ان يقال بستان عبيد الله وحمام عبيد الله يا أهل الاسلام من أراد منكم الشهادة فالى فاتبعه ناس من المتطوعة غير كثير وفرسان الناس وأهل الحفاظ فقاتلوا حتى أصيبوا الا قليلا وجعل شريح يرتجز ويقول

أصبحت ذا بث أقاسى الكبرا * قد عشت بين المشركين اعصرا
ثمة أدركنا النبى المنذرا * وبعده صديقه وعمرا
ويوم مهران ويوم نستترا * والجمع فى صفينهم والنهرا
وماجيرات مع المشقرا * هيهات ما أطول هذا عمرا

وقاتل حتى قتل فى ناس من أصحابه ونجا من نجا منهم فخرجوا من بلاد رتبيل فاستقبلهم الناس بالاطعمة فكان أحدهم اذا أكل وشبع مات فحذر الناس وجعلوا يطعمونهم السمن قليلا قليلا حتى استمرؤا وبلغ ذلك الحجاج فكتب الى عبد الملك يعرفه ذلك ويخبره انه قد جهز من أهل الكوفة وأهل البصرة جيشا كثيفا ويستأذنه فى ارساله الى بلاد رتبيل

﴿(ذكر عدة حوادث)﴾

فى هذه السنة أصاب أهل الشام طاعون شديد حتى كانوا يفنون فلم يغز تلك السنه أحد فيما قيل وفيها أصاب أهل الروم أهل انطاكية وظفروا بهم وفيها استعفى شريح بن الحرث عن القضاء فاعفاه الحجاج واستعمل على القضاء ابا بردة بن أبى موسى وحج بالناس فى هذه السنة أبان ابن عثمان وكان على المدينة وكان على العراق والشرق كله الحجاج بن يوسف وكان على قضاء البصرة موسى بن انس وفيها مات محمود بن الربيع وكنيته ابو ابراهيم وولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود

﴿ثم دخلت سنة ثمانين﴾

فى هذه السنة اتى سيل بمكة فذهب بالحجاج وكان يحمل الابل عليها الاحمال والرجال مالا حد فيه حيلة وغرقت بيوت مكة وبلغ السيل الركن فسمى ذلك العام الجحاف وفى هذه السنة وقع

لايليا وهو بيت المقدس اسقف (وبانطاكية) أيضا كنيسة أخرى تدعى استوست وبها عيد عظيم للنصرانية وكذلك كنيسة مرورو وهى كنيسة مرورة وبنيانها من احدى عجائب العالم فى التشييد والرفعة وكان الوليد بن عبد الملك ابن مروان اقتلع من هذه الكنيسة عمدا عجيبة من المرمر والرخام لمسجد دمشق وبقى الاكثر من هذه الكنيسة الى هذا الوقت (وقد كان الملك) من ملوك الروم بانطاكية خبر عجيب فى كنيسة استوست وكانت خارج السور من انطاكية وهى فى أيدى اليهود وقوضت اليهود دار الملك بانطاكية بدلا من كنيسة استوست وهذه الدار التى كانت دار الملك بانطاكية تعرف بدار اليهود ولليهود حيلة احتالوها حين خرجت الكنيسة من أيديهم حتى قتلوا من النصرانية خلقا عظيما من نشر خشب فيها وغير ذلك وقدمنا أخبار بطرس وبولص وما كان من أمرهما بمدينة رومية وغيرهما من تلاميذ المسيح وتفرقهم فى البلاد وذكرنا قصة الملك الذى بنى مدينة انطاكية وهو

بالبصرة ظاعون الجارف

﴿ ذكر غزوة المهلب ماوراء النهر ﴾

فى هذه السنة قطع المهلب نهر بلخ ونزل على كش وكان على مقدمته أبو الادهم الزمانى فى ثلاثة آلاف وهو فى خمسة آلاف وكان أبو الادهم يغنى غناء ألفين فى البأس والتدبير والنصيحة فاتى المهلب وهو نازل على كش ابن عم ملك الختل فدعاه الى غزو الختل فوجه معه ابنه يزيد وكان اسم ملك الختل الشبل فنزل يزيد ونزل ابن عم الملك ناحية فبيته الشبل وأخذه فقتله وحصر يزيد قلعة الشبل فصالحوه على فدية حملت اليه ورجع يزيد عنهم ووجه المهلب ابنه حبيبا فوافى صاحب بخارا فى أربعين ألفا فنزل جماعة من العدو قرية فسار اليهم حبيب فى أربعة آلاف فقتلهم وأحرق القرية فسميت المحترقة ورجع حبيب الى أبيه وأقام المهلب بكش سنتين فقيل له لو تقدمت الى ماوراء ذلك فقال ليت حظى من هذه الغزاة سلامة هذا الجند وعودهم سالمين ولما كان المهلب بكش اتاهم قوم من مضر فحبسهم بها فلما رجع أطلقهم وكتب اليه الحجاج ان كنت أصبت بحبسهم فقد أخطأت باطلاقهم وان كنت أصبت باطلاقهم فقد ظلمتهم اذ حبستهم فكتب المهلب خفتهم فحبستهم فلما أمنتهم خليتهم وكان فيمن حبس عبد الملك بن أبى شيخ القشيرى وصالح المهلب أهل كش على فدية يأخذها منهم وأتاه كتاب ابن الاشعث يخلع الحجاج ويدعوه الى مساعدته فبعث بكتابه الى الحجاج وأقام بكش

﴿ ذكر تسيير الجنود الى رتبيل مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ﴾

قد ذكرنا حال المسلمين حين دخل بهم ابن أبى بكرة بلاد رتبيل واستأذن الحجاج عبد الملك فى تسيير الجنود نحو رتبيل فاذن له عبد الملك فى ذلك فاحذ الحجاج فى تجهيز الجيش فجعل على أهل الكوفة عشرين ألفا وعلى أهل البصرة عشرين ألفا وجد فى ذلك واعطى الناس اعطياتهم كملا وانفق فيهم ألفى ألف سوى اعطياتهم وأنجدهم بالخيل الرائقة والسلاح الكامل واعطى كل رجل يوصف بشجاعة وغناء منهم عبيد بن أبى محجن الثقفى وغيره فلما فرغ من أمر الجندين بعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وكان الحجاج يبغضه ويقول ما رأيته قط الا أردت قتله وسمع الشعبى ذلك من الحجاج ذات يوم فاخبر عبد الرحمن به فقال والله لاحاولن ان ازيل الحجاج عن سلطانه فلما أراد الحجاج ان يبعث عبد الرحمن على ذلك الجيش أتاه اسمعيل بن الاشعث فقال له لاتبعثه فوالله ما جاز جسر الفرات فرأى لوال عليه طاعته وانى أخاف خلافه فقال الحجاج هو أهيب لى من ان يخالف أمرى وسيره على ذلك الجيش فسار بهم حتى قدم سجستان فجمع اهلها فخطبهم ثم قال ان الحجاج ولانى ثغركم وأمرنى بجهاد عدوكم الذى استباح بلادكم فاياكم ان يتخلف منكم احد فتمسه العقوبة فعسكر وامع الناس وتجهزوا وساروا بجمعهم وبلغ الخبر رتبيل فارسل يعتذر ويبذل الخراج فلم يقبل منه وسار اليه ودخل بلاده وترك له رتبيل أرضا أرضا وسيتانا فسيتانا وحصنا حصنا وعبد الرحمن يحوى ذلك وكلما حوى بلدا بعث اليه عاملا وجعل معه اعوانا وجعل الارصاد على العقاب والشعاب ووضع المسالح بكل مكان مخوف حتى اذا جاز من أرض عظيمة وملأ الناس أيديهم من الغنائم العظيمة منع الناس من الوغول فى أرض رتبيل وقال نكتفى بما قد أصبناه العام من بلادهم حتى نجبيها ونعرفها ويجترئ المسلمون على طرقها وفى العام المقبل نأخذ ما وراءها ان شاء الله تعالى حتى نقتلهم فى آخر ذلك على كنوزهم وذراريهم وأقصى بلادهم حتى يهلكهم الله تعالى ثم كتب الى الحجاج بما فتح الله عليه وبما يريد ان يعمل وقد قيل

المعروف بافطنحس وتفسير ذلك محوط الحوائط وكان اسم انطاكية بالرومية على اسمه افطنحس فلما ورد المسلمون وافتتحوها حذفت الاحرف الا الالف والنون والطاء وفى تاريخ النصارى الملكية وغيرها من أهل دين النصرانية يكون لمولد المسيح الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة تسعمائة سنة وأربعون سنة وتكون سنوا لاسكندر ألفا ومائتين وخمسا وثمانين ويكون من الاسكندر الى المسيح ثلثمائة سنة وتسع وستون هذا ما وجد فى تاريخ الملكية فى كنيسة القسيان بمدينة انطاكية وسنذكر بعد فى هذا الكتاب جملا من التاريخ فى باب نفرده لذلك ان شاء الله تعالى فنرجع الآن الى وصف حساب الشهور شباط ثمانية وعشرون يوما وربع ثلاث سنين متوالية والرابعة كبيسة فيكون تسعا وعشرين يوما وتكون السنة ثلثمائة وستة وستين يوما واسبعة منه تسقط الجمرة الاولى وهى الجبهة ولاربع عشرة منه تسقط الجمرة الثانية وهى الصرفة

في ارسال عبد الرحمن غير ماذكرنا وهو ان الحجاج كان قد ترك بكرمان هميان بن عدي السدوسي يكون بها مسلحة ان احتاج اليه عامل سجستان والسند فعصى هميان فبعث اليه الحجاج عبد الرحمن بن محمد فحاربه فانهزم هميان وأقام عبد الرحمن بوضعه ثم ان عبيد الله بن أبي بكرة مات وكان عاملا على سجستان فكتب الحجاج لعبد الرحمن عهده عليها وجهز اليه هذا الجيش فكان يسمى جيش الطواويس لحسنه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج بالناس هذه السنة أبان بن عثمان وكان أمير المدينة وكان على العراق والمشرق الحجاج وكان على خراسان المهلب من قبل الحجاج وكان على قضاء البصرة موسى بن أنس وعلى قضاء الكوفة بردة * وفي هذه السنة مات أسلم مولى عمر بن الخطاب وفيها توفي أبو ادريس الخولاني وفيها مات عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وقيل سنة أربع وقيل سنة خمس وقيل سنة ست وثمانين وقيل سنة سبعين وفيها قتل معبد بن عبد الله بن عليم الجهني الذي يروى حديث الدباغ وهو أول من قال بالقدر في البصرة قتله الحجاج وقيل قتله عبد الملك بن مروان بدمشق وفيها توفي محمد بن علي بن أبي طالب وهو ابن الحنفية وفيها توفي حماد بن أبي أمية وله صحبة وكان على غزو البحر ايام معاوية كلها وفيها مات السائب بن يزيد ابن أخت النمر وقيل سنة ست وثمانين ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفيها توفي سويد بن غفلة (بفتح الغين المعجمة والفاء) وفيها توفي عبد الله بن أبي أوفى وهو آخر من مات من الصحابة بالكوفة وجبير بن نفير بن مالك الحضرمي ادرك الجاهلية وليس له صحبة

﴿ثم دخلت سنة احدى وثمانين﴾

في هذه السنة سير عبد الملك بن مروان ابنه عبيد الله ففتح قاليقلا

﴿ذكر مقتل بحير بن ورقاء﴾

وفي هذه السنة قتل بحير بن ورقاء الصريمي وكان سبب قتله انه لما قتل بكير بن وساج وكانا هما تميمان بأمر أمية بن عبد الله بن خالد اياه بذلك كما تقدم ذكره قال عثمان بن رجاء بن جابر احد بني عوف بن سعد من الابناء يحرض بعض آل بكير من الابناء والابناء عدة بطون من تميم سموا بذلك

لعمري لقد اغضيت عينا على القذى * وبت بطينا من رحيق مروق
وخليت ثارا طل واخترت نومة * ومن يشرب الصهباء بالوتر يسبق
ولو كنت من عرف بن سعد ذؤابة * تركت بحيرا في دم متفرق
فقل لبحير نم ولا تخش ثائرا * ببكر فعوف اهل شاء حبلق
دعوا الضان يوما قد سبقتم بوتركم * وصرتم حديثا بين عرب ومشرق
وهبوا فلوامي بكير كعهده * لغاداهم زحفا بجأواء فيلق

وقال أيضا

فلو كان بكر بارزا في اداته * وذي العرش لم يقدم عليه بحير
ففي الدهر ان أبقاني الدهر مطلب * وفي الله طلاب بذاك جدير

فبلغ بحيرا ان رهط بكير من الابناء يتوعدونه فقال

توعدني الابناء جولا كانما * يرون فنائي مقفرا من بني كعب
رفعت له كفي بسيف مهند * حسام كلون الثلج ذي رونق عضب

وينصرف البرد وثلاثة أيام من آخر أيام العجوز وأذار احد وثلاثون يوما ولاربعة من أوله تتم أيام العجوز والعرب تسمي هذه السبعة الايام صنا وصنبرا ووبرا وآمرا ومؤتمرا ومعللا ومطفئ الجمر قال بعض العرب في أسماء أيام العجوز

كسع الشتاء بسبعة غبر
صن وصنبر والوبر
فاذا انقضت أيام شتوتنا
أيام صادرة عن القر
كسع الشتاء مولية هربا
وأتتن واقدة من الحر

وخمس عشرة من اذار يستوي الليل والنهار وتحل الشمس الحمل وهذا اليوم تحويل سنة العالم قال أبو فراس

أما ترى الشمس حلت الحملا
وطاب وزن الزمان واعتدلا
وغنت الطير بعد عجمتها
واستوفت الحمر حولها كملا
واكتست الارض من رخارفها
وشي ثياب تحالها حللا
فاشرب على جدة الزمان فقد
أصبح وجه الزمان معتدلا

وليس بحلول الشمس الحمل تستوفي الحر سنة وانما أراد بحلولها قربها من الحلول والقوة (قال

فتعاقد سبعة عشر رجلا من بني عوف على الطلب بدم بكير فخرج فتى منهم يقال له شمردل من البادية حتى قدم خراسان فرأى بحيرا واقفا فحمل عليه فطعنه فصرعه وظن انه قد قتله فقال الناس حاربجي وورا كضهم فعثر به فرسه فسقط عنه فقتل وخرج صعصعة بن حرب العوفي من البادية وقد باع غنيمات له ومضى الى سجستان فجاور قرابة لبحير مدة وادعى الى بني حنيفة من اليمامة وأطال مجالستهم حتى آنسوا به ثم قال لهم ان لي بخراسان ميراثا فاكتبوا الى بحير كتابا ليعينني على حقي فكتبوا له وسار يتقدم على بحير وهو مع المهلب في غزوته فلقي قوما من بني عوف فاخبرهم أمره ولقي بحيرا فاخبره انه من بني حنيفة من أصحاب ابن أبي بكرة وان له مالا بسجستان وميراثا بمرو وقدم ليبيعه ويعود الى اليمامة فانزله بحير وأمر له بنفقة ووعده فقال صعصعة أقيم عندك حتى يرجع الناس فاقام شهرا يحضر معه باب المهلب وكان بحير قد حذر لما أتاه صعصعة بكتاب أصحابه وذكر انه من حنيفة أمنه فجاء يوما صعصعة وبحير عند المهلب عليه قميص ورداء فقعد خلفه ودنا منه كأنه يكلمه فوجأه بخنجر معه في خاصرته فغيبه في جوفه ونادى بالثارات بكير فأخذوا أبا به المهلب فقال له بؤسا لك ما أدركت بثارك وقتلت نفسك وما على بحير بأس فقال لقد طعنته طعنة لو قسمت بين الناس لماتوا ولقد وجدت ريح دمه في يدي فحبسه فدخل عليه قوم من الابناء فقبلوا رأسه ومات بحير من العد فقال صعصعة لما مات بحير اصنعوا الآن ما شئتم ليس قد حللت تدور ابناء بني عوف وأدركت بثاري والله لقد أمكنني منه خاليا غير مرة فكرهت ان اقتله سرا فقال المهلب ما رأيت رجلا اسخى نفسا بالموت من هذا وأمر بقتله فقتل وقيل ان المهلب بعثه الى بحير قبل ان يموت فقتله ومات بحير بعده وعظم موته على المهلب وغضبت عوف والابناء وقالوا علام قتل صاحبنا وانما أخذ بثاره فنازعهم مقاعس والبطون وكلهم بطون من تميم حتى خاف الناس ان يعظم الامر فقال أهل الحجى احملوا دم صعصعة واجعلوا دم بحير ببكير فودوا صعصعة فقال رجل من الابناء يمدح صعصعة

لله در فتى تجاوز همه * دون العراق مفاوزا وبحورا
مازال يدئب نفسه وركابه * حتى تناول في الحروب بحيرا

﴿ذكر دخول الديلم قزوين وما كان منهم﴾

كانت قزوين ثغر المسلمين من ناحية ديلم وكانت العساكر لا تبرح مرابطة بها يتحارسون ليلا ونهارا فلما كان هذه السنة كان في جماعة من رابط بها محمد بن أبي سبرة الجعفي وكان فارسا شجاعا عظيم الغناء في حروبه فلما قدم قزوين رأى الناس يتحارسون فلا ينامون الليل فقال لهم اتخافون ان يدخل عليكم العدو مدينتكم قالوا نعم قال لقد انصفوكم ان فعلوا افتحوا الابواب ولا بأس عليكم ففتحوها وبلغ ذلك الديلم فساروا اليهم وبيتوهم وهجموا الى البلد وتصايح الناس فقال ابن أبي سبرة اغلقوا ابواب المدينة علينا وعليهم فقد انصفونا وقاتلوهم فاغلقوا الابواب وقاتلوهم وابلى ابن أبي سبرة بلاء عظيما وظفر بهم المسلمون فلم يفلت من الديلم أحد واشتهر اسمه بذلك ولم يعد الديلم بعدها يقدمون على مفارقة أرضهم فصار محمد فارس ذلك الثغر المشار اليه وكان يدمن شرب الخمر وبقي كذلك الى أيام عمر بن عبد العزيز فامر بتسييره الى زارة وهي دار الفساق بالكوفة فسير اليها فاغارت الديلم ونالت من المسلمين وظهر الخلل بعده فكتبوا الى عبد الحميد بن عبد الرحمن أمير الكوفة يسألونه ان يردعليهم ابن أبي سبرة فكتب بذلك الى عمر فأذن له في عوده الى الثغر فعاد اليه وحماه لمحمد أخ يقال له خثيمة بن عبد الرحمن وهو اسم ابي سبرة وكان من الفقهاء

المسعودي) وأما شهور الروم فهي موافقة لشهور السريانيين في العدد وذلك ان أول شهور الروم يواريوس وهو كانون الثاني وقد قدمنا ان في أول يوم منه يكون الغطاس وشباط فبراريوس وآذار مارتيوس ونيسان ابريليس وايار مايوس وحزيران يونيوس وتموز يوليوس وآب أغسطوس وايلول سبطمبر وتشرين الاول اقطوبر وتشرين الثاني نوفمبر وكانون الاول دشمبر

﴿ذكر شهور الفرس﴾

كلها ثلاثون يوما فأولها فرودري وأول يوم منه النيروز وبينه وبين المهرجان مائة وأربعة وسبعون يوما والثاني اردبهشت ماه وخرداد ماه ونيرماه نيروز عيد المهاجرين ومرداد ماه وشهريور ماه ويوم الرابع والعشرين منه المهرجان ومهرماه وابان ماه وآذر ماه عيد الانصار وهذه خمسة أيام الفردوجان ودي ماه وأول يوم منه يخرج الكوسج فيه راكبا بغاله بالعراق وأرض فارس ولا يعرف ماوصفنا الا بالعراق وأرض الجبل وأرض الشام والجزيرة ومصر واليمن لا يعرفون ذلك

﴿ ذكر خلاف عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث على الحجاج ﴾

وفى هذه السنة خالف عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ومن معه من جند العراق على الحجاج وأقبلوا اليه لحربه وقيل كان ذلك سنة ثمانين وثمانية وكان سبب ذلك ان الحجاج لما بعث عبد الرحمن ابن محمد على الجيش الى بلاد رتبيل فدخلها وأخذ منها الغنائم والحصون وكتب الى الحجاج يعرفه ذلك وان رأيه ان يتركوا التوغل فى بلاد رتبيل حتى يعرفوا طريقها ويحبوا خراجها على ماسبق ذكره فلما أتى كتابه الى الحجاج كتب جوابه ان كتابك كتاب امرئ يحب الهدنة ويستريح الى المواداعة قد صانع عدوا قليلا ذليلا قد أصابوا من المسلمين جندا كان بلاؤهم حسنا وغناؤهم عظيما وانت حيث تكف عن ذلك العدو بجندى وجندى نسخى النفس بمن أصيب من المسلمين فامض لما أمرتك به من الوغول فى أرضهم والهدم لحصونهم وقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم ثم أردفه كتابا آخر بنحو ذلك وفيه أما بعد فرمن قبلك من المسلمين فليحربوا وليقيموا بها فانها دارهم حتى ينضيها الله عليهم ثم كتب اليه الثانى ذلك ويقول له ان مضيت لما أمرتك والا فاخلع سحق بن محمد أمير الناس فدعا عبد الرحمن الناس وقال لهم أيها الناس انى لكم ناصح ولصلاحكم محب ولكم فى كل ماحيط به نفعكم ناظر وقد كان رأيى فيما بينى وبين عدوى بمارصيته دووأحلامكم وأولوا التجربة منكم وكتبت بذلك الى أميركم الحجاج فاتانى كتابه يعجزنى ويضعفنى ويأمرنى بتجميل الوغول بكم فى أرض العدو وهى البلاد التى هلك فيها اخوانكم بالامس وانما أنا رجل منكم أعصى اذ عصيتم وآبى اذ أبيتم فمار اليه الناس وقالوا ابن أبى على عدو الله ولا نسمع له ولا نطيع فكان أول من تكلم أبو الطفيل عامر بن واثلة الكنانى وله صحبة فقال بعد حمد الله أما بعد فان للحجاج برى كم مرأى القائل لاول اجمل عبدك على الفرس فان هلك فلك وان نجا فلك ان للحجاج مايبلى ان تخاطر بكم فيقحمكم بلايا كثيرة ويعشى اللهوب واللصوب فان ظفرتم وغنمتم أكل البلاد وحاز المال وكان ذلك زيادة فى سلطانه وان ظفر عدوكم كنتم أنتم الاعداء البغضاء الذين لايبالى عنتهم ولا يبقى عليهم احلعرا عدو الله الحجاج وبايعوا الامير عبد الرحمن فانى أشهدكم انى أول خالع فمادى لم يمس من كل جانب فعلما علمنا قد خلعا عدو الله وقام عبد المؤمن بن شبث بن ربعى فقال عباد الله انكم ان أطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم مابقيتم وجمركم تجميره فرعون الجنود فيه يعنى انه أول من حمر البعوث وان تعاينوا الاحنة أو يموت أكثركم فيما أرى فبايعوا أميركم وانصرفوا الى عدوكم الحجاج فاهموه عن بلادكم وهوب الناس الى عبد الرحمن فبايعوه على خلع الحجاج ونفيه من أرض العراق وعلى النصرة له ولم يذكر عبد الملك وجعل عبد الرحمن على بست عباس بن عميان الشيبانى وعلى زرنج عبد الله بن عامر التميمى وصالح رتبيل على ان ابن الاشعث ان ظهر فلا خراج عليه أبدا مابقى وان هزم فاراد منعه ثم رجع الى العراق فسار بين يديه اعشى همدان وهو يقول

شمت نوى من داره بالايوان * ايوان كسرى ذى القرى والريحان
من عاشق أمسى برابلستان * ان تقيفا منهم الكذابان
كذابها الماضى وكذاب ثان * امكن ربى من تقيف همدان
يوما الى الليل يسلى ما كان * انا عمونا للكفور الفتان
حين طغى فى الكفر بعد الايمان * بالسيد الغطريف عبد الرحمن
سار بجمع كالدبى من قحطان * ومن معد قد أتى من عدنان

ويطعم مدة من الايام الجور والنوم واللحم السمين وماعدا ذلك من الاطعمة لحاره والاشربة المسخنة الدافعة للبرد فيظهر طارد البرد ويصب عليه الماء البارد فلا يجد لذلك شيأ من ألمه ويصيح بالفارسية كرما كرما وهذا وقت عيد الاعاجم يطرون فيه ويظهرون السرور وكذلك فى أوقات كثيرة من فصول السنة وتدور رحا الارد حش ودرماه ودسمهر وردمنا وآذر وديهم ماه واسفندار مدروز الاسوب واسفندار موزماه فذلك ثمانية وخمسة وستون يوما والله أعلم

﴿ ذكر ايام الفرس ﴾

وهى هرمز وبهمان واذرماشت وشهريور واسفندارمذ وخرداد وماه ودابان وآذر وخور وتير ومهر وسروش ورام وبهرام وراميس وافروردين وهران وفيه يقول الشاعر

يا كربة الذكرة المدام
فى يوم سبت ويوم رام
شر يطتى فيه أن ترانى
وقت الضحى فاتر الكلام
وبادرونى بين واردوا
سال واسارو حامار ومار
وسعيد ونيران وأنا أبامهم
المعروفة بالفردجان فهى

بجحفل جم شديد الاركان * فقل لحجاج ولى الشيطان
يثبت لجمع مذحج وهمدان * فانهم ساقوه كاس الذيفان
وملحقوه بقرى ابن مروان

وجعل عبد الرحمن على مقدمته عطية بن عمرو العنبرى وجعل على كرمان حريثة بن عمرو التميمى فلما بلغ فارس اجتمع الناس بعضهم الى بعض وقالوا اذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك فقد خلعنا عبد الملك فاجتمعوا الى عبد الرحمن فكان اول الناس خلع عبد الملك تيحان بن أبجر من تيم الله ابن ثعلبة قام فقال أيها الناس انى خلعت أباذبان فاخلعوا قيصى فخلعه الناس الا قليلا منهم وبايعوا عبد الرحمن وكانت بيعته تبايعوا على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى جهاد أهل الضلالة وخلعهم وجهاد المحلين فلما بلغ الحجاج خلعه كتب الى عبد الملك يخبره عبد الرحمن ويسأله ان يجعل بعثة الجنود اليه وسار الحجاج حتى نزل البصرة ولما بلغ المهلب خبر عبد الرحمن كتب الى الحجاج من خراسان أما بعد فان أهل العراق قد أقاموا اليك وهم مثل السيل ليس يردهم شئ حتى ينتهى الى قراره وان لاهل العراق شدة فى أول مخرجهم وصبابة الى أبنائهم ونسائهم فاتركهم حتى يسقطوا الى أهاليهم وينسوا أولادهم ثم واقعهم بعده فان الله ناصرك عليهم فلما قرأ كتابه سبه وقال ما الى نظر وانما النظر لابن عمه يعنى عبد الرحمن ولما وصل كتاب الحجاج الى عبد الملك هاله ودعا خالد بن يزيد فاقرأه الكتاب فقال يا أمير المؤمنين ان كان الحديث عن سجستان فلا تخفه فان كان من خراسان فانى اتخوفه فجهز عبد الملك الجند لى الحجاج فكانوا يصلون الى الحجاج على البريد من مائة ومن خمسين واقل واكثر وكتب الحجاج تتصل بعبد الملك كل يوم بخبر عبد الرحمن فسار الحجاج من البصرة ليلتقى عبد الرحمن فنزل تستر وقدم بين يديه مقدمة الى دجيل فلقوا عنده خيلا لعبد الرحمن فانهزم اصحاب الحجاج بعد قتال شديد وكان ذلك يوم الاضحى سنة احدى وثمانين وقتل منهم جمع كثير فلما اتى خبر الهزيمة الى الحجاج رجع الى البصرة وتبعه اصحاب عبد الرحمن فقتلوا منهم واصابوا بعض اثقالهم واقبل الحجاج حتى نزل الزاوية وجمع عنده الطعام وترك البصرة لاهل العراق ولما رجع نظر فى كتاب المهلب فقال لله دره أى صاحب حرب هو وفرق فى الناس مائة وخمسين ألف ألف درهم فاقبل عبد الرحمن حتى دخل البصرة وبايعه جميع أهلها قراؤها وكهولها مستبصرين فى قتال الحجاج ومن معه من أهل الشام وكان السبب فى سرعة اجابتهم الى بيعته ان عمال الحجاج كتبوا اليه ان الخراج قد انكسر وان أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالامصار فكتب الى البصرة وغيرها ان من كان له أصل من قرية فليخرج اليها فاخرج الناس لتؤخذ منهم الجزية فجعلوا يبكون وينادون يا محمداه يا محمداه ولا يدرون أين يذهبون وجعل قراء البصرة يبكون لما يرون فلما قدم ابن الاشعث عقيب ذلك بايعوه على حرب الحجاج وخلع عبد الملك وخندق الحجاج على نفسه وخندق عبد الرحمن على البصرة وكان دخول عبد الرحمن البصرة فى آخر ذى الحجة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج بالناس هذه السنة سليمان بن عبد الملك وكان ممن حج ام الدرداء الصغرى وفيها ولد ابن ابى ذئب وكان العامل على المدينة ابان بن عثمان وعلى العراق والمشرق كله الحجاج وعلى خراسان المهلب وعلى قضاء الكوفة ابو بردة وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن اذينة وكان سجستان وكرمان وفارس والبصرة بيد عبد الرحمن

وهيدكاه وست كاه هو كاه مسروكاه كاساه وكانت العرب تسمى الايام الخمسة الهرير والهبير وقالب الفهر وحافل الضرع ومدحرج البعر (وكانت الفرس) تكبس فى كل مائة وعشرين شهرا لربح اليوم الناضل فى الشهور الرومية وتسميه الهارك فاذا كانت سنة كبيسة أخروا ذلك الى مائة وعشرين سنة لان ايامهم كانت سعودا ونحوسا فكرهوا أن يكبسوا فى كل أربع سنين يوما فتنتقل بذلك أيام السعود الى أيام النحوس ولا يكون النيروز أول يوم من الشهر والله تعالى أعلم

﴿ذكر سنى العرب وشهورها وتسمية أيامها ولياليها﴾

أشهر الاهلة أولها المحرم وأيامها ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما تنقص عن السريانى احد عشر يوما وربع يوم فتفرق فى كل ثلاثة وثلاثين سنة فتنسلخ تلك السنة العربية ولا يكون فيها نيروز وقد كانت العرب فى الجاهلية تكبس فى كل ثلاث سنين شهرا وتسميه النسىء وقد ذم الله تبارك وتعالى فعلهم بقوله انما النسىء زيادة فى الكفر ورسمت العرب الشهور فبدأت بالمحرم

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين﴾

﴿(ذكر الحرب بين الحجاج وابن الاشعث)﴾

قيل فى المحرم من هذه السنة اقتتل عسكرا الحجاج وعسكر عبد الرحمن بن الاشعث قتالا شديدا فتزاحفوا فى المحرم عدة دفعات فلما كان ذات يوم فى آخر المحرم اشتد قتالهم فانهزم اصحاب الحجاج حتى انتهوا اليه وقاتلوا على خنادقهم ثم انهم تراجعوا آخر يوم من المحرم فحال اصحاب الحجاج وتقوض صفهم فحثى الحجاج على ركبتيه وقال لله در مصعب ما كان اكرمه حين نزل به ما نزل وعزم على انه لا يفر فحمل سفيان بن الابرد الكلبى على الميمنة التى لعبد الرحمن فهزمها وانهزم اهل العراق وأقبلوا نحو الكوفة مع عبد الرحمن وقتل منهم خلق كثير منهم عقبة بن عبد الغافر الازدى وجماعة من القراء فلم يبق معه الا واحدة ولما بلغ عبد الرحمن الكوفة تبعه اهل القوة واصحاب الخيل من اهل البصرة واجتمع من بقى فى البصرة مع عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب فبايعوه فقاتل بهم الحجاج خمس ليال أشد قتال رآه الناس ثم انصرف لحق بابن الاشعث وتبعه طائفة من اهل البصرة وقتل منهم طفيل بن عامر بن واثلة فقال ابوه يرثيه وهو من الصحابة

خلى طفيل على الهم فانشعبا * وهد ذلك ركنى هدة عجبا
مهما نسيت فلا أنساه اذ حدقت * به الاسنة مقتولا ومنسلبا
واخطأتنى المنايا لا تطالعنى * حتى كبرت وهم يتركن لى نسبا
وكنت بعد طفيل كالذى نضبت * عنه السيول وغاض الماء وانضبا

وهى أبيات عدة وهذه الوقعة تسمى يوم الزاوية فاقام الحجاج اول صفر واستعمل على البصرة الحكم بن ايوب الثقفى وسار عبد الرحمن الى الكوفة وقد كان الحجاج استعمل عليها عند مسيره الى البصرة عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمى حليف بنى امية فقصده مطر بن ناجية اليربوعى فتحصن منه ابن الحضرمى فى القصر ووثب اهل الكوفة مع مطر فاخرج ابن الحضرمى ومن معه من اهل الشام وكانوا أربعة آلاف واستولى مطر على القصر واجتمع الناس وفرق فيهم مائتى درهم مائتى درهم فلما وصل ابن الاشعث الى الكوفة كان مطر بالقصر فخرج اهل الكوفة يستقبلونه ودخل الكوفة وقد سبق اليه هدان وكانوا حوله فاتى القصر فمنعه مطر ابن ناجية ومعه جماعة من بنى تميم فاصعد عبد الرحمن الناس فى السلاليم الى القصر فاخذوه فأتى عبد الرحمن بمطر بن ناجية فحبسه ثم أطلقه وصار معه فلما استقر عبد الرحمن بالكوفة اجتمع اليه الناس وقصده اهل البصرة منهم عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة الهاشمى بعد قتاله الحجاج بالبصرة وقتل الحجاج يوم الزاوية بعد الهزيمة احد عشر الفا خذعهم بالامان وأمر منادیا فنادى لا أمان لفلان بن فلان فسمى رجالا فقال العامة قد أمن الناس فحضروا عنده فامر بهم فقتلوا

﴿(ذكر وقعة دير الجماجم)﴾

وكانت وقعة دير الجماجم فى شعبان من هذه السنة وقيل كانت سنة ثلاث وثمانين وكان سببها ان الحجاج سار من البصرة الى الكوفة لقتال عبد الرحمن بن محمد فنزل دير قرة وخرج عبد الرحمن من الكوفة فنزل دير الجماجم فقال الحجاج ان عبد الرحمن نزل دير الجماجم ونزلت دير القرة اما تزجر الطير واجتمع الى عبد الرحمن اهل الكوفة واهل البصرة والقراء واهل الثغور والمسالح بدير الجماجم فاجتمعوا على حرب الحجاج لبغضه وكانوا مائة الف ممن يأخذ العطاء ومعهم مثلهم وجاءت الحجاج ايضا

لانه أول السنة وانما سمته المحرم لتحريمها الحرب والغارات فيه وصفر بالاسواق التى كانت باليمن تسمى الصفرية وكانوا يغارون فيها ومن تخلف عنها هلك جوعا وقال نابغة ذبيان

انى نهيت بنى ذبيان عن أوق
وعن ترفههم فى كل اصفار

وقيل انما سمى الصفران المدن كانت تخلو فيه من أهلها بحروجهم الى الحرب وهو مأخوذ من قولهم اصفرت الدار منهم اذا خلت وربيع وربيع لارتباع الناس والدواب فيهما فان قيل قد توجد الدواب ترتبع فى غير هذا الوقت قيل فيمكن أن يكون هذا الاسم لزمهما فى ذلك الوقت فاستمر تعريفهما بذلك مع انتقال الزمان واختلافه وجمادى وجمادى لجمود الماء فيهما فى الزمان الذى سميت به هذه الشهور لانهم لم يعلموا أن الحر والبرد يدوران فتنتقل أوقات ذلك ورجب لخوفهم اياه يقال رجبت الشئ اذا خفته وأنشد

* فلا تهبها ولا ترجبها *

وشعبان لتشعبهم الى مياههم وطلب الغارات ورمضان لشدة حر الرمضاء فيه ذلك

امدادا من الشام قبل نزوله بدير قرة وخندق كل منهما على نفسه فكان الناس يقتتلون كل يوم ولا يزال احدهما يدنى خندقه من الآخر ثم ان عبد الملك واهل الشام قالوا ان كان يرضى اهل العراق بنزع الحجاج عنهم نزعناه فان عزله أيسر من حربهم ونحقن بذلك الدماء فبعث عبد الملك ابنه عبد الله واخاه محمد بن مروان وكان محمد بارض الموصل الى الحجاج فى جند كثيف وامرهما ان يعرضا على اهل العراق عزل الحجاج وان يجريا عليهم اعطياتهم كما يجرى على اهل الشام وان ينزل عبد الرحمن بن محمد أى بلد شاء من بلد العراق فاذا نزله كان واليا عليه مادام حيا وعبد الملك خليفة فان اجاب اهل العراق الى ذلك عزلا الحجاج عنها وصار محمد بن مروان امير العراق وان أبى أهل العراق قبول ذلك فالحجاج امير الجماعة ووالى القتال ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك فى طاعته فلم يأت الحجاج امر قط كان اشد عليه ولا أوجع لقلبه من ذلك فخاف ان يقبل اهل العراق عزله فيعزل عنهم فكتب الى عبد الملك والله لو أعطيت اهل العراق نزعى لم يلبثوا الا قليلا حتى يخالفوك ويسيروا اليك ولا يزيدهم ذلك الا جراءة ليبلغ الم ترو يبلغ وثوب اهل العراق مع الاشتر على بن عفان وسؤالهم نزع سعيد بن العاص فلما نزعه لم تتم لهم السنة حتى ساروا الى عثمان فقتلوه وان الحديد بالحديد يفلح فابى عبد الملك الا عرض عزله على اهل العراق فلما اجتمع عبد الله ومحمد مع الحجاج خرج عبد الله بن عبد الملك وقال يا اهل العراق انا ابن امير المؤمنين وهو يعطيكم كذا وكذا وخرج محمد بن مروان وقال انا رسول امير المؤمنين وهو يعرض عليكم كذا وكذا فذكر هذه الخصال فقالوا نرجع العشية فرجعوا واجتمع اهل العراق عند ابن الاشعث فقال لهم قد اعطيتم امرا انتهازكم اليوم اياه فرصة وانكم اليوم على النصف فان كانوا اعتدوا عليكم بيوم الراوية فانتم تعتدون عليهم بيوم تستترقا قبلوا اما عرضوا عليكم وانتم أعراء أقوياء لتقومهم لكم هائبون وانتم لهم منتقضون فوالله لا راتم عليهم جرآء وعندهم أعزاء ابدا ما بقيتم ان انتم قبلتم فوثب الناس من كل جانب فقالوا ان الله قد اهلكهم فاصبحوا فى الضنك والجماعة والقلة والذلة ونحن ذوو العدد الكثير والسعر الرخيص والمادة القريبة لا والله لا نقبل وأعادوا خلعه ثانية وكان اول من قام بخلعه بدير الجماجم عبد الله بن ذؤاب السلمى وعمير بن ضبيعان وكان اجتماعهم على خلعه بالجماجم اجمع من خلعهم اياه بفارس فقال عبد الله بن عبد الملك ومحمد بن مروان للحجاج شأنك بعسكرك وجندك واعمل برأيك فانا قد أمرنا ان نسمع لك ونطيع فقال قد قلت انه لا يراد بهذا الامر غيركم وكانا يسلمان عليه بالامرة ويسلم عليهما بالامرة فلما اجتمع اهل العراق بالجماجم على خلع عبد الملك قال عبد الرحمن الا ان بنى مروان يعيرون بالزرقاء والله ما لهم نسب اصح منه الا ان بنى العاص اعلاج من اهل صفورية فان يكن هذا الامر من قريش ففى تقويت بيضة مريش وان يك فى العرب فانا ابن الاشعث ومتى ما صوته يسمع الناس وبرز والقتال فجعل الحجاج على ميمنة عبد الرحمن بن سليم الكلبى وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللخمى وعلى خيله سفيان بن الابرد الكلبى وعلى رجاله عبد الله بن خبيب الحكمى وجعل عبد الرحمن بن محمد على ميمنته الحجاج بن حارثة الخثعمى وعلى ميسرته الابرد بن قرة التميمى وعلى خيله عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة الهاشمى وعلى رجاله محمد بن سعد بن ابى وقاص وعلى مجنبته عبد الله بن رزام الحارثى وجعل على القراء جبلة بن زحر بن قيس الجعفى وفيهم سعيد بن جبير وعامر الشعبى وابو البخترى الطائى وعبد الرحمن بن ابى ليلة ثم أخذوا يتزاحفون كل يوم ويقتتلون واهل العراق تأتيهم موادهم من الكوفة وسوادها وهم فى خصب واهل الشام فى ضنك شديد قد غلت عليهم الاسعار وفقد

الوقت والوجه الآخر انه اسم من أسماء الله تعالى ذكره ولا يجوز أن يقال رمضان وانما يقال شهر رمضان وشوال لان الابل كانت تشول فيه ذلك الوقت باذنابها تشاء مت به العرب ولذلك كرهت التزويج فيه ودو القعدة لقعودهم فيه عن الحرب والغارات وذو الحجة لان الحج فيه (والاشهر الحرم) المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة (وأشهر الحج) شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة والايام المعلومات العشر والايام المعدودات أيام التشريق والتعجيل باتفاق غير جائز الا فى اليوم الثالث من يوم النحر يدل ذلك على أن أولها ثانى يوم النحر ولو كان يوم النحر من المعدودات كان يوم التعجيل فى ثلاثة أيام وهذا خلاف القرآن لاخبار الله تعالى أن التعجيل فى يومين من المعدودات واذا كانت المعدودات ما وصفنا صح أن المعلومات مهما والذبح فى يوم النحر ذبح فى المعلومات لكونه منها ولا تمانع بين العرب أن يقول القائل آتيك فى الشهر والاتيان انما كان فى بعضه وجئتك فى اليوم

عندهم اللحم كأنهم فى حصار وهم على ذلك يغادون القتال ويراوحون فلما كان اليوم الذى قتل فيه جبلة بن زحر بن قيس وكانت كتيبته تدعى القراء تحمل عليهم فلا يبرحون وكانوا قد عرفوا بذلك وكان فيهم كميل بن زياد وكان رجلا ركينا فخرجوا ذات يوم كما كانوا يخرجون وعبى الحجاج صفوفه وعبى عبد الرحمن اصحابه وعبى الحجاج لكتيبة القراء ثلاث كتائب وبعث عليها الجراح ابن عبد الله الحكمى فاقبلوا نحوهم فحملوا على القراء ثلاث حملات كل كتيبة تحمل حملة فلم يبرحوا وصبروا

﴿ذكر وفاة المغيرة بن المهلب﴾

وفى هذه مات المغيرة بن المهلب بخراسان وكان قد استخلفه أبوه المهلب على عمله بخراسان فمات فى رجب سنة اثنتين وثمانين فاتى الخبر يزيد بن المهلب وأهل العسكر فلم يخبروا المهلب فامر يزيد النساء فصرخن فقال المهلب ما هذا فقيل مات المغيرة فاسترجع وجزع حتى ظهر جزعه فلامه بعض خاصته ثم دعا يزيد ووجهه الى مرو ووصاه بما يعمل وان دموعه تنحدر على لحيته فكان المهلب مقيما بكش وراء النهر يحارب اهلها فسار يزيد فى ستين فارسا ويقال سبعين فلقيهم خمسمائة من الترك فى مفازة بست فقالوا له أنتم قالوا تجار قالوا فاعطونا شيأ فأبى يزيد فاعطاهم مجاعة بن عبد الرحمن العنكى ثوبا وكرابيس وقوسا فانصرفوا ثم غدروا وعادوا اليهم فقاتلوهم فاشتد القتال ومع يزيد رجل من الخوارج كان قد احذه فقال استبقنى فاستبقاه فحمل الخارجى عليهم حتى يخالطهم وصار من ورائهم وقتل رجلا ثم كر حتى خالطهم وقتل رجلا ورجع الى يزيد وقتل يزيد عظيما من عظمائهم ورمى يزيد فى ساقه فاشتدت شوكتهم وصبر يزيد حتى جازوهم فقالوا قد غدرنا ولا ننصرف حتى تموت أو تموتوا أو نعطونا شيأ فلم يعطهم يزيد شيأ فقال مجاعة اذكرك الله قد هلك المغيرة فانشدك الله ان تهلك فتجتمع على المهلب المصيبة فقال ان المغيرة لم يعد أجله ولست اعدو أجلى فرمى اليهم مجاعة بعمامة صفراء فاخذوها فانصرفوا

﴿ذكر صلح المهلب أهل كش﴾

وفى هذه صالح المهلب أهل كش وكان سبب ذلك انه اتهم قوما من مضر فحبسهم وصالح وقفل وخلف حريث بن قطبة مولى خراعة وقال اذا استوفيت الفدية فرد عليهم الرهن وسار المهلب فلما صار ببلخ كتب الى حريث انى لست آمن ان رددت عليهم الرهن ان يغيروا علىك فاذا قبضت الفدية فلا تحل الرهن حتى تقدم أرض بلخ فقال حريث لملك كش ان المهلب كتب الى كذا وكذا فان عجلت الفدية سلمت اليك الرهن وسرت وأخبرته ان كتابه ورد وقد استوفيتها منكم ورددت عليكم الرهن فعجل ملك كش الفدية واخذ الرهن ورجع حريث فعرض لهم الترك فقالوا له افد نفسك ومن معك فقد لقينا يزيد بن المهلب ففدى نفسه فقال حريث ولدتنى اذا أم يزيد وقاتلهم فقتلهم وأسر منهم اسرى ففدوهم فاطلقهم ورد عليهم الفداء وبلغ المهلب قوله فقال يأنف العبد ان تلده أم يزيد فغضب فلما قدم عليه بلخ قال أين الرهن قال خليتهم قبل وصول كتابك وقد كفيت ما خفت قال كذبت ولكنك تقربت اليهم وامر بتجريده فجزع من ذلك حتى ظن المهلب ان به مرضا فجرده وضربه ثلاثين سوطا فقال حريث ودت نه ضربنى ثلثمائة ولم يجردنى انفة وحياء وحلف ليقتلن المهلب فركب يوما مع المهلب فامر غلامين له ان يضربا المهلب فلم يفعلا وقالا نخاف عليك ان تقتل وترك حريث اتيان المهلب فارسل اليه اخاه ثابت ابن قطبة ليأتيه به وقال له انك كبعض ولدى ادبه كبعضهم فاتى ثابت أخاه وسأله ان يركب الى

والمجىء فى بعض أوقاته ولا يصام يوم النحر ولا يوم الفطر ولا أيام منى لفرض ولا لتطوع لنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك ولم يخص فرضا من تطوع بالنهى فالواجب الامتناع على ما وصفنا (وقد ذكر) عن عقبة بن عامر أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام ثلاثة أيام التشريق وفى جميع ما ذكرنا من المعلومات والمعدودات والصيام فى أيام التشريق خلاف بين الناس وأيام التشريق أولها ثانى النحر وآخرها اليوم الثالث عشر من ذى الحجة (قال المسعودى وقد اختلف الناس فى علة أيام التشريق وهى أيام منى وليالها فقالت طائفة انما سميت أيام التشريق لانهم كانوا يذبحون الذبائح ويشرقون اللحم فى الشمس وقال آخرون انما سميت أيام التشريق لان أهل مكة وغيرهم يتشرقون منصرفين الى أوطانهم وفيه قول آخر وهو أنها انما سميت أيام التشريق لانهم كانوا يخرجون من منى وغيرها كالمزدلفة الى مصليات لهم فى فضاء من

المهلب فلم يفعل وحلف ليقتلنه فقال ثابت ان كان هذا رايك فاخرج بنا الى موسى بن عبد الله ابن حازم وخاف ثابت ان يقتل حريث المهلب فيقتلون جميعا فخرجا في ثلثمائة من اصحابهما المنقطعين اليهما

﴿ذكر وفاة المهلب بن أبي صفرة وولاية ابنه يزيد خراسان﴾

لما صالح المهلب أهل كش رجع يريد مرو فلما كان ببعض الطريق اشتكى بطنه فمات منها وأوصى الى ابنه حبيب فصلى عليه وقال لهم قد استخلف عليكم يزيد فلا تخالفوه فقال له ابنه المفضل لو لم تقدمه لقدمناه واحضر ولده فوصاهم وأحضر سهاما فحزمت فقال اتكسرونها مجتمعة قالوا لا قال افتكسرونها متفرقة قالوا نعم قال فهكذا الجماعة ثم قال أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم فانها تنسئ في الاجل وتثري المال وتكثر العدد وأنهاكم عن القطيعة فانها تعقب النار والقلة والذلة وعليكم بالطاعة والجماعة وليكن فعالكم أفضل من مقالكم واتقوا الجواب وزلة اللسان فان الرجل تزل قدمه فيقعد عثر منها وتزل لسانه فيهلك اعرفوا لمن يغشاكم حقه وكفى بغدو الرجل ورواحه اليكم تذكرة له وآثروا الجود على البخل واحيوا العرف واصنعوا المعروف فان الرجل من العرب تعده العدة فيموت دونك فكيف بالصنيعة عنده عليكم في الحرب بالتؤدة والمكيدة فانها أنفع من الشجاعة واذا كان اللقاء نزل القضاء فان اخذ الرجل بالحزم فظفر قيل أتى الامر من وجهه فظفر فحمد وان لم يظفر قيل ما فرط ولا ضيع ولكن القضاء غالب وعليكم بقراءة القرآن وتعليم السنن وأدب الصالحين واياكم وكثرة الكلام في مجالسكم ثم مات رحمه الله فقال نهار بن توسعة التميمي يرثيه

الا ذهب المعروف والعز والغنى * ومات الندى والجود بعد المهلب
أقام بمرو الرود رهن ضريحه * وقد غاب عنه كل شرق ومغرب
اذا قيل أي الناس أولى بنعمة * على الناس قلنا هو ولم نتهيب

فلما توفي كتب ابنه يزيد الى الحجاج يعلمه بوفاته وأقر يزيد على خراسان

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفي هذه السنة عزل عبد الملك أبان بن عثمان من المدينة في جمادى الآخرة واستعمل عليها هشام بن اسمعيل المخزومي فعزل هشام نوفل بن مساحق عن قضاء المدينة وولى على القضاء عمرو ابن خالد الزرقي وفيها غزا محمد بن مروان أرمينية فهزمهم ثم سألوه الصلح فصالحهم وولى عليهم أباشيخ بن عبد الله فغدروا به فقتلوه وقيل بل قتلوه سنة ثلاث وثمانين وفيها قتل عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي بدجيل وفيها مات أبو الجوزاء أوس بن عبد الله الربعي وعطاء بن عبد الله السليحي العابد (السليحي بفتح السين المهملة وكسر اللام) وفيها مات زاذان وأبو وائل وعمر بن عبيد الله بن معمر التيمي وعمره ستون سنة وفيها مات أبو امامة الباهلي وقيل سنة احدى وتسعين

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين﴾

﴿ذكر بقية الوقعة بدير الجماجم﴾

فلما حملت كتائب الحجاج الثلاث على القراء من أصحاب عبد الرحمن وعليهم جبلة بن زحر نادى جبلة يا عبد الرحمن بن ابي ليلى يا معشر القراء ان الفرار ليس أحد بأقبح به منكم اني سمعت علي بن أبي طالب رفع الله درجته في الصالحين وآتاه ثواب الصادقين والشهداء يقول يوم لقينا أهل الشام أيها المؤمنون انه من رأى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى اليه فانكره بقلبه فقد سلم وبرئ ومن

الارض فيسمونها المشارق واحدها مشراق يسجدون ويدعون فسميت بذلك أيام التشريق وفيه قول آخر وهو أن طائفة زعمت أنه مأخوذ من ذبح البهائم وهو التشريق وقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الضحية بالمشرقة يعني المشقوقة الاذنين بالطول فهي أيام التشريق وللناس في التشريق من أهل الآراء والنحل كلام كثير لا يحتمله كتابنا هذا وانما ذكرنا ما أوردناه لتغلغل الكلام بنا اليه واتصاله بما قدمناه وان كان كلام ما يلحق بالفقه (والايام النحسات) كل أربعاء يوافق أربعا من الشهر مثل أربع خلون وأربع وعشرين وأربع بقين (وأما أسماء الايام) فأولها الاحد وانما سمي بذلك لانه أول يوم خلقه الله من الزمان وبذلك نطقت التوراة وقد قدمنا في صدر هذا الكتاب ما في الايام من بدء الخلق والاثنين وسمي لانه ثان والثلاثاء وسمي لانه ثالث والاربعاء لانه رابع والخميس لانه خامس والجمعة لان الخلق اجتمعوا فيه والسبت لان الخلق انقطع فيه ولم يخلق وهو مأخوذ من

أنكره بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي أصاب سبيل الهدى ونور قلبه باليقين فقاتلوا هؤلاء المحلين المحدثين المبتدعين الذين جهلوا الحق فلا يعرفونه وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه وقال أبو البختري أيها الناس قاتلوهم على دينكم ودنياكم فقال الشعبي أيها الناس قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم والله ما أعلم على بسيط الارض أعمل بظلم ولا أجور في حكم منهم وقال سعيد بن جبير نحو ذلك وقال جبلة احملوا عليهم حملة صادقة ولا ترددوا وجوهكم عنهم حتى تواقعوا صفهم فحملوا عليهم حملة صادقة فضربوا الكتائب حتى أزالوها وفرقوها وتقدموا حتى واقعوا صفهم فزالوه عن مكانه ثم رجعوا فوجدوا جبلة بن زحر قتيلا لا يدرون كيف قتل وكان سبب قتله ان أصحابه لما حملوا على أهل الشام وفرقوهم وقف لاصحابه ليرجعوا اليه فافترقت فرقة من أهل الشام فوقعت ناحية فلما رأوا أصحاب جبلة قد تقدموا قال بعضهم لبعض هذا جبلة احملوا عليه ما دام أصحابه مشاغيل بالقتال فحملوا عليه فلم يول لكنه حمل عليهم فقتلوه وكان لدى قتله الوليد بن نحيت الكلبي وجعل يرمي رأسه الى الحجاج فبشر أصحابه بذلك فلما رجع أصحاب جبلة ورأوه قتيلا سقط في أيديهم وتماسكوا بينهم فقال لهم أبو البختري لا يظهرن عليكم قتل جبلة انما كان كرجل منكم أتى وحده فلم يكن ليتقدم ولا يتأخر وظهر الفشل في القراء وباداهم أهل الشام يا أعداء الله قد هلكتم وقد قتل طاغيتكم قدم عليهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني فرحبوا به وقالوا تقدم مقام جبلة وكان قدومه من الري فلما أتى عبد الرحمن جعله على ربيعة وكان شجاعا فقاتل يوما فدخل عسكر الحجاج فاخذ أصحابه ثلاثين امرأة فاطلقهن فقال الحجاج معوا نساءهم لو لم يردوهن لسبيت نساءهم اذا ظهرت عليهم وخرج عبد الرحمن بن عوف الراسبي أبو حميد دعا الى المبارزة فخرج اليه رجل من أهل الشام فتضاربا فقال كل واحد منهما انا العلام الكلبي فقال كل واحد منهما لصاحبه من أنت واداهما ابا عم فتصاجرا وخرج عبد الله بن رزام الحارثي فطلب المبارزة فخرج اليه رجل من عسكر الحجاج فقتله ثم فعل ذلك ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع خرج فقالوا جاء الله به فطلب المبارزة فقال الحجاج للجراح اخرج اليه فخرج اليه فقال له عبد الله وكان له صديقا ويحك يا جراح ما أخرجك قال ابتليت بك قال فهل لك في خير قال الجراح ما هو قال عبد الله أهبرم لك وترجع الى الحجاج وقد أحسنت عنده وحمدك وأما ان فاحتمل دمه الناس في انهزامي حسبما السلامتك فاني لا أحب قتل مالك من قومي قال افعل فحمل الجراح على عبد الله فاستطرد له عبد الله وحمل عليه الجراح بحديد يريد قتله فصاح لعبد الله غلامه وكان بناحية معه ماء ليشربه وقال له يا سيدي ان الرجل يريد قتلك فعطف عبد الله على الجراح فضربه بعمود على رأسه فصرعه وقال له يا جراح بئسما جريتني اردت بك العافية وأردت قتلي اطلق فقد تركتك للقرابة والعشيرة وكان سعيد بن جبير وأبو البختري الطائي يحملان على أهل الشام بعد قتل جبلة بن زحر حتى يحالطوهم وكانت مدة الحرب مائة يوم وثلاثة أيام لانه كان نزولهم بالجماجم لثلاثة مضت من ربيع الاول وكانت الهريمة لاربع عشرة مضين من جمادى الآخرة فلما كان يوم الهريمة اقتتلوا أشد قتال واستظهر أصحاب عبد الرحمن على أصحاب الحجاج واستعلوا عليهم وهم آمنون ان يهزموا فبيناهم كذلك اذ حمل سفيان بن الابرد وهو في ميمنة الحجاج على لاحق بن قرة التميمي وهو على ميسرة عبد الرحمن فانهزم الابرد بن قره من غير قتال يذكر فظن الناس انه قد كان صولح على ان يتهم بالناس فلما انهزم تقوصت الصفوف من نحوه وركب

الناس

قولهم نعل سبتية اذا كانت مقطوعة الشعر ويقال سبت شعره اذا قطعه وكانت العرب تسميها في الجاهلية الاحد أول والاثنين أهون والثلاثاء جبار والاربعاء دبار والخميس مؤنس والجمعة عروبة والسبت شيار قال شاعرهم

أؤمل أن أعيش وأن يومي
بأول أو بأهون أو جبار
أو المرديد دبار فأتبه
مؤنس أو عروبة أو شيار

وكانوا يسمون الشهور المحرم ناجق وصفر ناجل ثم طليق ناجم ثماح امح احلك كسع راهر بط حرف مس وهو ذو الحجة (وقد اختلفت العرب) في أسماء الازمنة فزعمت طائفة منها أن أولها الوسمي وهو الخريف ثم الشتاء ثم الصيف ثم القيظ ومنهم من يعد الاول من فصول السنة الربيع وهو الاشهر والاعم والعرب تقول خرفنا في بلد كذا وشتونا في بلد كذا وربعنا في بلد كذا وصيفنا في بلد كذا (وشهور العرب) ليست مرتبة على فصول السنة بل المحرم وغيره من الشهور العربية قد يقع تارة في الربيع

الناس بعضهم بعضا وصعد عبد الرحمن المنبر ينادي الناس الى عباد الله فاجتمع اليه جماعة فثبت حتى دنا منه أهل الشام فقاتل من معه ودخل أهل الشام العسكر فاتاه عبد الله بن يزيد بن المفضل الازدي فقال له انزل فاني أخاف عليك ان تؤسر ولعلك ان انصرفت ان تجمع لهم جمعا يهلكهم الله به فنزل هو ومن معه لا يلوون على شئ ثم رجع الحجاج الى الكوفة وعاد محمد بن مروان الى الموصل وعبد الله بن عبد الملك الى الشام واخذا لحجاج يبايع الناس وكان لا يبايع احدا الا قال له اشهد انك كفرت فان قال نعم بايعه والا قتله فاتاه رجل من حشم كان معبرا للناس جميعا فسأله عن حاله فاخبره باعتراله فقال له أنت متربص أتشهد انك كافر قال بئس الرجل انا اعبد الله ثمانين سنة ثم أشهد على نفسي بالكفر قال اذا أقتلك قال وان قتلتني فقتله ولم يبق أحد من أهل الشام والعراق الا رحمه ثم دعا بكميل بن زياد فقال له أنت المقتص من أمير المؤمنين عثمان قد كنت أحب الي من ان أجد عليك سبيلا قال على أيّنا انت أشد غضبا عليه حين اقادمن نفسه أم علي حين عفوت عنه ثم قال أيها الرجل من ثقيف لا تصرف على بناتك ولا تكثر علي كالذئب والله ما بقي من عمري الا ظمء الحمار اقض ما أنت قاض فان الموعد الله وبعد القتل الحساب قال الحجاج فان الحجة عليك قال ذلك اذا كان القصاص اليك فامر به فقتل وكان خصيصا بأمير المؤمنين وأتى بآخر من عنده فقال له الحجاج أرى رجلا ما أظنه يشهد على نفسه بالكفر فقال له الرجل اتخادعني عن نفسي انا أكفر أهل الارض وأكفر من فرعون فضحك منه وخلى سبيله وأقام بالكوفة شهرا وأرل أهل الشام بيوت أهل الكوفة أنزلهم الحجاج فيها مع أهلها وهو أول من أرل الجند في بيوت غيرهم وهو الى الآن لا سيما في بلاد العجم ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة

﴿ذكر الوقعة بسكر﴾

ولما انهزم عبد الرحمن الى البصرة واجتمع اليه من المنهزمين جمع كثير وكان فيهم عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة بن جندب بن عبد شمس القرشي وكان بالمدائن محمد بن سعد بن ابي وقاص فسار اليه الحجاج فلحق ابن سعد بعبد الرحمن وسار عبد الرحمن نحو الحجاج ومعه جمع كثير فيهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني وقد بايعه خلق كثير على الموت فاجتمعوا بسكر وحمل عبد الرحمن على اصحابه وجعل القتال من وجه واحد وقدم عليه حالد بن حرير بن عبد الله من خراسان في ناس من بعث الكوفة فاقتتلوا خمسة عشر يوما من شعبان أشد قتال وقتل زياد بن غنم الضبي وكان على مسالح الحجاج فهده ذلك وهد أصحابه وبات الحجاج يحرص اصحابه ولما اصبحوا باكروا القتال فاقتتلوا أشد قتال كان بينهم فانكشفت خيل سفيان بن الابرد فامر الحجاج عبد الملك بن المهلب فحمل على أصحاب عبد الرحمن وحمل اصحاب الحجاج من كل جانب فانهزم عبد الرحمن واصحابه وقتل عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه وأبو البختري الطائي ومشى بسطام بن مصقلة بن هبيرة في أربعة آلاف فارس من شجعان أهل الكوفة والبصرة فكسروا جفون سيوفهم وحث أصحابه على القتال فحملوا على اهل الشام فكشفوهم مرارا فدعا الحجاج الرماة فرموهم واحاط بهم الناس فقتلوا الا قليلا ومضى ابن الاشعث نحو سجستان وقد قيل في هزيمة عبد الرحمن بسكر غير هذا والذي قيل انه اجتمع هو والحجاج بسكر وكان عسكر ابن الاشعث والحجاج بين دجلة والسيب والكرخ فاقتتلوا اشهرا ودونه فاتى شيخ فدل الحجاج على طريق من وراء الكرخ في أجمة وضحضاح من الماء فارسل معه أربعة آلاف وقال لقائدهم ان صدق فاعطه ألف درهم

وتارة في غيره من فصول السنة (وشهور الروم) مرسومة على ما يوافق فصول السنة التي تقطع فيها الشمس بروج الفلك عن آخرها ومقادير أيام كل شهر منها وليالية في الطول والقصر وظهور ما يظهر فيه من النجوم الثابتة للابصار واستتار ما يستتر منها على ممر الدهور والسنين وهي اثنا عشر شهرا على حسب ما ذكرنا أن أولها تشرين الى ايلول فلكل فصل من السنة أربعة شهور معلومة من هذه الاثني عشر شهرا غير حائلة ولا منتقلة لانتقال الشهور العربية ولكل برج منها شهر فايلول وتشرين وتشرين لسلطان السوداء وكانون وكانون وشباط لسلطان البلغم واذار ونيسان وايار لسلطان الدم وحزيران وتموز وآب لسلطان الصفراء فايلول لبرج السنبلة وتشرين الاول لبرج الميزان وتشرين الآخر لبرج العقرب وكانون الاول برجه القوس وكانون الآخر برجه الجدي وشباط برجه الدلو واذار برجه الحوت ونيسان برجه الحمل وايار برجه الثور وحزيران برجه الجوزاء وتموز برجه السرطان وآب برجه الاسد

فان كذب فاقتله فسارهم ثم ان الحجاج قابل اصحاب عبد الرحمن فانهزم الحجاج فعبر السيب ورجع ابن الاشعث الى عسكره آمنا وذهب عسكر الحجاج فامنوا وألقوا السلاح فلم يشعروا صف الليل الا والسيف يأخذهم من تلك السرية ففرق من أصحاب عبد الرحمن أكثر ممن قتل ورجع الحجاج في عسكره الى الصوت فقتل الرامي وحدوا وكان عدة من قتل اربعة آلاف منهم عبد الله بن شداد بن الهاد وبسطام بن مصقلة وعمرو بن صبيحة الرقاشي وبشر بن المنذر بن الجارود وغيرهم

﴿ ذكر مسير عبد الرحمن الى رتبيل وما جرى له ولاصحابه ﴾

ولما انهزم عبد الرحمن من مسكن سار الى سجستان فاتبعه الحجاج ابنه محمدا وعمارة بن تميم اللخمي وعمارة على الجيش فادركه عمارة بالسوس وقاتله ساعة فانهزم عبد الرحمن ومن معه وساروا حتى أتوا ساور واجتمع اليه الاكراد فقاتلهم عماره قتالا شديدا على العقبة فجرح عمارة وكثير من أصحابه وانهزم عمارة وترك لهم العقبة وسار عبد الرحمن حتى أتى كرمان وعمارة يتبع اثرهم فدخل بعض أهل الشام قصرا في معاره كرمان فاذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل الكوفة من شعر ابن حلزة اليشكري وهي طويلة

أيها الهم ويا حزنا جميعا * ويا حر الفؤاد لما الينا
تركنا الدين والدنيا جميعا * واسلمنا الحلائل والبنينا
فما كنا بناس أهل دين * فنصبر في الملاء اذا ابتلينا
وما كنا بناس أهل دنيا * فمنعها ولو لم نرج دينا
تركنا دورنا بالطعام عنا * واماط القرى والاشعريينا

فلما وصل عبد الرحمن كرمان أتاه عامله وفد هيا له نزلا فنزل ثم رحل الى سجستان وأتى زرنج وفيها عامله فاتاه باهلها ومتاعه وفد هيا له نزلا فنزل ثم رحل الى سجستان وأتى زرنج وفيها عامله فاتاه باهلها ومتاعه وصنع عبد الرحمن من دخولها فاقام عليها اياما ليصحها ولم يصل اليها فسار الى رتبيل وكان قد استعمل عليها عياض بن هميان بن هشام السدوسي الشيباني فاستقبله وانزله فلما فعل أصحابه قبض عليه عياض وأوثقه وأراد ان يأمر به عبد الحجاج وقد كان رتبيل ملك الترك سمع بقدوم عبد الرحمن فسار اليه ليستقبله فلما قبضه عياض بن رتبيل على بعث به الى عياض يقول والله لئن آذيته بما يقذى عينه او ضررته بمعض الضرر لأوجعن منه ولوجهلامن شعر لا أبرح حتى استدلك واقتلك وجميع من معك واسبي دراريكم واغنم أموالكم فاستأمنه عياض فاطلق عبد الرحمن فاراد قتل عياض فمنعه رتبيل ثم سار عبد الرحمن مع رتبيل الى بلاده فانزله واكرمه وعظمه وكان ناس كثير من المنهزمين من اصحاب عبد الرحمن من الرؤس والقادة الذين لم يقبلوا امان الحجاج ونصبوا له العداوة في كل موطن قد تبعوا عبد الرحمن فبلغوا سجستان في نحو ستين ألفا ونزلوا على زرنج يحاصرون من بها وكتبوا الى عبد الرحمن يستدعونه ويخبرونه انهم على قصد خراسان ليقووا بمن بها من عشائرهم فاتاهم وكان يصلي بهم عبد الرحمن ابن العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب الى ان قدم عبد الرحمن فلما أتتهم كتبهم عبد الرحمن سار اليهم ففتحوا زرنج وسار نحوهم عمارة بن تميم في أهل الشام فقال لعبد الرحمن اصحابه اخرج بنا عن سجستان الى خراسان فقال ان بها يزيد بن المهلب وهو رجل شجاع ولا يترك لكم سلطانه ولو دخلناها اقتتلنا وتبعنا أهل الشام فيجتمع علينا أهل خراسان وأهل الشام فقالوا لو دخلنا خراسان لكان من يتبعنا أكثر ممن يقاتلنا فسار معهم حتى بلغوا هراة فهرب من

(قال المسعودي) وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من الكلام في الطبائع وفصول السنة وما يلائم ذلك من المآكل والمشارب وغير ذلك مما يلحق بهذا الباب ان شاء الله تعالى والله ولي التوفيق

﴿ ذكر قول العرب في ايالي الشهور القمرية وغيرها ﴾

كانت العرب تخبر عن القمر في كل ليلة على حسب ما هو به من الصيام وغيره على طريق المسئلة والجواب فتقول قيل للقمر ما أنت ابن ليلة قال رضاع ثم ليلة حل أهلوا بر ليلة قيل فما أنت لليتين قال حديث مشيق دوأول وثوى قيل فما أنت لثلاث قال حديث فتيات يختمر من شتات وتيل قليل الثبات قيل فما أنت لاربع قال عمة رتع غير جائع ولا مرضع قيل ما أنت لخمس قال حديث واس قيل فما أنت لست قال سرو بت قيل فما أنت لسبع قال نصف في السبع وقيل حلحة اضبع قيل فما أنت لثمان قال فترا صحان وقيل رغيف اقتسمه أخوان قيل فما أنت لتسع قال بلقط الجرع قيل فما أنت لعشر قال محسب العجز قيل فما أنت لاحدى

أصحابه عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة القرشي في ألفين فقال لهم عبد الرحمن ان كنت في مأمن ومجاهتني كتبكم ان أقبل فان امرنا واحد فلعلنا نقاتل عدونا وأتيتكم فرأيت ان أمضي الى خراسان وزعمتم انكم تجتمعون الي وانكم لا تتفرقون وهذا عبيد الله قد صنع ما رأيتم فاصنعوا ما بدا لكم اما أنا فانصرف الى صاحبي الذي أتيت من عنده فتفرق منهم طائفة وبقي معه طائفة وبقي أعظم العسكر مع عبد الرحمن بن العباس فبايعوه ومضى عبد الرحمن بن الاشعث الى رتبيل وسار عبد الرحمن بن العباس الى هراة فافتوا بها الرقاد الازدي فقتلوه فسار اليهم يزيد بن المهلب وقبل ان عبد الرحمن بن الاشعث لما انهزم من مسكن أتى عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة هراة وأتى عبد الرحمن بن العباس سجستان فاجتمع قل ابن الاشعث فسار الى خراسان في عشرين ألفا فنزل هراة ولقوا الرقاد فقتلوه فارسل اليه يزيد بن المهلب قد كان لك في البلاد ممتنع من هو أهون مني شوكة فارتحل الى بلد ليس فيه سلطان فاني أكره قتالك وان أردت مالا أرسلت اليك فاعاد الجواب انا ما نزلنا لمحاربة ولا لمقام ولكنا أردنا ان نريح ثم نرحل عنك وليست بنا الى المال حاجة وأقبل عبد الرحمن بن العباس على الحباية وبلغ ذلك يزيد فقال من أراد ان يريح نفسه ثم يرتحل لم يجب الخراج فسار يزيد نحوه وأعاد من أسلمته انك قد أرحت وسمنت وجبيت الخراج فلك ما جبيت وزيادة فاخرج عني فاني أكره قتالك فأبى الا القتال وكاتب جند يزيد يستميلهم ويدعوهم الى نفسه ولم يرد فقال رجل الامر عن العتاب ثم تتقدم اليه فقاتله فلم يكن بينهم كثير قتال حتى تفرق أصحاب عبد الرحمن عنه وصبر وصبرت معه طائفة ثم انهزموا وأمر يزيد أصحابه بالكف عن اتباعهم وأخذوا ما كان في عسكرهم وأسروا منهم أسرى وكان منهم محمد بن سعد بن أبي وقاص وعمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر وعباس بن الاسود بن عوف الزهري والهلقام بن نعيم بن الضعقاع بن معبد بن زرارة وفيروز بن حصين وأبو الخطار مولى عبيد الله بن معمر وسوار بن مروان وعبد الرحمن بن طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي وعبد الله بن فضالة الزهراني الازدي ولحق عبد الرحمن بن العباس بالسند وأتى ابن سمرة مرو وانصرف يزيد الى مرو وبعث الاسرى الى الحجاج مع سبرة وحدة فلما أراد تسييرهم قال له أخوه حبيب بأي وجه تنظر الى اليمانية وقد بعثت عبد الرحمن بن طلحة فقال يريد انه الحجاج ولا يتعرض له قال وطن نفسك على العزل ولا ترسل به قال فان له عندنا يدا قال وما هي قال ألزم المهلب في مسجد الجماعة بمائة ألف فاداها طلحة عنه فاطلقه يزيد ولم يرسل يريد أيضا عبد الله بن فضالة لانه من الازد وارسل الباقين فلما قدموا على الحجاج قال لحاجبه اذا دعوتك بسيدهم فاتني بفيروز وكان بواسط قبل ان تبنى مدينة فقال لحاجبه ائتني بسيدهم فقال لفيروز ورتم هشام فاحصره عنده فقال له الحجاج أبا عثمان ما أخرجك مع هؤلاء فوالله ما لحمك من لحومهم ولا دمك من دمائهم قال فتنة عمت الناس قال اكتب الى أموالك قال اكتب يا غلام ألف ألف وألفي ألف فذكر مالا كثيرا فقال الحجاج أين هذه الاموال فال عندي قال قادها قال وأنا آمن على دمي قال والله لتؤدينها ثم لاقتلنك قال والله لا يجمع بين دمي ومالي فامر به فحبي ثم أحضر محمد بن سعد بن أبي وقاص فقال له ياطل الشيطان أعظم الناس تيها وكبرا تأبى بيعة يزيد ابن معاوية وتتشبه بالحسين وبابن عمر ثم صرت مؤذنا وجعل يضرب رأسه بعود في يده حتى أدماه ثم أمر به فقتل ثم دعا بعمر بن موسى فقال يا عبد المرأة يقوم بالعود على رأس ابن الحائك يعني ابن الاشعث ونشرب معه في الحمام فقال أصلح الله الامير كانت فتنة شملت البر والفاجر فدخلنا فيها فقد أمكنك الله منا فان عفوت فبحلمك وبفضلك وان عاقبت فبظلمك مذنبين فقال الحجاج اما

عشرة قال أرى مساء وأرى بكرة قيل فما أنت لاثنى عشر قال موفق للسير في البدو والحضر قيل فما أنت لثلاث عشرة قال قرباهر يعشي عين الناظر قيل فما أنت لاربع عشرة قال مقتبل الشباب أضاء بين السحاب قيل فما أنت لخمس عشرة قال تم التمام ونفدت الايام قيل فما أنت لست عشرة قال ناقص الخلق في الغرب والشرق قيل فما أنت لسبع عشرة قال يكن الصغير للكبير قيل فما أنت لثمان عشرة قال قليل البقاء سريع الفناء قيل فما أنت لتسع عشرة قال بطيء الطلوع من الخشوع قيل فما أنت لعشرين قال أطلع سحرة وأرى بكرة قيل فما أنت لاحدى وعشرين قال لا أطير السرى الا ريثما أرى قيل فما أنت لاثنتين وعشرين قال منع خطب وليت حرب قبل فما أنت لثلاث وعشرين قال كالقيس أطلع في الغلس قيل فما أنت لاربع وعشرين قال أطلع في قسمة ولا أجلى ظلمة قيل فما أنت لخمس وعشرين قال اني في تلك الليال لاقر ولا هو لل قيل فما أنت لست وعشرين قال دنا الاجل وانقطع الامل قيل فما

انها شمت البرق فكذبت ولكنها شملت الفاجر وعوفي منها الابرار واما اعتراك فعسى أن ينفعك ورجاله الناس السلامة ثم أمر به فقتل ثم عاد بالهلقام بن نعيم فقال أحببت ان ابن الاشعث طلب ما طلب ما الذي أملت أنت معه قال املت ان يملك فيوليني كما ولاك عبد الملك فامر به فقتل ثم قتل عبد الله بن عامر فلما أتاه قال له الحجاج لا رأت عينك الجنة ان أملت فقال جزى الله ابن المهلب خيرا بما صنع قال وما صنع قال

لانه كاس في اطلاق اسرته * وقاد نحوك في أغلالها مضرا
وفي بقومك ورد الموت اسرته * وكان قومك ادنى عنده خطرا

فاطرق الحجاج ووقرت في قلبه وقال وما أنت وذاك وأمر به فقتل ولم تزل كلمته في نفس الحجاج حتى عزل يزيد عن خراسان وحبسه ثم أمر بفيروز فعذب وكان يشد عليه القصب الفارسي المشقوق ويجر عليه حتى يجرح به ثم يصب عليه الخل فلما أحس بالموت قال لصاحب العذاب ان الناس لا يشكون ان قد قتلت ولي ودائع وأموال عند الناس لا تؤدى اليكم أبدا فاطهرني للناس ليعلموا أني حي فيؤدوا المال فاعلم الحجاج فقال اطهره فاخرج الى باب المدينة فصاح في الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا فيروز بن حصين ان لي عند اقوام مالا فمن كان لي عنده شيء فهو له وهو منه في حل فلا يؤد أحد منهم درهما ليبلغ الشاهد الغائب فامر به الحجاج فقتل وأمر بقتل عمير بن أبي قرة الكندي وكان شريفا واحضر أعشى همدان فقال أيه عدو الله أنشدني قولك بين الاشج وبني قيس قال بل انشدك ما قلت لك قال بل انشدني هذه فانشده

* أبى الله الا ان يتم نوره * ويطفئ نار الفاسقين فتخمدا
ويظهر أهل الحق في كل موطن * ويعدل وقع السيف من كان أصيدا
وينزل ذلا بالعراق وأهله * كما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا
وما أحدثوا من بدعة وعظيمة * من القول لم يصعد الى الله مصعدا
ومانكثوا من بيعة بعد بيعة * اذا ضموها اليوم خاسوا بها غدا
وجيبا حشاه ربهم في قلوبهم * فما يقربون الناس الا تهددا
فلا صدق في قول ولا صبر عندهم * ولكن خسرا فيهم وبؤسا
فكيف رأيت الله فرق جمعهم * ومزقهم عرض البلاد وشردا
وقتلاهم قتلى ضلال وفتنة * وجيشهم أمسى ذليلا مطردا
ولما رحفنا لابن يوسف غدوة * وأبرق منه العارضان وأرعدا
قطعنا اليه الخندقين واغما * قطعنا وأفضينا الى الموت مرصدا
فكافحنا الحجاج دون صفوفنا * كفاحا ولم يضرب لذلك موعدا
نصف كأن الموت في حجزاتهم * اذا ما تجلى بيضه ونوقدا
دلفنا اليه في صفوف كأنها * جبال شرورى أو نعاف فصمدا
فما لبث الحجاج ان سل سيفه * علينا فولى جمعنا وتبددا
وما زاحف الحجاج الا رأيته * معانا وملقى للفتوح معودا
وان ابن عباس لفي مرحنة * أشبهها قطعا من الليل أسودا
فشمر عوارا محيا ولاحرد واطئا * ألا انما لاقى الحيا محمردا

وكبرت

أنت لسبع وعشرين قال دنا مادنا فليس في من سما قيل فما أنت لثمان وعشرين قال أطلع بكرا ولا أرى ظهرا قيل فما أنت لتسع وعشرين قال أسبق شعاع الشمس ولا أطيل الجلس قيل فما أنت لثلاثين قال مستقبل سريع الافل (وكانت العرب) تسمي الثلاثة الاولى من ليالي الشهر فتقول ثلاث غرر والثلاث التي تليها ثلاث سمر والثلاث التي تليها ثلاث زهر والثلاث التي تليها ثلاث درر والثلاث التي تليها ثلاث فدر وثلاث بيض وتقول في النصف الثاني من الشهر في الثلاث الاول درع وفي الثلاث التي تليها طلم وفي الثلاث التي تليها ثلاث حنادس وفي الثلاث التي تليها ثلاث دواري وفي الثلاث التي تليها ثلاث محاق وقيل في وجه آخر من الروايات انه يقال لليالي الشهر ثلاث هلال وثلاث قمر وست نقل وثلاث درع وثلاث بهم وست حنادس وليلتان داريتان وليلة محاق (قال المسعودي) واما مذهب العرب في تسمية القمر فانها تسميه في ليلة طلوعه هلالا وما استدار وهو هلال ثم تسميه قمرا اذا استدار

وكرت علينا خيل سفيان كرة * بقرسانها والشمري مقصدا
وسفيان يهديها كان لواءها * من الطعن سدت بالصبغ مجسدا
كهول ومرد من قضاعة حوله * مساعيد ابطال اذا النكس عردا
اذا قال شدوا شدة حملوا معا * فانهن فرضان الرماح وأوردا
جنود أمير المؤمنين وخيله * وسلطانه أمسى عزيزا موبدا
ليهن أمير المؤمنين ظهوره * على أمة كانوا سعاة وحسدا
تروا يشتكون البغي من أمرائهم * وكانوا هم أبغى البغاة وأعندا
وجدنا بني مروان خير أئمة * فافضل هذا الناس حلما وسوددا
وخير قريش في قريش أرومة * وأكرمهم الا النبي محمدا
* اذا ما تدبرنا عواقب أمره * وجدنا أمير المؤمنين مسددا
سيغلب قوما حاربوا الله جهرة * وان كايدوه كان أقوى وأكبدا
كذلك يضل الله من كان قلبه * مريضا ومن والى النفاق وحشدا
وقد تركوا الاهلين والمال خلفهم * وبيضا عليهن الجلابيب جردا
بنادبهم مستعبرات اليهم * ويذرين دمعا في الخدود واثمدا
أنكثا وعصيانا وغدرا وذلة * أهان الاله من أهان وأبعدا
لقد شأم المصرين فرخ محمد * بحق وما لاقى من الطير أسعدا
كما شأم الله البحير وأهله * بجدله قد كان أشقى وأنجدا

فقال أهل الشام أحسن أصلح الله الامير فقال الحجاج لا لم يحسن انكم لا تدرون ما أراد بها ثم قال ياعدو الله والله لا نحمدك انما قلت يا اسوأ ان لا يكون ظهر وظفر وتحريضا لاصحابك علينا وليس عن هذا سألناك انشدنا قولك بين الاشج وبين قيس باذخ فانشده فلما قال بخ بخ أي للوالدة وللمولود قال الحجاج والله لا تبخ بعدها أبدا فضربت عنقه (قوله) في هذه الابيات ابن عباس هو عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وقد تقدم ذكره وقوله سفيان هو ابن الابرد الكلبي من قواد العساكر الشامية وقوله فرخ محمد هو عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وقوله الاشج هو محمد بن الاشعث وقوله بين قيس هو معقل بن قيس الرياحي وهو جد عبد الرحمن بن محمد لامه وقوله كما شأم الله البحير وأهله بجدله يعني لما ارتد الاشعث بن قيس جد عبد الرحمن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وتبعه كنده فلما حاربهم المسلمون وحصروهم بالبحير أخذوهم وقتلوهم وقد تقدم ذكر ذلك في قتال أهل الردة قيل وأتى الحجاج باسيرين فامر بقتلهما فقال أحدهما ان لي عندك يدا قال وما هي قال ذكر عبد الرحمن يوما أمك بسوء فنهيته قال ومن يعلم ذلك قال هذا الاسير الآخر فسأله الحجاج فصدقه فقال له الحجاج فلم لم تفعل كما فعل قال ويشفعني الصدق عندك قال نعم قال منعني البغض لك ولقومك قال خلوا عن هذا لفعله وعن هذا لصدقه قيل جاء رجل من الانصار الى عمر بن عبد العزيز فقال أنا فلان بن فلان قتل جدي يوم بدر وقتل جدي فلان يوم أحد وجعل يذكر مناقب سلفه فنظر عمر الى عنبسة بن سعيد بن العاص فقال هذه المناقب والله لا يوم مسكن ويوم الجاجم ويوم راهط وأنشد

تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

واذا ما حجر وأضاء فهو قمر
قال شعارهم
وقمر يدا ابن خمس وعشرين له قالت الفتاتان قوما ثم يستوي لثلاث عشرة منه وهي ليلة السواء ثم ليلة البدر لاربع عشرة ويقال غلام بدر اذا امتلأ شبابا قبل أن يحتلم ويقال عين حذرة قمرة اذا كانت حديدة كعين الفرس والليالي البيض ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة والليالي الدرع هي التي تسود صدورها وتبيض سائرها والمحاق اذا ما طلعت عليه الشمس والسواد حين يستتر فيكون قد خالف الشمس ويقال قد حجر القمر اذا استدار بخط رقيق من غير أن يغلظ ويقال أفتق اذا أصابته فرجة من السحاب فخرج وأفتق علينا فابصرنا الطريق وكل سواد من الليل حندس والليالي الزهر الليالي البيض والله الموفق للصواب

﴿ذكر القول في تأثير النيرين في هذا العالم وجمل مما قيل في ذلك وغير ذلك مما الحق بهذا الباب﴾

ذهب الحكماء جميعا من اليونانيين وغيرهم الى أن أفعال القمر في الجواهر التي قلنا عظيم الا أنها أقل

﴿ ذكر ما جرى للشعبي مع الحجاج ﴾

لما انهزم أصحاب عبد الرحمن بالجماجم نادى منادي الحجاج من لحق بقتيبة بن مسلم فهو آمن وكان قد ولاه الري وسار اليه فلحق به ناس كثير وكان منهم الشعبي فذكره الحجاج يوما فسأل عنه فقال له يزيد بن أبي مسلم انه لحق بقتيبة بالري فكتب الحجاج الى قتيبة يأمره بارسال الشعبي فارسله قال الشعبي فلما قدمت على الحجاج لقيت ابن أبي مسلم وكان صديقا لي فاستشرته فقال اعتذر مهما استطعت وأشار بمثل ذلك اخواني ونصحائي فلما دخلت على الحجاج رأيت غير ما ذكر والى فسلمت عليه بالامرة وقلت أيم الامير ان الناس قد أمروني ان اعتذر بغير ما يعلم الله انه الحق وايم الله لا أقول في هذا المقام الا الحق قد والله مردنا عليك وحرضنا وجهدنا فما كنا بالاقوياء الفجرة ولا بالاتقياء البررة ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا فان سطوت فبذنوبنا وما جرت اليه أيدينا وان عفوت عنا فبحلمك وبعدك فالحجة لك علينا فقال الحجاج أنت والله أحب الي فولا ممن يدخل علينا بقطر سيفه من دمائنا ثم يقول ما فعلت ولا شهدت وقد أمنت يا شعبي كيف وجدت الناس بعدنا فقلت أصلح الله الامير اكتحلت بعدك السهر واستوعرت الجناب واستحلت الخوف وفقدت صالح الاخوان ولم أجد من الامير خلفا قال انصرف يا شعبي فانصرفت

﴿ ذكر خلع عمر بن أبي الصلت بالري وما كان منه ﴾

لما ظفر الحجاج بابن الاشعث لحق خلق كثير من المنهزمين بعمر بن أبي الصلت وكان قد غلب على الري في تلك الفتنة فلما اجتمعوا بالري أرادوا أن يحظوا عند الحجاج بأمر يعتذرون عن أنفسهم عثرة الجماجم فاشاروا على عمر بخلع الحجاج وقتيبة فامتنع فوضعوا عليه أباه أبا الصلت وكان به بارا فاشار عليه بذلك وألزمه به وقال له يا بني اذا سار هؤلاء تحت لوائك لا أبالي ان نقتل غدا ففعل فلما قارب قتيبة الري بلغه الخبر فاستعد لقتاله فالتقوا واقتتلوا فغدر أصحاب عمر به وأكثرهم من تميم فانهزم ولحق بطبرستان فآواه الاصبهبذ وأكرمه وأحسن اليه فقال عمر لابيه انك أمرتني بخلع الحجاج وقتيبة فاطعتك وكان خلاف رأيي فلم أحمد رأيك وقد رأينا بهذا العلج الاصبهبذ فدعني حتى أثب عليه فاقتله واجلس على مملكته فقد علمت الاعاجم أني أشرف منه فقال أبوه ما كنت لافعل هذا الرجل آوانا ونحن خائفون وأكرمنا وأنزلنا فقال عمر أنت أعلم وستري ودخل قتيبة الري وكتب الى الحجاج بخبر عمر وانهزامه الى طبرستان وكتب الحجاج الى أصبهبذ أن ابعث بهما أو برؤسهما والا فقد برئت منك الذمة فصنع لهم الاصبهبذ طعاما واحضرهما فقتل عمرو بعث أباه أسيرا وقيل بل قتلهما وبعث برؤسهما

﴿ ذكر بناء مدينة واسط ﴾

وفي هذه السنة بنى الحجاج واسطا وكان سبب ذلك ان الحجاج ضرب البعث على أهل الكوفة الى خراسان وعسكر بحمام عمر وكان فتى من أهل الكوفة حديث عهد بعرس فانصرف من العسكر الى ابنة عمه ليلا فطرق الباب طارق ودقه دقا شديدا فاذا اسكران من أهل الشام فقالت للرجل ابنة عمه لقد لقينا من هذا الشامي شرا يفعل بنا كل ليلة ما تري يريد المكروه وقد شكوته الى مشيخة أصحابه فقال لها ان وجها أتدنى له فأذنت له فقتله زوجها فلما أذن الفجر خرج الى العسكر وقال لابنة عمه اذا صليت الفجر فابعثي الى الشاميين ليأخذوا صاحبهم فاذا أحضروا عند الحجاج فاصدقيه الخبر على وجهه ففعلت فأحضرت عند الحجاج فاخبرته فقال صدقتني وقال للشاميين خذوا صاحبكم لا قود له ولا عقل فانه قتيل الله الى النار ثم نادى منادي لا ينزلن أحد على

أحد

أحد وكان الحجاج قد أنزل أهل الشام على أهل الكوفة فخرج أهل الشام فهزموا وبعث روّاد يرتادون له منزلا وأقبل حتى نزل موضع واسط فاذا راهب قد أقبل على حماره فلما كان بموضع واسط بال الحمار فتنزل الراهب فاحتفر ذلك البول واحتمله ورماه في دجلة والحجاج يراه فقال علي به فأتي به فقال ما حملك على ما صنعته قال نجد في الكتب انه يبنى في هذا الموضع مسجد يعبد الله فيه مادام في الارض أحد يوحده فاختط الحجاج مدينة واسط وبنى المسجد في ذلك الموضع

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة عزل عبد الملك أبان بن عثمان من المدينة في قول بعضهم واستعمل عليها هشام بن اسمعيل وكان العمال هذه السنة سوى المدينة الذين تقدم ذكرهم في السنة قبلها قبل وكان الحجاج قد سير نساءه واهله الى الشام حوفا من عبد الرحمن بن الاشعث وفيهن أخته رئيب التي ذكرها النمير في شعره فلما هزم ابن الاشعث أرسل البشير الى عبد الملك بذلك وكتب كتابا الى أخته زينب فاخذت الكتاب وهي راكبة فسقطت البغلة من قعقعة الكتاب فسقطت زينب فماتت وفي هذه السنة توفي وائلة بن الاسقع وهو ابن خمس ومائة سنة وقيل مات سنة خمس وثمانين وهو ابن ثمان وتسعين سنة وفيها مات زرين حبيش وعمره مائة واثنتان وعشرون سنة وابو وائل شقيق بن سلمة الاسدي الكوفي وكان مولده سنة احدى من الهجرة

﴿ثم دخلت سنة أربع وثمانين﴾

﴿ذكر قتل ابن القرية﴾

وفيها قتل الحجاج أيوب بن القرية وكان مع ابن الاشعث بدير الجماجم فلما هزم ابن الاشعث التحق أيوب بحوشب بن يزيد عامل الحجاج على الكوفة فاستصحبه الحجاج فقال له اولى عشرتي واسقي ريقي فانه ليس جواد الا له كبوة ولا شجاع الا له هبوة ولا صارم الا له نبوة فقال الحجاج كلا والله لا زيلنك جهنم قال وأرحني قال اجدحها فامر به فضربت عنقه فما رآه قتيلا قال لو بركماه حتى نسمع من كلامه

﴿ذكر فتح قلعة نيرك بباذغيس﴾

في هذه السنة فتح يزيد بن المهلب قلعة نيرك وكان يزيد قد وضع على نيرك العيون فلما بلغه خروج نيرك عنها سار اليها فحاصرها فملكها وما فيها من الاموال والذخائر وكانت من احصن القلاع وأمنعها وكان نيرك اذا رآها سجد لها تعظيما لها وقال كعب بن معدان الاشقري يذكرها

وباذغيس التي من حل ذروتها * عز الملوك فان شاجار أو ظلما
منيعة لم يكدها قبله ملك * الا اذا واجهت جيشا له وجما
تخال نيرانها من بعد منظرها * بعض النجوم اذا ما ليلها اعتما

وهي أبيات عدة فقال أيضا يذكر يزيد وفتحها

نفى نيزكا عن باذغيس ونيرك * بمعركة اعيى الملوك اغتصابها
محلقة دون السماء كأنها * عمامة صيف زال عنها سحابها
ولا تبلغ الاروى ثمار يخها العلى * ولا الطير الا نسرها وعقابها
وما خوفت بالذئب ولدان اهلها * ولا بحت الا النجوم كلابها

في أبيات غيرها فلما فتحها كتب الى الحجاج بالفتح وكان يكتب له يحيى بن يعمر العدواني حليف هذيل انا لحقنا العدو ففحنا الله اكتافهم فقتلنا طائفة واسرنا طائفة ولحقت طائفة برؤس

الجنين بمنزلة كون النبات والطبيعة تصوره من المني والدم وتفعل الطبيعة في الجنين ما تفعله في السات لان بذر السات يحتاج الى أرض ليمال منها ما يعتدي به فالجنين والرحم والسات برسل عروقه من الاصول أيجذب بها من الارض غذاءه والجنين في المشيمة شريانات والعروق نظير لذلك وهي أصول الجنين وبر والنبات منه سوق ومن السوق أغصان كبار ثم من هذه الاغصان أغصان أخرى تتفرع أولا حتى تنتهي الى الاقاصي ونظير ذلك يوجد في الجنين بعد العرق في بدنه ثلاثة من كل واحد من الاغصان الاصول وهي الشريان الاعظم والعرق الاجوف والنخاع ثم يجد كل واحد من هذه يتشعب منه شعب كالاغصان المتقسمة الى أغصان أخر حتى ينتهي الى الاطراف ثم قال بعد ذلك ان المني هو المحرك لنفسه وان الجنين يكون من الرجل والمرأة ودم الطمث (وحكى جالينوس) عن أبيه بليس أن أجزاء الولد متقسمة في مني الذكر والانثى وان شهوة

الجماع وسمى هذه الاحراء الى أن لا يتم وهذا موجود في كتبهم فيما ذكروه من مذاهبهم في كيفية تركيب العالم واتصال النفس بعالمها وغير ذلك (وقد ذهب قوم) من أهل القدم الى أن ذلك هو أحرا تخرج من أعضاء الانسان اللطيفة من جنس سائر أعضاء الانسان وتنصب في الرحم فيتعدى منه ويمو ويكون من ذلك الجنين (ومنهم) من رأى أن هذه الاحراء الواردة من سائر أعضاء الذكر تقارنها مواد من الرحم ومن ماء المرأة عند احتماعها ويكون الجنين من ذلك فمن صار الولد يشبه أباه في الاعلب من سائر الاعضاء وشكيله وأهل بيت أبيه ولهذا وقع الشبه بين البنين والآباء في الاعلب عن شبه الاعضاء ومن ههنا أدرك الحاذق النسب عند الشبه والشك في النسب وذلك على قول من رأى الحاذق النسب والعيافة من القافة وقد تقدم الكلام في هذا المعنى فيما سلف من هذا الكتاب في باب العيافة (وللناس) في كيفية تصور الجنين في الرحم وما يبدؤه وما عصره

الدال وعراعر الاودية واهضام الغيطان وانشاء الانهار فقال الحجاج من يكتب ابن يزيد فقيل يحيى ابن يعمر فكتب اليه يحمله على البريد فقدم عليه أفصح الناس فقال أين ولدت قال بالاهواز قال وهذه الفصاحة من أين قال حفظت من كلام أبي وكان فصيحا قال اخبرني هل للحن عندكم سمة قال نعم كثيرا قال فما هي قال نعم قال فاخبرني هل ألحن قال نعم تلحن لحنا خفيا تريد حرفا وتنقص حرفا وتحعل ان في موضع ان وان في موضع ان قال قد اجلتك ثلاثا فان وجدتك بارض العراق قتلتك فرجع الى خراسان

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة غزا عبد الله بن عبد الملك الروم ففتح المصيصة وبنى حصنها ووضع بها ثمانمائة مقاتل من ذوي البأس ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك وبنى مسجدها وحج بالناس هذه السنة هشام ابن اسمعيل وكان العمال من تقدم ذكرهم وفيها غزا محمد بن مروان أرمينية وفيها مات عبد الله ابن الحرث بن نوفل الملقب ببيبة بعمان وكان يسكن البصرة وكان مولده على عهد رسول الله

﴿ثم دخلت سنة خمس وثمانين﴾

﴿ذكر هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث﴾

لما انصرف عبد الرحمن الى رتبيل من هراة قال له علقمة بن عمرو الاودي ما أريد أن ادخل معك لاني أتخوف عليك وعلى من معك لكاني بالحجاج وقد كتب الى رتبيل يرغبه ويرهبه فاذا هو قد بعث بك سلما أو قتلكم ولكن معي خمسمائة قد تبايعوا على ان يدخل مدينة نتحصن بها حتى نعطى الامان أو نموت كراما ولم يدخل الى بلاد رتبيل معه وحرج هؤلاء الخمسمائة وجعلوا عليهم مودودا البصري وقدم عليهم عماره بن تميم اللخمي فحاصرهم فامتنعوا حتى أمنهم فخرجوا اليه ووفى لهم وتتابعت كتب الحجاج الى رتبيل في عبد الرحمن أن ابعث به الي والا والذي لا اله غيره لاوطئن ارضك الف الف مقاتل وكان مع عبد الرحمن رجل من تميم يقال له عبيد بن سنبع التميمي وكان رسوله الى رتبيل فحص رتبيل وخاف عليه فقال القاسم بن محمد بن الاشعث لاخيه عبد الرحمن اني لا آمن غدر هذا التميمي فاقتله فخافه عبيد ونمى به الى رتبيل وحوفه الحجاج ودعاه الى الغدر بابن الاشعث وقال له أنا آخذ لك من الحجاج عهدا يكفيك على أن أرضك سبع سنين على ان تدفع اليه عبد الرحمن فأجابه الى ذلك فخرج عبيد الى عماره بما قد كرله ما استقر مع رتبيل وما بذل له وكتب عمارة الى الحجاج بذلك فأجابه اليه أيضا وبعث رتبيل برأس عبد الرحمن الى الحجاج وقيل ان عبد الرحمن كان قد أصابه السل فمات وأرسل رتبيل اليه فقطع رأسه وقيل ان عبيدا هو الذي قتله وأرسله الى الحجاج وقد قيل ان رتبيل لما صالح عماره بن تميم اللخمي على ابن الاشعث كتب عماره الى الحجاج بذلك فاطلق له خراج بلاده عشر سنين وأرسل رتبيل الى عبد الرحمن وثلاثين من أهل بيته فحصروا وقيدهم وارسلهم الى عمارة وألقى عبد الرحمن نفسه من سطح قصر فمات فاحتز رأسه وسيره الى الحجاج فسيره الحجاج الى عبد الملك وسيره عبد الملك الى أخيه عبد العزيز فقال بعض الشعراء

هيهات موضع حثة من رأسها * رأس بمصر وجثة بالرحبج

وقيل ان هلاك عبد الرحمن كان سنة أربع وثمانين

﴿ذكر عزل يزيد المهلب عن خراسان وولاية أخيه المفضل﴾

وفي هذه السنة عزل الحجاج يزيد بن المهلب عن خراسان وكان سبب عزله اياه أن الحجاج وفد الى عبد الملك فمر في طريقه براهب فقيل له ان عنده علما فدعاه وسأله هل تجدون في كتبكم ما أنتم فيه ونحن قال نعم قال مسمى أم موصوف فقال كل ذلك نجده موصوفا بغير اسم ومسمى بغير صفة قال فما تجدون صفة أمير المؤمنين قال نجده في زماننا ملك افرع من يقم لسبيله يصرع قال ثم من قال اسم رجل يقال له الوليد ثم رجل اسمه اسم نبي يفتح به على الناس قال أفتعلم من يلي بعدي قال نعم رجل يقال له يزيد قال أفتعرف صفته قال يغدر غدرة لا أعرف غيرها فوقع في نفسه أنه يزيد ابن المهلب ثم سار وهو وجل من قول الراهب ثم عاد وكتب الى عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب ويخبره انهم زبيرية فكتب اليه عبد الملك اني لا أرى طاعتهم لآل الزبير نقصا بآل المهلب وفاؤهم لهم يدعوهم الى الوفاء لي فكتب اليه الحجاج يخوفه غدره وبما قال الراهب فكتب عبد الملك اليه انك قد أكثرت في يزيد وآل المهلب فسم لي رجلا يصلح لخراسان فسمى قتيبة بن مسلم فكتب اليه أن وله وبلغ يزيد ان الحجاج عزله فقال لأهل بيته من ترون الحجاج يولي خراسان فالوا رجلا من ثقيف قال كلا ولكنه يكتب الى رجل منكم بعهده فاذا قدمت عليه عزله وولى رجلا من قيس وأخلق بقتيبة بن مسلم لما أذن عبد الملك في عزل يزيد كره ان يكتب اليه بعزله فكتب اليه يأمره ان يستخلف أخاه المفضل ويقبل اليه واستشار يزيد حضين بن المنذر الرقاشي فقال له اقدم واعتل واكتب الى امير المؤمنين ليقرك فانه حسن الحال والرأي فيك قال يزيد نحن أهل بيت قد بورك لنا في الطاعة وانا أكره الخلاف فاخذ يتجهز فابطأ فكتب الحجاج الى المفضل اني قد وليتك خراسان فجعل المفضل يستحث يزيد فقال له يزيد ان الحجاج لا يقرك بعدي وانما دعاه الى ما صنع مخافة ان امتنع عليه وستعلم وخرج يزيد في ربيع الآخر سنة خمس وثمانين واقر الحجاج أخاه المفضل تسعة أشهر ثم عزله وقد قيل ان سبب عزله أن الحجاج لما فرغ من عبد الرحمن بن الاشعث لم يكن له هم الا يزيد بن المهلب وأهل بيته وقد كان اذل أهل العراق كلهم الا آل المهلب ومن معهم بخراسان وتخوفه على العراق وكان يبعث اليه ليأتيه فيقتل عليه بالعدو والحروب فكتب الحجاج الى عبد الملك يشير عليه بعزل يزيد ويخبره بطاعتهم لآل الزبير فكتب اليه عبد الملك بنحو ما تقدم وساق باقي الخبر كما تقدم وقال حضين ليزيد

امرتك أمرا حازما فعصيتني * فاصبحت مسلوب الامارة نادما
فلا انا بالباكي عليك صبابة * وما أنا بالداعي لترجع سالما

قال فلما قدم قتيبة خراسان قال لحصين ما قلت ليزيد قال قلت

أمرتك أمرا حازما فعصيتني * فيفسك ردي اللوم ان كنت لائما
فان يبلغ الحجاج أن قد عصيته * فانك تلقى أمره متفاقما

قال فما أمرته به قال أمرته ان لا يدع صعراء ولا بيضاء الا حملها الى الامير قال بعصهم فوجده قتيبة فارها وقيل كتب الحجاج الى يزيد اغز خوارزم فكتب انها قليلة السلب شديدة الكلب فكتب اليه الحجاج استخلف واقدم فكتب اني أريد ان اغزو خوارزم فكتب الحجاج لا تغزها فانها كما ذكرت فغزا ولم يطعمه فصالحه أهلها وأصاب سبيا وقفل في الشتاء وأصاب الناس برد فاحذوا ثياب الاسرى فمات ذلك السبي فكتب اليه الحجاج ان اقدم فسار اليه فكان لا يمر ببلد الا فرش أهلها الرياحين (حضين بن المنذر بالحاء المهملة المضمومة والضاد المعجمة المفتوحة وآخره نون)

وكيفية تقلبه من النطفة الى العلقة ومن العلقة الى المضغة الى استكمال شكاله كلام كثير منهم أصحاب الانبيق وغيرهم ممن تقدم وتأخر أعرضنا عن ذكر ذلك اذ كان فيه خروج عما اليه قصدنا في هذا الباب (قال المسعودي) رحمه الله والذي يقضي على سائر ما تقدم وصفه وينقطع علم العقول عنده هو ما أخبر به الباري عز وجل في كتابه بقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم ولم يخبر عن كيفية ذلك وما سبب مواده بل استأثر بتلك الدلالة وظهور حكمته ثم أخبر عن المبدأ الذي خلقهم منه فقال يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وقال عز وجل يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر الآية (قال المسعودي) وللناس فيما سلف من الاوائل وخلف من المتأخرين كلام كثير في كيفية أفعال البشرين

وتأثيرهما في هذا العالم وما قالوه في ذلك وما خصوا به كل واحد منهما وأفردوه وما ذهبوا اليه من فعل الثاني منهما وهو القمر وما يطهر من تأثيره في الجزر والمد في بحر الصين والحبش واليمن على حسب ما قدمناه في هذا الكتاب وكذلك فعله في المعادن وأدمغة الحيوان والبيض وسائر الحيوان والنبات وما يطهر من الزيادات فيه عند امتلائه والمعض عند نقصانه وما يكون من بحرانات المرضى في اليوم السابع من العلة والرابع عشر والحادي والعشرين والثامن والعشرين لان للقمر أربعة أشكال هي أثبت صور فيه شكل التنصيف وشكل التمام وشكل التنصيف عند التمام وشكل المحاق وأكمل شكل من هذه سبعة أيام لانه في سبع ليال ينتصف وفي الرابعة عشرة يتم وفي الحادية والعشرين ينتصف وفي الثامنة والعشرين يمحق وكذلك البحرانات وعند هذه الطائفة يصح في السابع والرابع عشر والحادي والعشرين ويصح أيضا في تنصيفات هذه اذ كانت هذه الاشكال أثبت أشكال الشئ المنقسم وقد خالف هؤلاء خلق ممن ذهب

﴿ ذكر غزو المفضل باذغيس وآخرون ﴾

الا ولى المفضل خراسان غزا باذغيس ففتحها وأصاب مغنما فقسمه فأصاب كل رجل ثمانمائة ثم غزا آخرون وشومان فغنم وقسم ما أصاب ولم يكن للمفضل بيت مال كان يعطي الناس كلما جاء شئ وان غنم شيأ قسمه بينهم

﴿ ذكر مقتل موسى بن عبد الله بن خازم ﴾

في هذه السنة قتل موسى بن عبد الله بن خازم بترمذ وكان سبب مصيره الى ترمذ ان أباه لما قتل من قتل من بني تميم وقد تقدم ذكر ذلك تفرق عنه أكثر من كان معه منهم فخرج الى نيسابور وخاف بني تميم على ثقله بمرو فقال لابنه موسى خذ ثقلي واقطع نهر بلخ حتى تنحيث الى بعض الملوك والى حصن تقوم فيه فرحل موسى عن مرو في عشرين ومائتي فارس واجتمع اليه قريب من أربعمائة وانضم اليه قوم من بني سليم فأتى رم فقاتله أهلها فظفر بهم وأصاب مالا وقطع النهر وأتى بخارا فسأل صاحبها ان يلجأ اليه وأتى بخافه وقال رجل فاتك وأصحابه مثله فلا آمنه ووصله وسار فلم يأت ملكا يلجأ اليه الا كره مقامه عنده وأتى سمرقند فأقام بها وأكرمه ملكها طرخون وأدر له في المقام وأقام ما شاء الله ولاهل الصغد مائدة يوضع عليها لحم وخل وخبز وابريق شراب وذلك كل عام يوما يجعلون ذلك لفارس الصغد ولا يعربه غيره فان أكل منه أحد بارزه فايهما قتل صاحبه فالمائدة له فسأل رجل من أصحاب موسى ما هذه المائدة وأخبر بمجلس وأكل ما عليها وقيل لصاحب المائدة ذلك فغضب وقال يا معربي بارزني فبارزه فقتله صاحب موسى فقال ملك الصغد يا معشر العرب أكرمتكم فقتلتم فارسي لولا اني آمنتك وأصحابك لقتلتكم اخرجوا عن بلدي فخرجوا فأتى كش فضعف صاحبها عنه فاستنصر طرخون وأتاه فخرج موسى اليه وقد اجتمع معه ستمائة فارس فقاتلهم حتى أمسوا وتحاجزوا وأصحاب موسى جراح كثيرة فقال لرزعة بن علمة احتل لنا على طرخون وأتاه فقال أيها الملك ما حاجتك الى ان تقتل موسى وتقتل من معه وأنت لا تصل اليه حتى يقتلوا عدتهم ولو قتلته واياهم جميعا فانه خطأ لان له قدرا في العرب ولا يأبى أحد خراسان الا طلب دمه فقال ليس لي الى ترك كش في يده سبيل قال فكف عنه حتى يرتحل وكف وسار موسى وأتى ترمذ وبها حصن يشرف على باب النهر فنزل موسى خارج الحصن وسأل ترمذشاه ان يدخله حصنه وأبى فاهدى له موسى ولاطفه حتى حصل بيده ماموده وخرج فتصيد معه فصنع صاحب ترمذ طعاما وأحضره موسى ليأكل معه ولا يحضر الا في مائة من أصحابه فاختار موسى مائة من أصحابه فدخلوا الحصن وأكلوا فلما فرغوا قال له اخرج قال لا أخرج حتى يكون الحصن بيتي أو قبري وقاتلهم فقتل منهم عدة وهرب الساقون واستولى موسى عليها وأخرج ترمذشاه منها ولم يعرض له ولا الى أصحابه وأتوا الترك يستنصرونهم على موسى فلم ينصروهم وقالوا لا نقاتل هؤلاء وأقام موسى بترمذ فأتاه جمع من أصحاب أبيه فقوي بهم فكان يخرج فيغير على ما حوله ثم ولى بكير بن وساج خراسان فلم يعرض له ثم قدم أمية فسار بنفسه يريد محاربته بكير فرجع على ما تقدم ذكره ثم ان أمية وجه الى موسى بعد صلح بكير رجلا من خزاعة في جمع كثير وعاد أهل ترمذ الى الترك فاستنصروهم واعلموهم أنه قد غزاه قوم من العرب وحصروه فسارت الترك في جمع كثير الى الحراعي فاطاف بموسى الترك والخزاعي فكان يقاتل الحراعي أول النهار والترك آخر النهار فقاتلهم شهرين أو ثلاثة ثم انه أراد أن يبيت الخزاعي وعسكره فقال له عمرو بن خالد بن حصين الكلابي ليكن البيات بالهجم فان العرب أشد حذرا وأحرأ على الليل فاذا فرغنا من

العجم تفرغنا للعرب فاقام حتى ذهب ثلث الليل وخرج موسى فى أربعمائه وقال لعمرو بن حالد اخرج بعدنا فكن أنت ومن معك قريبا فاذا سمعتم تكبيرنا فكبروا ثم سار حتى ارتفع فوقع عسكر الترك ورجع اليهم وجعل أصحابه ارباعا وأقبل اليهم فلما رآهم أصحاب الارصاد قالوا من أنتم قالوا عابر وسبيل فلما جاوزوا الرصد حملوا على الترك وكبروا فلم يشعر الترك الا بوقع السيوف فيهم فساروا يقتل بعضهم بعضا وولوا فأصيب من المسلمين ستة عشر رجلا وحووا عسكرهم وأصابوا سلاحا كثيرا وما لا واصبح الخزاعى وأصحابه وقد كسرهم ذلك فخافوا مثلها فقال عمرو بن حالد لموسى انا لا نظفر الا بكيده ولهم امداد وهم كثيرون فدعنى آته لعلى أصيب فرصة فاضربنى وخلاك ذم فقال له موسى تتجرأ الضرب وتتعرض للقتل قال أما التعرض للقتل فانا كل يوم متعرض له وأما الضرب فما أسره فى جنب ما أريد فضربه موسى خمسين سوطا فخرج من عسكر موسى وانى عسكر الخزاعى مستأمنا وقال أنا رجل من أهل اليمن كنت مع عبد الله بن حازم فلما قتل أتيت ابنه وكنت معه وانه اتهمنى وقال قد هربت لعدونا وأنت عين له فضربنى ولم آمن القتل فهربت منه فأمنه الخزاعى وأقام معه فدخل يوما وهو حال ولم ير عنده سلاحا فقال كانه ينصح له أصلح الله الامير ان مثلك فى مثل هذه الحال لا ينبغى ان يكون بغير سلاح قال ان معى سلاحا ورفع طرف فراشه فاذا سيف منتضى فأخذه عمر وضربه حتى قتله وخرج فركب فرسه وأتى موسى وتشرف ذلك الجيش وأتى بعضهم موسى مستأمنا فأمنه ولم يوجه اليه أحدا وعزل أمية وقدم المهلب أميرا فلم يتعرض لموسى وقال لبنيه اياكم وموسى فانكم لا تزالون ولاة خراسان ما دام هذا السبط بمكانه فان قتل فاول طالع عليكم أمير على خراسان من قيس فلما مات المهلب وولى يزيد لم يتعرض أيضا لموسى وكان المهلب قد ضرب حريث بن قطبة الخزاعى فخرج هو وأخوه ثابت الى موسى فلما ولى يزيد بن المهلب أخذ أموالهما وحرمهما وقتل أخاهما لامهما الحرث بن منقذ فخرج ثابت الى طرخون فشكا اليه ما صنع به وكان ثابت محببا الى الترك بعيد الصوت فيهم فغضب له طرخون وجمع له نيزك والسبل وأهل بخارا والصغانيان فقدموا مع ثابت الى موسى وقد اجتمع الى موسى قتل عبد الرحمن بن العباس من هراة وقتل ابن الاشعث من العراق ومن ناحية كابل فاجتمع معه ثمانية آلاف فقال له ثابت وحريث سر حتى تقطع النهر وتخرج يزيد عن خراسان وتوليك منهم ان تفعل فقال له أصحابه ان أخرجت يزيد عن خراسان تولى ثابت وأخوه خراسان وغلبا عليها فلم يسر وقال لثابت وحريث ان أخرجنا يزيد قدم عامل لعبد الملك ولكنا نحرج عمال يزيد عما وراء النهر ويكون لنا فاخرجوا عمال يزيد عما وراء النهر وجبوا الاموال فنوى أمرهم وانصرف طرخون ومن معه واستبد ثابت وحريث بتدبير الامر والامير موسى ليس له غير الاسم وقيل لموسى ليس لك من الامور شئ والامور الى ثابت وحريث فاقتلهما وتول الامر فأبى فالحوا عليه حتى أفسدوا قلبه عليهما وهم يقتلهما فانهم فى ذلك اذ خرج عليهم الهياطلة والتبت والترك فى سبعين ألفا لا يعدون الحاسر ولا صاحب البيضة الجاه ولا يعدون الا صاحب بيضة ذات قونس فخرج ابن خازم وقاتلهم فيمن معه ووقف ملك الترك على تل فى عشرة آلاف فى أكمل عدة والقتال أشد ما كان فقال موسى ان أزلتم هؤلاء فليس الباقون بشئ فقصدهم حريث بن قطبة فقاتلهم وألح عليهم حتى أزالهم عن التل ورمى حريث بنشابة فى جبهته وتحاجز بينهم موسى وحمل أخوه خازم ابن عبد الله بن خازم حتى وصل الى شمعه ملكهم فوجأ رجلا منهم بقبيعة سيفه فطعن فرسه فاحتمله

الى غير هذا القول وأن ذلك من قبل الاخلاط وغير ذلك والطبائع الاربعة وغيرها مما قد أتينا على ايضاحه فى كتابنا المترجم بكتاب الزلف وفى كتاب المبادى والتراكيب وغير ذلك فى كيفية تأثير الشمس والقمر (وأما الدلائل) وأن السماء تدل على مثال الكرة وتدويرها بجميع ما فيها من الكواكب كدورة الكرة وأن الارض بجميع أجزائها من البر والبحر على مثال الكرة وأن كرة الارض مثبتة فى وسط السماء كالنقطة وقدرها عند قدر السماء قدر النقطة فى الدائرة صغرا ووصف الربع المسكون من الارض وما يعرض فيها من دور الفلك واختلاف الليل والنهار ووصف المواضع التى تطلع الشمس فيها شهورا لا تغرب وتغرب شهورا لا تطلع فقد أتينا على وصف جميع ذلك وما اتضح عليه وما التعب من البراهين وما قاله الناس فى ذلك فى كتابنا المترجم بكتاب أخبار الزمان وما أودعنا فيه من هيئة الافلاك والكواكب وأن الارض مع ما وصفنا فى تدويرها موضوعة فى جوف الفلك كالمحة فى البيضة والنسيم

جاذب أيضا لما في أبدان الخلق من الخفة والارض جاذبة لما في أبدانهم من الثقل اذ كانت الارض بمنزله بحر المغناطيس الذي يجذب بطبعه الحديد وأن الارض مقسومة نصفين وبينهما خط الاستواء وهو من المشرق الى المغرب كما أن منطقة الارض أكبر من الفلك وعرض الارض من القطب الجنوبي الذي تدور حوله بنات نعش وأن استدارة الارض من خط الاستواء ست وثلاثون درجة والدرجة خمسة وعشرون فرسخا والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع والذراع اثنان وأربعون اصبعا والاصبع ست حبات وتسعان مصفوفة بعضها الى بعض يكون ذلك تسعة آلاف فرسخ (وقد قدمنا) فيما سلف من هذا الكتاب في باب ذكر الارض والبحار ومبادي الانهار مقدار الميل والذراع الاسود واعادنا ذكر في كل موضع من هذا الكتاب ما سنح لنا ونجده في كتب الناس فنقل ذلك عنهم على ما وجدناه في كتبهم الا أنا لا نقطع على صحته اذ كان ما يذهب اليه في مقدار الميل من الاذرع والذراع

الفرس فالقاه في نهر بلخ فغرق وقتل من الترك خلق كثير ونجا من نجا منهم بشر ومات خريث بعد يومين ورجع موسى وحمل معه الرؤس فبنى منها جوسقين وقال أصحاب موسى قد كفينا أمر حريث فاكفنا أمر ثابت فابى وبلغ ثابتا بعض ما يخوضون فيه فدس محمد بن عبد الله الخزاعي عم نصر بن عبد الحميد عامل ابي مسلم على الري على موسى وقال اياك ان تتكلم بالعربية وان سألوك فقل أنا من سبي الباميان ففعل ذلك واتصل بموسى وكان يخدمه وينقل الى ثابت خبرهم فحذر ثابت وألح القوم على موسى فقال لهم ليلة لقد أكثرتم علي وفيما تريدون هلاكهم فلي أي وجه تقاتلونه ولا غدر به قال له أخوه نوح اذا أتاك غدا عد لنا به الى بعض الدور فاضربنا عنقه فيها قبل أن يصل اليك فقال والله انه هلاكهم وأنتم أعلم فخرج الغلام فاتى ثابتا فاخبره فخرج من ليلته في عشرين فارسا ومضى وأصبحوا فلم يروه ولم يروا الغلام فعلموا انه كان عيناله ونزل ثابت بحوشرا واجتمع اليه خلق كثير من العرب والعجم فاقبل موسى اليه وقاتله وتحصن ثابت بالمدينة وأتاه طرخون معينا له فرجع موسى الى ترمذ وأقبل ثابت وطرخون ومعهما أهل بخارا ونسف وكش فاجتمعوا في ثمانين ألفا فحصروا موسى حتى جهدهم وأصحابه فلما اشتد عليهم قال يزيد بن هذيل والله لاقتلن ثابتا أو لاموتن فخرج الى ثابت فاستامنه فقال له ظهير أنا أعرف بهذا منك ما أتاك الا بغدره فاحذره فاخذ ابنيه قدامة والضحاك رهنا فكانا في يد ظهير وأقام يزيد بالمس غرة ثابت فلم يقدر على ما يريد حتى مات ابن لزياد القصير الخزاعي فخرج ثابت اليه ليعزيه وهو بغير سلاح وقد غابت الشمس فدنا يزيد من ثابت فضربه على رأسه فوصل الى الدماغ وهرب فسلم وأخذ طرخون قدامة والضحاك ابني يزيد فقتلهما وعاش ثابت سبعة أيام ومات وقام بامر العجم بعد موت ثابت طرخون وقام ظهير بامر أصحاب ثابت فقاما قياما صعيفا وانتشر أمرهم وأجمع موسى على بياتهم فاخبر طرخون بذلك فضحك وقال موسى يعجز أن يدخل متوضأه فكيف يبيتنا لا يحرس الليلة أحد فخرج موسى في ثمانمائة وجعلهم اربعا وبيتهم وكان لا يمر بشئ الا نهبوه من رجل ودابة وغير ذلك فلبس نيرك سلاحه ووقف وأرسل طرخون الى موسى أن كف أصحابك فانا نرحل اذا أصبحنا فرجع موسى وارتحل طرخون والعجم جميعا فكان أهل خراسان يقولون ما رأينا مثل موسى ولا سمعنا به قاتل مع أبيه سنتين ثم خرج يسير في بلاد خراسان فاتى ملكا تغلب على مدينته وأخرجه منها وسار الجنود من العرب والترك اليه وكان يقاتل العرب أول النهار والترك آخر النهار وأقام موسى في الحصن خمس عشرة سنة وصار ما وراء النهر لموسى لا ينازعه فيه أحد فلما عزل يزيد ابن المهلب وولى المفضل أراد أن يحتطي عند الحاج بقتال موسى بن عبد الله فسير عثمان بن مسعود اليه في جيش وكتب الى مدرك بن المهلب وهو ببلخ يأمره بالمسير معه فعبر النهر في خمسة عشر ألفا فكتب الى السبل والى طرخون فقدموا عليه فحصروا موسى وضيقوا عليه وعلى أصحابه فمكث شهرين في ضيق وقد خندق عثمان عليه وحذر البيات فقال موسى لاصحابه اخرجوا بنا حتى متى نصبر فاجمعوا يومكم معهم اما ظفرتم واما قتلتم واقصدوا الترك فخرجوا وخلف النضر بن سليمان بن عبد الله بن خازم في المدينة وقال له ان قتلت فلا تدفعن المدينة الى عثمان وادفعها الى مدرك بن المهلب وخرج وجعل ثلث أصحابه بازاء عثمان وقال لا تقاتلوه الا ان يقاتلكم وقصد لطرخون وأصحابه فصدقوهم القتال فانهزم طرخون وأخذوا عسكرهم وزحفت الترك والصغد فحالوا بين موسى والحصن فقاتلوهم فعقر وا فرسه فسقط فقال لمولى له احملني فقال الموت كريما ولكن ارتدف فان نجونا نجونا جميعا وان هلكنا هلكنا جميعا فال فارتدف فلما نظر اليه

عثمان حين وثب قال وثبة موسى ورب الكعبة وقصد الى موسى وعقرت دابة موسى فسقط هو ومولاه فقتلوه ونادى منادى عثمان من القيتموه فخذوه أسيرا ولا تقتلوا أحدا فقتل ذلك اليوم من الاسرى خلقا كثيرا من العرب خاصة فكان يقتل العرب ويضرب المولى ويطلقه وكان فطا غليظا وكان الذى أجهز على موسى واصل بن طيسلة العنبرى وبقيت المدينة بيد النضر بن سليمان فلم يدفعها الى عثمان وسلمها الى مدرك بن المهلب وأمنه فسلمها مدرك الى عثمان وكتب المفضل الى الحجاج بقتل موسى فقال العجب منه أكتب اليه بقتل ابن سبرة فيكتب الى انه لما آبه ويكتب الى انه قد قتل موسى بن عبد الله بن خازم ولم يسره قتل موسى لانه من قيس وقتل موسى سنة خمس وثمانين وضرب رجل من الجندساق موسى فلما ولى قتيبة قال ما دعاك الى ما صنعت بفتى العرب بعد موته قال كان قتل أخى فأمر به فقتل

﴿ذكر موت عبد العزيز بن مروان والبيعة للوليد بولاية العهد﴾

كان عبد الملك بن مروان أراد أن يخلع أخاه عبد العزيز من ولاية العهد ويبايع لابنه الوليد بن عبد الملك فنهاه عن ذلك قبيصة بن ذؤيب وقال لا تفعل فانك تبعث على نفسك صوت عامر ولعل الموت يأتيه فكف عنه ونفسه تنازعه الى خلعه فدخل عليه روح بن زنباع وكان أجل الناس عند عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين لو خلعته ما انقطع فيه عنان وأنا أول من يجيبك الى ذلك قال نصيح ان شاء الله ونام روح عند عبد الملك فدخل عليهما قبيصة بن ذؤيب وهما نائمان وكان عبد الملك قد تقدم الى حجابه ان لا يحجبوا قبيصة عنه وكان اليه الخاتم والسكة تأتيه الاخبار قبل عبد الملك والكتب فلما دخل سلم عليه قال آجرك الله فى عبد العزيز أخيك قال هل توفى قال نعم فاسترجع ثم أقبل على روح وقال كفانا الله ما كنا نريد وكان ذلك مخالفا لك يا قبيصة فقال قبيصة يا أمير المؤمنين ان الرأى كله فى الاناة فقال عبد الملك وربما كان فى العجلة خير كثير رأيت أمر عمرو بن سعيد ألم تكن العجلة فيه خيرا من الاناة وكانت وفاة عبد العزيز فى جمادى الاولى فى مصر فضم عبد الملك عمله الى ابنه عبد الله بن عبد الملك وولاه مصر وقيل ان الحجاج كتب الى عبد الملك يزين له بيعة الوليد وأوفد فى ذلك وفدا فلما أراد عبد الملك خلع عبد العزيز والبيعة للوليد كتب الى عبد العزيز ان رأيت ان يصير هذا الامر لابن أخيك فابى فكتب اليه ليجعل الامر له ويجعل له أيما من بعده فكتب اليه عبد العزيز انى أرى فى ابنى أبى بكر ما ترى فى الوليد فكتب اليه عبد الملك ليحمل خراج مصر فاجابه عبد العزيز انى وايالك يا أمير المؤمنين قد بلغنا سنا لم يبلغها أحد من أهل بيتك الا كان بقاؤه قليلا وانا لا ندرى أينا يأتيه الموت أولا فان رأيت ان لا تفسد على بقية عمرى فافعل ففرق له عبد الملك وتركه وقال للوليد وسليمان ان يرد الله ان يعطيكما الخلافة لا يقدر أحد من العباد على رد ذلك فقال عبد الملك حيث رده عبد العزيز اللهم انه قطعنى فاقطعه فلما مات عبد العزيز قال أهل الشام رد على أمير المؤمنين أمره فلما أتى خبر موته الى عبد الملك أمر الناس بالبيعة لابنيه الوليد وسليمان فبايعوا وكتب بالبيعة لهما الى البلدان وكان على المدينة هشام بن اسمعيل فدعا الناس الى البيعة فاجابوا الا سعيد بن المسيب فانه أبى وقال لا أبايع وعبد الملك حى فضربه هشام ضربا مبرحا وطاف به وهو فى تبان شعر حتى بلغ رأس الثنية التى يقتلون ويصلبون عندها ثم ردوه وحبسوه فقال سعيد لو ظننت انهم لا يصلبونى ما لبست ثياب مسوح ولكنى قلت يصلبونى فيسترنى فبلغ عبد الملك الخبر فقال قبح الله هشاما انما كان ينبغى ان يدعوه الى البيعة فان أبى ان يبايع فيضرب عنقه أو يكف عنه وكتب اليه يلومه ويقول له ان سعيدا

من الاصابع هو ما بيناه آنفا فى باب ذكر الارض والبحار وبين الاستواء وكل واحد من قطبين تسعون درجة واستدارتها عرضا مثل ذلك وزعم هؤلاء أن العمارة فى الارض بعد خط الاستواء أربع وعشرون درجة وأن الباقى قد عمه البحر الكبير وأن الخلق على الشمال من الارض والربع الجنوبى خراب لشدة الحر فيه والنصف الباقى من الارض لا ساكن فيه وكل ربع من الشمال والجنوب سبعة أقاليم قد ذكرناها فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الارض والاقاليم السبعة وأن عدد المدن عند صاحب كتاب الجغرافيا أربعة آلاف مدينة ومائتا مدينة فأما قبلة المشرق والمغرب والتيمن والجنوبى فقد ذكرنا جملا من ذلك فى كتابنا أخبار الزمان (وقد حرر ذلك) فى كتابه أبو حنيفة الدينورى وقد سلب ذلك ابن قتيبة ونقله الى كتبه نقلا وجعله عن نفسه وقد فعل ذلك فى كثير من كتب أبى حنيفة الدينورى هذا وكان أبو حنيفة هذا ذا محل من العلم كبير وبطليموس فى كتاب المجسطى وغيره من

ليس عنده شقاق ولا خلاف وقد كان سعيد امتنع من بيعة ابن الزبير وقال لا أبايع حتى يجتمع الناس فضربه جابر بن الاسود عامل ابن الزبير ستين سوطا فبلغ ذلك ابن الزبير فكتب الى جابر يلومه وقال مالنا ولسعيد دعه لا تعرض له وقيل ان بيعة الوليد وسليمان كانت سنة أربع وثمانين والاول أصح قبل قدوم عبد العزيز على أخيه عبد الملك من مصر فلما فارقه وصاه عبد الملك فقال ابسط بشرك وألن كنفك وآثر الرفق في الامور فهو أبلغ بك وانظر حاجبك وليكن من خير أهلك فانه وجهك ولسانك ولا يقفن أحد ببابك الا أعلمك مكانه لتعلم أنت الذي تأذن له أو ترده فاذا خرجت الى مجلسك فابدأ بجلسائك بالكلام يأنسوا بك وتثبت في قلوبهم محبتك واذا انتهى اليك مشكل فاستظهر عليه بالمشاورة فانها تفتح مغاليق الامور المهمة واعلم ان لك نصف الرأي ولاخيك نصفه ولن يهلك امرؤ عن مشورة واذا سخطت على أحد فأخر عقوبته فانك على العقوبة بعد التوقف عنها أقدر منك على ردها بعد امضائها والسلام

﴿ذكر عدة حوادث﴾

حج بالناس هذه السنة هشام بن اسمعيل المخزومي وكان العامل على العراق والمشرق الحجاج بن يوسف وفيها غزا محمد بن مروان أرمينية فصاف فيها وشتى وفي هذه السنة مات عمرو بن حريث المخزومي وفيها مات عبد الله بن الحرث بن جزء الزبيدي وقيل سنة سبع وقيل سنة ثمان وثمانين وفيها مات عبد الله بن عامر بن ربيعة حليف بني عدي وكان له لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم أربع سنين

﴿ثم دخلت سنة ست وثمانين﴾

﴿ذكر وفاة عبد الملك﴾

في هذه السنة توفي عبد الملك بن مروان منتصف شوال وكان يقول أخاف الموت في شهر رمضان وفيه ولدت وفيه فطمت وفيه جمعت القرآن وفيه بايع لي الناس فمات للنصف من شوال حين أمن الموت في نفسه وكان عمره ستين سنة وقيل ثلاثا وستين سنة وكانت خلافته من لدن قتل ابن الزبير ثلاثة عشر سنة وأربعة أشهر الا سبع ليال وقيل ثلاثة أشهر وخمسة عشر يوما ولما اشتد مرضه قال بعض الاطباء ان شرب الماء مات فاشتد عطشه فقال يا وليد اسقني ماء قال لا اعين عليك وقال لابنته فاطمة اسقيني ماء فمنعها الوليد فقال لتدعنها أو لا خلعنك فقال لم يبق بعد هذا شيء فسقته فمات ودخل الوليد عليه وابنته فاطمة عند رأسه تبكي فقال كيف أمير المؤمنين قال هو أصلح فلما خرج قال عبد الملك

ومستخبر عنا يريد لنا الردى * ومستخبرات والدموع سواجم

واوصى بنيه فقال أوصيكم بتقوى الله فانها أزين حلية وأحصن كهف ليعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير حق الكبير وانظروا مسلمة فاصدروا عن رأيه فانه نابكم الذي عنه تفترون ومجنكم الذي عنه ترمون وأكرموا الحجاج فانه الذي وطأ لكم المنابر ودوخ لكم البلاد وأذل الاعداء وكونوا بني أم برة لا تدب بينكم العقارب وكونوا في الحرب أحرارا فان القتال لا يقرب ميتة وكونوا للمعروف منارا فان المعروف يبقى أجره وذكره وضعوا معروفكم عند ذوي الاحساب فانهم أصون له وأشكر لما يؤتى اليهم منه وتعهدوا ذنوب أهل الذنوب فان استقالوا فاقيلوا وان عادوا فانتقموا ولما توفي دفن خارج باب الجابية وصلى عليه الوليد فتمثل هشام

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

فقال الوليد اسكت فانك تتكلم بلسان شيطان الا فلت كما قال أوس بن حجر

تقدم ثم ان طرأ بعد ظهور الاسلام مثل الكندي وابن المنجم وأحمد بن الطيب وماشاء الله وأبي معشر والخوارزمي ومحمد ابن كثير الفرغاني فيما ذكره في كتابه في الاصول الثلاثين وثابت بن مرة والسديدي ومحمد بن جابر البناني وغيرهؤلاء ممن قد عني بعلوم الهيئة علوم كثيرة في هذا المعنى وانما ننقل من ذلك الى هذا الكتاب لمعاطلة الاختصار والايجاز

﴿ذكر أرباع العالم والطبائع وما خص به كل جزء منه من الشرق والغرب والتيمن والجنوبي والاهوية وغير ذلك من سلطان الكواكب وما الحق بهذا الباب﴾

فأما الطبائع الاربعة فالنار حارة يابسة والطبيعة الثانية باردة رطبة وهي الماء والطبيعة الثالثة الهواء وهو حار رطب والطبيعة الرابعة الارض وهي باردة يابسة فالثنتان تذهبان الصعداء وهما النار والهواء والثنتان ترسخان سفلا وهما الارض والماء والعالم أربعة أجزاء فالمشرق الربع الاول وجميع ما فيه حار رطب

اذا مقرم منا ذرى حد نابه * تخمط منا ناب آخر مقرم

وقيل ان سليمان غسل بالبيت الاول وهو الصحيح لان هشاما كان صغيرا له أربع عشرة سنة وقد رثى الشعراء عبد الملك كثير عزة وغيره فمما قيل فيه

سقاك ابن مروان من الغيث مسبل * أجش شمالي يجود ويهطل
فما في حياة بعد موتك رغبة * لمروان كنا الوليد نؤمل

﴿ذكر نسبه وأولاده وأزواجه﴾

أما نسبه فهو ابو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وأمه عائشة بنت معاوية بن الوليد بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية وأما أولاده وأزواجه فمنهم الوليد وسليمان ومروان الاكبر درج وعائشة أمهم ولادة بنت العباس بن جزء بن الحرث ابن زهير بن خزيمة العبسية ومنهم يزيد ومروان ومعاوية درج وأم كلثوم وأمهم عاتكة ابنة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ومنهم هشام وأمه أم هشام بنت اسمعيل بن هشام بن الوليد ابن المغيرة المخزومية واسمها عائشة ومنهم أبو بكر وهو بكار أمه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله ومنهم الحكم درج أمه أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان ومنهم فاطمة بنت عبد الملك أمها أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة ومنهم عبد الملك ومسلمة والمنذر وعنبسة ومحمد وسعيد الخير والحجاج لامهات الاولاد وكان له من النساء شقراء بنت مسلم ابن حليس الطائي وأم أبيها ابنة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وقيل كان عنده ابنة لعلي بن أبي طالب ولا يصح

﴿ذكر بعض أخباره﴾

كان عبد الملك عاقلا حازما أديبا لبيبا عالما قال أبو الزياد كان فقهاء المدينة أربعة سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وقبيصة بن ذؤيب وعبد الملك بن مروان وقال الشعبي ما ذاكرت أحدا الا وجدت لي الفضل عليه الا عبد الملك فاني ما ذاكرته حديثا الا زادني فيه ولا شعرا الا زادني فيه وقال جعفر ابن عقبة الحظائي قيل لعبد الملك أسرع اليك الشيب فقال شيبني ارتقاء المنابر وخوف اللحن وقال عبد الملك ما أعلم أحدا أقوى على هذا الامر مني ان ابن الزبير اطول الصلاة كثير الصيام ولكن لبخله لا يصلح ان يكون سائسا قال أبو مسهر قيل لعبد الملك في مرضه كيف تجدك قال أجدني كما قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم الآية وقال المفضل بن فضالة عن أبيه استأذن قوم على عبد الملك بن مروان وهو شديد المرض فدخلوا عليه وقد أسنده خصي الى صدره فقال لهم انكم دخلتم علي عند اقبال آخرتي وادبار دنياي واني تذكرت أرجى عمل لي فوجدتها غزوة غزوتها في سبيل الله وأنا خلو من هذه الاشياء فايا كم وايانا أبوابنا هذه الخبيثة ان تطيفوا بها وقال سعيد بن عبد العزيز التنوخي لما نزل بعبد الملك بن مروان الموت أمر بفتح باب قصره فاذا قصار يقصر ثوبا فقال ياليتني كنت قصارا ياليتني كنت قصارا مرتين فقال سعيد بن عبد العزيز الحمد لله الذي جعلهم يفزعون الينا ولا نفزع اليهم وقال سعيد بن بشير ان عبد الملك حين ثقل جعل يلوم نفسه ويضرب يده على رأسه وقال وددت اني كنت أكتسب يوما بيوم ما يقوتني وأشتغل بطاعة الله فذكر ذلك لابن خازم فقال الحمد لله الذي جعلهم يتمنون عند الموت ما نحن فيه ولا نتمنى عند الموت ما هم فيه وقال مسعود بن خلف

الهواء والدم وهذا الربع ريحه الجنوب وله من الساعات الاولى والثانية والثالثة وله من قوى البدن قوة الطبيعة الهاضمة ومن المذاقات حظه الحلاوة وله من الكواكب القمر والزهرة وله من البروج الحمل والثور والجوزاء وللحكماء في هذا خطب طويل في وصف هذه الارباع هذه جمل منها مما مضى وما يأتي والمغرب هو الربع الثاني وجميع ما فيه بارد رطب الماء واللبن في الشتاء ورياحه الدبور وله من الساعات العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة وله من المذاقات المالح وما شابه ذلك وله من القوى القوة الدافعة وله من الكواكب المشتري وعطارد ومن البروج الجدي والدلو والحوت والجزء الثالث التيمن وجميع ما فيه حار يابس النار والمرة الصفراء في الصيف وريحه الصبا وله من الساعات الرابعة والخامسة والسادسة من النهار وله من قوى البدن القوة النفسانية والحيوانية وله من المذاقات المرارة وله من الكواكب المريخ والشمس ومن البروج السرطان والسنبلة

قال عبد الملك بن مروان في مرضه والله وددت اني عبد لرجل من تهامة أرعى غنما في جبالها واني لم أك شيأ وقال عمران بن موسى المؤدب يروى ان عبد الملك بن مروان لما اشتد مرضه قال ارفعوني على شرف ففعل ذلك فتنسم الروح ثم قال يا دنيا ما أطيبك ان طويلك لقصير وان كبيرك لحقير وان كملك لفي غرور وتمثل بهذين البيتين

ان تناقش يكن نقاشك يارب عذابا لا طوق لي بالعذاب
أو تجاوز فانت رب صفوح * عن مسيء مذنوبه كالتراب

ويروى ان هذه الابيات تمثل بها معاوية ويحق لعبد الملك أن يحذر هذا الحذر ويخاف فان من يكن الحجاج بعض سيئاته يعلم على أي شيء يقدم عليه قال عبد الملك لسعيد بن المسيب يا أبا محمد صرت أعمل الحبر فلا أسر به وأصنع الشعر فلا أسر به فقال الآن تكامل فيك موت القلب وكان عبد الملك أول من غدر في الاسلام وقد تقدم فعله بعمرو بن سعيد وكان أول من نقل الديوان من الفارسية الى العربية وأول من نهى عن الكلام في حضرة الخلفاء وكان الناس قبله يراجعونهم وأول خليفة بخل وكان يقال له رشح الحجارة لبخله وأول من نهى عن الامر بالمعروف فانه قال في خطبته بعد قتل ابن الزبير ولا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا الا ضربت عنقه

﴿ذكر خلافة الوليد بن عبد الملك﴾

فلما دفن عبد الملك بن مروان انصرف الوليد عن قبره فدخل المسجد وصعد المنبر واجتمع اليه الناس فخطبهم وقال انا لله وانا اليه راجعون والله المستعان على مصيبتنا الموت أمير المؤمنين والحمد لله على ما أنعم علينا من الخلافة وولانيها وكان أول من عرى نفسه وهنأها وكان أول من قام لبيعته عبد الله بن همام السلولي وهو يقول

الله أعطاك التي لا فوقها * وقد أراد الملحدون عوقها
عملك ويأبى الله الا سوقها * اليك حتى قلدوك طوقها

فبايعه ثم قام الناس لبيعته وقد قيل ان الوليد لما صعد المنبر حمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس لا مقدم لما أخر الله ولا مؤخر لما قدم وهذا كان من قضاء الله وسابق علمه وما كتب على أنبيائه وحملة عرشه وهو الموت وقد صار الى منازل الابرار ولي هذه الامة بالذي يحق الله عليه في الشدة على المريب واللين لاهل الحق والفصل واقامة ما أقام الله من منار الاسلام واعلامه من حج البيت وغزو الثغور وشن الغارة على أعداء الله فلم يكن عاجزا ولا معرطا أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فان الشيطان مع المفرد أيها الناس من أبدى لنا صفحات نسمه ضربنا الذي فيه عيناه ومن سكت مات بدائه ثم نزل وكان جبارا عنيدا

﴿ذكر ولاية قتيبة خراسان وما كان منه هذه السنة﴾

وفي هذه السنة قدم قتيبة خراسان أميرا عليها للحجاج فقدمها والمفضل يعرض الجند للغزاة فخطب قتيبة الناس وحثهم على الجهاد ثم عرضهم وسار وجعل يمر على حربها اياس بن عبد الله ابن عمرو وعلى الخراج عثمان السعدي فلما كان بالطالقان أتاه دهاقين بلخ وسار وامعه فقطع النهر فتلقاه ملك الصغانيان بهدايا ومفاتيح من ذهب ودعاه الى بلاده فمضى معه فسلمها اليه لان ملك آخرون وشومان كان يمنى مجاوره ثم سار قتيبة منها الى آخرون وشومان وهما من

والميزان والجوزاء الرابع هو الجنوبي وجميع ما فيه بارد يابس مثل الارض وله من الساعات السابعة والثامنة والتاسعة وله من قوى البدن القوة الماسكة ومن المذاقات العنص وله من الكواكب رحل وله من الروح الميزان والعقرب والقوس والارض وما وصفناه في الهيئة وتختلف في التأثير على مقادير الخطوط فاذا بعد الخط كان التأثير بخلاف ما هو اذا قرب لموجبات مساقية متعاورة وأفضل المواضع في السكنى ما طرح الشمس ضوءه شعاعها اليه والى الاقليم الرابع ينتهي عمد هذه الطائفة شعاعها في ضوءه وارتفاع كدره ولا فرق بين شعاع الشمس هبط مساويا الى هذا الموضع وهو العراق (قال المسعودي) والمواضع التي لا تسكن عند هذه الطائفة عدمت السكنى لعلتين احداهما افراط الحر واحراق الشمس وكثرة توتر شعاعها على تلك الارضين جعلتها يابسة وأعاصت مياهها الكثرة التنشيف والعلة الاخرى بعد الشمس عن الاقليم وارتفاعها عن حوزانه

طخارستان فصالحه ملكهما على فدية أداها اليه فقبلها قتيبة ثم انصرف الى مرو واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم فتح صالح بعد رجوع قتيبة كاشان وأرشت وهي من فرغانة وفتح اخشيكث وهي مدينة فرغانة القديمة وكان معه نصر بن سيار فابلى يومئذ بلاء حسنا وقيل ان قتيبة قدم خراسان سنة خمس وثمانين فعرض الجند فغزا آخرون وشومان ثم رجع الى مرو وقيل انه أقام السنة ولم يقطع النهر لسبب بلخ فان بعضها كان منتقضا عليه فحاربهم وكان ممن سبى امرأة برمك أبي خالد بن برمك وكان برمك على النوبهار فصارت لعبد الله بن مسلم أخي قتيبة فوقع عليها ثم ان أهل بلخ صالحوه وأمر قتيبة برد السبي فقالت امرأة برمك لعبد الله انى قد علقت منك وحضرت عبد الله بن مسلم الوفاة فاوصى ان يلحق به ما في بطنها وردت الى برمك فذكران ولد عبد الله بن مسلم جاؤا أيام المهدي حين قدم الري الى خالد فادعوه فقال لهم مسلم بن قتيبة انه لا يدلكم ان استلحقتموه ففعل ان تزوجوه فتركوه وكان برمك طبيبا

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم وفيها حبس الحجاج يزيد بن المهلب وعزل حبيب ابن المهلب عن كرمان وبعد الملك عن شرطته وحج بالناس هشام بن اسمعيل المخزومي وكان الامير على العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف وفي ايام عبد الملك مات أسيد بن طهير الانصاري (أسيد بضم الهمزة وطهير بضم الظاء المعجمة) وفيها مات عمر بن أبي سلمة وهو ابن أم سلمة وفي أيامه مات علقمة بن وقاص الليثي وله صحبة وفي هذه السنة مات قبيصة بن ذؤيب الخزاعي وولد أول سنة من الهجرة وسنكه النبي صلى الله عليه وسلم وكان على خاتم عبد الملك بن مروان وكان فقيها وفي أيامه مات سعد بن زيد الانصاري وولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي أيامه مات سلمة بن أم سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذه السنة مات عبد الله بن أبي أوفى الاسلمي وقيل سنة سبع وثمانين شهد الحديبية وخيبر وفي آخر أيامه مات الوليد بن عبادة بن الصامت الانصاري وولد في آخر زمن النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذه السنة توفي لاحق بن حميد أبو مجلز السدوسي

﴿ثم دخلت سنة سبع وثمانين﴾

﴿ذكر امارة عمر بن عبد العزيز بالمدينة﴾

وفي هذه السنة عزل الوليد هشام بن اسمعيل عن المدينة لسبع ليال خلون من ربيع الاول وكانت امارته عليها أربع سنين غير شهر أو نحوه وولى عمر بن عبد العزيز المدينة فقدمها لليال بقي من ربيع الاول وثقله على ثلاثين بعيرا فنزل دار مروان وجعل يدخل عليه الناس فسلموا فلما صلى الظهر دعا عشرة من الفقهاء الذين في المدينة عروة بن الزبير وأبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة وعبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود وأبا بكر بن عبد الرحمن بن الحرث وسليمان بن يسار والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عبيد الله بن عمر وعبد الله بن عامر بن ربيعة وخارجة بن زيد فدخلوا عليه فقال لهم انما دعوتكم لامر تؤجرون عليه وتكونون فيه أعوانا على الحق لا أريد ان أقطع أمرا الا برأيكم أو برأي من حضر منكم فان رأيتم أحدا يتعدى أو بلغكم عن عامل لي ظلامة فاحرج الله على من بلغه ذلك الا بلغني فخرجوا يجزونه خيرا وامروا وكتب الوليد الى عمر ابن عبد العزيز يأمره ان يقف هشام بن اسمعيل للناس وكان سيئ الرأي فيه وكان هشام بن اسمعيل يسيء جوار علي بن الحسين فخافه هشام فتقدم علي بن الحسين الى حاشيته ان لا يعرض له أحد بكلمة ومر به لي وقد وقف للناس ولم يعرض له فناداه هشام الله أعلم حيث يجعل رسالاته

فاكتنف تلك الارضين البرد واستولى عليها القر والجهد مراد افراط البرد في الجو حتى أزال حسن الاعتدال ورفع نضيلة النشف فلم تلبث الحرارة في الاجسام ولم تظهر الرطوبة في اغذاء الحيوان هنالك فصارت تلك البلاد قاعا صفصفا من الحيوان والنبات وهذه البلدان التي تراها مفرطة الحرارة والبرودة هي تناسب ما ذكرنا من هذه الديار البلاقع ولهذه الطائفة كلام كثير في فناء العالم ونقصه وعوده جديدا وذكروا أن السلطان في هذا الوقت السفلي والمشتري في التدبير وأن نهاية العالم في كثرة قطع الكوكب المدبر المسافة التامة بالقوى فاذا استكمل وبلغ المسافة التي ذكروها في الفلك فهنالك يقع الفساد ويكون الدثور بالعالم والكواكب اذا كملت عاد امر كرور وعاد التدبير الى الاول منها وعادت أشخاص كل عالم وصوره مع اجتماع المواد التي كانت له في حد حركة تأثير الكوكب الذي كان التدبير اليه هكذا عند هؤلاء كان يجري شأن العالم سرمدا (وزعموا) أن سلطان الحمل اثنا عشر ألف سنة وسلطان العقرب خمسة

آلاف سنة وسلطان الجدى ثلاثة آلاف سنة وسلطان الدلو الفاسنة وعنده ذا هو انقضاء العالم ونقص مافيه ورجوعه الى كونه (وتكلم هؤلاء) فى الجن الذين كانوا فى الارض قبل خلق آدم واستخلافه فى الارض وأن المتولى لهم كوكب من الكواكب النارية (وتكلم كلا الفريقين) فى أوج الشمس عند انفصالها الى البروج الجنوبية ومايحدث فى العالم فى كون الشمال جنوبا والجنوب شمالا وتحول العامر غامرا والغامر عامرا على حسب ماذكرنا فى كتابنا المترجم بكتاب الزلف (وقد ذهب) هؤلاء ممن تقدم من الاوائل أن التى وجد بها سائر الموجودات كالاول والثوانى والثوالث على قدر مراتبها فى العقل والنفس والصورة والهيولى وانها المبادى على حسب مارتبناه وقدمناه فى كتاب الزلف فاعدا ماوصفنا فهى الاجسام وأجناسها ستة الجسم السماوى والحيوانى الناطق والحيوانى غير الناطق والنبات والاحجار الجرية وهى المعدنية والاستقطاعات الاربعة وهى النار والهواء والماء والارض (وتكلم هؤلاء)

(ذكر صلح قتيبة ونيزك)

ولما صالح قتيبة ملك شومان كتب الى نيزك طرخان صاحب باذغيس فى اطلاق من عنده من أسرى المسلمين وكتب اليه يتهدده فخافه نيزك فاطلق الاسرى وبعث بهم اليه وكتب اليه قتيبة مع سليم الناصح مولى عبيد الله بن أبى بكرة يدعوه الى الصلح والى ان يؤمنه وكتب اليه يحلف بالله لئن لم يقدم عليه ليغزونه ثم ليطلبنه حيث كان حتى يظفر به أو يموت دونه فقدم سليم بالكتاب فقال له نيزك وكان يستنصحه ياسليم ماأظن عند صاحبك خيرا كتب الى كتابا لايكتب الى مثلى فقال له سليم انه رجل شديد فى سلطانه سهل اذا سوهل صعب اذا عوسر فلا يمنعك منه غلظة كتابه اليك فاحسن حالك عنده فقام نيزك مع سليم فصالحه لاهل باذغيس على ان لايدخلها قتيبة

(ذكر غزو الروم)

قيل وفى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الروم فقتل منهم عددا كثيرا بسوسنة من ناحية المصيصة وفتح حصونا وقيل ان الذى غزا فى هذه السنة هشام بن عبد الملك ففتح حصن بولق وحصن الاخرم وحصن بولس وقمقم وقتل من المستعربة نحو من ألف مقاتل وسبى ذريتهم ونساءهم

(ذكر غزو قتيبة بيكند)

ولما صالح قتيبة نيزك أقام الى وقت الغزو فغزا بيكند سنة سبع وتسعين وهى أدنى مدائن بخارا الى النهر فلما نزل بهم استنصروا الصغد واستمدوا من حولهم فأتوهم فى جمع كثير وأخذوا الطرق على قتيبة فلم يفد لقتيبة رسول ولم يصل اليه خبر شهرين وأبطأ خبره على الحجاج فاشفق على الجند فامر الناس بالدعاء لهم فى المساجد وهم يقتتلون كل يوم وكان لقتيبة عين من العجم يقال له تندر فاعطاه أهل بخارا مالا ليرد عنهم قتيبة فاتاه فقال له سرا من الناس ان الحجاج قد عزل وقد أتى عامل الى خراسان فلو رجعت بالناس كان أصلح فامر به فقتل خوفا من أن يظهر الخبر فيهلك الناس ثم أمر أصحابه بالجد فى القتال فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم الكفار يريدون المدينة وتبعهم المسلمون قتلا واسرا كيف شاؤا وتحصن من دخل المدينة بها فوضع قتيبة الفعلة ليهدم سورها فسألوه الصلح فصالحهم واستعمل عليهم عاملا وارتحل عنهم يريد الرجوع فلما سار خمسة فراسخ نقضوا الصلح وقتلوا العامل ومن معه فرجع قتيبة فنقب سورهم فسقط فسألوه الصلح فلم يقبل ودخلها عنوة وقتل من كان بها من المقاتلة وكان فيمن أخذوا من المدينة رجل أعورهو الذى استجاش الترك على المسلمين فقال لقتيبة أنا أفدى نفسى بخمسة آلاف حريرة قيمتها ألف ألف فاستشار قتيبة الناس فقالوا هذه زيادة فى الغنائم وماعسى ان يبلغ كيد هذا قال لا والله لا يروّع بك مسلم أبدا فامر به فقتل وأصابوا فيها من الغنائم والسلاح وآنية الذهب والفضة مالا يحصى ولا أصابوا بخراسان مثله فقوى المسلمون وولى قسم الغنائم عبد الله بن والان العدوى أحد بنى ملكان وكان قتيبة يسميه الامين ابن الامين فانه كان أمينا وكان من حديث أمانة أبيه ان مسلما الباهلى أبا قتيبة قال لوالان ان عندى مالا أحب ان استودعكه ولا يعلم به أحد قال والان ابعث به مع رجل تثق اليه الى موضع كذا وكذا ومره اذا رأى فى ذلك الموضع رجلا ان يضع المال وينصرف ففعل مسلم المال فى خرج وحمله على بغل وقال لمولى له انطلق بهذا المال الى موضع كذا وكذا فاذا رأيت رجلا جالسا فحل البغل وانصرف ففعل المولى ماأمره وأتى المكان وكان والان قد سبقه اليه وانتظر وابطأ عليه رسول مسلم فظن انه قد بدا له فانصرف وجاء رجل من بنى تغلب فجلس فى ذلك المكان وجاء مولى مسلم فرآه فسلم اليه البغل ورجع فاخذ التغلبى البغل

والمال

المال ورجع الى منزله وظن مسلم ان المال قد أخذه والان فلم يسأله حتى احتاج اليه فلقيه وقال مالى فقال ما قبضت شيأ ولا لك عندى مال فكان مسلم يشكوه الى الناس فشكاه وماوا التعلبى جالس فحلابه التعلبى وسأله عن المال فاخبره فانطلق به الى منزله وسلم المال اليه وأخبره الخبر وكان مسلم يأتى الناس والقبائل فيذكرلهم عذر والان ويخبرهم الخبر قال فلما فرغ قتيبة من فتح بكند رجع الى مرو

﴿ذكر عدة حوادث﴾

حج بالناس هذه السنة عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة وكان على قضاء المدينة أبو بكر بن عمرو ابن حزم وكان على العراق وخراسان الحجاج وكان خليفته على البصرة هذه السنة الحراح بن عبد الله الحكمى وعلى قضائها عبد الله بن ادريس وكان على قضاء الكوفة أبو بكر بن موسى الاشعرى وفيها مات عبيد الله بن عباس بالمدينة وقيل باليمن وكان أصغر من عبد الله بسنة وفيها مات مطرف ابن عبد الله بن الشخير فى طاعون الجارف بالبصرة وفيها مات المقدام بن معديكرب الكندى له خمسة وميل مات سنة احدى وسبعين وفيها مات أمية بن عبد الله بن أسيد (بفتح الهمزة الشخير بكسر الشين والخاء المعجمتين وتشديد الخاء وبعدها ياء)

﴿ثم دخلت سنة ثمان وثمانين﴾

﴿ذكر فتح طوانة من بلد الروم﴾

فى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك بلد الروم وكان الوليد قد كتب الى صاحب ارمينية يأمره ان يكتب الى ملك الروم يعرفه ان الحزر وغيرهم من ملوك جبال ارمينية قد أجمعوا على قصد بلاده فعمل ذلك وقطع الوليد البعث على أهل الشام الى ارمينية وأكثروا عظم جهازه وسار واتحو الحزر ثم عطفوا منها الى بلد الروم فاقتتلوا هم والروم فانهزم الروم ثم رجعوا فانهزم المسلمون فبقى العباس فى نفر منهم ان محرير الحمى فقال له العباس أين أهل القرآن الذين يريدون الجنة فقال ان محرير يادهم يأتونك فنادى العباس ياأهل القرآن فاطلوا جميعا فهزم الله الروم حتى دخلوا طوانة وحصرهم المسلمون وفتحوها فى جمادى الاولى قيل وفيها ولد الوليد بن يزيد بن عبد الملك

﴿ذكر عمارة مسجد النبى صلى الله عليه وسلم﴾

قيل وفى هذه السنة كتب الوليد الى عمر بن عبد العزيز فى ربيع الاول يأمره بادخال حجر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يشترى ما فى نواحيه حتى يكون مائتى ذراع فى مائتى ذراع ويقول له قدم القبلة ان قدرت وأنت تقدر لكان احوالك واهم لا تحالف وك فى أى منهم فتوهموا ملكه قسمة عدل واهدم عليهم وادفع الاثمان اليهم فان لك فى عمر وعثمان اسوة فاحصرهم عمر وأقرأهم الكتاب فاجابوه الى الثمن فاعطاهم اياه وأحدث فى هدم بيوت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنى المسجد وقدم عليهم المعلمين من الشام أرسلهم الوليد وبعث الوليد الى ملك الروم يعلمه انه قد هدم مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ليعمره فبعث اليه ملك الروم مائة ألف مثقال ذهب ومائة حامل وبعث اليه من الفسيفساء اربعين جملا فبعث الوليد بذلك الى عمر بن عبد العزيز وحضر عمر ومعه الناس فوضعوا اساسه وابتدؤا بعمارته قيل وفى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الروم أيضا وفتح ثلاثة حصون أحدها حصن قسطنطين وغرالة وحصن الاخرم وقتل من المستعربة نحو اربعة آلاف وأخذ الاموال

فيما يخص كل واحد مما ذكرنا مما لا يحتمله كتابنا هذا اذا كان فيه خروج عن الغرض المتمم فيه وقد أتينا على بسط ذلك فى كتاب الرؤس السبعة فى باب السياسة المدنية وعدد أحرائها وملتها الطبيعية وهل ملك تلك المدينة خمس أحرائها أو من غيرها واليه نهاية أحرائها على حسب ما ذكرناه ذكره فرفوريوس فى كتابه فى وصف مبارعة افلاطون وارسطاطاليس فى ذلك فأما علة كون الشتاء بأرض الهند فى الحالة التى يكون الصيف بها عندنا والشتاء يكون الصيف عندهم فقد ذكرنا علة ذلك ووجه البرهان عليه وأن فلك الشمس فى قربها وبعدها وكذلك علة تكون السودان فى بعض البقاع من الارض دون بعض وتغير ألوان الصقالبة وشقرتهم وسبوبة شعورهم وما لحق التركمن استرخاء مفاصلهم وتقوح سقامهم ولين عظامهم حتى ان أحدهم ليرمى بالنشاب من حلف كرميه من قدام فيصير وجهه قفاه وقفاه وجهه ومطاوعة فقارات الظهور لهم على ذلك وكون الحمرة فى وجوههم عند تكامل الحرارة فى الوجه

على الاغلب من كونها وارتفاعها الغلبة البرد على أجسامهم فقد أتينا بحمد الله على ما ذكرنا فيما سلف من كتبنا فى هذه المعانى المقدم ذكرها ولم نتعرض لذكر ما لم يصح عندنا فى العالم وجوده حسا ولا خبرا قاطعا للعذر ولا دافعا للرأى ومزيلا للشك كاخبار العامة فى كون النسناس وان وجوههم على نصف وجوه الناس وانهم دور الباب وقولهم فى عنقاء مغرب وقد زعم كثير من الناس أن الحيوان الناطق ثلاثة أجناس ناس ونسناس ونسانس وهذا محال من القول لان النسناس انما وقع هذا الاسم على السفلة من الناس والرذال وقد قال الحسن ذهب الناس وبقى النسناس قال الشاعر

ذهب الناس فاستقلوا وصرنا
خلفا فى أرادل النسناس

أراد به ما وصفنا أى ذهب الناس وبقى من لا خير فيه (وقد ذهب) كثير من الناس الى أن الجن نوعان أعلاهم وأشدهم الجن وأضعفهم الحن وأنشد الزاجر

* مختلف سحرهم جن وحن *

﴿ذكر غزو نومشكث وراميثنة﴾

قيل وفى هذه السنة غزا قتيبة بن مسلم نومشكث واستخلف على مرو أخاه يسار بن مسلم فتلقاه أهلها فصالحهم ثم سار الى راميثنة فصالحه أهلها وانصرف عنهم وزحف اليه الترك ومعهم الصغد وأهل فرغانة فى مائتى ألف وملكهم كورنعاون ابن أخت ملك الصين فاعترضوا المسلمين فلحقوا عبد الرحمن بن مسلم أخا قتيبة وهو على الساقة وبينه وبين قتيبة وأوائل العسكر ميل فلما قربوا منه أرسل الى قتيبة يخبره وأدركه الترك فقاتلوه ورجع قتيبة فانتهى الى عبد الرحمن وهو يقاتل الترك وقد كاد الترك يظهرون فلما رأى المسلمون قتيبة طابت نفوسهم وقاتلوا الى الظهر وابلى يومئذ نيزك وهو مع قتيبة فانهزم الترك ورجع قتيبة فقطع النهر عند ترمذ وأتى مرو

﴿ذكر ما عمل الوليد من المعروف﴾

وفى هذه السنة كتب الوليد الى عمر بن العزيز فى تسهيل الثنايا وحفر الآبار وأمره ان يعمل النوارة بالمدينة ففعلها واجرى ماءها فلما رآها الوليد ورآها أعجبته فامر لها بقوام يقومون عليها وأمر أهل المسجد ان يستقوا منها وكتب الى البلدان جميعها باصلاح الطرق وعمل الآبار ومنع المجذمين من الخروج على الناس: اجرى لهم الارزاق

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج بالناس هذه السنة عمر بن عبد العزيز ووصل جماعة من قريش وساق معه بدنا وأحرم من ذى الحليفة فلما كان بالتنعيم اخبر أن مكة قليلة الماء وانهم يخافون على الحاج العطش فقال عمر تعالوا ندع الله تعالى فدعا ودعا معه الناس فساروا حتى البيت الا مع المطر وسال الوادى فخاف أهل مكة من شدته ومطرت عرفة وم وكثر الخصب وقيل انما حج هذه السنة عمر بن الوليد بن عبد الملك وكان العامل من تقدم ذكرهم وفيها مات سهل بن سعد الساعدى وقيل بل سنة احدى وتسعين وله مائة سنة وعبد الله بن بسر المازنى من مازن بن منصور وكان ممن صلى الى القبلتين وهو آخر من مات بالشام من الصحابة (بسر بضم الباء الموحدة وبالسين المهملة)

﴿ثم دخلت سنة تسع وثمانين﴾

﴿ذكر غزو الروم﴾

قيل فى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك الروم فافتتح مسلمة حصن عمورية وفتح العباس ادرولية ولقى من الروم جمعا فهزمهم وقيل ان مسلمة قصد عمورية فلقى بها جمعا من الروم كثيرا فهزمهم وافتتح هرقلة وقونية وغزا العباس الصائفة من ناحية البذندون

﴿ذكر غزو قتيبة بخارا﴾

فى هذه السنة أتى قتيبة كتاب الحجاج يأمره بقصد وردان خذاه فعبر النهر من زم فلقى الصغد وأهل كش ونسف فى طريق المفازة فقاتلوه فظفر بهم ومضى الى بخارا فنزل خرقانة السفلى عن يمين وردان فتقوه فى جمع كثير فقاتلهم يومين وليلتين فظفر بهم وغرا وردان خذاه ملك بخارا فلم يظفر بشئ فرجع الى مرو وكتب الى الحجاج يخبره فكتب اليه الحجاج أن صورها فبعث اليه بصورتها فكتب اليه الحجاج أن تب الى الله جل ثناؤه مما كان منك وانتهاس مكان كذا وكذا وكتب اليه ان كس بكش وانسف نسف وردو وردان واياك والتحويط ودعى من ثنيات الطريق وقيل انما كان فتح بخارا سنة تسعين على ما ذكره

﴿ذكر

﴿ ذكر ولاية خالد بن عبد الله القسري مكة ﴾

قيل وفي هذه السنة ولي خالد بن عبد الله القسري مكة فخطب أهلها فقال أيها الناس أيهما أعظم خليفة الرجل على أهله أو رسوله اليهم. الله لم تملموا فضل الخليفة ألا ان ابراهيم خليل الرحمن استسقاه فسقاه ملحا أجاجا واستسقى الخليفة فسقاه عذبا فراتا يعني بالملح زمزم وبالماء الفرات بئرا حفرها الوليد بثنية طوى في ثنية الحجون وكان ماؤها عذبا وكان ينقل ماءها ويضعه في حوض الى جنب زمزم ليعرف فضله على زمزم فغارت البئر وذهب ماؤها فلا يدري أين هو اليوم وقيل وليها سنة احدى وتسعين وقيل سنة أربع وتسعين وقد ذكرناه هناك

﴿ ذكر قتل ذاهر ملك السند ﴾

في هذه السنة قتل محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي بجتمع هو والحجاج في الحكم ذاهر بن صعصعة ملك السند وملك بلاده وكان الحجاج بن يوسف استعمله على ذلك الثغر وسيره معه ستة آلاف مقاتل وجهزه بكل ما يحتاج اليه حتى المسال والابر والخيوط فسار محمد الى مكران فاقام بها أياما ثم أتى قنزبور فصالحها ثم سار الى ارمائيل ففتحها ثم سار الى الديبل فقدمها يوم جمعة ووافته سفن كان حملها الرجال والسلاح والاداة لخندق حين نزل الديبل وأنزل الناس منازلهم ونصب منجنيقا يقال له العروس كان يمده خمسمائة رجل وكان بالديبل بد عظيم عليه دقل عظيم وعلى الدقل راية حمراء اذا هبت الريح أطافت بالمدينة وكانت تدور والبد صنم في بناء عظيم تحت منارة عظيمة مرتفعة وفي رأس المنارة هذا الدقل وكل ما يعبدونه وعندهم بد فحصرها وطال حصارها فرمى الدقل تحجير العروس وكسره فتيه الكفار بذلك ثم ان محمدا آتى وناهضهم وقد حرجوا اليه فهزمهم حتى ردهم الى البلد وأمر بالسلالم فنصبت وصعد عليها الرجال وكان أولهم صعودا رجل من مراد من أهل الكوفة ففتحت عنوة وقتل فيها ثلاثة أيام وهرب عامل ذاهر عنها وأنزلها محمد أربعة آلاف من المسلمين وبنى جامعها وسار عنها الى البيرون وكان أهلها بعثوا الى الحجاج فصالحوه فلقوا محمدا بالميرة وأدخلوه مدينتهم وسار عنها وجعل لا يمر بمدينة الا فتحها حتى عبر نهر اددون مهران فاتاه أهل سربيدس فصالحوه ووظف عليهم الخراج وسار عنهم الى سهبان فتحها ثم سار الى نهر مهران فنزل في وسطه وبلغ خبره ذاهر فاستعد لمحاربته وبعث جيشا الى سدوستان فطلب أهلها الامان والصلح فأمنهم ووظف عليهم الخراج ثم عبر محمد مهران مما يلي بلاد راسل الملك لي جسر عقده وذاهر مستخف به فلقيه محمد والمسلمون وهو على فيل وحوله الفيلة ومعه التكاكرة فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع بمثله وقتل ذاهر عند المساء ثم انهزم الكفار وقتلهم المسلمون كيف شاؤا وقال قاتله

الخيل تشهد يوم ذاهر والقنا * ومحمد بن القاسم بن محمد
اني فرجت الجمع غير معرد * حتى علوت عظيمهم بمهند
فتركته تحت العجاج مجندلا * متعفر الخدين غير موسد

فلما قتل ذاهر غلب محمد على بلاد السند وفتح مدينة راور عنوة وكان بها امرأة لذاهر فخافت ان تؤخذ فاحرقت نفسها وجواريها وجميع مالها ثم سار الى برهمناباذ العتيقة وهي على فرسخين من المنصورة ولم تكن المنصورة يومئذ كان موضعها غيضة وكان المنهزمون من الكفار بها فقاتلوه ففتحها محمد عنوة وقتل بها بشرا كثيرا وخربت وسار يريد الرور وبغرور فلقيه أهل ساوندري فطلبوا الامان فاعطاهم اياه واشترط عليهم ضيافة المسلمين ثم أسلم أهلها بعد ذلك ثم تقدم الى

وهذا التفصيل بين الجنسين من الحبش لم يرد به خبر ولا صح به أثر وانما ذلك من توهم الاعراب على ما بيناه آنفا وقد غلب على كثير من العوام الاخبار عن معرفة النسناس وصحة وجوده في العالم كالاخبار عن وجود الصين وغيرها من الممالك النائية والامصار العاصية ببعضهم يخبر عن وجودهم في المشرق وبعضهم في المغرب فأهل المشرق يذكرون كونها بالمغرب وأهل المغرب يذكرون أنها بالمشرق وكذلك كل صقع من البلاد يسير سلطانه الى ان النسناس فيما بعد عنهم من البلاد وأى عن الديار وقد رووا في ذلك خبرا مخرجه من طريق الآحاد أن ذلك في بلاد حضرموت من الشحر وهو ما ذكرناه عن عبد الله بن كثير بن عنبر المصري عن أبيه يعقوب بن الحرث بن لخيم عن شيبة بن الحرث التميمي قال قدمت الشحر فنزلت على رأسها فتذاكرنا النسناس فقلت صيدوا لنا منها فلما ان رجعت اليه اذا بنسناس منها مع بعض أعوانه المهرة فقال لي النسناس أنا بالله وبك فقلت لهم خلوه فخلوه فلما

بعد وصالح أهلها ووصل الى الرور وهي من مدائن السند على جبل فحصرهم شهورا فصالحوه وسار الى السكة ففتحها ثم قطع نهر بياس الى الملتان فقاتله أهلها وانهزموا فحصرهم محمد فجاءه انسان ودله على قطع الماء الذي يدخل المدينة فقطعه فعطشوا فالقوا بايديهم ونزلوا على حكمه فقتل المقاتلة وسبى الذرية وسدنة البدو هم ستة آلاف واصاب اذهبا كثيرا فجمع في بيت طوله عشرة أذرع وعرضه ثمانية أذرع يلقى اليه من كوة في وسطه فسميت الملتان فرج بيت الذهب والفرج الثغر وكان بد الملتان تهدى اليه الاموال ويحج من البلاد ويحلقون رؤسهم ولحاهم عنده ويزعمون أن صنمه هو أيوب النبي صلى الله عليه وسلم وعظمت فتوحه ونظر الحجاج في النفقة على ذلك الثغر فكانت ستين ألف ألف درهم ونظر في الذي حمل فكان مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف فقال ربحنا ستين ألفا وأدركنا ثارنا ورأس ذا هر ثم مات الحجاج وذكر امر محمد عند موت الحجاج ان شاء الله تعالى

﴿ذكر استعمال موسى بن نصير على افريقية﴾

في هذه السنة استعمل الوليد بن عبد الملك موسى بن نصير على افريقية وكان نصير والده على حرس معاوية فلما سار معاوية الى صفين لم يسر معه فقال له ما يمنعك من المسير معي الى قتال علي ويدي عندك معروفة فقال لا أشركك بكفر من هو أولى بالشكر منك وهو الله عز وجل فسكت عنه معاوية فوصل موسى الى افريقية وبها صالح الذي استخلفه حسان على افريقية وكان البربر قد طمعوا في البلاد بعد مسير حسان فلما وصل موسى عزل صالحا وبلغه ان باطراف البلاد قوما خارجين عن الطاعة فوجه اليهم ابنه عبد الله فقاتلهم فظفر بهم وسبى منهم ألف رأس وسيره في البحر الى جزيرة ميورقة فنهبها وغنم منها ما لا يحصى وعاد سالما فوجه ابنه هرون الى طائفة أخرى فظفر بهم وسبى منهم نحو ذلك وتوجه هو بنفسه الى طائفة أخرى فغنم نحو ذلك فبلغ الخمس ستين ألف رأس من السبي ولم يذكر أحد انه سمع بسبي أعظم من هذا ثم ان افريقية قحطت واشتد بها الغلاء فاستسقى بالناس وخطبهم ولم يذكر الوليد وقيل له في ذلك فقال هذا مقام لا يدعى فيه لاحد ولا يذكر الا الله عز وجل فسقي الناس ورخصت الاسعار ثم خرج غازيا الى طنجة يريد من بقي من البربر وقد هربوا خوفا منه فتبعهم وقتلهم قتلا ذريعا حتى بلغ السوس الادنى لا يدافعه أحد فاستأمن البربر اليه وأطاعوه واستعمل على طنجة مولاه طارق بن زياد ويقال انه صدفي وجعل معه جيشا كثيفا فجلهم البربر وجعل معهم من يعلمهم القرآن والفرائض وعاد الى افريقية فغزا بلعة مجانة فخص أهلها منه وترك عليها من يحاصرها مع بشر بن فلان ففتحها فسميت قلعة بشر الى الآن وحينئذ لم يبق له في افريقية من ينازعه وقيل كانت ولاية موسى سنة ثمان وستين استعمله عليها عبد العزيز بن مروان وهو حينئذ على مصر لاخيه عبد الملك

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الترك من ناحية اذربيجان ففتح حصونا ومدائن هناك وجاء الناس عمر بن عبد العزيز وكان العمال من تقدم ذكرهم وفي هذه السنة مات عبد الله بن ثعلبة ابن صعير العذري حليف بني زهرة وكان مولده قبل الهجرة باربع سنين وقيل ولد سنة ست من الهجرة (صعير بضم الصاد وفتح العين المهملتين) وفيها مات ظليم مولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح بافريقية (ظليم بفتح الظاء المعجمة وكسر اللام)

﴿ثم دخلت سنة تسعين﴾

﴿ذكر فتح بخارا﴾

حضر الغداء قال هل اصطدتم منها شيأ قالوا نعم ولكن خلاه ضيفك قال استعدوا فانا خارجون في قنصه فلما خرجنا الى ذلك السرح خرج منها واحد يعدو وله وجه كوجه الانسان وشعرات في ذقنه ومثل الثدي في صدره ومثل رجلي انسان رجلاه وقد ألف به كلبان وهو يقول

الويل لي مما به دهاني
دهري من الهموم والاحزان
قفا قليلا أيها الركبان
واستمعا قولي وصدقاني
انكما حين تحارباني
ألفيتماني حضر ايماني
لولا سباتي ما ملكتماني
حتى تموتا أو تفارقاني
لست بحوار ولا جبان
ولا بنكس رعش الجنان
لكن قضاء الملك الرحمن
يذل ذا القوة والسلطان

قال فالتقيا به كلبان فأخذاه وبزعمون أنهم ذبحوا منها نسناسا فقال آخر من شجرة كان يأكل السماق قال فقالوا نسناس آخر خذوه فأخذوه وذبحوه وقالوا لو سكت هذا لم يعلم بمكانه فقال نسناس من شجرة أخرى أنا صمت فأخذوه فذبحوه وقالوا لو سكت هذا لم يعلم بمكانه فقال نسناس من شجرة أخرى بالساب احفظ الرأس قالوا

قد ذكرنا ورود كتاب الحجاج الى قتيبة يأمره بالتوبة عن انصرافه عن ورد ان خذاه ملك بخارا ويعرفه الموضع الذي يأتي بلده منه فلما ورد الكتاب على قتيبة حرج غازيا الى بخارا سنة تسعين فاستجاش ورد ان خذاه بالصغد والترك من حوله فاتوه وقد سبق اليها قتيبه فحصرها فلما جاءتهم أمدادهم خرجوا الى المسلمين يقاتلونهم فقالت الازد اجعلوا ناحية وخلوا بيننا وبين قتلاهم فقال قتيبة تقدموا فتقدموا وقاتلوهم قتالا شديدا ثم ان الازد انهزموا حتى دخلوا العسكر وركبهم المشركون فحطموهم حتى أدخلوهم عسكرهم وحازوه حتى ضرب النساء وجوه الخيل وبكين فكروا راجعين فانطوت مجنبتا المسلمين على الترك فقاتلوهم حتى ردوهم الى مواقفهم فوقف الترك على نشز فقال قتيبة من يريلهم عن هذا الموضع فلم يقدم عليهم أحد من العرب فاتى بني تميم وقال لهم يوما كايامكم فاخذ وكيع اللواء وقال يابني تميم أتسلمونني اليوم قالوا لا يا أبا مطرف وكان هريم بن أبي طحمة على خيل تميم ووكيع رأسهم فقال وكيع ياهريم فدم خيلك ودفع اليه الراية فتقدم هريم وتقدم وكيع في الرجالة فانتهى هريم الى نهر بينهم وبين الترك فوقف فقال وكيع تقدم ياهريم فنظر هريم نظر الجمل المائح الصائل وقال أأقتحم الخيل هذا النهر فان انكشفت كان هلاكنا ايأ حق فقال وكيع يابن اللخناء اترد أمري فخذفه بعمود كان معه فعبر هريم في الخيل وانتهى وكيع الى النهر فعمل عليه جسرا من خشب وقال لاصحابه من وطن نفسه على الموت فليعبر والا فليثبت مكانه فما عبر معه الا ثمانمائة رجل فلما عبروا بهم ودنا من العدو قال لهريم انى مطاعنهم فاشغلهم عنا بالخيل فحمل عليهم حتى حالطهم وحمل هريم في الخيل فطاعنوهم ولم يبرحوا يقاتلونهم حتى حدروهم من التل ونادى قتيبة ما ترون العدو منهزمين فلم يعبر أحد النهر حتى انهزموا وعبر الناس ونادى قتيبة من أتى برأس فله مائة فأتى برؤس كثيرة فجاء يومئذ أحد عشر رجلا من بني قريع كل رجل برأس فيقال له من أنت فيقول قريعي فجاء رجل من الازد برأس فقيل له من أنت فقال قريعي فعرفوه جهشم بن رحر فقال كذب والله انه أردي فقال له قتيبة ما دعاك الى هذا فقال رأيت كل من جاء يقول قريعي فظننت انه ينبغي لكل من جاء برأس ان يقوله فضحك قتيبة وحرح خافان وابنه وفتح الله عليهم وكتب بالفتح الى الحجاج

﴿ذكر صلح قتيبة مع الصغد﴾

لما وقع قتيبة باهل بخارا هاله الصغد فرجع طرخون ملكهم ومعه فارسان فدنا من عسكر قتيبة فطلب رجلا يكلمه فارسل اليه قتيبة حيان النبطي فطلب الصلح على مدية يؤديها اليهم فاجابه قتيبة الى ما طلب وصالح ورجع طرخون الى بلاده ورجع قتيبة ومعه نيزك (حيان بالحاء المهملة والياء المشددة تحتها نقطتان وآخره نون)

﴿ذكر غدر نيزك وفتح الطالقان﴾

قيل لما رجع قتيبة من بخارا ومعه نيزك وقد خاف لما يرى من الفتوح فقال لاصحابه أترامع هذا ولست آمنه ولو استأذنته ورجعت كان الرأي قالوا افعل فاستأذن قتيبة فاذن له وهو بأمل فرجع بريد طخارستان وأسرع السير حتى أتى النوبهار فنزل يصلي فيه ويتبرك به وقال لاصحابه لا أشك ان قتيبة قد ندم على اذنه لي وسيبعث الى المغيرة بن عبد الله يأمره بحبسي وندم قتيبة على اذنه له فارسل الى المغيرة يأمره بحبس نيزك وسار نيزك وتبعه المغيرة فوجده قد دخل شعب خلم فرجع المغيرة وأظهر نيزك الخلع وكتب الى أصبهبذ بلخ والى بادان ملك مرو الروذ والى ملك الطالقان والى ملك الفرياب والى ملك الجوزجان يدعوهم الى خلع قتيبة فاجابوه فواعدهم الربيع

نسناس خذوه فأخذوه وزعم من روى هذا الخبر أن المهرة تصطادها في بلادها وتأكلها (قال المسعودي) ووجدت أهل الشحر من بلاد حضرموت وساحلها وهي تسعون مدينة على الشاطئ من أرض الاحقاف وهي أرض الرمل وغيرها مما اتصل بهذه الديار من أرض اليمن وغيرها من عمان وأرض المهرية تستظرفون أخبار النسناس اذا ما حدثوها ويتعجبون من وصفه ويتوهمون أنه ببعض بقاع الارض مما قد نأى عنهم وبعد كسماع غيرهم من أهل البلاد بذلك عنهم وهذا يدل على عدم كونه في العالم وانما ذلك من هوس العامة واختلاطها كما وقع لهم أخبار عنقاء مغرب وهذا يدل على عدم كونه في العالم وروى فيه حديثا عزوه الى ابن عباس ونحن لم نحل وجود النسناس والعنقاء وغير ذلك مما اتصل بهذا النوع من الحيوان الغريب النادر في العالم من طريق العقل فان ذلك غير ممتنع في القدرة لكن أحلنا ذلك لان الخبر القاطع للعذر لم يرد بصحة وجود ذلك في

ان يجتمعوا ويغزو قتيبة وكتب الى كابل شاه يستظهر به وبعث اليه بثقله وماله وسأله ان ياذن له ان اضطر اليه ان يأتيه فاجابه الى ذلك وكان جبغويه ملك طخارستان ضعيفا فاخذه نيزك فقيده بقيد من ذهب لئلا يخالف عليه وكان جبغويه هو الملك ونيزك عبده فاستوثق منه وأخرج عامل قتيبة من بلاد جبغويه وبلغ قتيبة خلعه قبل الشتاء وقد تفرق الجند فبعث أخاه عبد الرحمن ابن مسلم في اثني عشر ألفا الى البروقان وقال اقم بها ولا تحدث شيأ فاذا انقضى الشتاء سر نحو طخارستان واعلم اني قريب منك فسار فلما كان آخر الشتاء كتب قتيبة الى نيسابور وغيرها من البلاد ليقدم عليه الجنود فقدموا قبل أوانهم فسار نحو الطالقان وكان ملكها قد خلع وطابق نيزك على الخلع فاتاه قتيبة فأوقع باهل الطالقان فقتل من أهلها مقتلة عظيمة وصلب منهم سماطين أربعة فراسخ في نظام واحد ثم انقضت السنة قبل محاربة نيزك وسنذكر تمام خبره سنة احدى وتسعين ان شاء الله

﴿ذكر هرب يزيد بن المهلب واخوته من سجن الحجاج﴾

قيل وفي هذه السنة هرب يزيد بن المهلب واخوته الذين كانوا معه في سجن الحجاج وكان الحجاج قد خرج الى رستقباذ للبعث لان الاكراد كانوا قد غلبوا على فارس وخرج معه يزيد بن المهلب واخوته عبد الملك والمفضل في عسكره وجعل عليهم كهيئة الخندق وجعلهم في فسطاط قريب منه وجعل عليهم الحرس من أهل الشام وطلب منهم ستة آلاف ألف وأخذ يعذبهم فكان يزيد يصبر صبرا حسنا وكان ذلك مما يغيظ الحجاج منه فقيل للحجاج انه رمى في ساقه بنشابة فثبتت نصالها فيه فهو لا يمسها الاصاح فامر ان يعذب في ساقه فلما علموا به ذلك صاح وأخته هند بنت المهلب عند الحجاج فلما سمعت صوته صاحت وناحت فطلقها الحجاج ثم انه كف عنهم وأقبل يستأديهم وهم يعملون في التخلص فبعثوا الى أخيهم مروان وكان بالبصرة ان يضمر لهم خيلا ويرى الناس انه يريد بيعها لتكون عدة ففعل ذلك وكان أخوه حبيب يعذب بالبصرة أيضا فصنع يزيد للحرس طعاما كثيرا وأمر لهم بشراب فسقوا واشتغلوا به وليس يزيد ثياب طباخه وخرج وقد جعل له لحية بيضاء فرآه بعض الحرس فقال كانت هذه مشية يزيد فجاء اليه فرأى لحيته بيضاء في الليل فتركه وعاد فخرج المفضل ولم يفطن له فجاؤا الى سفن معدة فركبها يزيد والمفضل وعبد الملك وساروا ليلتهم حتى اصبحوا فلما أصبحوا وعلم بهم الحرس فرفعوا خبرهم الى الحجاج فنزع وظن انهم يفسدون خراسان ليفتنوا بها فبعث البريد الى قتيبة يخبرهم ويأمره بالحذر ولما دنا يزيد من البطائح استقبلته الخيل فخرجوا عليها ومعهم دليل من كلب فأخذوا طريق الشام على طريق السماوة وأتى الحجاج بعد يومين فقيل له انهم أخذوا طريق الشام فبعث الى الوليد بن عبد الملك يعلمه ثم سار يزيد فقدم فلسطين فنزل على وهيب بن عبد الرحمن الازدي وكان كريما على سليمان بن عبد الملك فجاء وهيب الى سليمان فاعلمه بحال يزيد واخوته وانهم قد استعاذوا به من الحجاج قال فأتى بهم فهم آمنون لا يتوصل اليهم أبدا وأتاحي فجاء بهم اليه وكانوا في مكان آمن وكتب الحجاج الى الوليد ان آل المهلب خانوا أمان الله وهربوا مني والحقوا بسليمان وكان الوليد قد حذرهم وظن انهم يأتون خراسان للفتنة بها فلما علم انهم عند أخيه سليمان سكن بعض ما به وطار غضبا للمال الذي ذهب به فكتب سليمان الى الوليد ان يزيد عندي وقد آمنته وانا عليه ثلاثة آلاف ألف لان الحجاج أغرمه ستة آلاف ألف فادى ثلاثة آلاف ألف والذي بقي عليه انا أؤديه فكتب الوليد والله لا أؤمنه حتى تبعث به الى فكتب لئن أنا بعثت به اليك لاجيئن معه فكتب الوليد والله لئن

العالم هذا باب هو داخل في حيز الممكن الجائز خارج عن باب الممتنع والواجب ويحتمل هذه الانواع من الحيوان النادر ذكرها كالنسناس والعنقاء والعربد وما اتصل بهذا المعنى أن تكون أنواعا من الحيوان أخرجتها الطبيعة من القدرة الى الفعل ولم تحكمه ولم يتأت فيه الطبع كما تأتيه في غيره من الحيوان فبقي شاذا فريدا متوحشا نادرا في العالم طالبا للبقاع النائية من البرمبا ينا لسائر أنواع الحيوان من الناطقين وغيرهم للضدية التي فيه لغيره مما قد أحكمته الطبيعة وعدم نشاكله به والمناسبة التي بينه وبين غيره من أجناس الحيوان وأنواعه على حسب ما قدمنا في باب الغيلان فيما سلف من هذا الكتاب وفي الاكثار من هذا خروج عن الغرض الذي اليه قصدنا في هذا الكتاب وقد منا فيما سلف من هذا الكتاب من الاخبار عن زعم أن المتوكل أمر حسين ابن اسحق أو غيره من أهل عصره وممن عني بهذا الشأن من الحكماء أن يأتي له ويحتال في حمل النسناس والعربد من أرض

حتى لا أوصمه فقال يزيد لا بي اليه فوالله ما أحب ان أوقع بينه وبينك عداوة ولا ان يتشاءم الناس بي لكاوا كتب معي الطف ما قدرت عليه فارسله وأرسل معه أسه أيوب وكان الوليد قد أمره ان يبعث به مقيدا فقال سليمان لا شد دخلت على ام المؤمنين فادخل أنت ويزيد في سلسلة ففعل ذلك فلما رآى الوليد اخاه في سلسلة قال لقد لعب بنا سليمان ودفع أيوب كتاب أبيه الى عمه وقال له يا أمير المؤمنين بعني فداؤك ولا تجعل ذمة أبي وأنت أحق من وفى بها ولا تقطع صلة رحاه من رحا السلامة في حوار بلا كاسف ولا ذليل من ربا العز في الانقطاع اليما لعز بارث فقرأ الوليد كتاب سليمان فاذا هو يستعطفه ويشفع اليه ويضمن ايصال المال فلما قرأ الكتاب قال لعمه شفعا على سليمان ترد كلامه يزيد واعاد عليه فاصمه الوليد ورجع الى سليمان وكتب الوليد الى الحاج اني لم أصل الى يزيد وأهله مع سليمان فاكفف عنهم وكف عنهم وكان أوعبيه من المهلب عند الحاج سبعة آلاف ألف درهم وكان من حسنات المهلب واقام يزيد بن المهلب عند سليمان يهدي اليه الهدايا فيصنع له الاطعمة وكان لا يأتي يزيد هدية الا بعث بها الى سليمان ولا يأتي سليمان هدية الا بعث بها الى يزيد وكان يطعمه الاطعمة التي يريد

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم فتح الحصون الى سور به وغزا عباس ابن الوليد حتى مر بزرنوق وهو سور قونية وفيها استعمل الوليد بن عبد الملك عمر بن هبيرة على مصر وعزل اخاه عبد الملك بن عبد الملك وفيها أغارت الروم على بلد من كيسان صاحب الخزر فاهدى ملكهم الى الوليد وبالناس هذه السنة عمر بن عبد العزيز وكان أميرا على مكة والمدينة والطائف وكان على العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف وعامله على البصرة الحكم بن عبد الله الحكمي وعلى قضائها عبد الرحمن بن ادبه وعلى خراسان يزيد بن مهلب وعلى مصر عمر بن هبيرة وفيها مات أنس ابن مالك الانصاري وعمل سنة ثمان وسبعين وقيل اثنتين وثمانين وكان عمره نيفا وتسعين سنة وقيل مائة وست سنين وقيل وتسع وقيل وثلاث وفيها مات أبو العالية الرياحي في شوال وفيها توفي صخر بن عاصم الكلابي الحكمي أحد الاجواد المذكورين في الدولة وعمل مات سنة تسعين

﴿ ثم دخلت سنة تسع وتسعين ﴾

﴿ ذكر عمر وفيه مع بركة ﴾

قد ذكرنا مسير قتيبة الى بركة وما جرى له الى ان وصل مرو فعمل بها ما ذكرنا فلما فتح الطالقان استعمل أخاه عمر بن مسلم وقيل ان ملكها لم يحارب فتركه على عمله وكان بها الصوفي فصالحهم وصالحوه ثم سار قتيبة الى الفارياب فصالح اهلها على ما عمل منه ولم يقتل منها احدا واستعمل عليها رجلا من أهله وبلغ صاحب الخزر ان جندهم هرب الى الجبال وسار قتيبة الى الخزر بان فلقيه أهلها في مائتين مطيقين فعمل فيهم وقتل منهم أحدا واستعمل عليهم رجلا من مالك الحماني ثم أتى بلخ فلقيه أهلها فلم يقم بها الا يوما واحدا وسار يريد أخاه عبد الرحمن الى شعب حلم ومضى بركة الى هلان وخلف معاذ بن مسلم بمرو فلما بلغ الشعب ومضايقه وجد القوم قد تحصنوا في قلعة حصينة من وراء الشعب فاقام قتيبة أياما يناوشهم على مضيق الشعب لا يقدر على دخوله ولا يعرف طريقا الى بركة الا الشعب أو مفازة لا تحمل الجيش العساكر فبقي متحيرا فقدم اليه سمان فاشار عليه ان يبعث الى مدخل القلعة التي من وراء الشعب فاتاه فبعث معه رجالا فانتهوا بهم الى القلعة من وراء الشعب حلم فطردوهم وهم آمنون فملكوها وهرب من بقي منهم ومن كان في الشعب فدخل قتيبة الشعب فاتى القلعة ومضى الى سمنجان فاقام بها أياما ثم سار الى بركة وقدم أخاه عبد الرحمن فارتحل بركة من مرو فمضى وأتى فرغانة وجعل قتيبة رأس ماله الى كل شاه ومضى حتى نزل

اليمامة وأن حسينا حمل له شيأ من ذلك وقد أتينا على شرح هذا الخبر فيمن أرسل ان اليمامة في حمل العريد الى بلاد الشحر وفي حمل العباس بن الرماس والله تعالى أعلم بصحة هذا الخبر وليس لنا في ذلك الا النقل وأن نعزوه الى راويه وهو المقلد نعلم ذلك فيما حكاه ورواه فنطعمه على حسب ما يأتي نطعمه في ذلك الموضع المستحق له والله ولي التوفيق برحمته (وأما ما ذكره) ابن عباس وهو خبر يتصل بخبر الدرس سمان العبسي وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب خبر الدرس سمان العبسي وأنه ذكر أنه كان في العشرة من عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وذكر ما خبره مع النار واطعامه لها (فلنذكر الآن خبر العقاء) على حسب ما رووه فلا بد من اعادة خبر جلد لذكر العقاء واتساع الخبر بن ومخرج هذه الاخبار كلها عن ابن عمر حدث الحسن بن ابراهيم قال حدثنا محمد بن عبد الله المروزي قال حدثنا أسد ابن سعيد بن كثير عن ابن عمير عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق

الكرر عبد الرحمن بتبعه فنزل عبد الرحمن حذاء الكرر ونزل قتيبة بينه وبين عبد الرحمن مرسحان فتحصن نيزك في الكرر وليس اليه مسلك الا من وجه واحد وهو صعب لا تطيقه الدواب فحصره قتيبة شهرين حتى قل ما في يد نيزك من الطعام وأصابهم الجدري وجدري يجمعويه وخاف قتيبة الشتاء فدعا سليما الناصح فقال انطلق الى نيزك وأحتل لتأتيني به بغير أمان فان احتال وأبى فاعلمه واعلم ابى ان عاينتك وليس هو معك سلمتك قال فاكتب الى عبد الرحمن لا يحالفني وكتب اليه فقدم عليه فقال له ابعث رجالا ليكونوا على فم الشعب فاذا خرجت أنا ونيزك فليعطفوا علينا وراءنا فيحولوا بيننا وبين الشعب ففعل عبد الرحمن فخيلا فكانت هنالك وحمل سليم معه اطعمة واحمله أوقارا وأتى نيزك فقال له انك أسأت الى قتيبة وغدرت قال نيزك فما الرأي قال أرى ان تأتيه فانه ليس سارح وقد عزم على ان يشتوم كانه هلك أو سلم قال نيزك فكيف آتيه على غدراتي قال ما أظنه يؤمنك لما في نفسه عليك لانك قد ملأته غيظا ولكني أرى ان لا يعلم حتى تضع يدك في يده فاني أرجو ان يستحي ويعفو قال اني أرى نفسي تأبى هذا وهو ان رآني ولي فقال سليم ما أيتك الا لاشير عليك بهذا ولو علمت لرجوت أن تسلم وتعود حالك عنده فاذ أبيت فاني منصرف وقدم سليم الطعام الذي معه ولا يهدلهم مثله فانتهبه أصحاب نيزك فساءه ذلك فقال له سليم اني لك من الناصحين أرى أصحابك قد جهدوا وان طال بهم الحصار لم آمنهم ان يسلموك فقال نيزك والله لا آمنه على نفسي ولا آتيه الا بامان وان طمي أن يقتلني وان أمنني ولكن الامان الجيد الذي يقال سليم قد أصبت افتهمني قال لا وقال له أصحابه اقبل قول سليم فلا يقول لا حتى خرج معه ومع جمعويه ووصول طرخان خليفة جمعويه وحبس طرخان صاحب شرطته وشعر ان اخي نيزك فلما خرج حواس الشعب عطف الخيل التي حالتها سليم فخالوا بين الاتراك وأصحاب نيزك والخروج فقال نيزك هذا أول الغدر قال سليم تخوف هذا ولا تخف منه حيرلك وأقبل سليم ونيزك ومن معه حتى دخلوا الى قتيبة فحبسهم وكتب الى الحجاج يستأذنه في قتل نيزك وسرح قتيبة ما كان في الكرر من متاع ومن كان فيه فقدم به على قتيبة فانتظرهم كتاب الحجاج فاذا كتاب الحجاج بعد أربعين يوما امره بقتل نيزك فدعا قتيبة الناس واستشارهم في قتله واحتلبوا فقال ضرار بن حصين اني سمعتك تقول اعطيت الله عهدا ان أمكنك منه ان تقتله فان لم تفعل فلا يصرك الله فيه ابدا فضرب نيزك بسيفه وضربه رجل فقتله وقال من أحب ان يسمع ما يسوءه ويذل فليسمع الى عمر لما وضع أبو نيزك وابن أخيه وبعث برأسه الى الحجاج وقال مهارش بن وسعة في قتل نيزك

لعمري عمت غروة الجعد غروة * نصبت نحورهما نيزك وملت

وأخذ الربيع مولى سليمان الباهلي حقا لنيزك فيه جوهر وكان أكثر من في بلاده مالا وعقارا من ذلك الجوهر واطلق قتيبة جمعويه ومن عليه وبعث به الى الوليد فلم يزل بالشام حتى مات الوليد وكان الناس يقولون عذر قتيبة نيزك فقال بعضهم

فلا تحسبن العذر حرما فرعنا * ترقت بك الاقدام يوما فزلت

فلما قتل قتيبة نيزك رجع الى مرو وأرسل ملك الجورجان يطلب الامان فامنه على ان يأتيه فطلب رهنا ويعطي رهنا فاعطاه قتيبة حبيب بن عبد الله بن حبيب الباهلي وأعطى ملك الجورجان رهنا من أهل بيته وقدم على قتيبة ثم رجع فبات بطالقان فقال أهل الجورجان انهم سموه فقتلوا حبيبا وقتل قتيبة الرهنا الذين كانوا عنده

(ذكر غزو شومان وكش ونسف)

وفي هذه السنة سار قتيبة الى شومان فحصرها وكان سبب ذلك ان ملكها طرد عامل قتيبة من

طائر في الزمان الاول من احسن الطير وجعل فيه من كل حسن قسطا وخلق وجهه على مثال وجوه الناس وكان في أحشائه كل لون حسن من الريش وخلق له أربعة أجنحة من كل جانب منه وخلق له يدين فيهما مخالب وله منقار في صفته منقار العقاب عاط الاصل وجعل له انباء على مثاله وسماها بالمقاو وأوحى الله تعالى الى موسى بن عمران اني خلقت طائرا بجميع خلقه ذكرا وأنثى وجعلت رزقه في وحش بيت المقدس وآمنت بهما لكونا مما فضلت به بني اسرائيل فلم يزالا يتناسلان حتى كثر نسلهما وأحل الله لموسى وبني اسرائيل في التنعم فيكثر فيه أربعين سنة حتى مات موسى وهرون في التيه وجميع من كان مع موسى من بني اسرائيل وكانوا ستمائة الف وحملهم سلهم في التيه آخرجهم الله تعالى من التيه مع يوشع بن نون لميعاد موسى ووصيه فانتقل ذلك الطائر فوقع بخوارزم في لاد قيس عيلان ولم يزل هنالك يأكل من فواكهها ويأكل اصبيان وغير ذلك من البهائم الى أن ظهر نبي

عنده فارسل اليه قتيبة رسولين أحدهما من العرب اسمه عياش والآخر من أهل خراسان يدعوان ملك شومان ان يؤدي ما كان صالح عليه فقدما شومان فخرج أهلها اليهما فرموهما فانصرف الخراساني وقاتلهم عياش فقتلوه ووجدوا به ستين جراحة ولما قتله قتيبة فسار اليهم بنفسه فلما أتاها أرسل صالح بن مسلم أخا قتيبة الى ملكها وكان صديقا له يأمره الطاعة ويضمن له رضا قتيبة ان رجع الى الصلح فابى وقال لرسول صالح أتخوفني من قتيبة وأنا أمنع الملوك حصنا وأتاه قتيبة وقد تحصن ببلده ووضع عليه المجانيق وورم الحصن فهشمه وقتل رجلا في مجلس الملك بحجر فلما خاف ان يظهر عليه قتيبة جمع ما كان بالحصن من مال وجوهر ورمى به في بئر بالقلعة لا يدرك قعرها ثم فتح القلعة وخرج اليهم فقاتلهم حتى قتل وأخذ مدينة القلعة عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذرية ثم سار الى كش ونسف ففتحهما وامتنعت عليه فاربيان فاحرقها فحميت المحترقة وسير من كس ونسف أخاه عبد الرحمن الى الصغد وملكها طرخون وبعض عبد الرحمن من دارحون ما كان صالحه عليه قتيبة ودفع اليه رهنا كان منه ورجع الى قتيبة بخارا وكان قد سار اليها من كش ونسف ورجع الى مرو ولما كان قتيبة ببخارا ملك أخا أحد ولم يكن بقي الا ماخذ ثا وقتل من يخاف ان يفسد عليه وقيل ان قتيبة سار بنفسه الى الصغد لما رجع عنهم قالت الصغد لطرخون انك قد رضيت بالذل واستطبت الحرية وأنت شيخ كبير ولا حاجة لنا فيك فاحبسوه ولو لغورك فقتل طرخون نفسه

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

قيل في هذه السنة استعمل الوليد بن عبد الملك القسري على مكة فلم يزل واليا عليها حتى مات الوليد وكان قد تقدم سنة سبع وثمانين ذكر أبصاتا ولي مكة فاستهل وعظم أمر الخلافة وحثهم على الطاعة فقال لولاي أعلم ان هذه الوحش التي تأمن في الحرم لو بطرت لم تقر بالطاعة لاخرجها منه وعليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فاني والله لا أوتى باحد يطعن على امامه الا سلبته في الحرم اني لا أرى فيما تعيبون به الخليفة أورآه الا فساده واشد عليهم وضع الناس هذه السنة الوليد بن عبد الملك فلما دخل المدينة غدا الى المسجد ينظر الى بنائه وأخرج الناس منه ولم يبق غير سعيد ابن المسيب لم يجرأ أحد من الحرس اخراجه فقيل له لو قمت قال لا أقوم حتى يأتي الوقت الذي كنت أقوم فيه وقيل لو سلمت على أمير المؤمنين قال لا والله لا أقوم اليه قال عمر بن عبد العزيز لقد عملت أعدل بالوليد في ناحية المسجد لما رأيته فاتبعت الوليد الى القبلة فقال من ذلك الشيخ اهو سعيد قال عمر نعم ومن حاله كذا وكذا ولو علم بمكانك لقام وسلم عليك وهو ضعيف البصر قال الوليد فعلمت حاله ونحن نابيه فدار في المسجد حتى أتاه فقال كيف أنت أيها الشيخ فوالله ما تحرك سعيد لما قال بخير والحمد لله فكيف أمير المؤمنين وضعيف ناله فانصرف وهو يقول لعمر هذا بقيه الناس وقدم بالمدينة دقيقا كثيرا وأتى به من دهب وقصبه وأموالا وصلى بالمدينة الجمعة فخطب الناس الاولى بالساعة قام فخطب الخطبة الثانية قال اسحق بن يحيى فقال لرجاء بن حيوة وهو معه أهكذا تصنعون قال نعم مكررا هكذا اصنع معاوية وهلم جرا قال فقلت له هلا تكلمه قال أخبرني قبيصة بن ذؤيب انه كلم عبد الملك ولم يدرك الا عوذ وقال هكذا خطب عثمان قال فقلت والله ما خطب الا قائما قال ربما روى لهم شيئا فقد وابه قال اسحق ولم يرهبهم أشد جبرا منه وكان لعماله على البلاد من تقدم ذكرهم غير مكة فان خالدا كان عاملها وقيل ان عامله عليها هذه السنة كان عمر بن عبد العزيز بن مروان وفي هذه السنة غزا عبد العزيز بن الوليد الصائفة وكان على ذلك الجيش مسلمة بن عبد الملك وفيها عزل الوليد عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وأرمينية وامر ان يعمل عليها أخاه مسلمة بن عبد الملك فغزا مسلمة الترك من ناحية اذربيجان حتى بلغ الباب وفتح

من بني عبس بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم يقال له خالد بن سنان فشكا اليه الناس ما كانت العنقاء تفعل بالصبيان فدعا الله عليها فقطع نسلها فبقيت صورتها تحك في البسط وغير ذلك (وقد ذهب جماعة) من ذوي الدراية الى أن أقوال الناس في أمثالهم عنقاء مغرب انما هو الامر العجيب النادر وقوله وقولهم جاء فلان عنقاء مغرب يريدون أنه جاء بامر عجيب قال شاعرهم

وصحبهم الجيش عنقاء مغرب
والعمق السرعة قال ابن
الناس وكان خالد بن سنان
من بني عبس سير برسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما
حضرته الوفاة قال لقومه
اذا أنا مت فادفنوني في
حقف من هذه الاحقاف
وهي لول عظام من الرمل
واحرسوا قبري أياما فاذا
رأيتم جمارا أشهب أبتر
يدور حول الحقف الذي
فيه قبري أياما فاجتمعوا ثم
انشوا قبري وأخرجوني الى
شفير القبر وأحضروا
كتابا ومعه ما كتب فيه
حتى أملي عليكم ما يكون وما
يحدث الى يوم القيامة قال
فرصدوا قبره واجتمعوا
عليه لينبشوه كما
أمرهم فحضر ولده

مدائن وحصونا ونصب عليها المجانيق

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ﴾

في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ففتح حصونا ثلاثة وجلا أهل سوسنة الى بلاد الروم

﴿ ذكر فتح الاندلس ﴾

وفيها غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير الاندلس في اثني عشر ألفا فلقي ملك الاندلس واسمه اذريق وكان من أهل اصبهان وهم ملوك عجم الاندلس فزحف له طارق بجميع من معه وزحف الاذريق وعليه تاجه وجميع الحلية التي كان يلبسها الملوك فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل الاذريق وفتح الاندلس سنة اثنتين وتسعين هذا جميعه ذكره أبو جعفر في فتح الاندلس وبمثل ذلك الاقليم العظيم والفتح المبين لا يقتصر فيه على هذا القدر وأنا أذكر فتحها على وجه أتم من هذا ان شاء الله تعالى من تصانيف أهلها اذهم أعلم ببلادهم قالوا أول من سكنها قوم يعرفون بالاندلش (بشين معجمة) فسمي البلد بهم ثم عمر بعد ذلك بسبين مهملة والنصارى يسمون الاندلس اشبانية باسم رجل صلب فيها يقال له اشبانس ويقال باسم ملك كان بها في الزمان الاول اسمه اشبان بن طيطس وهذا هو اسمها عند بطليموس وقيل سميت باندلس بن يافث بن نوح وهو أول من عمرها قيل أول من سكن الاندلس بعد الطوفان قوم يعرفون بالاندلس فعمروها وتداولوا ملكها دهرا طويلا وكانوا مجوسا ثم حبس الله عنهم المطر وتوالى عليهم القحط فهلك أكثرهم وفر منها من أطاق الفرار فخلت الاندلس مائة سنة ثم ابتعث الله لعمارتها الافارقة فدخل اليها قوم منهم اجلاهم ملك افريقية تخفيفا منهم لقحط توالى على بلاده حتى كاد يفني أهله فحملهم في السفن مع أمير من عنده فارسوا بحيرة داس ورأوا الاندلس قد أخصبت بلادها وحرث أنهارها فسكنوها وعمروها ونصبوا لهم ملوكا يضبطون أمرهم وهم على دين من قبلهم وكانت دار ملكتهم طالعة الخراب من أرض اشبيلية بنوها وسكنوها وأقاموا مدة تزيد على مائة وخمسين سنة ملك منهم فيها أحد عشر ملكا ثم أرسل الله عليهم نجم رومة وملكهم اشبان ابن طيطس فغزاهم وهزمهم وقتل فيهم وحاصرهم بطليطلة وقد تحصنوا فيها فابتنى عليهم اشبانية وهي اشبيلية واتخذها دار ملكه وكثرت جموعه وعتا وتجبر وغزا بيت المقدس فغنم ما فيه وقتل فيه مائة ألف ونقل المرمر منه الى اشبيلية وغيرها وغنم أيضا مائدة سليمان بن داود عليه السلام وهي التي غنمها طارق من طليطلة لما افتتحها وغنم أيضا قنديلة الذهب والحجر الذي لقي عباردة وكان هذا اشبان قد وقف عليه الخضر وهو يحرث الارض فقال له يا اشبان سوف تحظى وتملك وتعلو فاذا ملكت ايلياء فارفق بذرية الانبياء فقال أتسخر مني كيف ينال مثلي الملك فقال قد جعل فيك من جعل عصاك هذه كما ترى فنظر اليها فاذا هي قد أورقت فارتاع وذهب عنه الخضر وقد وثق اشبان بقوله فدخل الناس فارتقى حتى ملك ملكا عظيما وكان ملكه عشرين سنة ودام ملك الاشبانيين بعده الى ان ملك منهم خمسة وخمسون ملكا ثم دخل عليهم من عجم رومة أمة يدعون البشموليات وملكهم طويش بن نيطة وذلك حين بعث الله المسيح فغلبوا عليهم واستولوا على ملكها وكانت مدينة ماردة دار ملكهم وملك منهم سبعة وعشرون ملكا ثم دخلت عليهم أمة القوط مع ملك لهم فغلبوا على الاندلس فاقتطعوها من يومئذ عن صاحب رومة وكان ابتداء ظهورهم من ناحية ايطالية شرق الاندلس فاغارت على بلاد تجدونية من تلك الناحية وذلك في أيام فليوذيوس قيصر ثالث القياسرة فخرج اليهم وهزمهم وقتل فيهم ولم يظهروا بعدها الى أيام قسطنطين الاكبر وأعادوا الغارة فسير اليهم جيشا فلم يثبتوا له وانقطع خبرهم الى دولة ثالث قيصر فانهم قدموا على أنفسهم أميرا اسمه لذريق وكان عبد الاوثان فسار الى رومة ليحمل النصارى على السجود لاوثانه فظهر منه سوء سيرته فتخاذل

وشهروا سيوفهم وقالوا والله لا تركما أحدا ينبشه أو يدرن أن نغير بذلك غدا وتقول لنا العرب هؤلاء ولد المبوش فانصرفوا عنه وتركوه قال ابن عباس ووردت ابنة له عجوز قد عمرت على النبي صلى الله عليه وسلم فتلقاها بخير وأكرمها وأسلمت وقال لها مرحبا بابنة نبي ضيعه أهله قال شاعر بني عبس

ينوح لدلو أنكم اد حضرتم
بشثم على الميت المغيب في القبر

لا يبقى عليكم آل عبس ذخيرة
من العلم لا تبلى على سالف الدهر

(وقد روى) عن ابن عفير أخبارا كثيرة في هذا المعنى وأشباهه من فنون الاخبار من أخبار بني اسرائيل وغيرها (منها) خبر خلق الخيل وهو ما حدث به الحسن بن ابراهيم الشعبي العلثي قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله المروزي قال حدثنا أبو الحرث أسد بن سعيد بن كثير بن عفير عن أبيه عن جده كثير بن أبيه عفير قال قال عكرمة أخبرني مولى ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لما أراد أن يخلق الخيل أوحى الى الريح الجنوبي اني ما أردت خلقا فاجتمعت

أصحابه عنه ومالوا الى أخيه وحاربوه فاستعان بصاحب رومة فبعث اليه بشانهرم أخا ودان بدين النصارى وكانت ولايته ثلاث عشرة سنة ثم ولى بعده اقريط وبعده اماريق وبعده وغديش وكانوا قد عادوا الى عبادة الاوثان فجمع من أصحابه مائة ألف وسار الى رومة فسير اليه ملك الروم جيشا فهزموه وقتلوه ثم بعده الريق وكان زنديقا شجاعا فسار لأخذ بثار وغديش ومن قتل معه ونازل رومية وحاصرها وضيق على أهلها ودخلها عنوة وغنم أموالهم ثم جمع اصطول البحر وسار الى صقلية ليفتحها ويعم ما فيها فغرق أكثر أصحابه فى البحر وهو فيمن غرق ثم ملك بعده اطلوف ست سنين وخرج عن بلد ايطالية وأقام ببلد غاليس مجاورا قاصى الاندلس ثم انتقل منها الى برشلونة ثم بعده أخوه ثلاث سنين ثم بعده واليانم ورد زاريش ثلاثا وثلاثين سنة ثم ابنه طرشمند ثم بعده أخوه لذريق ثلاث عشرة سنة ثم بعده أوريق سبع عشرة سنة ثم بعده الريق بطلوشة ثلاثا وعشرين سنة ثم عشليق ثم أسليق ستتين ثم وذيوش سبع عشرة سنة وخمسة أشهر ثم بعده طود تقلس سنة وثلاثة أشهر ثم بعده أثله خمس سنين ثم بعده اطلحه خمس عشرة سنة ثم بعده لمويا ثلاث سنين ثم بعده أخوه لوبلدو هو أول من قعد طليطلة من الملوك ونزلها ليكون متوسطا لملكه بحاربه من خرج عن طاعته عن قرب فلم يزل يحارب من خرج عن طاعته حتى احتوى على جميع الاندلس وبنى مدينة رفويل وأتقنها وأكثر بساتينها وهو على القرب من طليطلة وسماها باسم ولده ونزل بلد البشنس حتى أذلهم وخطب الى ملك الفرنج ابنته لولده ارمجلد فزوجه واسكنه اشبيلية فحسنت له عصيان والده ففعل فسار اليه أبوه وحصرهما وضيق عليه وطال مقامه الى أن أخذه عنوة وسجنه الى ان مات ثم ملك بعده ولد ايندركر وكان حسن السيرة فجمع الاساقفة وغير سيرة أبيه وسلم البلاد اليهم وكانوا يحوشا بين اسبغاو كان تقيا عنيفا قد لبس ثياب رهبان وهو الذى بنى الكنيسة المعروفة بالورقة بازاء مدينة وادى اش ثم بعده ابنه دليوبا فسار كسيرة أبيه فاغتاله رجل من القوط يقال له بريق فقتله وملك بعده بتريق هذا بغير رضا أهل الاندلس وكان محرما طاغيا فاسقا فثار عليه رجل من خاصته فقتله ثم ملك من بعده غندمار سنتين ثم ملك بعده سيسيفوط وكانت ولايته تسع سنين وكان حسن السيرة ثم بعده ابنه ركريد وكان صغير العمر ثلاثة أشهر ومات ثم ملك شانله وكان ملكه عند البعث وكان مشكورا ثم بعده ستشند خمس سنين ثم بعده خنتلة ستة أعوام ثم بعده خندس أربعة أعوام ثم بعده بنبان ثمانية أعوام ثم بعده أروى سبع سنين وكان فى دولته قحط شديد حتى كادت بلاد الاندلس تخرب لشدة الجوع ثم بعده ابنه خمس عشرة سنة وكان جائرا مذموما ثم ملك بعده ابنه غيطشه وكانت ولايته سبع وسبعين للهجرة وكان حسن السيرة لين العريكة وأطلق كل محبوس كان فى سجن أبيه وادى الاموال الى أربابها ثم توفى وخلف ولدين فلم يرتض بهما أهل الاندلس وتراضوا برجل يقال له رذريق وكان شجاعا وليس من بيت الملك وكانت عادة ملوك الاندلس أنهم يبعثون أولادهم الذكور والاناث الى مدينة طليطلة يكبرون فى خدمة الملك لا يخدمه غيرهم يتأدبون بذلك فاذا بلغوا الحلم أنكح بعضهم بعضا وولى تجهيزهم فلما لى رذريق أرسل اليه يوليان وهو صاحب الجزيرة الخضراء وسبتة وغيرهما ابنة له فاسمها فلورندا فسخط ذلك رذريق وافتضها فكتبت الى أبيها فاغضبه ذلك فكتب الى موسى بن نصير عامل الوليد بن عبد الملك على افريقية يطاعه واستدعاه اليه فسار اليه فاد حله يوليان مدائنه وأخذ عليه العهود له ولاصحابه بما يرضيه به ثم وصف له الاندلس ودعاه اليها وذلك آخر سنة تسعين وكتب موسى الى الوليد بما فتح الله عليه وما دعاه اليه يوليان فكتب اليه الوليد يحضها بالسرايا ولا تغرر بالمسلمين فى بحر شديد الاهوال فكتب اليه موسى انه

فأمر جبريل فأخذ منها ثم قال الله هذه قبضتى قال ثم خلق الله منها فرسا كميتا ثم قال الله خلقتك فرسا وجعلتك عربيا وفضلتك على سائر ما خلقته من البهائم لسعة الرزق والغنائم ينقاد على ظهرك والخير معقود بناصيتك ثم أرسل فصهل فقال باركت ميك بصهيلك أرعب المشركين وأملأ صدورهم وأرلل أقدامهم ثم وسمه غرة وتحجيل فلما خلق الله آدم قال يا آدم أحبرنى أى الدابتين أحب اليك الفرس أو البراق قال وصورة البراق على صورة البغل لا ذكر ولا أنثى فقال يارب اخترت أحسنها وجها فاختار الفرس فقال الله يا آدم اخترت عزك وعز ولدك بافيا ما بقوا وخلدوا قال ابن عباس فذلك اليمن فيه وفى ولده الى يوم القيامة يعنى الغرة والتحجيل ولولا أن المصنف خاطب ليذكر كل نوع لما ذكرنا (قال المسعودى) رحمه الله وقد ذكر عيسى بن لهيعة المصرى فى كتابه المترجم بكتاب الحلائب والجلائب وذكره لكل حسنة أجريت فيها الخيل فى الجاهلية والاسلام ان سليمان بن داود ورد وادا ماسا من الازد فرسا يصيد و

عليه سمي زاد الراكب وكذلك ذكر ابن دريد في كتاب الخيل وغيره (والناس في الخيل) أخبار عظيمة كثيرة قد أتينا على ذكرها في السالف من كتبنا (وقد ذهبت) طائفة الى أن الاخبار التي تقطع العذر وتوجب العلم والعمل هي أخبار الاستفاضة ما رواه الكافة عن الكافة وأن ما عدا ذلك فغير واجب قبوله (وذهب الجمهور) من فقهاء الامصار الى قبول خبر الاستفاضة وهو خبر التواتر وانه يوجب العلم والعمل وأوجبوا العمل بخبر الواحد وزعموا أنه موجب العمل دون العلم بأوصاف ذكروها (ومن الناس) من ذهب الى غير هذه الوجوه في فنون الاخبار من الضرورة وغيرها وما ذكرنا من حديث النسناس والعنقاء وخلق الخيل فغير داخل في أخبار التواتر الموجبة للعمل واللاحقة بما أوجب العمل دون العلم ولا بالاخبار المضطرة لسامعها الى قبولها عند ورودها واعتقاد صحيحها عن مخبرها وهذا النوع من الاخبار قد قدمنا في خبر الجائز الممكن الذي ليس بواجب أنه لاحق بالاسرائيليات

ليس ببحر متسع وانما هو خليج يبين ما وراءه فكتب اليه الوليد أن اختبرها بالسرايا وان كان الامر على ما حكيت فابعث رجلا من موالينا يقال له طريف في أربعمائة رجل ومعهم مائة فرس فسار في أربع سفائن فخرج في جزيرة بالاندلس فسميت جزيرة طريف لنزوله فيها ثم أغار على الجزيرة الخضراء فاصاب غنيمة كثيرة ورجع سالما في رمضان سنة احدى وتسعين فلما رأى الناس ذلك تسرعوا الى الغزو ثم ان موسى دعا مولى له كان على مقدمات جيوشه يقال له طارق ابن زياد فبعثه في سبعة آلاف من المسلمين أكثرهم البربر والموالي وأقلهم العرب فسار وافى البحر وقصد الى جبل منيف وهو متصل بالبر فنزله فسمي الجبل جبل طارق الى اليوم ولما ملك عبد المؤمن البلاد أمر ببنا مدينة على هذا الجبل وسماه جبل الفتح فلم يثبت له هذا الاسم وجرت الالسنة على الاول وكان حلول طارق فيه في رجب سنة اثنتين وتسعين من الهجرة ولما ركب طارق البحر غلبته عينه فرأى النبي ومعه المهاجرين والانصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا طارق تقدم لشأنك وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد فنظر طارق فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد دخلوا الاندلس امامه فاستيقظ من نومه مستبشرا وبشر أصحابه وقويت نفسه ولم يشك في الظفر فلما تكامل أصحاب طارق بالجبل نزل الى الصحراء وفتح الجزيرة الخضراء فاصاب بها عجوزا فقالت له انى كان لي زوج وكان عالما بالحوادث وكان يحدثهم عن أمير يدخل بلدهم فيغلب عليه ووصف من بعته انه سيحم الهامة وان في كتفه الايسر شامة عليها شعر فكشف طارق ثوبه فاذا الشامة كما ذكرت فاستبشر طارق أيما هو ومن معه ونزل من الجبل الى الصحراء وافتتح الجزيرة الخضراء وغيرها وفارق الحصن الذي في الجبل ولما بلغ رذريق غزو طارق بلاده عظم ذلك عليه وكان غائبا في غزاته فرجع منها وطارق قد دخل بلاده فجمع له جمعا يقال بلغ مائة ألف فلما بلغ طارقا الخبر كتب الى موسى يسنده ويخبره بما فتح وانه زحف اليه ملك الاندلس بما لا طاقة له به فبعث اليه بخمسة آلاف فتكامل المسلمون اثني عشر ألفا ومعهم يوليان يدلهم على عورة البلاد ويتحسس لهم الاخبار فاتاهم رذريق في جنده فالتقوا على نهر لكة من أعمال شذونة لليلتين بقيتا من رمضان سنة اثنتين وتسعين واتصلت الحرب ثمانية أيام وكان على ميمنته وميسرته ولدا الملك الذي كان قبله وغيرهما من أبناء الملوك واتفقوا على الهزيمة بغضا لرذريق وقالوا ان المسلمين اذا امتلأت أيديهم من الغنيمة عادوا الى بلادهم وبقي الملك لنا فانهزموا وهزم الله رذريق ومن معه وغرق رذريق في النهر وسار طارق الى مدينة استجة متبعا لهم فلقيه أهلها ومعهم من المنهزمين خلق كثير فقاتلوه قتالا شديدا ثم انهزم أهل الاندلس ولم يلق المسلمون بعدها حربا مثلها ونزل طارق على عين بينها وبين مدينة استجة أربعة أميال فسميت عين طارق الى الآن ولما سمعت القوط بهاتين الهزيمتين قذف الله في قلوبهم الرعب وكانوا يظنون انه يفعل فعل طريف فهربوا الى طليطلة وكان طريف قد أوهمهم انه يأكلهم هو ومن معه فلما دخلوا طليطلة وأخلوا مدائن الاندلس قال له يوليان قد فرغت من الاندلس فتفرق جيوشك وسر أنت الى طليطلة ففرق جيوشه من مدينة استجة وبعث جيشا الى قرطبة وجيشا الى غرناطة وجيشا الى مالقة وجيشا الى تدمير وسار هو ومعظم الجيش الى جيان ويريد طليطلة فلما بلغ طليطلة وجدها خالية وقد لحق من كان بها بمدينة حلف الجبل يقال لها مائدة فاما الجيش الذي سار الى قرطبة فانهم دلهم راع على ثغرة في سورها فدخلوا منها البلد وملكوه وأما الذين قصدوا تدمير فلقيهم صاحبها واسمه تدمير وبه سميت وكان اسمها اورويولة وكان معه جيش كثيف فقاتلهم قتالا شديدا ثم انهزم فقتل من أصحابه خلق كثير

من الاخبار والاعجاز عن
عجائب البحار ولو ما قدمنا
آنفا من اشتراطنا على
أنفسنا الاختصار والايجاز
لذكرنا ما اتصل بهذا المعنى
من الاخبار مما رواه أصحاب
الحديث عن النبي صلى الله
عليه وسلم وهم حملة السنن
ونقلة الآثار لا يتناكرونه
ويعرفونه ولا يدفعونه مع
حديث الفرد الذي كان
في السفينة في عهد بني
اسرائيل مع رجل كان
يبيع الخمر لاهل السفينة
ويشوب الخمر بالماء وأنه
جمع من ذلك دراهم كثيرة
وان القرد قبض على
الكيس الذي كانت فيه
الدراهم وصعد على الدور
وهو صاري المركب ويدعى
بالعراق الزقل فجعل الكيس
ولم يزل يرمي درهما الى الماء
ودرهما الى السفينة حتى
قسم ذلك نصفين ومثل
ما روى الشعبي عن فاطمة
بنت قيس عن النبي صلى الله
عليه وسلم وكذلك قد رواه عن
فاطمة بنت قيس عدة من
الصحابة وهو خبر تميم
الداري أن النبي صلى الله
عليه وسلم أخبر عنه أنه
أخبره أنه ركب البحر في
جماعة من بني عمه في سفينة
فأصل بهم البحر وألقاهم
الى جزيرة فنظروا الى دابة
عظيمة قد نشرت شعرها

أمر تدمير النساء فلبسن السلاح ثم صالح المسلمين عليها وفتح سائر الجيوش ما قصدوا اليه من البلاد
وأما طارق فلما رأى طليطلة فارغة نصب اليها اليهود وترك معهم رجالا من أصحابه وسار هو الى وادي
الحجارة فقطع الجبل من فج فيه فسمي بفج طارق الى اليوم وانتهى الى مدينة خلف الجبل تسمى
مدينة المائدة وفيها وجد مائدة سليمان بن داود عليه السلام وهي من زبرجد أخضر حافاتها
وأرجلها مرصعة بالدر والياقوت والمرجان وغير ذلك وكان لها ثلثمائة وستون رجلا ثم مضى
الى مدينة ماية فغنم منها ورجع الى طليطلة في سنة ثلاث وتسعين وقيل اقتحم أرض جليقية
فحرقها حتى انتهى الى مدينة استرقة وانصرف الى طليطلة ووافته جيوشه التي وجهها من
اسجة بعد فراغهم من فتح تلك المدن التي سيرهم اليها ودخل موسى بن نصير الاندلس في رمضان
سنة ثلاث وتسعين في جمع كثير وكان قد بلغه ما صنع طارق فحسده فلما عبر الى الاندلس ونزل
الجزيرة الخضراء قيل له سلك طارق طريق طارق فأبى وقال له الادلاء نحن ندلك على طريق أشرف من
طريقه ومدائن لم تفتح عدو وعده يوليان بفتح عظيم فسر بذلك وكان قد عمه فسار وابه الى مدينة
ابن السليم فافتتحها عنوة ثم سار الى مدينة قرمونة وهي أحصن مدن الاندلس فقدم اليها يوليان
وخاصته فأتوهم على حال المهرين معهم السلاح فادخلوهم مدينتهم فارسل موسى اليهم الخيل
فحوها لهم ليلا فدخلها المسلمون وملكوها ثم سار موسى الى اشبيلية وهي من أعظم مدائن
الاندلس بنيانا وأعمرها آثارا فحصرها أشهرا وفتحها وهرب من بها فانزلها موسى اليهود وسار الى
مدينة ماردة فحصرها وقد كان أهلها خرجوا اليه فقاتلوه قتالا شديدا فكمن لهم موسى ليلا في
مقاطع الصخر فلم يرهم الكمناء فلما أصبحوا زحف اليهم فخرجوا الى المسلمين على عادتهم فخرجوا
عليهم من الكمين وأحدقوا بهم وحالوا بينهم وبين البلد وقتلوهم قتلا ذريعا وتحاماهم فدخل المدينة وكانت حصينة فحصرهم بها أشهرا وقاتلهم وزحف اليهم بدبابة عملها ونقبوا
سورها فخرج أهلها على المسلمين فقتلوهم عند البرج فسمي برج الشهداء الى اليوم ثم افتتحها آخر
رمضان سنة اثنتين وتسعين يوم الفطر صلحا على ان جميع أموال القتلى يوم الكمين وأموال
الهاربين الى جليقية وأموال الكنائس وحلي المسلمين ثم ان أهل اشبيلية اجتمعوا وقصدوها
وتناوشوا بها مع المسلمين فسير موسى اليها ابنه عبد العزيز بجيش فحصرها وملكها عنوة وقتل من
بها من أهلها وسار عنها الى لبلة وباجة فملكهما وعاد الى اشبيلية وسار أبو موسى من مدينة ماردة
في شوال يريد طليطلة فخرج طارق اليه فلقيه فلما أبصره نزل اليه فضربه موسى بالسوط على
رأسه ووبخه على ما كان من خلافه ثم سار به الى مدينة طليطلة فطلب منه ما غنم والمائدة أيضا
فأتاه بها وقد انتزع رجلا من أرجلها فسأله عنها فقال لا علم لي كذلك وجدتها فعمل عوضها من
ذهب وسار موسى الى سرقسطة ومدائنها فافتتحها وأوغل في بلاد الفرنج فانتهى الى مفازة
كبيرة وأرض سهلة ذات آثار فاصاب بها صنما قائما عليه مكتوب بالعبرانية اسمعيل الى ههنا
منتهاكم فارجعوا وان سألتم الى ماذا ترجعون أخبرتكم انكم ترجعون الى الاختلاف فيما بينكم
حتى يضرب بعضكم أعناق بعض وقد علمتم فرجع ووافاه رسول الوليد في اثناء ذلك يأمره
بالخروج عن الاندلس والقفول اليه فساءه ذلك ومطل الرسول وهو يقصد بلاد العدو في غير
ناحية الصنم يقتل ويسبي ويهدم الكنائس ويكسر النواويس حتى بلغ صخرة بلاي على البحر
الاخضر وهو في قوته وظهوره فقدم عليه رسول آخر للوليد يستحثه وأحد بعنان بغلته وأخرجه
وكان موافاه الرسول بمدينة لك بجليقية وخرج على الفج المعروف بفج موسى ووافاه طارق من
الثغر الاعلى فاقفل معه ومصيا جميعا واستخلف موسى على الاندلس ابنه عبد العزيز بن موسى

فقالوا لها أيتها الدابة ما أنت فقالت أنا الجساسة التي أخرج آخر الزمان وذكروا عنها كلاما غير هذا وأنها قالت عليكم بصاحبة القصر فنظروا فاذا هم بقصر من حاله ووصفه كذا واذا هم برجل بالحديد والقيود مسلسل الى عمود من حديد وصفته وجهه كذا وأنه حاطهم وساءلهم وأنه الدجال وأنه أخبرهم بحمل الملاحم وأنه لا يدخل مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما ذكر في هذا الحديث وغيره مما ورد من الاخبار في معناه وهذا باب كبير يتسع وصفه ويعظم شرحه (ثم رجع بنا القول) الى ما كنا فيه أنه من ذكر أرباع العالم والطبائع وما اتصل بهذا المعنى وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب جوامع من الكلام في الطبائع وغيرها مما ينبه على علم هذا الكتاب ومبسوطه وقد زعم جماعة ممن تقدم وتأخر من الاطباء ومصنفي الكتب في الطبيعيات وغيرها ان للطعام ثلاث انهضامات أما الاول فهي المعدة تهضم الطعام فتأخذ قوته فيصير مثل ماء الكشك ثم تدفعه الى الكبد في العروق الى جميع الجسد كاندفاع الماء من النهر الى السواقي والمشارب

فلما عبر البحر الى سبتة استخلف عليها وعلى طنجة وماوالاهما ابنه عبد الملك واستخلف على افريقية وأعمالها ابنه الكبير عبد الله وسار الى الشام وحمل الاموال التي غنمت من الاندلس والذخائر والمائدة ومعه ثلاثون ألف بكر من بنات ملوك القوط وأعيانهم ومن نفيس الجوهر والامتعة ما لا يحصى فورد الشام وقدمات الوليد بن عبد الملك واستخلف سليمان بن عبد الملك وكان منحرفا عن موسى بن نصير فعزله عن جميع أعماله وأقصاه وحبسه وأغرمه حتى احتاج ان يسأل العرب في معونته وقيل انه قدم الشام والوليد حي وكان قد كتب اليه وادعى انه هو الذي فتح الاندلس وأخبره خبر المائدة فلما حضر عنده عرض عليه ما معه وعرض المائدة ومعه طارق فقال طارق انا غنمتها فكذبه موسى فقال طارق للوليد سله عن رحلها المعدومة فسأله عنها فلم يكن عنده منها علم فاظهرها طارق وذكر انه أخفاها لهذا السبب فعلم الوليد صدق طارق وانما فعل هذا لانه كان حبسه وضربه حتى أرسل الوليد فاخرجه وقيل لم يحبسه قالوا ولما دخلت الروم بلاد الاندلس كان في مملكتهم بيت اذا ولي ملك منهم أقفل عليه قفلا فلما ملكت القوط فعلوا كفعلهم فلما ملك رذريق أراد فتح الاقفال فنهاه أكابر أهل البلاد عن ذلك فلم يقبل منهم وفتح الاقفال فرأى في البيت صور العرب وعليهم العمائم الحمر على خيول شهب وفيه كتاب اذا فتح هذا البيت دخل هؤلاء القوم هذا البلد ففتح الاندلس تلك السنة فهذا القدر كاف في فتح الاندلس ونذكر باقي أخبار الاندلس عند أوقات حدوثها على ما شرطنا ان شاء الله تعالى

﴿ذكر غزوه جزيرة سردانية﴾

هذه الجزيرة في بحر الروم وهي من أكبر الجزائر ما عدا جزيرة صقلية واقريطش وهي كثيرة الفواكه ولما فتح موسى بلاد الاندلس سير طائفة من عسكره في البحر الى هذه الجزيرة سنة اثنتين وتسعين فدخلوها وعمد النصارى الى مالهم من آنية ذهب وفضة فالقوا الجميع في المينا الذي لهم وجعلوا أموالهم في سقف بنوه للبيعة العظمى التي لهم تحت السقف الاول وغنم المسلمون فيها مالا يحد ولا يوصف وأكثروا العلول فاتفق ان رجلا من المسلمين اغتسل في المينا فعلقت رجله في شئ فاخرجه فاذا صحفة من فضة وأخذ المسلمون جميع ما فيه ثم دخل رجل من المسلمين الى تلك الكنيسة فنظر الى حمام فرماه بسهم فاخطأه ووقع في السقف فانكسر لوح فنزل منه شئ من الدنانير وأخذوا الجميع وارداد المسلمون غلولا وكان بعضهم يذبح الهره ويرمي ما في جوفها فيملؤه دنانير ويخيط عليها ويلقيها في الطريق فاذا حرح أخذها وكان بضع قائم سيفه على الجفن ويملؤه ذهبا فلما ركبوا في البحر سمعوا قائلا يقول اللهم غرقهم فغرقوا عن آخرهم فوجدوا أكثر الغرق في الدنانير أو ساطهم وفي سنة خمس وثلاثين ومائة غزاها عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة الفهري فقتل من بها قتلا ذريعا صالحوه على الجزية فأخذت منهم وبقيت ولم يغزها بعده أحد فعمرها الروم فلما كانت سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة أخرج اليها المنصور بن القائم العلوي صاحب افريقية اصطولا من المهدية فدخلوا جنوه ففتحوا المدينة وأوقعوا بأهل سردانية وسبوا فيها وأحرقوا مراكب كثيرة وأحرقوا جنوه وغنموا ما فيها وفي سنة ست وأربعمائة غزاها مجاهد العامري من دانية وكان صاحبها في البحر في مائة وعشرين مركبا ففتحها وقتل فاكثر وسبى النساء والذرية فسمع بذلك ملوك الروم فجمعوا اليه وساروا اليه من البر الكبير في جمع عظيم فاقتتلوا وانهزم المسلمون واحرجوا من جزيرة سردانية وأخذت بعض مراكبهم وأسر أخو مجاهد وابنه على ما جاهد ورجع من بقي الى دانية ولم تغز بعد ذلك وانما ذكرنا جميع اخبارها هنا لقلتها واذا تفرقت لم تعرف كما يجب

﴿ذكر

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ففتح حصونا ثلاثة وجلا أهل سوسنة الى بلاد الروم وفى هذه السنة غزا قتيبة سجستان فى قول بعضهم وأراد قصد تبيل الاعظم فلما نزل قتيبة سجستان أرسل رتبيل اليه رسلا بالصلح فقبل ذلك وانصرف واستعمل عليهم عبد ربه بن عبد الله اللبثى وحج بالناس هذه السنة عمر بن عبد العزيز وهو على المدينة وكان عمال الامصار من تقدم ذكرهم وفيها مات مالك بن أوس بن الحدثان النصرى من ولد نصر بن معاوية بالمدينة وله أربع وتسعون سنة

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ﴾

﴿ ذكر صلح خوار رمشاه وفتح حام حرد ﴾

وفى هذه السنة صالح قتيبة خوار رمشاه وكان سبب ذلك ان ملك خوار رم كان ضعيفا فغلبه خوه حرزاد على أمره وكان أصغر منه وكان اذا بلغه ان عند أحد من هو مقطع الى الملك جارية أو مالا أو دابة أو بنتا أو اختا أو امرأة جميلة أرسل اليه وأخذه منه وكان لا يمتنع عليه أحد ولا الملك فاذا قيل للملك قال لا اقوى به وهو معتاط عليه فلما طال ذلك عليه كتب الى قتيبة يدعوه الى أرضه ليسلمها اليه واشترط عليه ان يدفع اليه أخاه وكل من يصاده ليحكم فيهم بما يرى ولم يطلع أحدا من مراربته على ذلك فأجابه قتيبة الى ما طلب وتجهز للغزو وأظهر قتيبة انه يريد الصغد وسار من مرو وجمع خوار زمشاه أجناده ودهاقنته وقال ان قتيبة يريد الصغد وليس يغاركم فهلموا ننتجع فى ربيعها هذا فاقاموا على الشرب والنعم ولم يشعروا حتى نزل قتيبة فى هزارسب فقال خوار رمشاه لاصحابه ماترون قالوا نرى ان نقاتله قال لكنى لا أرى ذلك لانه قد خدعنا عما هو أقوى منا وأشد شوكة ولكن اصرفه بشئ أؤديه اليه فأجابوه الى ذلك فسار خوار رمشاه فنزل بمدينة العميل من وراء النهر وهى أخصب بلاده وقتيبة لم يعبر النهر فارسل اليه خوار رمشاه فصالحه على عشرة آلاف رأس وعبر ومتاع وعلى ان يعينه على حام حرد فقبل قتيبة ذلك وقيل صالحه على مائة ألف رأس ثم بعث قتيبة أخاه عبد الرحمن الى حام حرد وكان يغارى خوار رمشاه فقاتله فقتله عبد الرحمن وغلب على أرضه وقدم منهم باربعة آلاف أسير فقتلهم قتيبة وسلم قتيبة الى خوار زمشاه أخاه ومن كان يحالفه فقتلهم ودفع أموالهم الى قتيبة

﴿ ذكر فتح سمرقند ﴾

فلما فرغ قتيبة من صلح خوار زمشاه قام اليه المجشر بن مزاحم السلمى فقال له سرا ان أردت الصغد وما وراء النهر فالآن فانهم آمنون من أن يأتيهم عامل هذا وانما بينك وبينهم عشرة أيام فقال أشار عليك بهذا أحد قال لا قال فسمعه منك أحد قال لا قال والله لئن تكلم به أحد لاضربن عنقك فلما كان العام أمر أخاه عبد الرحمن فسار فى المرسان والرماة وقدم الانتقال الى مرو فسار يومه فلما أمسى كتب اليه قتيبة اذا أصبحت فوجه الانتقال الى مرو وسر بالمرسان والرماة نحو الصغد واكتم الاخبار فانى فى الاثر فعمل عبد الرحمن ما أمره وخطب قتيبة الناس وقال لهم ان الصغد شاغرة برجلها وقد نقضوا العهد الذى بيننا وصنعوا ما بلغكم وانى أرجو ان يكون خوارزم والصغد كقريظة والنضير ثم سار فى الصغد فبلغها بعد عبد الرحمن بثلاث أو أربع وقدم معه أهل خوار رم وبخارا فقاتلوه شهرا من وجه واحد وهم محصورون وخاف أهل الصغد طول الحصار وكتبوا الى ملك الشاش وحاقان واخشاد فرغانة ان العرب طمعوا بنا أتوكم بمثل ما أتونا به فاطرحوا لانفسكم ومهما كان عندكم من قوة فابذلوها واطرحوا واقالوا انما نوتى من سعتنا فانهم لا يجدون كوجدنا فاقبلوا من أولاد الملوك وأهل النجدة من ابناء المرازبة والاساورة

فتهضمه باعضاء الجسد البالية فتصيره الى شبهها اللحم لحما والشحم شحما وكذلك العروق والعصب وماسوى ذلك وأن أفتارها اذا استوت استوت أقدار القوى واذا استوت القوى استوى الجسد واعتدل ويصح باذن الله تعالى وأن الزمان أربعة فصول الصيف والخريف والشتاء والربيع فالصيف تقوى المرة الصفراء ويكثر اهتياجها والخريف يقوى السوداء والشتاء يقوى البلغم والربيع يقوى الدم ثم ينقسم عمر الانسان أربعة أقسام الصبا وفيه تقوى الصفراء والفتوة وفيه يقوى الدم والكهولة وفيه تقوى السوداء والشيخوخة وفيه يقوى البلغم وان البلدان أيضا تنقسم على أربعة أقسام (١) المشرق وطبيعته الحرارة والرطوبة وفيه يقوى الدم والجنوب وطبيعته البرد والرطوبة وفيه تقوى المرة الصفراء وأن بنية الاصول من الجسد بما كانت مستوية معتدلة الاخلاط وربما كان أحد الاخلاط أغلب فى البنية فتظهر قوته باعلامه حتى يكون مقوما لذلك الخلط اذا هاج (وقد

(١) قوله على أربعة أقسام لم يذكر الا اثنين على ما فى أيدينا من النسخ اه مصححه

والابطال وأمروهم ان يأتوا عسكر قتيبة فيبيتوه فانه مشغول عنه بحصار سمرقند وولوا عليهم ابنا لخاقان فساروا وبلغ قتيبة الخبر فانتخب من عسكره أربعمائة وقيل ستمائة من أهل النجدة والشجاعة واعلمهم الخبر وأمرهم بالمسير الى عدوهم فساروا وعليهم صالح بن مسلم فنزلوا على فرسخين من العسكر على طريق القوم فجعل صالح له كمينين فلما مضى نصف الليل جاءهم عدوهم فلما رأوا صالحا حملوا عليه فلما اقتتلوا اشد الكمينان عن يمين وشمال فلم ير قوم كانوا أشد من أولئك قال بعضهم انا لنقاتلهم اذ رأيت تحت الليل قتيبة وقد جاء سرا فضربت ضربة اعجبتني فقلت كيف ترى امي وأبي قال اسكت فض الله فاك قال فقتلناهم فلم يفلت منهم الا الشريد وحوينا السلاحهم وسلاحهم واحترزنا رؤسهم وأسرنا منهم أسرى فسألناهم عمن قتلنا فقالوا ما قتلتم الا ابن ملك أو عظيما أو بطلا كان الرجل يعد بمائة رجل وكنا نأسماءهم على آذانهم ثم دخلنا العسكر حين أصبحنا فلم يأت أحد بمثل ما جئنا به من القتلى والاسرى والخيل ومنا ناس الذهب والسلاح قال واكرمني قتيبة وأكرم معي جماعة وظننت أنه رأى منهم مثل الذي رأى مني ولما رأى الصغد ذلك انكسروا ونصب قتيبة عليهم المجانيق فرماهم ونقب ثلمة فقام عليها رجل فشتم قتيبة فرماه بعض الرماة فقتله فاعطاه قتيبة عشرة آلاف وسمع بعض المسلمين قتيبة وهو يقول كاغيا نفسه حتى متى يا عمر قند يعشش فيك الشيطان اما والله لئن أصبحت لاحاولن من أهلك أقصى غاية فانصرف ذلك الرجل فقال لاصحابه كم من نفس تموت غدا وأخبر الخبر فلما أصبح قتيبة أمر الناس بالجد في القتال فقاتلوهم واشتد القتال وأمرهم قتيبة ان يبلغوا ثلمة المدينة فجعلوا الترسة على وجوههم وحملوا فبلغوها ووقفوا عليها ورماهم الصغد بالنشاب فلم يبرحوا فارسل الصغد الى قتيبة فقالوا له انصرف عنا اليوم حتى نصالحك غدا فقال قتيبة لا نصالحهم الا ورجالنا على الثلمة وقيل بل قال قتيبة خرج العبيد انصرفوا على ظهركم فانصرفوا فصالحهم من الغد على ألفي ألف ومائتي ألف مثقال في كل عام وان يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف فارس وان يحلوا المدينة لقتيبة ولا يكون لهم فيها مقاتل فيبني فيها مسجدا ويدخل ويصلي ويخطب ويتغدى ويخرج فلما تم الصلح واخلوا المدينة وبنوا المسجد دخلها قتيبة في أربعة آلاف انتخبهم فدخل المسجد فصلى فيه وخطب وأكل طعاما ثم أرسل الى الصغد من أراد منكم ان يأخذ متاعه وليأخذ فاني لست خارجا منها ولست آخذ منكم الا ما صالحتكم عليه غير ان الجند يقيمون فيها وقيل انه شرط عليهم في الصلح مائة ألف فارس وبيوت النيران وحلية الاصنام فقبض ذلك وأتى بالاصنام فكانت كالتل العظيم وأخذ ما عليها وأمر بها فأحرقت فجاءه غوزك فقال ان شركك على واجب لا تتعرض لهذه الاصنام فان منها أصناما من أحرقها هلك فقال قتيبة انا أحرقها بيدي فدعا بالنار فكبر ثم أشعلها فاحترقت فوجدوا من بقايا مسامير الذهب خمسين ألف مثقال وأصاب بالصغد جارية من ولد يزدجرد فارسلها الى الحجاج فارسلها الحجاج الى الوليد فولدت له يزيد بن الوليد وأمر غوزك بالانتقال عنها فانتقل وقيل ان أهل سمرقند حرجوا على المسلمين وهم يتاتون يوم فتحها وقد أمر قتيبة يومئذ بسرير فأبرز وقعد عليه فطاعنوهم حتى جازوا قتيبة وانه لمحتب بسيفه ما حل حبوته وانطوت مجنبتا المسلمين على الذين هزموا القلب فهزموهم حتى ردوهم الى عسكرهم وقتل من المشركين عدد كثير ودخلوا المدينة فصالحوهم وصنع غوزك طعاما ودعا قتيبة فاتاه في عدة من أصحابه فلما بعد استوهب منه سمرقند وقال للملك انتقل عنها فلم نجد بدا من طاعته وتلا قتيبة قوله تعالى وأنه أهلك عادا الاولى وثمود فما أبقى وحكى عن الذي أرسله قتيبة الى الحجاج بفتح سمرقند قال فارسلني الحجاج الى الوليد فقدمت دمشق قبل طلوع الفجر فدخلت

المسجد

قال أبقراط) ينبغي أن يكون كل شئ في هذا العالم مقدرا على سبعة أجزاء فالنجوم سبعة والاقاليم سبعة وأسنان الناس سبعة أولها طفل ثم صبي الى أربع عشرة سنة ثم غلام الى احدى وعشرين سنة ثم شاب ما دام ينمو ويقبل الزيادة الى خمس وثلاثين سنة ثم كهل الى الاربعين ثم شيخ الى سبع وأربعين سنة ثم هرم الى آخر العمر وجميع تغير أحوال الحيوان من الناطقين وغيرهم فمن الهواء يكون ذلك وقد قال الحكيم أبقراط ان تغير حالات الهواء هو الذي يغير حالات الناس مرة الى الغضب ومرة الى السكون الى الهم والسرور وغير ذلك واذا استوت حالات الهواء استوت حالات الناس وأخلاقهم وقال ان قوى النفس تابعة لمزاجات الابدان ومزاجات الابدان تابعة لتصرف الهواء اذا برد مرة وسكن أخرى خرج الزرع نضيجا ومرة غير نضيج ومرة قليلا ومرة كثيرا ومرة حارا ومرة باردا فتتغير لذلك صورهم ومزاجاتهم واذا اعتدل الهواء واستوى خرج الزرع معتدلا فاعتدل بذلك الصور والمزاجات (فاما علة) تشابه صور الترك فانه لما استوى

المسجد فاذا الى جنبي رجل ضرير فسألني من أين أنت فقلت من خراسان وأحرمته خبر سمرقند فقال والذي بعث محمدا بالحق ما افتتحتموها الا غدرا وانكم يا أهل خراسان الذين تسلبون بني أمية ملكهم ثم تنقضون دمشق حجرا حجرا فلما فتح قتيبة سمرقند قيل ان هذا الاعمى العيرين لانه فتح سمرقند وحوارزم في عام واحد ودلك ان الفارس اذا اسرع في طلق واحد عيرين قيل عادي عيرين فلما فتحها قتيبة دعا نهار بن توسعة فقال يا نهار أين قولك

ألا ذهب العرو المقرب للعمى * ومات الندى والجود بعد المهلب

أقاما بعرو والرؤوس تضربه * فقد غيبا عن كل شرق ومغرب

أعز وهذا قال لا هذا أحس وأنا الذي أقول

وما كان مدكارا ولا كان قبله * ولا هو فيما بعده ما كان مسلم

اعم لاهل الشرك قتلا بسيفه * وأكثر فينا منه سما بعده قتم

قال وقال الشعراء في ذلك فقال الكميت من قصيدة

كانت سمرقند أحقابا يمانية * فاليوم تفسها قيسية مضر

وقال كعب الاشقري وقيل رجل من جعفي

كل يوم يحوي قتيبة نهبا * ويريد الاموال مالا جديدا

باهلي قد ألبس التاج حتى * شاب منه مفارق كن سودا

دوح الصعدة الكعاب حتى * ترك الصعدة العراء قعودا

فوليد يبكي لفقد أبيه * وأب موجع يبكي الوليدا

ثم رجع قتيبة الى مرو وكان أهل خراسان يقولون ان قتيبة غدر بأهل سمرقند فلذلك غدروا وكان عامله على خوارزم اياس بن عبد الله على حرسها وكان ضعيفا وكان على خراجها عبيد الله بن أبي عبيد الله مولى مسلم فاستضعف أهل خوارزم اياسا فجمعوا له وكتب عبيد الله الى قتيبة فبعث قتيبة أخاه عبد الرحمن عاملا وأمره ان يضرب اياسا وحيان النبطي مائة مائة ويحلقهما فلما قرب عبد الله من خوارزم أرسل الى اياس فاندره فمحى وقدم عبد الله وأحد حيان فضربه وحلقه ثم وجه قتيبة الجنود الى خوارزم مع المغيرة بن عبد الله فعلمهم ذلك فلما قدم المغيرة اعتزل اباه الدين قبلهم خوارزمشاه وقالوا لا يعبيك فهرب الى بلاد الترك وقدم المغيرة فقتل وسبى فصالحه الباقون على الجزية وقدم على قتيبة فاستعمله على نيسابور

﴿ذكر فتح طليطلة من الاندلس﴾

قال أبو جعفر وفي هذه السنة غضب موسى بن نصير على مولاه طارق فسار اليه في رجب منها واستخلف على افريقية ابنه عبد الله بن موسى وعبر موسى الى طارق في عشرة آلاف فتلقاه وترضاه فرضي عنه وقبل عذره وسيره الى طليطلة وهي من عمائم بلاد الاندلس وهي من قرطبة على عشرين يوما ففتحها وأصاب فيها مائدة سليمان بن داود عليه السلام وما فيها من الذهب والجوهر والله أعلم به قلت لم يزد على هذا وقد ذكرت في سنة اثنتين وتسعين من فتح الاندلس ودخول موسى بن نصير الى طارق ما فيه كفاية فلا حاجة الى اعادته الا ان أبا جعفر قد ذكر ان موسى هو الذي سير طارقا وهو بالاندلس ففتح مدينة طليطلة والذي ذكره أهل الاندلس في تواريخهم ما تقدم ذكره

﴿ذكر عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز﴾

قيل وفي هذه السنة عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن الحجاز والمدينة وكان سبب ذلك ان عمر كتب الى الوليد يخبره بعسف الحجاج أهل العراق واعتدائه عليهم وظلمهم بغير حق فبلغ ذلك

هواء بلدانهم في البرد استوت صورهم وتشابهوا وكذلك أهل مصر لما استوت أهواؤهم تشابهت صورهم ولما كان الغالب على هواء الترك البرد وعجزت الحرارة عن تنشيف رطوبات أبدانهم كثرت شحومهم ولانت أبدانهم وتشهوا بالنساء في كثير من أخلاقهم فضعفت شهوة الجماع فيهم وقل ولدهم لبرد مزاجهم والرطوبة الغالبة عليهم وقد يكون ضعف الشهوة أيضا لكثرة ركوب الخيل وكذلك نساؤهم لما سمنت أبدانهن ورطبت ضعفت أرحامهن عن جذب الزرع اليها (وأما حمرة ألوانهم) فللبرد كما ذكر بالان البياض اذا ألحت عليه البرودة صار الى الحمرة وبيان ذلك أن أطراف الاصابع والشفة والانف اذا أصابها برد شديد احمرت (وذكر الحكيم) ابقراط أن في بعض البلدان من الجنوب بلده كثيرة الامطار كثيرة النبات والعشب وأن أشجارها ذاهبة في الهواء ومياهها عذبة ودوابه عظيمة وهي مخصبة لان تلك البلاد لم يلحقها حر الشمس ولم يلحقها يبس البرد فاجسام أهلها عظيمة وصورهم جميلة وأخلاقهم كريمة

الحجاج فكتب الى الوليد ان من عندى من العراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق ولحقوا بالمدينة ومكة وان ذلك وهن فكتب اليه الوليد يستشيره فيمن يوليه المدينة ومكة فاشار عليه بخالد ابن عبد الله وعثمان بن حيان فولى خالدا مكة وعثمان المدينة وعزل عمر عنهما فلما خرج عمر من المدينة قال انى أخاف أن أكون ممن نفته المدينة يعنى بذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفى خبثها وكان عزله عنها فى شعبان ولما قدم خالد مكة أخرج من بها من أهل العراق كرها وتهدد من أرل عراقيا أو آخره دارا واشتد على أهل المدينة وعسفهم وجار فيهم ومنعهم من ارال عراقى وكانوا أيام عمر بن عبد العزيز كل من خاف الحجاج لجأ الى مكة والمدينة وقيل انما استعمل على المدينة عثمان بن حيان وقد تقدم سنة احدى وتسعين ولاية خالد مكة فى قول بعضهم

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح سبسطية والمرزبانين وطرسوس وفيها غزا مروان بن الوليد وبلغ خنجرة وفيها غزا مسلمة الروم أيضا ففتح ماسيسة وحصن الحديد وغزاله من ناحية ملطية وفيها أجدب أهل افريقية فاستسقى موسى بن نصير فسقوا وفيها كتب الوليد بن عبد الملك الى عمر بن عبد العزيز قبل أن يعزله يأمره بضرب خبيب بن عبد الله بن الزبير ويصب على رأسه ماء باردا فضربه خمسين سوطا وصب عليه ماء باردا فى يوم شات ووقفه على باب المسجد حتى مات من يومه (خبيب بضم الخاء المعجمة وباءين موحدتين بينهما ياء تحتها نقطتان) وحج بالناس هذه السنة عبد العزيز بن الوليد وكان على الامصار من تقدم ذكرهم الا المدينة فان عاملها عثمان بن حيان قدمها فى شوال لليلتين بقيتا منه وقد تقدم ذكر ولاية خالد بن عبد الله مكة فى سنة تسع وثمانين وفى سنة احدى وتسعين قد ذكر ما له وليها هذه السنة وفيها مات أبو الشعثاء جابر بن زيد وأبو العالية البراء واسمه زياد بن فيروز وكان مولى لامرأة من بنى رياح وليس بابى العالية الرياحى ذاك كان موته سنة تسعين وفيها مات بلال بن أبى الدرداء الانصارى قاضى دمشق

﴿ ثم دخلت سنة أربع وتسعين ﴾ ﴿ ذكر قتل سعيد بن جبير ﴾

قيل وفى هذه السنة قتل سعيد بن جبير وكان سبب قتله خروجه مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وكان الحجاج قد جعله على عطاء الجند حين وجه عبد الرحمن الى رتبيل لقتاله فلما خلع عبد الرحمن الحجاج كان سعيد فيمن خلع فلما هزم عبد الرحمن ودخل بلاد رتبيل هرب سعيد الى أصبهان فكتب الحجاج الى عاملها بأخذ سعيد فخرج العامل من ذلك فارسل الى سعيد يعرفه ذلك ويأمره بفارقته فسار عنه فاتى اذربيجان فطال عليه القيام فاغتم بها فخرج الى مكة فكان بها هو وأناس أمثاله يستحيون فلا يجبرون أحدا أسماءهم فلما ولى خالد بن عبد الله مكة قيل لسعيد انه رجل سوء فاوسرت عن مكة فقال والله لقد فررت حتى استحييت من الله ويستحيى ما كتب الله لى فلما قدم خالد مكة كتب اليه الوليد يحمل أهل العراق الى الحجاج فأخذ سعيد بن جبير ومجاهدا وطلق بن حبيب فارسلهم اليه فمات طلق بالطريق وحبس مجاهدا حتى مات الحجاج وكان سيرهم مع حرسيين فانطلق أحدهما لحاجة وبقى الآخر فقال لسعيد وقد استيقظ من نومه ليلا يا سعيد انى ابرأ الى الله من دمك انى رأيت فى منامى قيل لى ويلك تبرأ من دم سعيد بن جبير فاذهب حيث شئت فانى لا أطلبك فأبى سعيد فرأى ذلك الحرسى مثل تلك الرؤيا ثلاثا ويأذن لسعيد فى الذهاب وهو لا يفعل فقدموا به الكوفة فأنزل فى داره وأتاه قراء الكوفة فجعل يحدثهم وهو يضحك وبقية له فى حجره فلما نظرت الى القيد فى رجله بكت ثم ادخلوه على الحجاج فلما أتى به قال لعن الله ابن النصرانية يعنى خالدا وكان هو أرسله اما كنت اعرف مكانه بلى والله والبيت

الذى

فهم فى صورهم وقاماتهم واعتدال طبائعهم يشهون باعتدال زمان الربيع غير أنهم أصحاب دعة لا يحتملون الشدائد والكد وقال أبقراط فى معنى ما وصفنا واليه قصدنا من بيان الاهوية وتأثيرها فى الحيوان والنبات ان الروح المطبوعة فيها هى التى تجذب الهواء البارد والرياح تقلب الحيوان من حال الى حال ومن حر الى برد ومن يبس الى رطوبة ومن سرور الى حزن وكما تغيرها فى البيوت من بدن أو عسل أو قصة أو شراب أو سمن فتصحها مرة وتبردها أخرى وعلة ذلك أن الشمس والكواكب تغير الهواء بحركاتها واذا تغير الهواء تغير بتغيره كل شئ فمن تقدم وعرف أحوال الارمنة وتغيرها والدلائل التى فيها عرف السبب الاعظم من أسباب العالم وتقدم فى صحة الابدان (وقال أيضا) ان الجنوب اذا هبت أذابت الهواء وبردته وسخنت البحار والانهار وكل شئ فيه رطوبة وتغير لون كل ذى رطب وحالاته وهى ترخى الابدان والعصب وتورث الكسل وتحدث ثقلا فى السماع وغشاوة فى البصر لانها تحلل المرة وتبرل الرطوبة الى أصل

الذى هو فيه بمكة ثم أقبل عليه فقال ياسعيد ألم أشركك فى امانتى ألم أفعل ألم استعملك قال بلى قال فما أخرجك على قال انما أنا امرؤ من المسلمين بخطئ مرة و يصيب مرة فطابت نفس الحجاج ثم عاوده فى شئ فقال انما كانت بيعة فى عنقى فغضب الحجاج وانتفخ وقال ياسعيد ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير وأخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لامير المؤمنين عبد الملك قال بلى قال ثم قدمت الكوفة واليا فجددت البيعة فأخذت بيعتك لامير المؤمنين ثانية قال بلى قال فنكثت بيعتين لامير المؤمنين وتوفى بواحدة للحائك بن الحائك والله لاقتلنك قال انى اذا السعيد كما سمتنى أمى فامر به فضربت رقبته فبدر رأسه عليه كمة بيضاء لاطئة فلما سقط رأسه هلل ثلاثا أصبح بمرة ولم يفصح بمرتين فلما قتل التبس عقل الحجاج فجعل يقول قيودنا قيودنا فظنوا انه يريد القيود فقطعوا رجلى سعيد من انصاف ساقيه وأخذوا القيود وكان الحجاج اذا نام يراه فى منامه يأخذ بمجامع ثوبه فيقول ياعدو الله فيما قتلتنى فيقول مالى ولسعيد بن جبير مالى ولسعيد بن جبير

﴿ ذكر غزوة الشاش وفرغانة ﴾

فى هذه السنة قطع قتيبة النهر وفرض على أهل بخارا وكش ونسف وخوارزم عشرين ألف مقاتل فسار واصعدوا وجههم الى الشاش وتوجه هو الى فرغانة فأتى خجندة فجمع له أهلها فاقتتلوا فاقتتلوا مرارا كل ذلك يكون الظفر للمسلمين ثم ان قتيبة أتى كاشان مدينة فرغانة وأتاه الجنود الذين وجههم الى الشاش وقد فتحوها وأحرقوا أكثرها وانصرف الى مرو وقال سحبان يذكر قتالهم بخجندة

فصل الفوارس فى خجندة تحت مرهفة العوالى
هل كنت أجمعهم اذا * هزموا واقدم فى القتال
أم كنت اضرب هامة الـ * ـعاصى واصبر للموالى
هذا وأنت قريع قيـ * ـس كلها نعم النوال
وفصلت قيسا فى الندى * وأبوك فى الحج الحوالى
ولقد تبين عدل حكـ * ـمك فيهم فى كل حال
تمت مروءتهم ونا * لى عزكم غلب الجمال

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة غزا العباس بن الوليد أرض الروم ففتح انطاكية وفيها غزا عبد العزيز بن الوليد فبلغ غزاله و بلغ الوليد بن هشام المعيطى برح الحمام و يزيد بن أبى كبشة أرض سورية وفيها كانت الزلازل بالشام ودامت أربعين يوما فخربت البلاد وكان عظم ذلك فى انطاكية وفيها افتتح القاسم بن محمد الثغر فى أرض الهند وتوفى فى هذه السنة على بن الحسين فى أول هاشم عروة بن الزبير ثم سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام واستقضى الوليد على الشام سليمان ابن حبيب وحج بالناس مسلمة بن عبد الملك وقيل عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وكان العامل بمكة خالد بن عبد الله وبالمدينة عثمان بن حيان و بمصر قرة بن شريك و بخراسان قتيبة من قبل الحجاج

﴿ ثم دخلت سنة خمس وتسعين ﴾ ﴿ ذكر غزوة الشاش ﴾

قيل وفى هذه السنة بعث الحجاج جيشا من العراق الى قتيبة فغزا بهم فلما كان بالشاش أو بكشماهان أتاه موت الحجاج فى شوال منها فغمه ذلك وعثل يقول

لعمرى لنعم المرء من آل جعفر * بحوران امسى اعلقته الحبائل
فان تحى لى املك حياتى وان تمت * فما فى حياة بعد موتك طائل

ورجع الى مرو وتفرق الناس فأتاه كتاب الوليد قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجدك واجتهادك

العصب الذى يكون فيه الحس وأما الشمال فانها تطيب الابدان وتصح الادمغة وتحسن اللون وتصفى الحواس وتقوى الشهية والحركة غير أنها تحرك السعال ووجع الصدر (وقد) زعم بعض من تأخر فى الاسلام من الحكماء أن الجنوب اذا هبت بأرض العراق تغير الورد وتنثر الورق وسخن الماء واسترخت الابدان وتكدر الهواء قال وذلك شبيه بما قال أبقراط ان الصيف أو بأمن الشتاء لانه يسخن الابدان فيرخيها و يضعف قواها وان أهل العراق يكون الرجل منهم نائما فى فراشه يسخن هبوبها وانه اذا هبت الشمال برد الخاتم فى أصبعه واتسع لانضمام البدن بها واذا هبت الجنوب سخن الخاتم وضاق واسترخى البدن وحدث فيه الكسل وهذا يجده سائر من بالعراق ممن له حس اذا صرف همته الى تأمل ذلك وكذلك يجده من تأمل ما وصفنا فى سائر الامصار فى بقاع الارض والبلدان واذا كان ذلك بالعراق فهو أظهر لعموم الاعتدال (ثم قال الحكيم) أبقراط فى معنى ماذكرنا ان الرياح العامة أربعة احداها تهب من جهة المشرق وهى القبول والثانية تهب من المغرب وهى الدبور

والثالثة من التيمن وهى الجنوب والرابعة من التيسر وهى الشمال (قال المسعودى) وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب جوامع من الاخبار عن الطبائع والاهوية والبلدان وأنواع الارض من العامر والغامر وغير ذلك مما تقدم ذكره وانتظم تصنيفه واتصل بحمد الله ايراده فرأينا أن نختم هذا الباب بجوامع من مساحات الممالك وما بينها من البعد والقرب على حسب ما حكاه الفزارى صاحب كتاب الزيج والقصيدة فى هيئة النجوم والفلك زعم الفزارى أن عمل أمير المؤمنين من فرغانة وأقصى خراسان الى طنجة بالمغرب ثلاثة آلاف وسبعمائة فرسخ والعرض من باب الابواب الى جدة سبعمائة فرسخ ومن الباب الى بغداد ثلثمائة فرسخ ومن مكة الى جدة اثنان وثلاثون ميلا (عمل الصين) من المشرق أحد وثلاثون ألف فرسخ فى أحد عشر ألف فرسخ (عمل الهند) فى المشرق أحد عشر ألف فرسخ فى سبعة آلاف فرسخ (عمل التبت) خمسمائة فرسخ فى مائتين وثلاثين فرسخا (عمل ماين شاه)

فى جهاد اعداء المسلمين وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك الذى يجب لك فأتم مغازيك وانتظر ثواب ربك ولا تغب عن أمير المؤمنين كتبك حتى كأنى انظر الى بلائك والثغر الذى أنت فيه

﴿ذكر وفاة الحجاج بن يوسف﴾

قيل ان عمر بن عبد العزيز ذكر عنده ظلم الحجاج وغيره من ولاة الامصار أيام الوليد بن عبد الملك فقال الحجاج بالعراق والوليد بالشام وقرة بمصر وعثمان بالمدينة وخالد بمكة اللهم قد امتلأت الدنيا ظلما وجورا فأرح الناس فلم يمض غير قليل حتى توفى الحجاج وقرة بن شريك فى شهر واحد ثم تبعهم الوليد وعزل عثمان وخالد واستجاب الله لعمر وما أشبه هذه القصة بقصة ابن عمر مع زياد ابن أبيه حيث كتب الى معاوية يقول له قد ضبطت العراق بشمالى ويمينى فارغة يعرض بامارة الحجاز فقال ابن عمر لما بلغه ذلك اللهم أرحنا من يمين زياد وأرح أهل العراق من شماله فكان أول خبر جاءه موت زياد وكانت وفاة الحجاج فى شوال سنة خمس وتسعين وقيل كانت وفاته لخمس بقين من شهر رمضان وله من العمر أربع وخمسون سنة وقيل ثلاث وخمسون سنة وكانت ولايته العراق عشرين سنة ولما حضرته الوفاة استخلف على الصلاة ابنه عبد الله بن الحجاج واستخلف على حرب الكوفة والبصرة يزيد بن أبى كبشة وعلى خراجهما يزيد بن أبى مسلم فاقرهما الوليد بعد موته ولم يغير أحدا من عمال الحجاج

﴿ذكر نسبه وشئ من سيرته﴾

هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبى عقيل بن عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف أبو محمد الثقفى قال قتيبة بن مسلم خطبنا الحجاج فذكر القبر فما زال يقول انه بيت الوحدة انه بيت الغربة وبيت كذا وكذا حتى بكى وأبكى ثم قال سمعت أمير المؤمنين عبد الملك يقول سمعت مروان يقول فى خطبته خطبنا عثمان فقال فى خطبته ما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قبر أو ذكره الا بكى وقد روى أحاديث غير هذا عن ابن عباس وأنس وقال ابن عوف كنت اذا سمعت الحجاج يقرأ عرفت انه طالما درس القرآن وقال أبو عمرو ابن العلاء ما رأيت أفصح من الحجاج ومن الحسن وكان الحسن أفصح وقال عبد الملك بن عمير قال الحجاج يوما من كان له بلاء فليقم فلنعطه على بلائه فقام رجل فقال اعطنى على بلائى قال وما بلاؤك قال قتلت الحسين قال فكيف قتلته قال دسرته بالرمح دسرا وهبرته بالسيف هبرا وما اشركت معى فى قتله أحدا قال فانك لا تجتمع أنت وهو فى مكان واحد ثم قال اخرج ولم يعطه شيأ قيل وكتب عبد الملك الى الحجاج يأمره بقتل اسلم بن عبد الله الكعبى بشئ بلغه عنه فاحضره الحجاج فقال أمير المؤمنين غائب وأنت حاضر والله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا الآية والذى بلغه عنى باطل فاكتب الى أمير المؤمنين انى أعول أربعا وعشرين امرأة وهن بالباب فاحضرهن فهذه أمه وهذه عمته وزوجته وابنته وكان فى آخرهن جارية قاربت عشر سنين فقال لها من أنت منه قالت ابنته أصلح الله الامير ثم انشأت تقول

أحجاج لم تشهد مقام بنانه * وعمانه يندبنه الليل أجمعا
أحجاج لم تقتل به ان قتلته * ثمانا وعشرا واثنتين وأربعا
أحجاج من هذا يقوم مقامه * علينا فهلا ان تزدنا تضعضعا
أحجاج اما ان تجود بنعمة * علينا واما ان تقتلنا معا

فبكى الحجاج وقال والله لا أعنت الدهر عليكن ولا زدتكن تضعضعا وكتب الى عبد الملك يخبر الرجل والجارية فكتب اليه عبد الملك ان كان الامر كما ذكرت فاحسن صلته وتفقد الجارية ففعل وقال

ص بن بهدلة سمعت الحجاج يقول اتقوا الله ما استطعتم هذا والله مثنوية واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لانفسكم ليس فيه مثنوية والله لو أمرتكم أن تخرجوا من هذا الباب فخرجتم من هذا حلت لي دماؤكم ولا أجد أحدا يقرأ على قراءة ابن أم عبد يعني ابن مسعود الا ضربت عنقه ولا حكمتها من المصحف ولو بضلع خنزير وقد ذكر ذلك عند الاعمش فقال واناسمعته يقول فقلت في نفسي لاقرأنها على رغم أنفك قال الاوزاعي قال عمر بن عبد العزيز لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم قال منصور سألت ابراهيم الشجاعي عن الحجاج فقال ألم يقل الله ألا لعنة الله على الظالمين قال الشافعي بلغني ان عبد الملك بن مروان قال للحجاج ما من أحد الا وهو عارف عيوب نفسه فعب نفسك ولا تجعل منها شيء أقال يا أمير المؤمنين انا لحوح حقود فقال له عبد الملك ما بينك وبين ابليس بسر فقال ان الشيطان اذا رآني سالمني قال الحسن سمعت عليا على المنبر يقول اللهم ائتمنتهم فخانوني ونصحتهم فغشوني اللهم فسلط عليهم غلام ثقيف يحكم في دمائهم واموالهم بحكم الجاهلية فوصفه وهو يقول الريال مفجر الانهار يا كل خضرتها ويلبس فروتها قال الحسن هذه والله صفة الحجاج قال حبيب بن أبي ثابت قال علي لرجل لا تموت حتى تدرك ثقيفا قيل له يا أمير المؤمنين ما فتى ثقيف قال ليقالن له يوم القيامة اكعمارا وية من زوايا جهنم قال يملك عشرين أو بضعا وعشرين سنة لا يدع لله معصية الا ارتكبها حتى لو لم تبق الا معصية واحدة وبينه وبينها باب مغلق لكسره حتى يرتكبها يقتل بمن أطاعه من عصاه وقيل أحصي من قتل الحجاج صبرا فكانوا مائة ألف وعشرين ألفا وقيل ان الحجاج مر بخالد بن يزيد بن معاوية وهو يتبختر في مشيته فقال رجل لخالد من هذا قال خالد بخ بخ هذا عمرو بن العاص فسمعهما الحجاج فسمع وقال والله ما يسرني ان العاص ولدني ولكني ابن الاشياخ من ثقيف والعقائل من قريش انا الذي ضربت بسيفي هذا مائة ألف كلهم يشهدان أباك كان يشرب الخمر ويضمر الكفر ثم انه هو يقول مع عمرو بن العاص فهو قد اعترف في بعض أيامه بمائة ألف قتيل على ذنب واحد

﴿ ذكر ما فعله محمد بن القاسم بعد موت الحجاج وقتله ﴾

لما مات الحجاج بن يوسف كان محمد بن القاسم بالملتان فأتاه خبر وفاته فرجع الى الرور والبغرور وكان قد نصبهما فاعطى الناس ووجه الى البيلمان جيشا فلم يقاتلوا وأعطوا الطاعة وسأله أهل بيت وهي مغرى أهل البصرة وأهلها يقطعون في البحر ثم أتى محمد الكير ج فخرج اليه دوهر فقاتله فانهزم دوهر وهرب وقيل بل قتل وبرل أهل المدينة على حكم محمد فقتل وسبى قال الشاعر

نحن قتلنا ذاهرا ودوهرا * والخيل تردى منسرا فمنسرا

مات الوليد بن عبد الملك وولي سليمان بن عبد الملك فولى يزيد بن أبي كبشة السكسكي السند فذهب محمد واوقيده وحمله الى العراق فقال محمد متمثلا

أصاعوني وأي فتى أصاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فكتب أهل السند على محمد فلما وصل الى العراق حبسه صالح بن عبد الرحمن بواسط فقال

فلئن ثويت بواسط وبأرضها * رهن الحديد مكبلا مغلولا
فلرب قينة فارس قد رعتها * ولرب قرن قد تركت قتيلا
ولو كنت أجمعت الفرار لوطئت * اناث أعدت للوعى وذكور
وما حلت خيل السكاسك أرضنا * ولا كان من ملك على أمير
وما كنت للعبد المزوني تابعا * فيالك دهرا بالكرام عثور

فكذبه صالح في رجال من آل أبي عقيل حتى قتلهم وكان الحجاج قتل آدم أخا صالح وكان يرى رأى

أربعمائة فرسخ في ستين فرسخا (عمل البلغار) بالترك ألف فرسخ وخمسمائة فرسخ (عمل الترك) بخاقان سبعمائة فرسخ في خمسمائة فرسخ (عمل برجان) ألف وخمسمائة فرسخ في ثلثمائة فرسخ (عمل الصقالبة) ثلاثة آلاف وخمسمائة فرسخ في أربعمائة فرسخ وعشرين فرسخا (عمل الروم) ثلاثة آلاف فرسخ في سبعمائة فرسخ (عمل الاندلس) لعبد الرحمن بن معاوية ثلثمائة فرسخ (عمل ادريس) الفاطمي ألف ومائتا فرسخ في مائة وعشرين فرسخا (عمل فاس) لابي المنتصر أربعمائة فرسخ في ثمانين فرسخا (عمل سجلماسة) ألفان وخمسمائة فرسخ في سبعمائة فرسخ (عمل غانة) بلاد الذهب ألف فرسخ في ثمانين فرسخا (عمل زغاوة) مائتا فرسخ في ثمانين فرسخا (عمل بجلة) مائة فرسخ وعشرون فرسخا في ستين فرسخا (عمل واح) ستون فرسخا في أربعين فرسخا (عمل البجة) مائتا فرسخ في ثمانين فرسخا (عمل النجاشي) ألف وخمسمائة فرسخ في أربعمائة فرسخ بالمغرب (عمل الزنج) بالمشرق وبلاد صعدة ألف وسبعمائة فرسخ في مائتين وخمسين فرسخا فذلك الطول اثنان وسبعون ألفا وأربعمائة

الخوارج وقال حمزة بن بيض الحنفي يرثي محمدا

ان المروءة والسماحة والندى * لمحمد بن القاسم بن محمد

وقال آخر ساس الجيوش لسبع عشرة حجة * باقرب ذلك سودد امن مولد

ولداته اذ ذاك في أشغال

ومات يزيد بن أبي كبشة بعد قدومه أرض السند بثمانية عشر يوما واستعمل سليمان بن عبد الملك على السند حبيب بن المهلب فقدمها وقد رجع ملوك السند الى ممالكهم ورجع جيشبة بن ذاهر الى برهمناباذ فنزل حبيب على شاطئ مهران فاعطاه أهل الرور الطاعة وحارب قوما فظفر بهم ثم مات سليمان واستخلف عمر بن عبد العزيز فكتب الى الملوك يدعوهم الى الاسلام والطاعة على ان يملكهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم فاسلم جيشبة والملوك وتسموا باسماء العرب وكان عمرو بن مسلم الباهلي عامل عمر على ذلك الثغر فغزا بعض الهند فظفر ثم ان الجنيد بن عبد الرحمن ولي السند أيام هشام بن عبد الملك فأتى الجنيد شط مهران فمنعه جيشبة بن ذاهر العبور وأرسل اليه اني قد أسلمت وولاني الرجل الصالح بلادي ولست آمنك فاعطاه رهنا وأخذ منه رهنا على خراج بلاده ثم تراداوكفر جيشبة وحارب وقيل انه لم يحارب ولكن الجنيد تجنى عليه فأتى الهند فجمع جموعا وأعد السفن واستعد للحرب فسار اليه الجنيد بالسفن فالتقوا في بطيحة فاخذ جيشبة أسيرا وقد جنحت سفينته فقتله الجنيد وهرب صصة بن ذاهر وهو يريد ان يمضي الى العراق فيشكو غدر الجنيد فلم يزل الجنيد يؤنسه حتى وضع يده في يده فقتله وغزا الجنيد الكيرج وكانوا قد نقضوا فاتخذا كشبا وصك بها سور المدينة فثلمه ودخلها فقتل وسبى ووجه العمال الى المرمد والمندل ودهنج وبروخ وكان الجنيد يقول القتل في الجزع أكبر منه في الصبر ووجه جيشا الى أزين فاغار واعليها وحرقوا بيضها وفتح البيلمان وحصل عنده سوى ما حمل أربعين ألف ألف وحمل مثلها وولى الجنيد تميم بن زيد القيني فضعف ووهن ومات قريبا من الديبل وفي أيامه خرج المسلمون عن بلاد الهند ورفضوا مراكزهم ثم ولى الحكم بن عوانة الكلبي وقد كفر أهل الهند الا أهل قصة فبنى مدينة سماها المحفوظة وجعلها مأوى للمسلمين وكان معه عمرو بن محمد بن القاسم وكان يفوض اليه عظيم الامور فاغزاه من المحفوظة فلما قدم عليه وقد ظفر أمره فبنى مدينة وسماها المنصورة فهي التي يتولاها الامراء واستخلص ما كان قد غلب عليه العدو ورتبى الناس ولايته وكان خالد القسري يقول واعجبا وليت فتى العرب يعني تميما فرفض وترك وولي ابن اخيه العرب فرضي به ثم قتل الحكم وكان العمال يقاتلون العدو فكانوا يقتحمون ناحية ويأخذون ما تيسر لهم لضعف الدولة الاموية بعد ذلك الى ان جاءت الدولة المباركة العباسية ونحن نذكر ان شاء الله أيام المأمون بقية أخبار السند

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح هرقلة وغيرها وفيها فتح آخر الهند الا الكيرج والمندل وفي هذه السنة افتتح العباس بن الوليد قنسرين وفيها قتل الوضاحي بارض الروم في ألف رجل معه وفيها ولد المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وحج بالناس في السنة كثير بن الوليد بن عبد الملك وكان عمال الامصار من تقدم ذكرهم وفيها مات أبو الهدى اسمه عبد الرحمن بن مل وكان عمره مائة وثلاثين سنة وقيل في موته غير ذلك وفيها مات ابن اياس أبو عمرو الشيباني وله مائة وعشرون سنة وفي امارة الحجاج مات سفينة مولى رسول صلى الله عليه وسلم وفي هذه السنة مات سالم بن أبي الجعد وفيها مات جعفر بن عمرو بن الضمري وهو أخو عبد الله بن مروان من الرضاعة وفي امارة الحجاج قتل أبو الاحوص عوف الرجل مالك بن نضلة الجشمي الكوفي قتله الخوارج وقال

﴿تم الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس وأوله ثم دخلت سنة ست وتسعين﴾

وثمانون فرسخا والعرض خمسة وعشرون ألفا ومائتان وخمسون فرسخا وأما الكلام في وصف أصول الطب وهل ذلك مأخوذ من طريق الرياضة والقياس أو من غيره ووصف تنازع الناس في ذلك فلم نتعرض لايراده في هذا الكتاب وان كان متعلقا ومتصلا بالكلام في الطبائع وجمل المعاني المذكورة في هذا الباب لانا قد أوردناه فيما يرد من هذا الكتاب في أخبار الواثق على ايضاح جرى بحضرته وقد حضر مجلسه حنين بن اسحق وابن ماسويه وغيرهم من الفلاسفة والمتطببين فاغنى ذلك عن ايراده في هذا الباب ولولا أن الكتاب يرد على اغراض من الناس لما هم عليه من اختلاف الطبائع والتباين في المراد لما ذكرنا ما يورد فيه من أنواع العلوم وفنون الاخبار وقد يلحق الانسان الملل بقراءته ما لا تهوى نفسه فينتقل منه الى غيره فقصدنا فيه من سائر ما يحتاج الناس من ذوي المعرفة الى علمه ولما تعلق الكلام في نظمه وتشعبه واتصاله بغيره من المعاني مما لم يتقدم ذكره وقد أتينا على مبسوط سائر ما ذكرناه على الاتساع والايضاح في كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط والله تعالى أعلم